نهاية السول في خصائص الرسول

محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم)

للإمام مجد الدين أبي الخطاب بن دحية
رحمه الله تعالى

تحقيق الدكتور
عبد الله عبد القادر الشيخ محمد نور الفادني
رحمه الله تعالى

من مطبوعات
إدارة الشؤون الإسلامية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة قطر

نهاية السول في خصائص الرسول ﷺ

محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم)

للإمام مجد الدين أبي الخطاب بن دحية
رحمه الله تعالى

تحقيق الدكتور
عبد الله عبد القادر الشيخ محمد نور الفادني
رحمه الله تعالى

راجعه وصححه محمد محيي الدين الأصفر

من مطبوعات
إدارة الشؤون الإسلامية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة قطر

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ - ١٩٩٥م
طبع لأوّل مرّة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلي أمي التى أرضعتني بلبانها ، وحبتني بعطفها ، وحوتني بدفء فراشها ، الذي لم أنعم به طويلا حيث اختارها الله إلي مستقر رحمته .

أهدي إليها ثواب هذا الجهد المتواضع ، وأسأل الله العلي القدير أن يجعله في ميزان حسناتها إنه أكرم مسؤول وخير مجيب .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى:

{ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم }

صدق الله العظيم

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:

"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين".

حديث شريف

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمدلله الذي أكرمنابخير نبي اصطفاه فكنا به خير أمة ﴿ لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ .(آل عمران الآية :١٦٤)

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وأصحابه والأئمة الذين استنوا سنته واتبعوا نهجه وسيرته بحسن التأسي وصدق الاتباع: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ .(آل عمران الآية :٢١)

وبعد،

فلا يخفى ما للسيرة النبوية من أهمية ومكانة لكونها تحكي الحياة النبوية الشريفة التي لم تلحق بها الأساطير والأوهام ، بل كانت واقعية عملية ربانية ، وكان النبيُّ بذلك بشراً رسولا :﴿ قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾ ولهذا فقد نالت سيرته النبوية العطرة عناية فائقة من جهد المصنفين والمحققين،وعنايتهم بدقائقها وتفاصيلها، وذلك للأهمية الكبرى والمحبة العظمى لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بالإضافة إلى تجليتها الرسالة في جانبها التطبيقي البشري . ﴿ يا

أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.﴾(الأحزاب الآية:٤٥-٤٦ .)

والناظر في التراث يرى جماً غفيراً من المصنفات في السيرة النبوية الشريفة ، تبهر الأنظار لكثرتها، فقد تبارى المؤلفون في مناح متعددة من السيرة الشريفة فقد أرخ ابن إسحاق ، وابن هشام ، وابن سيد الناس والشمر الصالحي والنور الحلبي ، لأطوار حياته .

وألف الترمذي ، والسيوطي ، والزرقاني ، في شمائل الرسول وصفاته .

كما ألف البيهقي ، وأبونعيم ، والماوردي ، في أعلام النبوة .

وألف ابن عبد البر النمري القرطبي ، وابن الأثير ، وابن حجر في أصحابه وتابعيهم ،وكانت هذه الكتب وغيرها كثير بين معنيّ بالسرد التاريخي للأحداث والغزوات والمشاهد ، وبين معنيّ بالظلال التربوية ، والحكمة النبوية ، والمعالم الدعوية في دراسته لشخصية النبي الكريم وعلاقاته ومعاملاته وأخلاقه وتصرفاته.

وبين معنيّ بالشمائل الكريمة والفضائل العظيمة والخصائص الرفيعة السامية ،وكان من هذه الأخيرة هذا الكتاب الذي يسرنا أن نقدمه للباحثين والدعاة والمهتمين من عامة المسلمين بعنوان (نهاية السول في خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم) لعالم فذ من علماء

الأندلس وهو الإمام الشيخ (مجدالدين أبو الخطاب بن دحية) الملقب بذي النسبين بن دحية والحسين.

ويتميز هذا الكتاب باعتماده على الأحاديث الصحيحة فيما يسرده من أخبار وأحداث وشمائل ومناقب وخصائص ومزايا انفرد بها الرسول صلى الله عليه وسلم بين الناس جميعاً بل بين الأنبياء والمرسلين أجمعين عليهم الصلاة والسلام .

ويكاد ينفرد هذا الكتاب في بعض ما طرحه من خصائص وشمائل عن كتب أخرى نحت نفس المنحى ، وسلكت نفس السبيل مما يجعل هذا الكتاب متميزاً بينها في منحاه ومبناه.

كما بذل محقق الكتاب الدكتور عبدالله عبدالقادر الشيخ محمد نور الفادني رحمه الله تعالى جهداً مشكوراً في تحقيقه ، حيث كان هذا الكتاب رسالته للحصول على الدكتوراه في الحديث الشريف والسيرة، ثم أدركته الوفاة ـ رحمه الله ـ بعد المناقشة بفترة وجيزة فلم يتهيأ له أن يراجع الكتاب قبل طباعته على حسب مايبدو .

وكانت النسخة التي قدمت إلينا للطباعة محققة؛ تفتقر إلى المراجعة والتصحيح لما وجده المحققون في إدارة الشئون الإسلامية من اضطراب في العبارات أحياناً ، والأخطاء المطبعية ، فعهدنا إلى الأستاذ الفاضل محمد محي الدين الأصفر المشرف على المطبوعات بمراجعته

ومقابلته مع أصل المخطوط وتصحيحه وتهيئته للطباعة فبذل في **ذلك** الجهد المشكور يدل عليه ماورد في توضيحه التالي :

الحمد لله تعالى الذى شرفني بالمساهمة الجزئية في هذا العمل المبرور ، فقد عهد إليّ بالقراءة التمهيدية لتهيئة هذا الكتاب للطباعة، لكني وجدت في النسخة المحققة المقدمة إلينا للطباعة كثيراً من الاضطراب في العبارات والأخطاء المطبعية ، وكثيراً من التداخل في الحواشي والتعقيبات يفصل بينها عدة خطوط مستقيمة لم أستطع معها التمييز بين المتن والحاشية .

ثم تصادف وجود فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ موسى شاهين لاشين في قطر أستاذاً في جامعتها فعرضنا على فضيلته الموضوع باعتباره كان الأستاذ المشرف على المحقق رحمه الله في إعداده لهذا الكتاب لنيل درجة الدكتوراة في السيرة والحديث الشريف ، فكتب إلينا مايلي : ـ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد :

فبخصوص ترتيب رسالة الدكتوراه [تحقيق ودراسة لكتاب نهاية السول في خصائص الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم] إعداد الشيخ عبدالله عبد القادر الفادني أفيد :

" أن المنهج وضع على أساس أن يكون هنالك خط أفقي كامل يفصل بين الكتاب المراد تحقيقه وبين عمل الباحث بحيث يكون أعلاه الكتاب الأصلي وأسفله عمل الباحث ، ولما كان الكتاب الأصلي يشير إلى الحديث مجرد إشارة ، أو يذكر طرفاً منه كان على الباحث أن يخرج هذا الحديث كاملاً من مصدره ،كعمل مكمل للعمل الأصلي .

ولماكانت الدراسة حول الكتاب تقتضي تخريج أحاديثه من كتب الحديث المعتمدة ، والحكم على إسناده ، وشرح مفرداته وغريبه وضع الباحث خطاً غير كامل بين عمليه .

إلا أن الطباعة لم تساعده فبدا أنه لم يلتزم ، فكانت المؤاخذات التي أخذت عند المناقشة وبدت الرسالة غير صالحة للطبع بحالتها الراهنة. أرى لطبعها ككتاب منشور أن يدمج العملان ويرفع الخط الفاصل ، وينسق فيقدم ويؤخر ، ويربط بين المتقاطع ، ويحذف مايستغنى عنه ، ويستجاب لملاحظات لجنة المناقشة والحكم .

ولظروف خارجة عن إرادتي - كمشرف - وقع هذا الذى لاأرضى.عنه في هذا العمل العلمي رحم الله صاحبه رحمة واسعة ونفع بعلمه من بعده ". انتهى

وهكذا وجدنا أنه لابد من مقابلة الكتاب على أحد المخطوطات الأصلية له ، وإجراء التصويبات المطلوبة حتى يكون العمل سليماً وصحيحاً .

وقد بذلت الإدارة جهداً طيباً في السعي لإحضار صورة عن مخطوطة الكتاب من القاهرة ،وتهيأ لنا ذلك بفضل الله تعالى ثم بمساعدة سفارة دولة قطر هناك شاكرين لهم جهدهم . فشرعت مستعينا بالله تعالى بإجراء مايلي:

١)قابلت الكتاب المطبوع على المخطوطة التي وصلتني ، وهي أحد المخطوطات التي رمز إليها المؤلف بحرف (أ) وعرف بها مفصلاً في مقدمته ، وقد وجدت كثيراً من التصحيفات والأخطاء المطبعية،وكثيراً من الجمل أو الفقرات الساقطة في الطباعة فصححتها دون أن أشير إليها ،لأنه بدا لي أن الخطأ من الطابع ، وليس من المحقق الذى لايتصور أن يقع منه مثل هذه الأخطاء لعدم استقامة المعنى بها ، ولأنه لايوجد في المخطوطة التي قابلت عليها لبساً أو غموضاً يقتضي مثل هذه الأخطاء في المطبوع ، كما يبدو لي أن المحقق رحمه الله لم يتسنّ له النظر في نسخته المطبوعة بعد طبعها ، فقد عاجلته المنية قبل ذلك يرحمه الله .

٢)وضعت علامات ترقيم بين الجمل وفق المعروف والمشهور من أصول الكتابة في عصرنا مما يساعد على فهم المعاني والأفكار وعدم اختلاطها وتشويشها

٣)صوّبت كثيراً من الأخطاء اللغوية التي وجدت أن المعنى لايستقيم إلابتصويبها لاسيما ماكان تعقيباً أو توصية من المحقق، أما ماكان استشهاداً بحديث شريف أو آية كريمة ، أو نقلاً عن أحد العلماء فكنت أرجع ـ في حالة شكّي بعدم استقامة النقل ـ إلى مظانها من المراجع و لم أشر كذلك إليها لنفس السبب الذى تقدم ذكره

٤) اجتهدت في وضع عناوين على رأس الموضوعات الكبرى التي تضمنها الكتاب استوحيتها من خلال كلام المؤلف ، وراعيت في صياغتها أن تكون معبرة بدقة عن المعنى الرئيسي للموضوع ، و لم يكن المحقق رحمه الله قد فعل ذلك من قبل ، لكن رأيت أن في هذا خدمة للكتاب تتطلبها طبيعة عصرنا في التأليف والتبويب . هذه خلاصة ما أجريته من تصويبات أو تعديلات ، أسأل الله تعالى أن تكون مفيدة وسديدة ، ومقبولة عنده

وأخيراً فإننا نتوجه إلى الله تعالى بأن ينفع بهذا الكتاب عامة المسلمين وخاصتهم ، وأن يجزل الثواب لمؤلفه ومحققه وسائر العاملين والمساهمين بالجهد والإدارة والمال والحمد لله رب العالمين.

إدارة الشؤون الإسلامية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَة

الحمدلله رب العالمين، والصلاّة والسلاّم علـى رسـوله، وحبيبـه الأمين، الذي أرسله رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحابته الغر الميـامين ، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فإنّه ليس من السهولة بمكان أن يجد الباحث ضالّته الـتي ينشـدها من غير عناء أو تعب، بل لا بـد مـن تجـوال الفكـر في جوانـب مختلفـة وفنون متعـددة، في مـدة تطول أو تقصـر في منازعـات شـتى تتجاذبـه تدنيه مرة وتقصيه مرة أخرى. وهو على هذا الحال حتى يهـيّء الله لـه الأمر ويسهل له الطريق، ومـن ثـم يقـع الاختيـار . ولم أجـد بـداً مـن استشارة بعض أساتذتي الذين أشاروا علي في اختيار كتاب من كتـب المخطوطات التي لم تمتد إليها يد باحث من قبـل، ولم تجـد حظهـا مـن التحقيق والدراسة، فصادف ذلك هـوىً في نفسـي، ومكانـة في قلبي، فسارعت أتلمس المخطوطات في المكتبات المختلفة، إلى أنِ استقرّ بـيَ الأمر إلى دار "**الكتب المصرية**" بالقـاهرة،قسـم المخطوطـات؛ وعندئـذ راق في ذهني ثلاثة كتب منها، وعرضتها على أحد الأسـاتذة، فطلـب منيّ تقريراً وافيـاً مفصّـلاً عـن كـل واحـد منهـا ، وبعـد اطلاعـه علـى التقارير أشار إلى هذا الكتاب المخطـوط "**نهايـة السـول في خصـائص الرسول**" (صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) "تحقيقاً ودراسةً" فبعد الموافقة عليـه،

بدأت فيه مستعيناً بالله العلي القدير، **فصوّرت النسخة التي وقعت في** يدي أول الأمر ثم كتبت إلى بعض الجامعات **أستفسر عن هذا** المخطوط، فأشاروا إلي بوجوده في دار **"الكتب المصرية" وفي مكتبة "الخديوي"** بالقاهرة؛ وذكروا لي رقم إيداعه، **ثم عدت إلى القاهرة**، وعلمت أن مكتبة **"الخديوي"** نقلت الى دار **"الكتب المصرية"** **فوجدت فيها نسختين غير التي صورتها، ثم قمت بتصويرهما** **لمقابلتهما مع التي أقوم بتحقيقها ودراستها وتمّ لي ذلك ولله الحمد.**

هذا وقد وجدت عناء شديداً وتعباً أثناء المقابلة لتباين **الرسم في** كثير من الكلمات، من ناحية الرسم الإملائي.

مُلاَحَظَاتِي عَلَى نُسَخِ المَخْطُوطَةِ:

النسخة (أ) وهي أقدمها والملاحظ عليها:

(١) أن الناسخ يسهل الهمزة التي تأتي في داخل الكلمة إلى لألف أو الواو أو الياء ، حسب حركتها. مثل: خصايصه واسمايه.

(٢) يهمل النقط في كثير من الحروف المعجمة مثل: الباء والياء والتاء والنون.

(٣) يميل بعض المد مثل: التوراة يكتبها بالياء مع كسر الراء.

(٤) يخلط كثيراً بين التاء المربوطة والمفتوحة في الأسماء خاصة.

(٥) يخلط كثيراً بين الضاد والظاء في الكتابة كما يفعل المغاربة.

(٦) وهو متأثر كثيراً برسم المصحف في إملائه ، فمثلاً كلمة "الصلاة" يكتبها حسب رسم المصحف الصلوات ولكن يغلق التاء هكذا: "ة" وثلاثة يكتبها ملتصقة اللام بالثاء ويرمز الى المد بألف صغيرغير متصل باللام ، هكذا "ثلثة".

(٧) يترك عكفة الكاف في بعض الأحيان فيكتب هكذا. هلذا وكثير – لثير ، وكل– لل.

(٨) عددصفحات هذه النسخة ٢٢٨ صفحة وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة ١٧ سطراً ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد ١١ كلمة.

(٩) مقياس الحرف في هذه النسخة أكبر من مقياس الحرف في النسختين الأخريين.

وبالنظر إلى كثيرٍ من هذه الملاحظات، يتضح لنا أن الناسخ ربما كان مغربياً، إذ المغاربة يختلفون في الرسم الإملائي، وطريقة رسم الحروف عن المشارقة.

(١٠) أما تاريخ نسخها، فلم أتعرف عليه لانطماس مداده، وعليها ملاحظة ترشد إلى تاريخ نقلها من جامع الأستاذ الخضري، وإضافتها إلى دار "**الكتب الخديوية**" في ١٥ يونيه ١٨٨١م وأودعت تحت رقم ٦٦٤١، بدار "**الكتب المصرية**"، قسم المخطوطات، وأما اسم ناسخها فلم يكن واضحاً لانطماس مداده أيضاً.

(١١) وأمّا النسختان الأخريان فإن ناسخيهما اتبعا طريقة الرسم الإملائي العادي، وطريقة رسم الحرف عند المشارقة.

(١٢) فالنسخة "ب" تم الفراغ من نسخها في ٦ شوال سنة ١٣٥٥ من الهجرة النبوية الموافق ١٩٣٦/١٢/٢٠ ميلادية. وناسخها الفقير الى مولاه "محمد أحمد فتح الله" بتكليف من دار "**الكتب المصرية الملوكية**"، في عهد الملك فاروق.

وهي تشتمل على ٢١٢ صفحة وعدد السطور في الصفحة الواحدة، (٢١) سطراً، ومتوسط الكلمات في السطر الواحد، (٩) كلمات.

(١٣) وأما النسـخة "ج" فإن خطّها واضح وأجمل من خط سابقتيها، وتم الفراغ من نسخها في ٢٧ من شهر شعبان ١٣٥٨ من الهجرة النبوية، الموافق ١٠ اكتوبر ١٩٣٩ ميلادية، قام بنسخها الفقير إلى الله تعالى "**حسين فهمي خطاب**" على نفقة دار "**الكتب المصرية**".

وهي من جزأين:

الجزء الأول: عدد صفحاته (١٠٧) صفحة.

والجزء الثاني: عدد صفحاته (٩٩) صفحة، وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة (٢١) سطراً، ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد (٩) كلمات.

(١٤) وكلا النسختين، (ب) و(ج) منقولتان من النسخة (أ) وكلها مودعة تحت رقم ٦١٢. حديث.

وقد رمزتُ إلى النسخة المجلوبة من جامع "**الشيخ الخضري**" برمز (أ) وهي الأصل والثانية برمز (ب) والثالثة برمز (ج)، وهي التي تحت التحقيق والدراسة، وقد جعلت النص المخطوط في أعلى الصفحة، وعمل الباحث أسفله ، وفصلت بينهما بفاصل الى نهاية السطر.

كما رمزت الى تعليق الباحث، الذي تدعو إليه الحاجة أحياناً "ع"، واستعملت في الصواب والخطأ، الرموز الموضحة لكل نسخة في أسفل الصفحات.

"الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ"

والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على النبي وآله وصحبه وسلم.

المـؤلف
الشَّيْخُ الحَافِظُ "أَبُو الخَطَّابِ عُمَرُ بْنُ دِحْيَة"

وِلَادَتُهُ: قال صاحب وفيات الأعيان:

وكانت ولادته في مستهل ذي القعدة سنة أربع وأربعين وخمسمائة أخبرني بذلك والده، (وأخبرني بعض أصحابنا الموثوق بقولهم أنّه سأله ولده عن مولد أبيه فقال: في ذي القعدة من سنة ثمان وأربعين وأخبرني ابن أخيه قال: سمعت عمي أبا الخطاب غير مرة يقول: ولدت في مستهل ذي القعدة سنة ست وأربعين وخمسمائة والله أعلم)[1].

نَسَبُهُ مِنْ أَبِيهِ:

الإمام العلّامة الحافظ الكبير أبو الخطّاب عمر بن حسن بن علي بن محمد الملقب بالجميِّل " بتشديد الياء المفتوحة" ابن فرح بن خلف الأندلسي الداني الأصل السبتي وكان يكتب عن نفسه **"ذو النسبين"** بن دحية والحسين[2].

قال الآبار: كان يذكر أنه من ولد دحية الكلبي وأنّه سبط أبي البسام الحسين، وقد زاد في وفيات الأعيان: خلف بن قومس بن مزلال

---

[1])- وفيات الأعيان ١٢٢/٣.

[2])-تذكرة الحافظ ١٤٢٠/٤ .

بن ملال بن بدر بن أحمد بن دحية بن خليفة بن فروة الكلبي، المعروف بذي النسبين الأندلسي الحافظ.

والبلنسي التي ينسب إليها أبو الخطاب، وهي بفتح الباء الموحدة واللام وسكون النون وبعدها سين مهملة - هذه هي النسبة إلى بلنسيه-وهي مدينة في شرق الأندلس، وقد قال: نقلت نسبه على هذه الصورة من خطه، وقد قيده وضبطه كما هو هاهنا. والجُمَيِّل: بضم الجيم وفتح الميم وتشديد الياء المثناة من تحت وبعدها لام، وهو تصغير جميل. ومَزْلال: بفتح الميم وسكون الزاي وبعد اللام ألف بعدها لام.ومَلال: بفتح الميم وتشديد اللام الف بعدها لام.ودحية: بكسر الدال المهملة وفتحها وسكون الحاء المهملة وبعدها ياء مثناة من تحتها، هو دحية الكلبي صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٣]

نَسَبُهُ مِنْ أُمِّهِ:

كان يذكر أنّ أمّه - أمة الرحمن بنت أبي عبد الله بن أبي البسّام موسى بن عبد الله بن الحسين بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ولهذا كان يكتب بخطه : ذو النسبين دحية والحسين رضي الله عنهما، وكان يكتب أيضاً: "سبط أبي البسّام" إشارة إلى ذلك، وكان أبو الخطاب المذكور من أعيان العلماء، ومشاهير

---

[٣])- أنظر وفيات الأعيان .

الفضلاء، متقناً لعلم الحديث النبوي وما يتعلق به، عارفاً بالنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها.

واشتغل بعلم الحديث في أكثر بلاد الأندلس الإسلامية ولقي بها علماءها ومشايخها، ثم رحل منها إلى بر العدوة ، ودخل مراكش ، واجتمع بفضلائها ثم ارتحل إلى إفريقية ، ومنها إلى الديار المصرية ، ثم إلى الشام والشرق والعراق

مَنْ سَمِعَ مِنْهُمْ:

سمع ببغداد من بعض أصحاب ابن الحصين، وسمع بواسط من أبي الفتح محمد بن أحمد بن الميداني، ودخل إلى عراق العجم، وخراسان وما والاها، وكان كل ذلك في طلب الحديث والاجتماع بأئمته والأخذ عنهم، وهو في تلك الحال يؤخذ عنه ويستفاد منه . وسمع بأصبهان من أبي جعفر الصيدلاني ، وبنيسابور من منصور بن عبد المنعم الفراوي [4]

وسمع كذلك بالأندلس أبا القاسم بن بشكوال، وأبا عبد الله بن المجاهد، وأبا بكر بن الجد، وأبا عبد الله بن زرقون، وأبا بكر بن جعفر اللمتوني وأبا القاسم ابن حبيش وطبقتهم.

وسمع بمصر من البوصيري وطبقته، وسمع مسند الإمام أحمد بواسطة المنداثي، وسمع معجم الطبراني كله من الصيدلاني، وأدرك أبا جعفر الصنيدلاني، وأبا الفتح الفراوي، والحافظ أبا الفرج ابن الجوزي،

---

[4]- وفيات الأعيان وانباء الزمان ١٢١/٣

وعاد إلى مصر، وكان بصيراً بالحديث، معنياً بتقييده، مكباً على سماعه، حسن الخط، معروفاً بالضبط، له حظ وافر من اللغة ومشاركة في العربية وغيرها[٥].

قال الآبار: أدَّب الكامل فنال[٦] دنيا عريضة وصنف ودرس وله كتاب: "النص المبين في المفاضلة بين أهل صفين "وكتب إلي بالإجازة سنة ثلاث عشرة وستمائة.

---

٥)- تذكرة الحفاظ ١٢١/٤.

٦)- قال أبو المظفر: ولد الكامل سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، وكان أكبر أولاد العادل بعد مردود، وكان العادل قد عهد إليه لما رأى من ثباته وعقله وسداده، وكان شجاعاً ذكياً فطناً يحب العلماء والأماثل، ويلقي عليهم المشكلات، ويتكلم في صحيح مسلم بكلام مليح، ويثبت بين يدي العدو، وأما عدله فإليه المنتهى

ولما قسم العادل الممالك على أولاده أعطى الملك الكامل محمد ديار مصر وأعمالها، واستقل بأمورها وتدبير أحوالها، وذلك من يوم وفاة والده الملك العادل من يوم الجمعة سابع جمادي الآخرة من سنة خمس عشرة وستمائة.

وكان الكامل محباً للحديث وأهله حريصاً على حفظه وتعلمه، وللعلم عنده شرف، وله المواقف المشهورة في الجهاد بدمياط المدة الطويلة، وأنفق الأموال الكثيرة، وكافح العدو المخذول براً وبحراً ليلاً ونهاراً، ولم يزل على ذلك حتى أعزَّ الله الإسلام وأهله، وخذل الكفر وأهله، وكان معظماً للسنة النبوية وأهلها راغباً في نشرها، والتمسك بها مؤثراً الاجتماع مع العلماء والكلام معهم حضراً وسفراً.(النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢٢٧/٦ - ٢٣٠).

مَكَانَتُهُ العِلْمِيَةُ:

وحدّث في سنة ستمائة بالموطأ، وسمعه منه أبو عمرو بن الصلاح من حفظه على بعض شيوخه، وكان معروفاً على كثرة علمه وفضائله بالمحازفة والدعاوى العريضة ، كان من كبار المحدثين ومن الحفاظ الثقات الأثبات المحصلين . استوطن بجاية في مدة أبي عبد الله بن يامور، وروى بها وأسمع، وكان من أحفظ أهل زمانه باللغة، حتى صار حوشي اللّغة عنده مستعملاً غالباً، ولا يحفظ الإنسان في اللّغة حوشيها إلاّ وذلك أضعاف أضعاف محفوظه من مستعملها، وكان قصده – والله أعلم – أن ينفرد بنوع يشتهر به دون غيره كما فعل كثير من الأدباء حين تركوا طريق المعرب وانفردوا بالطريق الآخر، ولو سلكوا طريق المعرب لكانوا فيه كآحاد الناس(٧).

وكذلك الشيخ أبو الخطاب ابن دحية له رسائل ومخاطبات كلها مغلقات مقفلات، وكان رحمه الله إذا كتب اسمه فيما يجيزه أو غير ذلك يكتب: ابن دحية(٨)، ودحية معاً، المتشبه به جبريل وجبرائيل،

---

٧)- انظر نفح الطيب.

٨)- دحية: هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضاله بن زيد بن امرئ القيس ابن الخزرج بفتح المعجمة وسكون الزاي ثم جيم بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف الكعبي. صحابي مشهور أول مشاهده الخندق وقيل أحد و لم يشهد بدراً وكان يضرب به المثل في حسن الصورة وكان جبرائيل يأتي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة دحية الكلبي.
روى النسائي بإسناد صحيح عن يحيى بن معمر عن ابن عمر رضي الله عنهما : كان جبرائيل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي .

ويذكر فيما ينيف على ثلاث عشرة لغة مذكورة في جبريل، ويقول عند فاطر السموات والأرض، وهذا فرع انفرد به عمن عداه من أهل العلم.

قال صاحب عنوان الدراية: رأيت تصنيفاً في الحديث لا بأس به[9].

قال الحافظ الضياء ولقيته باصبهان ولم أسمع منه شيئاً، ولم يعجبني حاله كان كثير الوقيعة في الأئمة أخبرني إبراهيم السنهوري أنه دخل المغرب، وأن (مشائخ) أهل المغرب كتبوا له جرحه وتضعيفه، ثم قال الضياء: وقد رأيت منه غير شيء مما يدل على ذلك[10].

وروى الطبراني: من حديث عفير بن معدان عن قتادة عن أنس أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: كان جبريل يأتيني على صورة دحية الكلبي، وكان دحية رجلاً جميلاً. (الإصابة في تمييز الصحابة ٢/٢٨٤ -٢٨٥).

[9]- نفح الطيب ١/.

[10]- ومهما يكن من شيء فإن الحديث عن غزارة علم " أبي الخطاب" لم يختلف فيها اثنان، وشهادة العلماء في هذه الناحية كافية لأن تبعد عنه عدم المقدرة على إعادة كتاب الملك العادل كسابقه أو ما يشابهه، ما دام له باع طويل في العلم والحفظ وسعة في اللغة، ولا أخاله يعجز عن مثل هذا، وإنما هي أمور ربما حيكت حوله فليس ثمت دليل يسندها، ولا واقع يقربها.

فالتنافس بين العلماء موجود لا يخلو منه عصر خاصة تلك العصور التي يحظى فيها بعض العلماء بالأماكن الرفيعة عند الحاكمين، ومن هنا ينشأ الحسد وتصطنع الأقاويل وتكثر الإشاعات.

وقال القاضي ابن واصل: كان أبو الخطاب مع فرط معرفته وحفظه متهماً بالمجازفة في النقل، فبلغ ذلك الملك الكامل فأمره أن يعلق شيئاً على كتاب الشهاب، فعلق كتاباً تكلم فيه على أسانيده، وأراه الكامل. فقال له الكامل(بعد أيام) ضاع مني الكتاب، فعلق لي مثله، ففعل، فجاء منافياً للأول، فعلم السلطان صحة ما قيل عنه.

وعزل الملك الكامل أبا الخطاب المذكور عن دار الحديث التي كان أنشأها بالقاهرة، ورتب مكانه أخوه أبو عمر، وهو عثمان بن الحسن ، أسن من أخيه أبي الخطاب، وكان حافظاً للغة العرب قيماً بها.

وقد قال بعضهم: " – وقد ذكر المؤرخين – فقال: " ومنهم المؤرخون وهم على شفا جرف هار لأنهم يتسلطون على أعراض الناس وربما نقلوا بمجرد ما يبلغهم من كاذب أو صادق؛ فلا بد أن يكون المؤرخ عالماً عدلاً عارفاً بحال من يترجمه ليس بينه وبينه من الصداقة ما يحمله على التعصب له ولا من العداوة ما قد يحمله على الغضب منه. ولم يكن المؤرخون جميعاً يخلصون النقل أو يتصفون بالإنصاف في الحكم على الأحداث والرجال بل قد يبلغ بعضهم هواه عصبية لمذهب أو رأي أو كراهية لجماعة أو إنسان، أو لمحبة أو لولاء". (انظر معيد النعم ومبيد النقم ص ١٠٥).

قال ابن نقطة: كان أبو الخطاب موصوفاً بالمعرفة والفضل لم أره إلا أنّه كان يدّعي أشياء لا حقيقة لهـا فذكـر لي أبـو القاسـم بـن عبـد السلام-ثقة-قال: نزل عندي ابن دحية فجعل يقـول: أحفـظ صحيـح مسلم وجامع الترمذي؛ فأخذت خمسة أحاديث مـن الـترمذي.

وخمسة من المسند، وخمسة من الموضوعات، وجعلتها جزءاً، وعرضتها عليه فلم يعرف منها شيئاً[11].

- ويعارض هذا ما ذكره صاحب كتاب نفح الطيب - علماً بأن هذه شهادة رجل واحد، وتلك شهادة رجال علماء الحديث في مجلس عام جمع الجم الغفير فبأي نأخذ ، بذلك أم بهؤلاء[12]؟

وارتحل إلى المشرق في دولة بني أيوب، فرفعوا شأنه وقربوا له مكانه، وجمعوا علماء الحديث وحضروا له مجلساً أقروا له بالتقدم، وعرفوا أنه من أولي الضبط والاتقان والتفهم، وذكروا أحاديث بأسانيد حولوا متونها فأعاد المتون المحولة، وعرف عن تغييرها ثم ذكر الأحاديث على ما هي عليه من متونها الأصيلة[13].

تَوَلِّيَتُهُ القَضَاءَ:

وَوُلِّيَ قضاء بلد أصوله " دانية" مرتين، ثم صرف عن ذلك بسيرة نسبت إليه فرحل عنها، وحدث بتونس سنة خمس وتسعين وخمسمائة، ثم حجّ وكتب بالمشرق عن جماعة بأصبهان ونيسابور، وعاد إلى مصر فاستأدبه العادل لولده الكامل، وأسكنه القاهرة فنال بذلك دنيا عريضة، ثم زادت حظوته عند الكامل، وأقبل عليه إقبالاً

[11]- تذكرة الحفاظ (٤).

[12]- ع.

[13]- نفح الطيب ٣٠١/١.

عظيماً، وكان يعظمه ويحترمه ويعتقد فيه الخير ويتبرك به حتى كان يسوي له المداس حين يقوم[١٤].

وقال ابن خلكان: قدم اربل فصنف لملكها كتاب (المولد) ومدحه بقصيدة مطلعها -

لَوْلا الوُشَاةُ وَهُمُ أَعْدَاؤُنَا مَا وَهَمُوا

ثم ظهرت القصيدة أنها في ديوان الأسعد[١٥] بن مماتي.

ومن شعره الذي لم يتهم فيه ولم ينسب إلى غيره.

---

١٤)- المرجع السابق.

١٥)- الأسعد بن مماتي - هو القاضي الأسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير أبو سعيد مهذب بن مينا بن زكريا بن أبي قدامة بن أبي مليح مماتي المصري الكاتب الشاعر كان ناظر الدواوين بالديار المصرية وفيه فضائل وله مصنفات عديدة ونظم " سيرة السلطان صلاح الدين" رحمه الله ونظم كتاب " كليلة ودمنة" وله ديوان شعر". (وفيات الأعيان ٢١٠/١).

والقصيدة التي مدح بها مظفر الدين وكان مطلعها -

لولا الوشاة وهم أعداؤنا ما وهموا

بأنها من شعر الأسعد ورجح ذلك صاحب "وفيات الأعيان" وهذا لا ينافي شاعرية ابن دحية. فربما كان هذا البيت وما جاء بعده من توارد الخواطر أو دخل أبيات القصيدة شيء من التضمين أو كانت للأسعد فكل هذا محتمل ولكن هذا لاينفي شاعرية ابن دحية ، فما كان في الأبيات التي قالها للكامل بن العادل من خيال خصب وجودة في السبك وروعة في الأسلوب لدليل واضح على شاعريته الفذة وعبقريته الوقادة .

ما كتب به إلى الكامل بن العادل بن أيوب -

مَالِي أُسَائِلُ بَرْقَ بَارِقِ عَنْكُـمُ مِنْ بَعْدِ مَا بَعُدَتْ دِيَارِي عَنْكُم

فَمَحَلُّكُمْ وَأَنْتمُ بِالحَشَـا لابالعَقِيقِ وَلا بَرَامَـة أَنْتُـــمُ

وَأَنَا المُقِيمُ عَلَى الوَفَاءِ بِعَهْدِكُمْ يَامَالِكِينَ وَفَيْتُمُ أَوْ خُنْتُم

ومنها أيضاً:

لِذَوِي النُّهى وَالفَهْمِ سِرُّ حُكُومَةٍ قَدْ حَارَ فِيهَا كَاهِنٌ وَمُنَجِّمُ

فَاقْصِدْ مُرَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مُظَفَّراً وَاللهُ يَكْلأُ وَالكَوَاكِب نُوَّمُ

وَلْيُهْنِكَ الشَهْرُ السَّعِيدُ تَصُومُـهُ وَتَفُوزُ فِيهِ بِالثَّوابِ وَتَغْنَـمُ

فَلأَنْتَ في الدُنْيَا كَليلَةِ قَدْرِهِ قَدْراً فَقَدْرُكَ فِي المُلُوكِ مُعَظَّمُ(١٦)

مُصَنَّفَاتُهُ:

وصنف كتباً كثيرة مفيدة جداً منها كتاب " التنوير في مولد السراج المنير" صنّفه عند قدومه إلى "إربل" سنة أربع وستمائة وهو متوجه إلى خراسان لما رأى ملك " اربل" مظفر الدين(١٧) "كوكبرى"

---

١٦)- انظر نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.

١٧)-مظفر الدين صاحب اربل - أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين بن محمد الملقب الملك المعظم مظفر الدين صاحب اربل. كان والده زين الدين علي المعروف بكجك صاحب اربل، ورزق أولاداً كثيرين وكان قصيرا؛ ولهذا قيل له: "كجك" وهو لفظ أعجمي معناه بالعربي قصير: أي صغير القدر، وأصله من التركمان، وملك اربل وبلاداً كثيرة في تلك النواحي، وفرقها على أولاد أتابك قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل، ولم يبق له سوى اربل، وعمر طويلاً يقال: إنه جاوز مائة سنة وعمي في

معتنياً بعمل المولد النبوي في شهر ربيع الأول كل عام مهتمـاً بـه غاية الاهتمام وكمله وقـرأه عليـه بنفسـه، وختمـه بقصيـدة طويلـة فأجـازه بألف دينار.

وصنف أيضـاً " العلـم المشـهور في فضـائل الأيـام والشـهور" و "الآيات البينات في ذكر أعضاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ مـن المعجزات"، و " كتاب شرح أسمـاء النبـيّ صَلَّـى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ "، و "كتاب النبراس في أخبار خلفاء بني العباس"[١٨].

ومن مصنفاته أيضاً ما جاء في هذا المؤلف:

التنوير في مولد السراج المنير، وهذا المصنف المعروف بالخصائص وعصمة الأنبياء، العلم المشـهور في فضـل الأيـام والشـهور، التبييـن في التفاضل بين أهل صفين، الابتهاج في المعراج، أنوار المشرقين في تنقيـح الصحيحين المشرقين، مرج البحريـن، تنبيـه البصـائر في أسمـاء الكبـائر، المستوفى في أسماء المصطفـى، الآيـات البينـات في شـرف أعضـاء النبيّ

آخر عمره، وانقطع باربل إلى أن توفي بها ليلة الأحد الحـادي عشـر مـن ذي القعـدة سـنة ثلاث وستين وخمسمائة. ، نفح الطيب: ١).

وقال ابن شداد: "وفي سيرة صلاح الدين مـات في ذي الحجـة مـن السـنة ودفـن في تربتـه المعروفة به المجاورة للجامع العتيق داخل البلد رحمه الله تعالى، وكان موصوفاً بالقوة المفرطة والشهامة، وله بالموصل أوقاف كثيرة مشهورة من مدارس وغيرها

١٨)- وفيات الأعيان/١١٣ - ١١٤).

صاحب المعجزات، استيفاء المطلوب في تدبير الحروب، تاريخ الأمم في أنساب العرب والعجم، المعرب في أشعار أهل العرب والعجم، وخطب بليغة، وغير ذلك[١٩].

وَفَاتُهُ:

وقد توفي في انفجار الفجر ليلة رابع عشر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بالقاهرة ودفن بسفح المقطم. وعاش نيفاً وثمانين سنة، وتكلم فيه جماعة فيما ذكره ابن النجار، وقدره أجل مما ذكروه[٢٠]، وقد روى رحمه الله - بالمغرب ومصر والشام والعراق

---

[١٩]- * لقد ألف في السيرة النبوية - قديماً وحديثاً - كثير من العلماء وتضمنت كتبهم الخصائص عن المصطفى صلى الله عليه وسلم، فمن هؤلاء - الحافظ السيوطي في كتابه الخصائص الكبرى ودلائل النبوة لأبي نعيم، وبهجة المحافل وبغية الأماثل للفقيه عماد الدين يحيى أبي بكر العامري، وسيرة ابن هشام، والشمائل للترمذي، والسيرة الحلبية وغيرها.
ونهاية السول في خصائص الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للحافظ مجد الدين أبو الخطاب ابن دحية. وهذا الكتاب له منزلة خاصة بين هذه الكتب، إذ انفرد دونها باعتماده على الصحيحين في جملة ما أتى به من خصائص رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ييسر لهذا الكتاب الطبع حتى يجد مكانه في المكتبة الاسلامية.

[٢٠]- وفي هذا إشارة إلى التجريح الذي لحقه من البعض ودفاع عنه، وترفع إلى ما يليق به من الفضل والعلم - والإنسان لا يسلم من التجريح والأذى خاصة إذا كان ذا نعمة - فكل ذي نعمة محسود. ثم لا يغيب عن بالنا ونحن نتابع ما نيل من هذا الشيخ، فلكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة.

وخراسان وعراق العجم وكل ذلك في طلب الحديث[٢١]. وعني بالحديث أتم عناية، وجال في مدن الأندلس ومدن العدوة، وحج في الكهولة[٢٢].

وما قدمه الشيخ الحافظ أبو الخطاب من مؤلفات وخاصة هذا الذي بين أيدينا لدليل واضح على غزارة علمه وتمكنه من فروع العلم وفنونه، فأبرز فيه جانب اللغة العربية بفروعها من نحو وصرف وبلاغة وعروض وغيرها، كل ذلك يعكس ماله من مقدرة فائقة جعلت منه هذا المؤلف العظيم وغيره من المؤلفات. رحمه الله وأحسن إليه.

[٢١]- نفح الطيب:(١)

[٢٢]- العبر في خبر من غبر ١٣٤/٥.

الجُزْءُ الأَوَّلُ

مِنْ كِتَابِ نِهَايَةِ السولِ فِي خَصَائِصِ الرَّسُولِ
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلجُزْءُ الأَوَّلُ

مِنْ كِتَابِ نِهَايَةِ السول[٢٣] فِي خَصَائِصِ الرَّسُولِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ

تأليف الشيخ الإمام العلامة فريد دهره، ووحيد عصره، ملك الحفاظ ، سلطان المحدثين ، ناصر السنة المحمدية ، شيخ شيوخ الإسلام، علامة الأنام ، أقضى القضاة ، عالم الخافقين، مفتي الفريقين، ذو النسبين الطاهرين، "ابن دحية" و"السبط الحسين"، "مجد الدين أبو الخطاب ابن دحية" قدس الله روحه، ونور ضريحه ، آمين . آمين . آمين.

---

[٢٣])-نهاية السول: نطق بها العرب مهموزة ومخففة. قال الراعي:

اختارك الناس إذ رثت علائقهم   واعتل من كان يرجى عنده السول

وقال تعالى: – من قراءة القراء ﴿قد أوتيت سُولك يا موسى﴾. لسان العرب مادة سَوَلَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ المُؤَلِفِ

الحمد لله الذي تنزهت عن درك[٢٤] الإحاطة ذاته، وتمت صدقاً وعدلاً كلماته، والصّلاة والسّلام[٢٥] على محمد، نبيّه وأمينه[٢٦] على وحيه الذي خصّه بخصائص ارتفعت به درجاته، فبهرت معجزاته[٢٧]،

---

٢٤)-عن درك الاحاطة ذاته: أي إدراك.

٢٥)- لم تذكر في (أ).

٢٦)-أمينه على وحيه: أي الموحى به من عند الله تبارك وتعالى، وهو القرآن الكريم.

٢٧)-فبهرت معجزاته: المعجزة في اللغة -اسم فاعل- مأخوذة من العجز الذي هو زوال القدرة على الإتيان بالشيء من عمل أو تدبير أو رأي ، وفي الاصطلاح: هي الأمر الخارق للعادة على يد مدعي النبوة. ويعرفها الفخر الرازي: بأنها الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي السالم عن المعارضة. وعند ابن حمدان الحنبلي: بأنها ما خرق العادة من قول أو فعل أو وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقها على جهة التحدي ابتداء بحيث لايقدر أحد على مثلها ولا على ما يقاربها. (بصائر ذوي التمييز ٦٥/١ وانظر لوامع الأنوار الالهية ٢٨٩/٢ وانظر الرسل والرسالات). والكرامة أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم المتابعة لنبي كلف بشريعة مصحوبا بصحة الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم ولا تدل على صدق من ظهرت على يديه ولا ولايته ولا فضله على غيره لجواز سلبها منه وأن تكون استدراجاً.

ووضحت آياته، وعلى آله وأصحابه، الذين ثبتت سمتهم في التوراة والإنجيل كما ثبت فيها اسمه وصفاته.

أما بعد: فإني ذاكر في هذا الكتاب، بإذن الله الذي لا تسقط ورقة إلاّ بعلمه، ولا يلفظ بكلمة إلا بإذنه وحكمه. ما يُسر لي حفظه وعلمه، وقُدّر لي شرحه وفهمه، من خصائص رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، التي لم تجتمع قبل في مخلوق، وما أوجب الله عزّ وجلّ له على جميع خلقه من الحقوق، وإن كانت خصائصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من أن تحصى، بل تزيد عداً على مجموع الحصى، فقد مدحه الله عزّ وجلّ في غير موضع من محكم كتابه، ووصفه في الكتب المتقدمة بأسمائه الأعلام، وصرح بأنسابه، وأنزل في قبيلته قرآناً يتلى على مرّ الدهر وتعاقب أحقابه[٢٨] وقدّمه قبل جدّه نوح عند أخذ الميثاق[٢٩]، وعقد أسبابه، ثم أخذ العهد على سائر الأنبياء بالإيمان به

والفرق بينها وبين المعجزة – بأن المعجزة مقرونة بالتحدي بدعوى النبوة بخلاف الكرامة (الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ص ٧١٧).

[٢٨])–أحقابه: جمع حقبة وهي المدة من الوقت كلما انتهى تجدد ، وفي القرآن الكريم ﴿لابثين فيها أحقابا﴾ النبأ، ٢٣.

[٢٩])–وإلى هذا أشار القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾ (سورة الأحزاب الآية ٧). قال كثير من السلف لما أخذ الله ميثاق بني آدم يوم ﴿ألست بربكم﴾؟ أخذ من النبيين ميثاقاً خاصاً، وأكد مع هؤلاء الخمسة أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار الذين

ونصره حين أوصى به، وزكّى جوارحه[٣٠] المطهرة من ذام القول وعابه، وأثنى[٣١] على خُلُقِهِ وآدابه، ورفع[٣٢] له ذكره كما وعده، وهو لا يخلف وعداً حققه في خطابه، وأفضل على من آمن به وصدّق، واتبع صوب صوابه، بأن جعل لهم من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت[٣٣] مع أحبته وأحبابه، ويطوف عليهم ولدان مخلدون كأنهم اللؤلؤ المكنون، وكل واحد آمن في غرفته ومحرابه، وقطع دابر عدوه، وجعل غلظ ضرس الكافر مثل أُحد[٣٤] أو نابه، ومسيرة ما بين منكبيه

أولهم نوح وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين. (السيرة النبوية لابن كثير ج١ ص ٣١٦).

[٣٠]-زكى جوارحه: طهرها. قال تعالى ﴿قد أفلح من زكاها﴾ والجوارح: جمع جارحة وهي أعضاء الانسان.

[٣١]-وأثنى على خلقه: الخلق السجية والصفات الحسنة قال تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم ﴿وانك لعلى خُلق عظيم﴾. (سورة القلم الآية ٤).

[٣٢]-رفع ذكره: أي رفع شأنه وأعلى مقامه في الدنيا والآخرة حيث جعل اسمه مقروناً باسمه، قال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

[٣٣]-ما لا عين رأت ولا أذن سمعت: هذا وصف الجنة التي أعدها الله لعباده المتقين.

[٣٤]-مثل أحد: أي مثل جبل أحد. ولفظ الحديث من سنن الترمذي "حدثنا علي بن حجر، أخبرنا محمد بن عمار حدثني جدي محمد بن عمار، وصالح مولى التوأمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد،

ثلاثة أيام للراكب المسرع في ذهابه، هو آخر المرسلين وخاتمهم وأولهم في محتد[٣٥] القدر ونصابه، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين من دنس[٣٦] الرجس وأوصابه[٣٧]، ورضي الله عن المهاجرين والأنصار والتابعين من أصحابه، ثم التابعين لهم بإحسان إلى يوم مآبهم ومآبه، ما طلعت شمس نهاراًأو طلع نجم ليلاً بضوء[٣٨]شهابه، فليفخر بهذا الكتاب من يأخذه عني، إذ لا أعلم الآن أحداً أعلم بالصحيح من السقيم مني، فهو بحر علم تلتطم بالكتاب والسنة أمواجه، وتتقاذف بدرر[٣٩] الآداب (والاغراب والانساب) أثباجه، تنقل منه الآثار الصحيحة وتروى وتسقى من حياضه النيرة الشفاه الظامئة فتروى،

وفخذه مثل البيضاء ، ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة". والربذة: مدفن أبي ذر الغفاري قرب المدينة.

٣٥)-محتد القدر: كرم الأصل.

٣٦)-دنس الرجس: الدنس: التلطخ بمكروه، والرجس: الفعل القبيح، والحرام. واللعنة، والكفر، والعذاب. وفي التنزيل: ﴿ويجعلُ الرجس على الذي لا يعلمون﴾. ورجس الشيطان وسوسته "ج" أرجاس.

٣٧)-الأوصاب: جمع وصب وهو الوجع والمرض الدائم.

٣٨)-ضوء شهابه: الشهاب: محركة بياض يصدعه سواد كالشهبة بالضم، والشهاب بالفتح: اللبن الذي ثلثاه ماء. والشهب: كالشهابة بالضم شعلة من نار ساطعة وتجمع على شهب وشهباب بالضم والكسر.

٣٩)-درر الآداب: الدرر اللآلىء العظيمة، الواحدة درة.

فتتنافس فيه البلدان وتتعاطاه خراسان[40] وبغدان[41]، وتصغي إليه القلوب، وتستمع اليه الآذان وتردده الألسن استطابة كأنه الأذان .

فمن خصائصه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفضائله وآدابه أن نساءه اللآئي دخل بهن ومات وهن في عصمته حرمن على غيره، وهو الفرق بين محمد صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين سائر الأنبياء عليهم السلام . قال الله عز وجل: ﴿ **وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إنَّ ذلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيماً** ﴾[42]. أي ذنباً

---

[40])-خراسان : بلاد فارس.

[41])-بغدان: لغة في بغداد.

[42])-سورة الأحزاب الآية ٥٣.

ما صح لكم ولا استقام أن تؤذوه بشيء من الأشياء كائناً ما كان، ومن جملة ذلك: دخول بيوته بغير إذن منه واللبث فيها على غير الوجه الذي يريده، وتكلم نسائه من دون حجاب ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾ أي وما كان لكم ذلك بعد وفاته لأنهن أمهات المؤمنين، ولا يحل للأولاد نكاح الأمهات ﴿إن ذلكم كان عند الله عظيما﴾ وفي هذا إشارة إلى نكاح أزواجه من بعده، لأن في هذا ذنباً كبيراً وخطباً هائلاً شديداً. وكان سبب نزول هذه الآية أنه قال قائل: لو قد مات محمد لتزوجنا نساءه (فتح القدير في فني الرواية والدراية في علم التفسير ٤/٤٩٨).

قال الحافظ السيوطي وقد كنت في وقفة شديدة في صحة هذا الخبر لأن طلحة أحد العشرة المبشرين بالجنة أجل مقاماً من أن يصدر منه ذلك حتى رأيت أنه رجل آخر شاركه في اسمه واسم أبيه ونسبته في أنساب العيون – تفسير روح البيان ٤/٢١٦ – ٢١٧.

عظيماً، وذلك أن رجلاً من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إن قبض[43] رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنكحنّ عائشة فأعْلَمَ الله بقوله فقال جلّ من قائل: ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ﴾[44] الآية. والرجل المذكور أعرف اسمه ونسبه، أفادنيه شيخنا الحافظ المحدّث أبو القاسم بن بشكوال في كتاب (الغوامض والمبهمات) من تأليفه، وقصدت أنا التعمية باسمه إذ هو من كبار الصحابة[45] المقطوع لهم بالجنة على لسان سيد الأمة المبعوث إلى الإنس والجنة[46].

﴿وما كان لكم ...﴾ وما صح لكم إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نكاح أزواجه من بعده ، وسمى نكاحهن بعده عظيماً عنده، وهو من إعلام تعظيم الله لرسوله، وإيجاب حرمته حياً وميتاً وإعلامه بذلك مما طيب به نفسه، وسر قلبه واستغذر شكره، فان نحو هذا مما يحدث الرجل به نفسه ولا يخلو منه فكره.

ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده، وعن بعض الفتيان أنه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفاً واستهتاراً فنظر إليها ذات يوم فتنفس الصعداء، وانتحب فعلاً نحيبة مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصوراً لما عسى يتفق في بقائها بعده، وحصولها تحت يد غيره. تفسير الكشاف ٢٧٢/٤.

[43])-إن قبض: أي مات.

[44])-سورة الاحزاب الآية ٥٤.

[45])-إن صح ذلك عن الصحابي، فان ذكر اسمه لا ينقصه ولا يضيره لأن الصفة البشرية هي التي جعلته يتوق إلى هذا ويفكر فيه علماً بأن الشرائع السابقة لم تكن تمنع ذلك بالنسبة لزوجات الأنبياء السابقين، وهذه خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم ثم ان

٢ ـ أقسم الله بحياته .

ومن[٤٧] خصائصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن جميع بني آدم يقسمون بالله، ووالله، وتالله، والله تعالى أقسم بحياة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٤٨] (لعمرك) رفع بالابتداء ، واللام لام القسم ، وخبر الابتداء محذوف تقديره لعمرك قسمي أو ما أقسم به ، وحذف لدلالة الكلام عليه.

قال أبو الحسن علي بن ابراهيم بن سعيد الحوفي في كتابه المسمى: (بالبرهان في علوم القرآن) في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يقول تعالى لنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وحياتك يا محمد أن قومك من قريش لفي سكرتهم يعمهون، أي لفي ضلالتهم وجهلهم يترددون. يقال: عَمِهَ: إذا تردّد وتحيّر.

قال ذو النسبين أيده الله:

المسلمين في أول عهدهم بالإسلام ما كانوا يتوقفون في شيء إلا إذا ورد فيه نص من قرآن أو سنة، وأما بعد النص والتحذير من القرآن الكريم فلا تتحدث نفس بذلك لوضوح الأمر وبيانه من الله تعالى. /ع.

[٤٦]-الجنة: الجن خلاف الأنس واحده جني، والجنة الجنون - وفي القرآن الكريم ﴿أم به جنة﴾. والجن في القرآن الكريم ﴿من الجنة والناس﴾ وطائفة الجن. ومن كل شيء جنة.

[٤٧]-في (أ) "ومن".

[٤٨]-سورة الحجر الآية ٧٢.

والعُمُر والعَمْر واحد، فإذا استعمل في القسم ، فالفتح لا غير، فتقول:[49]عمّرك الله أي أسأل الله تعميرك، والمعنى: عمرك الله تعميراً مثل تعميرك إياه، وقال فتى قريش وظريفها أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

أيُّها المُنْكِحُ الثُرَيَّا[50] سُهَيْلاً[51] عَمْرَكَ[52] اللهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِ

ورّى بنجمين عن شخصين، لأن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري خطب الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس فجعل النجوم (بحصا)[53] مثلا لاتفاق اسميهما للنجوم،

---

[49]-في (أ) و(ب) "وتقول".

[50]-الثريا: مجموعة كواكب سميت بذلك لكثرة كواكبها مع ضيق المحل، ويشبهون بها المجموعة الخفيفة في حسن النظام، وتناسب الأفراد وتلازم المجتمعين حتى كأنهم لا يفترقون. منارة : عديدة الأنوار تعلق في البيوت.

[51]-سهيل: نجم بهي طلوعه على بلاد العرب في أواخر القيظ.

يريد الشاعر هنا أن الثريا صاحبته، وسهيل رجل من اليمن تزوجها.

[52]-عمرك: العمر بفتح العين وسكون الميم لا بكسرها. قال في القاموس المحيط: "العمر" وبالضم وبضمتين: الحياة، والجمع أعمار.

[53]-في (ب) "لهما" ولعله الصحيح.

قال[٥٤]: (هي شامية) يعنى: الثريا التي في السماء، وذلك أن الثريا إذا ارتفعت اعترضت ناحية الشام مع الجوزاء[٥٥] حتى نعتت تلك الناحية.

قال: وسهيل إذا استقل[٥٦] يمان، لأنه يعلو من ناحية اليمن، ومنها يُرى، وفي هذا إلطاف من المخاطب وتقرب إلى من يخاطبه، فكان القياس في: عَمَرك الله، تعميرك الله ، إلا أن المصدر استعمل فحذفت الزيادة.

وقال حبر[٥٧] القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ما خلق الله تعالى وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما سمعت الله تعالى أقسم بحياة أحد غيره قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ذكره الحوفي في البرهان أيضاً، وأسنده الحارث بن أبي أسامة قال: حدثنا عبد العزيز بن أبان، حدثنا سعيد بن زيد عن عمرو بن مالك النُكريّ عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس قال : ما خلق الله عز وجل وما ذرأ[٥٨] نفساً أكرم عليه من محمد صَلَّى الله

---

[٥٤]-في (أ) و(ب) "ثم قال".

[٥٥]-الجوزاء : برج في السماء.

[٥٦]-استقل: ارتفع.

[٥٧]-حبر: الحبر – العالم "ج" أحبار وحبور.

[٥٨]-ذرأ: ذرأ الله الخلق: أي خلقهم، وفي القرآن الكريم ﴿قل هو الذي ذرأكم في الأرض واليه تحشرون﴾.سورة الملك الآية (٢٤)

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما سمعت الله عز وجل أقسم بحياةِ أحدٍ إلا بحياته فقال تعالى : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ رواه أبو نعيم عن أبي بكر بن خلاد عن الحارث، وعمرو بن مالك النُكريّ (بضم النون) بن عبد القيس بن أفصى بن دعي بن جديلة بن أسد بن ربيعة ، وأبو الجوزاء أوس بن عبد الله الربعي البصري تابعي ثقة. (دلائل النبوة ١٢/١ لأبي نعيم).

قال البخاري في تاريخه: قتل أبو الجوزاء سنة ثلاث وثمانين في الجماجم، وقد أسنده ابن طرف والحافظ أبو نعيم في كتاب (دلائل[٥٩] النبوة) له، فعرفت جلالة نبوته ورسالته بالقسم الواقع على حياته، إذ هو أعز البرية وأكرم الخليقة صلى الله عليه وعلى عترته[٦٠] وحشرنا في زمرته[٦١].

٣ - ومنها: أن الله تعالى نادى جميع الأنبياء بأسمائهم ، وناداه بالنبوة والرسالة ، فقال عز من قائل: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[٦٢] ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[٦٣] ﴿أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ

---

[٥٩])-دلائل النبوة ١٢/١.

[٦٠])-العترة: ولد الرجل وذريته أو عشيرته.

[٦١])-الزمرة: الجماعة - وفي القرآن الكريم ﴿وسيق الذي اتقوا ربهم الى الجنة زمراً﴾.

[٦٢])-الاعراف الآية ١٩.

[٦٣])-هود الآية ٤٦.

صَدَّقْتَ الرُّؤيا﴾[٦٤] ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾[٦٥] ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾[٦٦] ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾[٦٧] ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾[٦٨] ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[٦٩] ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى والِدَتِكَ﴾[٧٠].

و لم يناد عبده محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا بالرسالة والنبوة ، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ﴾[٧١] ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾[٧٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ﴾[٧٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ المُؤْمِنِينَ عَلَى

---

[٦٤]- الصافات الآية ١٠.

[٦٥]- هود الآية ٨١.

[٦٦]- ص الآية ٢٦.

[٦٧]- القصص الآية ٣٠.

[٦٨]- مريم الآية ٧.

[٦٩]- مريم الآية ١٢.

[٧٠]- المائدة الآية ١١٠ .

[٧١]- المائدة الآية ٤١ .

[٧٢]- المائدة الآية ٦٧.

[٧٣]- الانفال الآية ٦٤.

القِتَال﴾[74] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى﴾[75] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[76] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ﴾[77] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾[78] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾[79] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[80] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾[81] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾[82] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾[83] "أي إذا أردتم طلاقهن".

---

[74]-الانفال الآية ٦٥.

[75]-الانفال الآية ٧٠.

[76]-التحريم الآية ٩.

[77]-الاحزاب الآية ١.

[78]-الممتحنة الآية ١٣.

[79]-الاحزاب الآية١٣.

[80]-الاحزاب الآية ٥٩.

[81]-الاحزاب الآية ٤٥

[82]-الاحزاب الآية ٥٠.

[83]-الطلاق الآية ١.

ونادى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحده، وأراد معه المؤمنين، وقيل: الخطاب للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطاب لأمته[٨٤]، وقيل: خوطب النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مخاطبة الجميع على الإجلال له كما يقال للرجل الجليل: أنتم فعلتم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ﴾[٨٥] والكناية[٨٦] عن الاسم غاية التعظيم للمخاطب المبجل المكرم والمدعو المرفع المعظم، إن كان خليفة قيل: أيها الخليفة ، وإن كان سلطاناً قيل أيها السلطان، وأيها الملك، وإن كان أميراً قيل: أيها الأمير، وإن كان عالماً قيل أيها العالم وأيها الفقيه وأيها الحبر. ولغيرنا[٨٧]، يا أيها[٨٨] القس، ففضل الله عز وجل نبيه، وبلغ به غاية الرتبة وعالي الدرجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم جمع في الذكر بين اسمه واسم خليله فسمى خليله، و كنى حبيبه، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا

---

٨٤)-لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٨٥)-التحريم الآية ١.

٨٦)-الكناية أبلغ من التصريح كما يقول البلاغيون.

٨٧)-أي لغير المسلمين، والمراد بهم النصارى.

٨٨)-في (أ) و(ب) "أيها" وهو الصواب.

النَّبِيُّ﴾[٨٩]. فهذا غاية في الإجلال والرفعة ونهاية الفضل والرتبة، وقد قدمه في القرآن العظيم قبل جده نوح وابراهيم عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم.

النبيّ يهمز ولا يهمز، فالنبي بلا همزة معناه: الرفيع الشأن العالي الأمر، أخذ من النباوة: وهي ما ارتفع من الأرض، ومن جعله من النبأ، بهمزة،لأنه ينبئ عن الله تعالى،أي يخبر فهو منبئ، أو لأنه تنبأ هو بالوحي، وقد همزه نافع في جميع القرآن، وقال العباس بن مرداس السلمي[٩٠]:

---

٨٩)-آل عمران الآية ٦٨. أي أحقهم به، وأخصهم، للذين اتبعوا ملته، واقتدوا بدينه، "وهذا النبي" يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم "أفرده بالذكر تعظيماً له وتشريفاً، وأولويته في كثير من الشريعة المحمدية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

٩٠)-قال ابن هشام: وكان إسلام عباس بن مرداس فيما حدثني بعض أهل العلم بالشعر. وحديثه أنه كان لأبيه مرداس وثن يعبده، وهو حجر كان يقال له ضمار، فلما حضر مرداس قال لعباس: أي بني أعبد ضمار فإنه ينفعك ويضرك. فبينا عباس يوماً عند ضمار إذ سسمع من جوف ضمار منادياً يقول:

قُلْ لِلقَبَائِلِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلِّهَا ... أَوْدَى ضِمَارٌ وَعَاشَ أَهْلُ المَسْجِدِ

إِنَّ الذي وَرِثَ النُبُوةَ وَالهُدَى ... بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي

أَوْدَى ضِمَارُ وَكَانَ يُعْبَدُ مَرَّةً ... قَبْلَ الكِتَابِ إِلى النَبِيِّ مُحَمَّدِ

فحرق عباس ضمار ولحق بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أودى: هلك.

ضمار: بالبناء على الكسر كحزام ورقاش.

يَا خَاتَمَ النُّباءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ بِالحَقِّ كُلُّ هُدَى السَّبِيلِ هُداكَ
إِنَّ الإِلهَ بَنى عَلَيْكَ مَحَبةً مِنْ خَلْقِهِ وَمُحَمَّداً سَمَّاكَ

وهذا البيت والاشتقاق وقراءة أهل المدينة تثبت فيه الهمز، ونزل همزة على التخفيف، فمن جعل التخفيف فيه لازماً، وهو قراءة الأكثرين قال، في جمعه : أنبياء، مثل تقي وأتقياء، ووصي وأوصياء. قال النحوي، العالم "أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل" في كتاب (الاسعاف) له، وسمعت علي بن سليمان يقول: الأولى في العربية في "نبيّ" ترك الهمز، يدل على ذلك القرآن وذلك قوله عز وجل[٩١] في سورة آل عمران: ﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[٩٢].

فهذا جمع غير مهموز، كما يقال: صفي وأصفياء، ولو كان مهموزاً لقلت في جمعها نباء ، كما يقول كرماء في جمع "كريم[٩٣]"،

المسجد: مسجد مكة أو مسجد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لوامع الأنوار البهية ٤٩/١ وانظر السيرة النبوية لابن هشام.

٩١)-في (أ) و(ب) "جل وعز".

٩٢)-آل عمران الآية ١١٢.

٩٣)- في (ب) "كرم" وهو تصحيف.

النبي في لغة العرب: مشتق من النبأ وهو الخبر قال تعالى ﴿عم يتساءلون * عن النبأ العظيم﴾ وإنما سمي النبي نبياً لأنه مخبر فهو مخبر: أي أن الله تعالى أخبره وأوحى إليه: ﴿قالت من أنبأك هذا؟ قال أنبأني العليم الخبير﴾ (التحريم الآية ٣) وهو مخبر عن الله تعالى

أمره ووحيه ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾ (الحجر الآية ٤٩). وقيل النبوة مشتقة من النبوة وهي ما ارتفع من الأرض، وتطلق العرب لفظ النبي على علم من أعلام الأرض التي يهتدى بها، والمناسبة بين لفظ النبي والمعنى اللغوي أن النبي ذو رفعة وقدر عظيم في الدنيا والآخرة، فالأنبياء هم أشرف الخلق، وهم الأعلام التي يهتدي بها الناس فتصلح دنياهم وأخراهم. (لوامع الأنوار البهية ١/٤٩).

النبي: هو من أوحي إليه و لم يؤمر بالبلاغ، وعلى ذلك فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا.

الرسول: هو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه. (الرسل والرسالات ص ١٣).

وقد اعترض على هذا التعريف واستبعد لأمور:

الأول: أن الله نص على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في قوله تعالى:﴿وما أرسلنا قبلك من رسولٍ ولا نبي﴾ فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبي البلاغ.

الثاني: أن ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى، والله لا ينزل وحيه ليكتم ويدفن في صدر واحد من الناس، ثم يموت هذا العلم بموته.

الثالث: قول الرسول صلى الله عليه وسلم "عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه رهطه والنبي ومعه الرجل والرجلان. والنبي وليس معه أحد" (رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي). فدل هذا على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ وانهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم.

والتعريف المختار: ان الرسول من أوحى اليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله. (تفسير الألوسي ٧/١٥٧).

وأنبياء بني اسرائيل كلهم مبعوثون بشريعة موسى "التوراة" وكانوا مأمورين بابلاغ قومهم ووحي الله إليهم. (البخاري - انظر فتح الباري ٦/٤٦٥).

و لم يأت القرآن الكريم بنبـآء، وإنمـا جـاء في شعر عبـاس بـن مـرداس وقيل: النبي "الطريق"، سمي بذلك لأنه "الطريـق" إلى الله، وسمـي رُسُـل الله أنبياء لأنهم "الطريق"[٩٤] إلى الله، إلا أنَّ كل رسول نبيّ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً، لأن الرسول هو المرسل للأمة من قبل الله عز وجل، داعيـاً إليه وصادعاً بالدلالـة عليـه، ومرشـداً الى كليـات المصـالح العامـة الـتي يستقيم بها نظام الدنيا، وينال الفوز الأكبر في العقبـى ناسـخاً بشـرعته لشرعة من تقدمه من الرسل صلواتٍ الله عليهم أجمعين، وهـو مخـاطب من الله جل جلاله ومخبر عنه إما بواسطة الملك كفاحاً، وإمـا مـن وراء حجاب صراحاً، وهو سماع الكلام القديم كما سمعه موسـى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنص القرآن العظيم، ونبيّنا محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنص الحديث الكريم.

والوحي على ضروب فمنه هذا، ثم وحي رسالة بواسطة ملـك، ووحي تلق بالقلب كما ذكر عـن داود عليـه السـلام، والرسـول يعـم البشر والملائكة، والنبي يخص البشر، وقد جـاء بذلـك القـرآن العظيـم، وأما النبي فهو المبلغ عن الله جل جلاله للأمة التي هو مـن جملـة شيعتهِ

ومما يؤيد هذا قوله تعالى: ﴿ألم تر الى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبيٍ لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، قال هل عسيتم إن كُتب عليكم القتال ألاّ تقاتلوا قـالوا وما لنا ألاّ نقاتل في سبيل الله﴾. (سورة البقرة الآية ٢٤٦).

[٩٤])- في (أ) و(ب) "الطرق" وهو الصحيح.

رسولها، واتباعه ما يؤمر بتبليغه إليها من بشارة ونذارة إما بإلهام أو منام أو مخاطبة بعض الملائكة الكرام عليهم السلام، وليس له نسخ شيء من شرعة من تقدمه، وأما قوله جل من قائل: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾[٩٥]، وكذلك ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[٩٦] وكذلك ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾[٩٧] وقول عيسى: ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[٩٨]، ﴿وآمِنوا بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِم﴾[٩٩] فإنما أراد جل وعلا تعريفه بالاسم ليعلم من جحده أن أمره وكتابه هو الحق، ولأنه لم يعرفوه إلا بمحمّد (ولو لم يسمعه لهم يعلم[١٠٠] في اسمه) من الكتاب العزيز مع أن اسمه مشتق من اسم الله عز وجل كما مدح به. . :

وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ   فَذُوْ العَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ[١٠١]

---

[٩٥]- سورة الفتح الآية ٢٩.

[٩٦]- سورة آل عمران الآية ١٤٤

[٩٧]- سورة الاحزاب الآية ٣٨.

[٩٨]- سورة الصف الآية ٦.

[٩٩]- سورة محمد الآية ٢.

[١٠٠]- في (أ) و(ب) "ولو لم يسمه لم يعلم اسمه" وهو الصحيح.

[١٠١]- البيت في ديوان حسان بن ثابت ضمن قصيدة مطلعها:

أعزّ عليه في النبوة خاتمٌ   من الله مشهود يلوحُ ويشهدُ

ولم يواجهه في القرآن العظيم باسمه بل ناداه فيه بالنبوة والرسالة. وناداه[١٠٢] باللطف ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ وناداه بالرمز بقوله جل من قائل: ﴿طه﴾[١٠٣]، وقد اختلف المفسرون

والبيت الوارد: (وشق له من اسمه ليجله) ليس من قول حسان وانما هو لأبي طالب ضمَّنه حسان شعره، وأصل البيت: شق له دون "واو" على أن فيه خرما أي حذف حرف من أوله وهو الواو. ديوان حسان بن ثابت شرح البرقوقي ص ١٣٤.

[١٠٢]- في (أ) و(ثا) وهذا تصحيف.

[١٠٣]- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ج٣ ص ٣٥٥ - ٣٥٦.

وقد اختلف أهل العلم في معنى هذه الكلمة على أقوال:

الأول: أنها من المتشابه الذي لا يفهم المراد به. والثاني: انها بمعنى يا رجل في لغة عكل، وفي لغة علك. قال الكلبي : لو قلت لرجل من علك يا رجل لم يجب حتى تقول: طه، وأنشد ابن جرير في ذلك:

دعوت بطه في القتال فلم يجب   فخفت عليه أن يكون موائلاً

ويروي: موايلا، وقيل: إنها في لغة علك يا حبيبي، وقال قطرب: هي كذلك في لغة طي: أي بمعنى يا رجل وكذلك قال الحسن وعكرمة، وقيل: هي كذلك في اللغة السريانية حكاه المهدوي، وحكى ابن جرير أنها كذلك في اللغة النبطية، وبه قال السدي، وسعيد بن حيين، وحكى الثعلبي عن عكرمه أنها كذلك في لغة الحبشة. الثالث: أنها اسم من أسماء الله تعالى، الرابع: أنها اسم للنبي صلى الله عليه وسلم. الخامس: أنها اسم للسورة, السادس: أنها حروف مقطعة يدل كل حرف منها على معنى.

ثم اختلفوا في هذه المعاني التي تدل عليها هذه الحروف على أقوال كلها متكلفة متعسفة. القول السابع: أن معناها: طوبى لمن اهتدى. القول الثامن أن معناها: طإ الأرض يا محمد. قال ابن الأنباري: وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحمل مشقة الصلاة حتى

كادت قدماه تتفطر، ويحتاج الى التروح فقيل له طإ الأرض: أي لا تتعب حتى تحتاج الى التروح.

وحكى القاضي عياض في الشفاء عن الربيع بن أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى على رِجل ورفع الأخرى، فأنزل الله ﴿طه﴾ يعنى طأ الأرض يا محمد. فتح القدير ٣٥٦/٣ وفي سبب نزول ﴿طه﴾ ثلاثة أقوال:

-أحدها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يراوح بين قدميه ثم يقوم على رجل حتى نزلت هذه الآية قاله (علي) عليه السلام: ذكره السيوطي في الدر ٢٨٨/٤.

والثاني: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه القرآن صلى هو وأصحابه فأطال القيام فقالت قريش: ما أنزل الله هذا القرآن إلا ليشقى، فنزلت هذه الآية قاله الضحاك. (أسباب النزول للواحدي ١٧٤).

الثالث: أن أبا جهل والنضر بن الحارث والمطعم بن عدي قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتشقى بترك ديننا فنزلت هذه الآية. قاله مقاتل. (زاد المسير في علم التفسير ٢٦٨/٥/٢٦٩).وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فاذا رأيت الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم"٠وهذا نص صحيح البخاري في كتاب التفسير وأخرجه ايضاً مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة وتحريم الظلم ونصه:"اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم"٠روته في الصحيحين عائشة رضي الله عنها أخرجاه عن القعبي قال حدثنا يزيد بن ابراهيم التستري عن عبدالله بن ابي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية ﴿ هو الذي انزل٠٠٠﴾ الى قوله اولو الالباب ٠

وروي لفظ الحديث في البخاري حدثنا عبد الله بن مسلمة حدثنا يزيد بن ابراهيم التستري عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنَّ أمُّ الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة

واللغويون في قوله جل وعز: ﴿طه﴾ فحكى أبو الحسن علي بن ابراهيم بن سعيد الحوفي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" وهو عندي في ثلاثين مجلداً ، وحدثني به جماعة منَ أشياخي إجازة إذ لم يدخل الأندلس هذا الكتاب قط كاملاً فلم يروها إلا إجازة وسماعاً بسور منه، فأجازه لي جماعة منهم الفقيه الاستاذ المصري النحوي المحدث

وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون أمنا به كلّ من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم".

*- رواته: ثقات.

درجته: اسناده صحيح.

تخريجه: أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن باب (منه آيات محكمات ج٣ ص ١٦٦.

مسلم كتاب العلم باب النهي عن اتباع متشابه القرآن - ج٣ ص ٢٥٣ لفظه حديث ١ (٢٦٦٥).

آيات محكمات: المحكم ما كان واضح المعنى قال القرطبي: المحكم ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره. المتشابه: ما لم يكن لأحد علمه استأثر الله بعلمه دون خلقه مثل: الحروف المقطعة في أوائل السور.

في قلوبهم زيغ: ميل عن الحق.

أم الكتاب: أصل الكتاب وأساسه.

تأويله - التفسير.

الراسخون: الرسوخ - الثبوت في الشيء.

- آل عمران الآية ٧.

الضابط محرز السبق في كل خير أبو بكر محمد بن خير قال :حدثنا الامام العدل أبو الأصبع عيسى بن محمد بن عبد الله بن مؤمل بن أبي البحر الزهري الشنتريني. قال: حدثنا النحوي الثقة أبو الحسن طاهر بن باشاذ في منزله بمصر.

قال: حدثنا الإمام أبو الحسن الحوفي وحدثني به أيضا جماعة كلهم عن الوزير الكاتب العدل أبي الوليد أحمد بن عبد الله بن طريف قال: حدثنا شيخي الفقيه المقرئ النحوي الخطيب بالمسجد الجامع بقرطبة أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب الانصاري قال: حدثني بمنزله بمصر مؤلفه الامام أبو الحسن الحوفي، فقال عن ابن عباس: ﴿طه﴾ بالنبطية يا رجل . وقال سعيد بن جبير: يا رجل بالسريانية، وقال جماعة منهم الضحاك وقتادة والحسن يا رجل، وقيل: هي اسم من اسماء الله عز وجل وقيل: قسم أقسم الله به، وقيل: هي حروف هجاء، وقال أبو حاتم: لم نجد الحروف المقطعة في القرآن الا في أوائل السور، ولا ندري ما أراد الله بها.

قال ذو النسبين أيده الله: وهذا هو الصحيح، لأنه من المتشابه الذي ذكره الله في كتابه.

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**فَإِذَا رَأَيْتُم الذين يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولئِكَ الذينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**". وهذا نص صحيح البخاري في كتاب التفسير.

وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة وتحريم الظلم ونصه: "إِذَا رَأَيْتُمُ الذينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولئِكَ الذينَ سَمَّاهُمُ اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ".

روته في الصحيحين عائشة رضي الله عنها، أخرجاه عن القعنبي قال حدثنا يزيد بن ابراهيم التستري عن عبد الله بن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية: ﴿ **هُوَ الذي أَنْزَلَ ...**﴾ الآية. الى قوله أولو الألباب.

وأما قول من قال (رجل)[١٠٤] بالنبطية ونسبه الى ابن عباس فلا يصح عنه، وهو باطل بيقين، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُوحُ الأَمِين . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِين**﴾[١٠٥] وقال جل من قائل: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِياً لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾[١٠٦] وقال

---

١٠٤)- في (أ) و(ب) "يا رجل".

١٠٥)- سورة الشعراء الآية ٩٥.

١٠٦)-سورة الشورى الآية٧.

تعالى: ﴿حم . وَالكِتَابِ المُبِين . إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون﴾[107] ونفى جل وعز عنه غير لسان العرب في آيتين من كتابه الكريم فقال سبحانه:﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِياً لَقَالُوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءأعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾[108] وقال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الذِي يُلْحِدونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِين﴾[109]وأما قولهم يا رجل فاحتجوا على ذلك بقول متمم بن نويرة مع قول أهل التفسير:

هَتَفْتُ بِطه في القِتَالِ فَلَمْ يُجِبْ فَخِفْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ وَالِياً[110]

وقال آخر:

إِنَّ السَّفَاهَةَ طه مِنْ خَلاَئِقِكُمْ"[111] لاَ بَارَكَ اللهُ فِي القَوْمِ الملاعين

فإذاً تأويل الكلام يا رجل. ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ "فتكلف"[112] مالاطاقة لك به من العمل،وقيل : إنما "فعل"[113] ذلك

---

[107])- سورة الزخرف الآية ٣.

[108])- سورة فصلت الآية ٤٤.

[109])- سورة النحل الآية ١٠٣.

[110])- في (أ) و(ب) موائلا.

[111])- البيت لمتمم بن نويرة بن شداد التميمي وهو شاعر وأخ لمالك بن نويرة، وله ميراث حسان وكان أعور، وقيل إنه بكى على أخيه حتى دمعت عينه العوراء.
أسد الغابة لابن الاثير ٥/٥٨ - ٥٩ وجاء فيه موالياً بالهمزة. ولعل من حذف الهمزة راعى جانب التخفيف /ع.

لسبب ما كان يلقى من النصب والعناء والسهر في قيام الليل، حدثنا الفقيه أبوالحسن علي ابن الحسين حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد الخولاني، قال: **أنبأنا** أبو ذر عبد بن أحمد الهروي حدثنا أبو محمد الحموي حدثنا إبراهيم بن خزيم الشاشي حدثنا عبد بن حميد الكشي عن هاشم بن القاسم عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صلى قام على رِجْلٍ ورفع الأخرى فأنزل الله عز وجل ﴿**طه**﴾ يعنى "طأ الأرض يا محمَّد" ﴿**مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**﴾[114] ذكره الامام الثقة عبد بن حميد في تفسيره، وهي حرفان

---

112)- في (أ) من خلايقكم و(ب) من خلائقكم بالهمزة .

113)- في (ب)أو ولعلها تصحيف.

114)- في (أ) و (ب) "قيل" ولعلها الصواب.

115)- ان هذه الآية مستأنفة مسوقة لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب ، والشقاء يجيء في معنى التعب قال ابن كيسان: وأصل الشقاء في اللغة: العناء والتعب ومنه قول الشاعر:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

والمعنى: ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم، وتحسرك على أن يؤمنوا فهو كقوله سبحانه: ﴿فلعلك باخع نفسك﴾. وهذا التفسير للآية هو على قول من قال: انه طه كسائر فواتح السور التي ذكرت تعديداً لأسماء الحروف فتح القدير ٣٥٦/٣.

من حروف الهجاء "وانها"[115] كناية عن الأرض، وأما قول من قال: هي اسم من أسماء الله تعالى فذلك بلادة وجهل. أسماء الله تعالى لا تثبت إلا قرآناً أو سنة ثابتة وقد عدم الطريقان، وليس في أسماء الله تعالى مبني ولا غير معرب.

٤ – ومنها أن الله عزَّ وجلَّ نهى أن يدعى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باسمه فقال عز[116] وجل. **﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾**[117] رواه جماعة عن ابن عباس خصه الله بهذه الفضيلة والدرجة الجليلة من بين أنبيائه ورسله وأصفيائه.

إنا أنزلنا عليك القرآن لتتحمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الاسلام ومقاتليهم. وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة، وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق إلا ليكون تذكرة (الكشاف/٥٢٩).

[116]- في (أ) و(ب) "والهاء" لعله الصحيح.

[116]- في (أ) و(ب) "عز من قائل".

[117]- سورة النور الآية ٦٣.

لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضاً ،ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي ، أولا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا،وينباديه باسمه الذي سماه به أبواه ولا تقولوا: يامحمد،ولكن يا نبي الله،ويا رسول الله،مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع. (الكشاف ٧٩/٣).

﴿ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله﴾ أي أن الذين يبايعونك يا محمد في الحديبية بيعة الرضوان انما يبايعون في الحقيقة الله، وهذا تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم حيث جعل مبايعته بمنزلة مبايعة الله.

٥ - ومنها أن الله تعالى أقامه مقام ذاته فقال جل من قائل: ﴿إِنَّ الذينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[118]

٦ - ومنها أن الله تعالى بدأه بالعفو قبل التأنيب، والمخاطبة قبل أن يعرف الذنب فقال جل وعلا: ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾[119] وأصل "لم، لما"، دخلت اللام الجارة على "ما" التي هي للاستفهام ،كقوله جل وعز ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾[120] أصله عن ما، فحذفت الألف

قال المفسرون - المراد بالبيعة هنا بيعة الرضوان بالحديبية حين بايع الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى الشيخان عن سلمة بن الأكوع أنه قال: "بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت .." مختصر تفسير ابن كثير ٣٤٢/٣ ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ يريد أن يدا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام وانما المعنى تعزيز ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله كقوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ (النساء الآية ٨).تفسير الكشاف ٥٤٣/٣ وقال ابن كثير: أي هو تعالى حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم،وهو تعالى المبايع بواسطة رسوله صلى الله عليه وسلم. ابن كثير (١٨٥/٤).

[118])- سورة الفتح الآية ١٠.

[119])- سورة التوبة الآية ٤٣.

إن من لطف الله تعالى بنبيه أن بدأه بالعفو قبل التأنيب،ولو قال له ابتداءً لم أذنت لهم ؟ لتفطر قلبه عليه الصلاة والسلام،(الانصاف فيماتضمنه الكشاف من الاعتزال١٩٢/٢) قال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابو حصين عن سليمان الرازي حدثنا سفيان ابن عيينه عن مسفرعن عون قال:هل سمعتم بمعاتبته احسن من هذا ؟نداء بالعفوقبل المعاتبه(ابن كثير ١٦١/٢).

تخفيفاً، كأنه قال جل من قائل: لأي شيء أو لأي سبب أو لأيّ معنى أذنت يا محمد لهؤلاء المنافقين، وكان ينبغي لك أن لا تأذن لهم حتى يتبين، أي يظهر صدقهم من كذبهم، لأنك لو لم تأذن لهم لقعدوا عن الخروج معك، وعند قعودهم عنك بعد نهيك إياهم يتبين لك صدقهم من كذبهم.

لأنهم لا يخرجون معك بكل حال، واعلم أنَّ قوله جل وعلا: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ﴾ يتعلق بمحذوف دل عليه قوله ﴿لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ وذلك أن قوله تعالى: ﴿لِمَ﴾ استفهام يتضمن نهياً، والنهي الذي تضمنه الاستفهام لا يكون إلاّ مما يتوقع في المستقبل، لأن النهي عن ما مضى محال ، والإذن المذكور في قوله: ﴿لِمَ أَذِنْتَ﴾ قد مضى فلا يصلح أن يكون منهيً عنه، ولكنه صلح أن يكون ما مضى موقع العتاب فإنَّ العتاب عن المستقبل أيضاً محال، فعاتبه عن الإذن الماضي بقوله تعالى: ﴿لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ ليكون العتاب دليلاً على أنه منهي بعد ذلك عن

الاستفهام." عفا الله عنك لم اذنت لهم " للانكار من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث وقع منه الإذن لمّا استأذنوه في القعود قبل أن يتبين من هو صادق منهم في ذره الذي ابداه ، ومن هو كاذب فيه ، وفي ذكر العفو عنه صلى الله عليه وسلم مايدل على أن هذا الإذن الصادر منه كان خلاف الأولى ، وفي هذا عتاب لطيف من الله سبحانه وقيل: إن هذا العتاب له صلى الله عليه وسلم في إذنه للمنافقين للخروج معه، لا في اذنه لهم بالعقود عن الخروج ،والأول اولى ،فتح القدير ٢/٣٦٥ .

[١٢٠]-سورة النبأ الآية ١.

مثل ما فعل من قبل. وقال الحسين بن منصور الاصطخري فيما حدثني غير واحد من أهل شيراز: الأنبياء يؤنبون على مقاديرهم واختلاف مقاماتهم، فمنهم من أنبه ثم أنسه، "و لم"[١٢١] "ينسه" بعد التأنيب "لتفطن"[١٢٢] كما قال لنوح عليه السلام ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[١٢٣]... الى آخر الآية.

---

[١٢١])-في (أ) و(ب) "ولو لم يونسه" ولعله الصحيح.

[١٢٢])-في (أ) "لتفطر" والصحيح ما أثبتناه.

[١٢٣])-سورة هود الآية٤٦.

﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك﴾ أي الذي وعدت انجاءهم، لأني إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك ولذلك قال: ﴿وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم﴾، فكان هذا الولد من سبق عليه القول بالغرق بكفره ومخالفته أباه نبي الله نوحاً عليه السلام، وقد نص غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب في تفسير هذا الى أنه ليس بابنه وانما كان ابن زنية، ويحكى القول: بأنه ليس بابنه وانما كان ابن امرأته، عن مجاهد والحسن وعبيد بن عمير وأبي جعفر الباقر وابن جريج، واحتج بعضهم بقوله ﴿انه عمل غير صالح﴾ وبقوله: ﴿فخانتاهما﴾ فممّن قاله الحسن البصري احتج بهاتين الآيتين. وبعضهم يقول: كان ابن امرأته وهذا يحتمل أن يكون أراد ما أراد الحسن أنه ينسب إليه مجازاً، لكونه كان ربيبا عنده والله أعلم، وقال ابن عباس وغير واحد منَ السلف: ما زنت امرأة نبي قط. وقوله: ﴿انه ليس من أهلك﴾ أي الذين وعدتك نجاتهم.

وقول ابن عباس هذا هو الحق الذي لا محيد عنه فان الله سبحانه وتعالى أغير من أن يمكن امرأة نبي من الفاحشة، ولهذا غضب الله على الذين رموا أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنه زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأنكر على الذين تكلموا بهذا وأشاعوه. (ابن كثير ٤/٢٥٩).

ومنهم من أنسه ثم أنّبه ليُفطَن لقربه منه،وذلك أنه سبحانه أمر نبيه محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سورة النور أن يأذن لمن شاء بقوله جل وعلا: ﴿فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾[124] ثم قال في سورة التوبة مؤنباً له على ذلك: ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾، ولو قال: "لم أذنت لهم عفا الله عنك لذاب، وهذا ليس بذنب ولكن بالإضافة الى

---

[124])- سورة النور الآية ٦٢.

وقد رخص الله له سبحانه وتعالى في سورة النور بقوله: ﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾ ويمكن أن يجمع بين الآيتين، بأن العتاب هنا متوجه الى الإذن قبل الاستثبات حتى يتبين الصادق من الكاذب، والإذن هنالك متوجه الى الإذن بعد الاستثبات والله أعلم. (فتح القدير ٣٦٥/٢).

فاذا استأذن المؤمنون رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض الأمور التي تهمهم فانه يأذن لمن شاء منهم، ويمنع من شاء على حسب ما تقتضيه المصلحة التي يراها رسول الله صلى الله عليه وسلم. (فتح القدير ٥٧/٤ - ٥٨).

وهؤلاء الذين يلتزمون هذا الأدب، لا يستأذنوه إلا وهم مضطرون فلهم في إيمانهم ومن أدبهم عاصم ألا يتخلوا عن الأمر الجامع الذي يشغل بال الجماعة ويستدعي تجمعها له، ومع هذا فالقرآن يدع الرأي في الإذن أو عدمه للرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن يبيح له حرية الاذن: ﴿فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾، وكان قد عاتبه على الإذن للمنافقين من قبل فقال: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾. يدع له الرأي فإن شاء أذن، وان شاء لم يأذن فيرفع الحرج عن عدم الإذن، وقد تكون هناك ضرورة ملحة، وستبقى حرية التقدير لقائد الجماعة ليوازن بين المصلحة في البقاء والمصلحة في الانصراف. ويترك له الكلمة الاخيرة في هذه المسألة التنظيمية يدبرها بما يراه. (في ظلال القرآن ٢٥٣٥/٤).

الشرف النبوي كأنه ذنب، فقدم العفو عنه ووقره ورفع محله بالدعاء له.

كما يقال للكريم: عفا الله عنك ما صنعت؟ وقيل: لم يكن يعرف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنافقين حتى نزلت سورة براءة.

٧ - ومنها أن الله تعالى وضع به الأغلال التي كانت في أعناق العباد، والآصار التي كانت عليهم حسب ما نطق به القرآن، ووجب التصديق به والإيمان. ﴿**الذينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَبيَّ**[١٢٥] **الأُمِّيَّ الذي**

[١٢٥]- وهو محمد عليه الصلاة والسلام فخرجت اليهود والنصارى وسائر الملل. والأمي: إما نسبة الى الأمة الأمية التي لا تكتب ولا تحسب وهم العرب، أو نسبة الى الأم والمعنى: أنه باق على حالته التي ولد عليها لا يكتب ولا يقرأ المكتوب، وقيل: نسبة الىٰ أم القرى وهي مكة ﴿الذي يجدونه﴾ يعني اليهود والنصارى: أي يجدون نعته "مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل" وهما مرجعهم في الدين وهذا الكلام منه سبحانه وتعالى مع موسى قبل نزول الإنجيل وهو من باب الإخبار بما سيكون". (فتح القدير ٢/٢٥٢).

﴿ويحل لهم الطيبات﴾ ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة كالشحوم وغيرها أو ما طاب في الشريعة والحكم بما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلى كسبه من السحت ﴿ ويحرم عليهم الخبائث﴾ ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، أو ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة. والإصر: مثل لثقل تكليفهم وصعوبته، نحو اشتراط قتل النفس في صحة توبتهم، وكذلك الأغلال: مثل لما كان في شرائعهم من الأشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمداً كان أو خطأ من غير

يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[126] أي تجدون نعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأحل الله تعالى لمحمدصلىالله عليه وسلم ما كان حراماً على غيره، وكل شدة في الدين، والإصر: الثقل والمشقة لأنه يأصر صاحبه أي: يحبسه عن الحراك لثقله، وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته. فكانت توبة بني إسرائيل كالسامري[127] وغيره قتل

شرع الدية، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب، وإحراق الغنائم، وتحريم العروق في اللحم. (الكشاف ٢/١٢٢).

[126]- سورة الاعراف الآية ١٥٧.

[127]- السامري: عن سسعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان السامري رجلاً من أهل باجرما، وكان من قوم يعبدون البقر، وكان حب عبادة البقر في نفسه، وكان قد أظهر الاسلام مع بني إسرائيل، وكان اسمه موسى بن ظفر، وفي رواية عن ابن عباس أنه كان من كرمان، وقال قتادة كان من قرية سامرا.

﴿فتوبوا الى بارئكم ...﴾الآية. واختلفوا فيمن خوطب بهذا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه خطاب للكل، قاله السدي عن أشياخه، والثاني: أنه خطاب لمن لم يعبد ليقتل من عبد قاله مقاتل. والثالث: أنه خطاب للعابدين فحسب؛ أمروا أن يقتل بعضهم بعضا؛ قاله أبو سليمان الدمشقي. (زاد المسير ١/٨٢).

البارئ: الخالق وقيل إن البارئ هو المبدع المحدث، والخالق هو المقدر الناقل من حال الى حال، وفي ذكر البارئ هنا إشارة إلى عظيم جرمهم - أي فتوبوا الى بارئكم الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره. (فتح القدير ١/٨٦).

بعضهم بعضاً. قال الله العظيم: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[128]، وذلك أنهم غشيتهم ظلمة فقاموا يتناحرون بالشفار فلما بلغ الله جلت قدرته فيهم نقمته انجلت الظلمة، وسقطت الشفار من أيديهم فكان ذلك للحيِّ توبة، وللمقتول شهادة. عن قتادة: وأجلت عن سبعين ألف قتيل، وكان ذنبهم أنهم علموا أن العجل باطل، فمنعوا من الانكار خوف القتال، فابتلاهم الله بما لأجله لم ينكروا المنكر.

إلى غير ذلك من ثقل الشرائع وغلظ الأحكام.

٨- ومنها: بت القضاء بالقصاص عمداً أو خطأً من غير شرع الدية، وقطع الأعضاء الخاطئة وإحراق الغنائم إذا غزوا، وتحريم العروق في اللحم، وتحريم الشحوم والشروب ولحوم الإبل، وشرب ألبانها، وتحريم السمك الذي لا قشر عليه، وتحريم كل ذي ظفر، وذو الظفر

قال القرطبي:وأجمعوا علىأنه لم يؤمر كل واحد من عبدة العجل بأن يقتل نفسه بيده،قيل : قاموا صفين، وقتل بعضهم بعضاً،وقيل: وقف الذين عبدوا العجل، ودخل الذين لم يعبدوه عليهم بالسلاح فقتلوهم.

وأخرج ابن جرير عنه قال: أمر موسى قومه عن أمر ربه أن يقتلوا أنفسهم، واختبأ الذين عكفوا عن العجل فجلسوا وقام الذين لم يعكفوا على العجل فأخذوا الخناجر بأيديهم، وأصابتهم ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم بعضاً فانجلت الظلمة عنهم عن سبعين ألف قتيل كل من قتل منهم كانت له شهادة، وكل من بقي كانت له توبة, المرجع السابق.

[128])- سورة البقرة الآية ٥٤.

ما له أصبع من طائر أو دابة كالابل والنعام، وهو الذي عليه جماعة اليهود الآن، وقد كان بعض ذلك حلالاً لهم فلما ظلموا وكفروا وقتلوا الأنبياء حرم ذلك عليهم، فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قول أصدق القائلين[129]: ﴿**وَعَلَى الذينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظفر وَمِنَ البَقَرِ وَالغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا**﴾[130] الآية، وتحريم السبت، وقال عطاء: كان بنو إسرائيل إذا قاموا الى الصلاة لبسوا المسوح وغلوا أيديهم الى أعناقهم، وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها السلسلة وأوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة.

٩-ومنها قرض الجلد إذا أصابته النجاسة.

ثبت في صحيح مسلم في باب المسح على الخفين عن أبي موسى الأشعري: "أن بني إسرائيل كان إذا أصاب جلد أحدهم بول قرضه بالمقاريض"[131].

---

[129]- في (أ) و(ب) "العالمين" ولعل الأصح ما هو مثبت في (ج).

[130]-سورة الأنعام:الآية (٤٦)

[131]- لفظ الحديث في صحيح مسلم "حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا جرير عن منصور عن أبي وائل قال: كان أبو موسى يشدد في البول، ويبول في قارورة ويقول: إن بني إسرائيل كان إذا أصاب جلد أحدهم بول قرضه بالمقاريض. قال: لوددت أن صاحبكم لا يشدد هذا التشديد، فلقد رأيتني أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نتماشى، فأتى سباطة خلف حائط فقام كما يقوم أحدكم، فبال فانتبذت منه فأشار الي فجئت فقمت عند عقبه حتى فرغ"

ورواه البخاري في صحيحه عن أبي موسى كان إذا أصاب ثوب أحدهم قرضه.

فجاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحنيفية السمحة وهي التي ليس فيها إصر ولا كلفة ولا مشقة كانت من قبل. قال الله العظيم: ﴿رَبَّنَاوَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراًكَمَاحَمَلْتَهُ عَلَىالذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾[132] أي

رواته: ثقاة.

درجته: اسناده صحيح.

تخريجه: (١) أخرجه البخاري عن طريق عثمان بن أبي شيبة قال حدثنا جرير كتاب الوضوء باب٦٢ البول عند سباطة قوم وجاء فيه: "ثوب أحدهم" بخلاف مسلم ج١ ص ٦٢ لفظ ما في مسلم.

(٢) مسلم كتاب الطهارة باب المسح على الخفين ج١ ص٢٢٨.

(٣) النسائي في كتاب الطهارة باب ٢٧ التنزه من البول ج١ ص٢٨ وقد أورده بروايات مختلفة، وجاء في لفظ الحديث "إذا أصابهم شيء".

(٤) ابن ماجة في كتاب الطهارة باب التشديد في البول ج١ ص ٢٨ نحوه.

(٥) مسند أحمد ج٤ ص ١٩٦.

المفردات القارورة: إناء يجعل فيه الشراب.

سباطة قوم: هي ملتقى القمامة والتراب ونحوهما تكون بفناء الدار لأهلها.

قال ابن الأثير: وإضافتها الى القوم إضافة تخصيص ما ملك، لأنها كانت مواتاً مباحاً.

فانتبذت منه: أي انتحيت ناحية.

[132])- البقرة الآية ٢٨٦.

الاصر: العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه: أي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله، والمراد به هنا التكليف الشاق.

ثقلاً ومشقة، وقال الأزهري أي عقوبة ذنب يشق علينا، ومعنى الحنيفية التي مالت عن اليهودية والنصرانية وعن سائر الأديان كلها، فهي مستقيمة على صراط مستقيم قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾[١٣٣] وقال عز من قائل: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِياً وَلاَ نَصْرَانِياً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً﴾[١٣٤].

وقيل الأصر: شدة العمل وما غلظ على بني إسرائيل من قتل الأنفس وقطع موضع النجاسة ومنه قول النابغة:

يا صانع الضيم أن تفشى سراتُهم ... والحامل الإصر عنهم بعد ما غرقوا

وقيل الإصر: المسخ قردة وخنازير. وقيل: العهد. ومنه قوله تعالى: ﴿وأخذتم على ذلكم إصري﴾ وهذا الخلاف يرجع الى بيان ما هوالإصر الذي كان على من قبلنا، لا الى معنى الإصر في لغة العرب. ومعنى الآية – أنهم طلبوا من الله سبحانه أن لا يحملهم من ثقل التكاليف ما حمل الأمم قبلهم. (فتح القدير ٣٥٨/١).

عن ابن عثمان أن رجلاً قال لابن مسعود ما الصراط المستقيم؟ قال تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه وطرفه في الجنة، وعن يمينه جواد وعن يساره جواد، ثم رجال يدعون من مرّ بهم فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به الى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به الى الجنة ثم قرأ ابن مسعود ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه﴾. (ابن كثير ١٩٢/٢).

أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل الذين اتبعوه على دينه، وهذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فابراهيم متحنفاً عن الشرك قاصداً الى الإيمان. (ابن كثير ٣٧٣/١).

[١٣٣]- الأنعام الآية ١٥٧.

[١٣٤]- آل عمران الآية ٦٧.

قال أبو عبيد: الحنيف عند العرب من كان على دين الإسلام، وقال ابن عرفة قيل: ان الحنف الاستقامة، وإنما قيل للمائل الرجل أحنف تفاؤلاً بالاستقامة، ولما كان محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحب الرسل الى الله تعالى واكرمهم عليه وكانت امته خير الامم؛ عاملهم الله تعالى بالرفق والسماح فقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[135] وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[136] وقال تعالى في غير

---

[135]- التغابن الآية ١٦.

جهدكم وطاقتكم كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه .." الحديث، وقال بعض المفسرين كما رواه مالك عن زيد بن أسلم أن هذا الآية ناسخة للتي في آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون﴾. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثني يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء هو ابن دينار عن سعيد ين جبير في قوله: ﴿اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.

قال لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فأنزل الله تعالى هذه الآية تخفيفاً على المسلمين: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ فنسخت الآية الأولى. (ابن كثير ٤/٣٧٦ - ٣٧٧).

﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ فتح باب التوبة للمجرمين، وفسح بانواع الرخص والكفارات والديات والأروش نحو قوله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هي الأمة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة. (الكشاف ٣/٢٤).

[136]- الحج الآية ٧٨.

آية: ﴿لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾[137] والجناح في اللغة الإثم والضيق فمن تاب توبة نصوحاً من هذه الأمة قبل الله توبته وأسكنه جنته.

ومن تفضيل الله لهم أن أرسل إليهم رسولاً ووصفه بالرحمة واللين فقال تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[138] وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾[139] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[140] ومن توفيق الله تعالى لمحمد خاتم النبيين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

[137]- البقرة الآية٢٣٦.

[138]- سورة التوبة الآية ١٢٨.

بالمؤمنين "منكم أيها العرب والناس" رؤف رحيم، وقيل: لم يجمع اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿رؤوف رحيم﴾ (الكشاف ٢٢٣/٢).

[139]- سورة آل عمران الآية ١٥٩.

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ والمعنى: أن لنت لهم ما كان إلا بسبب الرحمة العظيمة منه، وقيل إن ما استفهامية، والمعنى: فبأي رحمة من الله لنت لهم، وفيه معنى التعجب وهو بعيد،وقيل فيم رحمة من الله. (فتح القدير ٣٩٣/١).

[140]- سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

,وأما إرساله للعالمين، قال ابن عباس: هذا عام للبار والفاجر فمن آمن به تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن كفر به صرفت عنه العقوبة الى الموت والقيامة، وقال ابن زيد: هو رحمة لمن آمن به خاصة.

روى مسلم في صحيحه: ٢٠٠٧/٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله ادع على المشركين قال: "إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة" وروى الدارمي: عن أبي صالح مرسلاً قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يناديهم يقول: "يا أيها الناسس إنما أنا رحمة مهداة" وقد وصله الحاكم ٣٥/١.

وَسَلَّمَ أَدَبُهُ مع ربّه في حال سروره وغضبـه، بخلاف غيره، وذلك أن موسى عليه السلام قدم اسمه على اسم ربه، فقال: ﴿كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ فامتحنت أمته بعبادة العجل، وقدم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسم ربه على اسمه فقال لأبي بكر رضي الله عنه، وهما في الغار ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾، فعصمت أمته عن الشرك وأنزلت السكينة في قلوبهم.

والسكينة في اللغة فعيلة من سكن يسكن سكوناً، وهو خلاف الاضطراب والحركة، والسكن بفتحتين كلما سكنت إليه من محبوب، والسكن أيضا النار لأن الناظر إليها يسكن برؤيتها، وفي المثل: أسكنْ من نار في عين القرور، والقر البرد، وأما السكن بتسكين الكاف فهم أهل الدار الساكنون فيها. والسكينة مخففة الكاف عند أكثر أهل اللغة إلا ما حكي عن الكسائي[١٤١] والفراء[١٤٢] وحكاه الإمام أبو اسحق

عن أبي هريرة رضي الله عنه وصححه ووافق عليه الذهبي: (زاد المسير ٥/٣٩٨).

١٤١)-الكسائي: أبو الحسن حمزة فارسي أسدي الولاء، انتهت إليه رياسة الاقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، أخذ القراءة عرضا على حمزة أربع مرات وعليه اعتماده وعلى محمد بن أبي ليلى ؛ألف كتبا كثيرة في اللغة والنحو والقراءة منها -معاني القرآن، القراءات، مقطوع القرآن وموصوله. مات بقرية "بنويه" من عمل "الري" هو ومحمد بن الحسن القاضي صاحب أبي حنيفة مع الرشيد متوجها الى خراسان فقال الرشيد: "دفنا الفقه والنحو بالري" وكان امام الكوفيين في العربية.

حجة القرآن لأبي زرعة ٦١ - ٦٢.

الحربي عن بعض اللغويين، وكما أن سكان الدار كالروح في الجسد، فالسكينة من الله في القلب كذلك فإذا أراد الله بعبد خيراً أنزل في قلبه الحكمة والحلم، وعلمه العلم، وأسكن في قلبه اليقين والاخلاق الحميدة التي هي من جنود الله.

١٠- من خصائص رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ الله تعالى شرفه، فذكره معه في الصنائع الى عباده فقال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ

---

(١٤٢)- الفراء: العلامة صاحب التصانيف، أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولاهم الكوفي النحوي صاحب الكسائي.

يروى عند قيس بن الربيع ومندل ابن علي وأبي الاحوص وأبي بكر بن عياش وعلي بن حمزة الكسائي ، روى عنه سلمى بن عاصم، ومحمد بن الجهم السمري وغيرهما وكان ثقة.

ورد عن ثعلب أنه قال: لولا الفراء لما كانت عربية ولسقطت، لأنه خلصها، ولأنها كانت تنازع ويدعيها كل أحد، ونقل أبو بديل الوضاحي أن المأمون أمر الفراء أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو، وأفرده في حجرة، وقرر له خدماً وجواري وورّاقين، فكان يملي في ذلك سنين، قال ولما أملى كتاب: معاني القرآن اجتمع له الخلق فكان في جملتهم ثمانون قاضياً وأملى "الحمد" في مائة ورقة. قال الأنباري: لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من النحاة إلا الكسائي والفراء لكفى. وقال بعضهم: الفراء أمير المؤمنين في النحو. وعن ثمامة ابن أشرس: رأيت الفراء ففاتشته عن اللغة فوجدته بحراً، وعن النحو فشاهدته نسيجاً وحده، ومن الفقه فوجدته عارفاً باختلاف القوم، وبالطب خبيراً وبأيام العرب والشعر والنجوم فاعلمت به أمير المؤمنين فطلبه.

مات الفراء بطريق الحج سنة سبع ومائتين وله ثلاث وستون سنة.

سير أعلام النبلاء ١١٨/١٠ - ١٢١.

﴿أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[143] فجعله مغنياً لعباده، ومنها أن الله تعالى قرن اسم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذكره في ثمانية مواطن أولها: في الطاعة قال جل من قائل: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[144]، وقال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[145]، ﴿وَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾[146]، فجمع بينهما بواو العطف المشتركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه عليه أفضل الصلاة وأشرف التسليم لحديث حذيفة: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **"لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلاَنٌ، وَلَكِنْ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلاَنٌ"**[147].

---

[143]- سورة التوبة الآية ٧٤.

[144]- سورة النساء الآية ٨٠.

[145]- سورة النساء الآية ٥٩.

[146]- سورة الحديد الآية ٧.

[147]- لفظ الحديث في البخاري "لا يقول ما شاء الله وشئت وهل يقول أنا بالله ثم بك".
رواته ثقاة، درجته: إسناده صحيح، تخريجه: (١) البخاري: كتاب الأيمان والنذور ج٧ ص ٢٢٧.

(٢) ابن ماجه: كتاب الكفارات باب ١٣ النهي أن يقال ما شاء الله وشئت. ج١ ص ٦٨٤. ولفظه "إذا حلف أحدكم فلا يقل: ما شاء الله وشئت. ولكن ليقل: ما شاء الله ثم شئت " في الزوائد: في إسناده الأجلح بن عبد الله مختلف فيه ضعفه الامام أحمد وأبو حاتم والنسائي وأبو داود وابن سعد ووثقه ابن معين ويعقوب بن سفيان والعجلي وباقي رجال الاسناد ثقات.

وترجم عليه أبو داود باب حفظ المنطق؛ لأنّ الحديث الأول كان مذكوراً بحرف الواو وهي تقتضي الجمع دون الترتيب، فأمرهم صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أن يعدلوا بها إلى حرف ثم الذي يقتضي الترتيب مع التراخي،وفقه هذا الحديث أنّ المشيئةارادةلله تعالىقال الله عزوجل﴿وَمَاتَشَاؤونَ إلاّأَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾[148]،فأعلم الله عزّوجلّ خلقه،أن المشيئةله دون خلقه، وأن مشيئتهم لا تكون إلاّ أن يشاء الله.

وذكر فقيه قرطبة أبو مروان عبد الملك بن حبيب وقد تقدم سندي إليه عن عمربن الخطاب رضي الله عنه أنّه قال:يوم مات رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: يأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عندربك أن جعل طاعته طاعته فقال تعالى:﴿مَنْ يُطِعِ

---

(٣)أخرجه أبو داود: كتاب ٣٥ باب ٨٤ لا يقال: خبثت نفسي حديث ٤٢٨٠ ج٥ ص ٢٥٩ بلفظ ما أورده المصنف.

(٤) ورواه الدارمي: كتاب الاستئذان باب في النهي عن أن يقول ما شاء الله وشاء فلان ج١ ص ١٩١.

(٥) أحمد: في مسنده ج٥ ص ٣٨٤، ص ٣٢٤، ص ٣٩٨. بلفظه.

[148])- الانسان الآية ٣٠.﴿وَمَا تَشَاؤونَ إلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ أي وما تشاؤون أن تتخذوا إلى الله سبيلا ، إلا أن يشاء الله ، فالأمر إليه سبحانه وتعالى ليس إليهم ، والخير والشدة بيده لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ، فمشيئة العبد مجردة لاتأتي بخير ولا تدفع شراً وإن كان يُثاب على المشيئة الصالحه ، ويؤجر على قصد الخير كما في حديث: (انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى) قال الزجاج : أي لستم تشاؤون الا بمشيئة الله (فتح القدير ٣٥٤/٥).

الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[149]، ففوض إليك؛فلم تـأمر إلا بخـير ورشـد، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنـد ربـك أنّ أهـل النار يودون لو يكونون أطاعوك، وهـم بين أطباقها، يعذبـون يقولـون: ﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾، يـا ليتنـا حـرف النـداء في هـذا للتفجع والتندم، والنون والألف اسم ليت، وأطعنا الخبر، ولفظة الجلالة منصوبـة (بأطعنـا) ولفظـة الرسـول نصبـت[150] (بأطعنـا) الثـاني، وهـو معطوف على الأول، وثبتـت الألـف في لفظـة الرسـول لأنـه رأس آيـة مشبه بالفاصلة ومثله الظنونا والسبيلا.

وجاء القرآن مشبهاً بكلام العرب في الفواصـل بأنـه تعـالى قـال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[151].

والثاني في المحبة قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[152]، ولما نزلت هذه الآيـة قـال المشـركون: إنّ

---

[149]- النساء الآية ٨٠.

﴿ ومن يطع الرسول فقد اطاع الله﴾ يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأن من اطاعه فقد اطاع الله ، ومن عصاه فقد عصى الله ، وما ذاك الا لانه ماينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى . عن ابي هريرة رضي الله عنه قـال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصـاني فقـد عصى الله" البخاري كتاب الجهاد والسير جـ ٤ص ٨. ابن كثير ٥٢٩/١ .

[150]-(والرسول نصب بأطعنا) في ب لم تذكر.

[151]- سورة ابراهيم الآية ٤

محمّداً يريد أن نتخذه حناناً كما اتخذ النصارى عيسى، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[١٥٣]؛ فقرن طاعته بطاعته رغماً لهم. قولهم حنانا أي منسكاً ومسترحماً، والحنان: الرحمة،

هذا من لطف الله تعالى أن يرسل إليهم رسلاً منهم ، بلغاتهم ، ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم ، وقد كانت هذه سنة الله في خلقه أنه ما بعث نبياً في أمة إلاّبلغتهم ، فاختص كل نبيّ بإبلاغ رسالته إلى أمته دون غيرهم ، واختص محمّد بن عبد الله رسول الله صَلّى اللّه عليهِ وسَلّمَ بعموم الرسالة على سائر الناس : كما ثبت في الصحيحين عن جابر قال رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ : " أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي ..." الحديث ابن كثير ٥٢٣/٢. قال ابن الأنبار : ومعنى اللغة عند العرب الكلام المنطوق به وهو مأخوذ من قولهم : لغا الطائر يلغو إذا صوت في الغلس ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ أي الذي أرسل به فيفهمونه عنه وهذا نزل لأن قريشاً قالوا : ما بال الكتب كلها أعجمية وهذا عربي(زاد المسير ٤/ ٣٤٥).

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ، وقد قيل إنّ في هذه الآية إشكالاً لأن النبيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أرسل الى الناس جميعاً بل إلى الجنّ والانس ولغاتهم متباينة وألسنتهم مختلفة . وأجيب بأنّه وان كان صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلّمَ مرسلاً إلى الثقلين كما مرّ ، لكن لمّا كان قومه العرب ، وكانوا أخص به وأقرب إليه كان إرساله بلسان عربي ، وهم يبينونه لمن كان على غير لسانهم ويوضحونه حتى يصير فاهماً له كفهمهم إياه فتح القدير ٩٤/٣ . ، وروى أبو الدرداء عن رسول الله صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ في قوله ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ ...﴾ الآيه قال على البرّ والتقوى والتواضع وذلّ النفس : تفسير القرطبي ٦١/٤ .

[١٥٢])- سورة آل عمران الآية ٣١.

[١٥٣])- سورة آل عمران الآية ٣٢.

والحنان: العطف، والحنان أيضاً الرزق والبركة، كل هذا بالتخفيف، والعرب تقول: حنانك يا رب وحنانيك يا رب بمعنى واحد؛ يريدون رحمته، وأنشد أبو عبيد لطرفة:

حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ.

وأنشده النحويون في باب المصادر التي لا يسُتعمل إظهار العامل فيها ولا تنصرف،[١٥٤] "منها لبيك وسعديك وحنانيك ،، فلبيك معناه إجابة بعد إجابة ، وسعديك موافقة بعد موافقة ، وحنانيك تحنن موصول بتحنن. قال الشاعر :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبْقِ بَعْضَنا

حَنَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

والثالث في المعصية، قوله تعالى :﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[١٥٥].

---

١٥٤)- في أوب " ولا تتصرف " ولعله صحيح

١٥٥)- النساء الآية ١٤ " ومن يعص الله ورسوله " يريد في قسمه المواريث فلم يقسمها و لم يعمل بها والعصيان إنما أريد به الكفر فالخلود على بابه ، وإن أريد به الكبائر وتجاوز أوامر الله تعالى فالخلود مستعار لمدة ما ، كما تقول خلد الله ملكه، وقال زهير :

ولاخالداً إلا الجبال الرواسيا

وصدره: ألا لاأرى على الحوادث باقيا [تفسير القرطبي]

والرابع: في العزة قوله تعالى ﴿ **ولله العزةُ ولرسولِهِ** ﴾[١٥٦] أي الامتناع وجلالة القدر، ولعزته عند ربه جلت قدرته .

قال في الصحيحين **"مَنْ أَحْدَثَ فِي دِينِنَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ"**[١٥٧].

وفي البخاري ٨/١٤٠ فمن أطاع محمداً صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله ومن عصى محمداً صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله ... الحديث .

[١٥٦]- المنافقون الآية ٨

" ولله العزة ولرسوله " أي القوة والغلبة لله وحده ، ولمن أفاضها عليه من رسله وصالحي عباده لا لغيرهم ، اللهم كما جعلت العزة للمؤمنين على المنافقين فاجعل العزة للعادلين من عبادك وأنزل الذلة على الجائرين الظالمين .(فتح القدير ٥/٢٣٢). والعزة هي المنعة والقوة ولرسوله وللمؤمنين باعزاز الله ونصره إياهم .

ويضم الله- سبحانه - رسوله والمؤمنين إلى جانبه ، ويضفي عليهم من عزته ، وهو تكريم هائل لايكرمه إلا الله، وصدق الله فجعل العزة صنو الإيمان في القلب المؤمن . العزة المستمدة من عزته تعالى ، العزة التي لاتهون ولاتهن ولا تنحني ولا تلين ، ولا تزايل القلب المؤمن في أحرج اللحظات إلا أن يتضعضع فيه الايمان ، فادا استقر الايمان ورسخ فالعزة معه مستقرة راسخة . (في ظلال القرآن ٦/٣٥٨٠) .

[١٥٧]- لفظ الحديث في البخاري " حدثنا يعقوب ابراهيم بن سعد عن ابيه عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد " رواه عبد الله بن جعفر المخزومي وعبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن ابراهيم .

(أ) رواته : ثقات

ثـم جمـع لـه الأرض فـأراه مشـارقها ومغاربهـا ، ووهـب لأمتـه لمكانته عنده ملك ما جمع له منها، ثبت في صحيح مسلم، وتفـردّ بـه، عن ثوبان، مولى رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ مـا هـذا نصّـه، أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:" **إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ**

(ب) درجته : إسناده صحيح

(ج) تخريجه :

(١) البخاري كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جـور فـالصلح . جـ ٣ ص١٦٧.

(٢) مسـلم كتـاب ٣٠ الأقضيـة بـاب ٨ نقـض الأحكـام الباطلـة جـ٢ ص١٣٤٣ مثل ما في البخاري حديث ١٧ (١٧١٨).

(٣) ابن ماجه المقدمة باب ٢ تعظيم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم جـ ١ ص٧ لفظه .

(٤) مسند أحمد جـ ٦ ص٢٧٠ مثله .

(د) المفردات :

فهو رد : قال أهل اللغة – الرد هنا ، بمعنى المـردود، ومعنـاه فهـو بـاطل غـير معتد به وهذا الحديث قاعدة من قواعد الدين الاسلامي ، وهو من جوامـع الكلـم للنبي صلى الله عليه وسلم ، فانه صريح في رد كل البدع ، والمخترعات .

في أمرنا : أي في شأننا ، فالأمر واحد الأمور .

أحدث : أحدث الرجل وقع منه ما ينقض طهارته . وفي القرآن الكريم " لعـل الله يحدث بعد ذلك أمراً " الطلاق.

مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ، الأَحْمَرَ[158] وَالأَبْيَضَ" ...

---

158)- وتكملة الحديث في مسلم " واني سألت ربي ان لايهلكها بسنة عامة ، وأن لايسلط عليهم عدوا سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربي قال : يا محمد اني قضيت قضاء فانه لايرد ، واني أعطيتك لأمتك أن لاأهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أومن بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً

(أ) درجته : صحيح بسنده

(ب) تخريجه :

* مسلم كتاب ٥٢ الفتن واشراط الساعة باب ٥ هلاك هذه الأمة جـ ٣ ص٢٢١٥ حديث ١٩ (٢٨٨٩)

* الترمذي كتاب الفتن باب ما جاء في سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً في امته جـ ٤ ص ٤٧٢ حديث ٢١٧٦ .

* ابن ماجه كتاب الفتن باب ما يكون من الفتن جـ ٢ ص١٣٠٤ حديث ٣٩٥٢ وقد ذكر ابن ماجه زيادة على ما في صحيح مسلم وهي " وإذا وضع السيف في أمتي فلن يرفع عنهم الى يوم القيامة وان مما اتخوف على أمتي أئمة مضلين، وستعبد قبائل من أمتي الأوثان ، وتلحق قبائل من أمتي بالمشركين ، وان بين يدي الساعة دجالين كذابين قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه نبي ، ولن تزال طائفة من أمتي على الحق منصورين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل -

* أبو داوود كتاب الفتن والملاحم باب ذكر الفتن ودلائلها جـ ٤ ص٤٥٠

* مسند أحمد جـ ٥ وص٢٨٤ وجـ٤ ص١٢٣ وقد جاء الحديث على نحو ما ذكره ابن ماجه من ناحية زيادة في آخره.

(د) المفردات :

زوى لي الأرض : أي جمع الأرض وطواها حتى أصبحت مرئية أمامه كالبساط المفروش يحيط بصره بها ، وفي ذلك بشارة من الله عز وجل لرسوله بانتصار الاسلام وفتح البلدان حتى يعم أطراف المعمورة .

مشارقها ومغاربها : جمع مشرق ومغرب وهو مكان شروقها وغروبها في الشتاء والصيف ، وإنما جمعت باعتبار أن لكل بلد مشرقاً ومغرباً .

الكنزين :المراد بهما "الذهب والفضة" لأنهما العملة المستعملة في كل زمان . والكنز ما يكنزه الانسان ويدخره من الأموال قال تعالى :﴿ والذينَ يكنزونَ الذهبَ والفضةَ ولاينفقونُها في سبيلِ اللهِ فبشرْهم بعذابٍ أليمٍ﴾سورة التوبة الآية٣٤ .

بسنة عامة : أي القحط وجدب يهلك عامة المسلمين وذلك بأن تمسك السماء عن المطر فلا تنبت الأرض شيئاً ، وتطلق السنة والسنون على الجدب والقحط " قال تعالى :﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ﴾سورة الأعراف الآية١٣٠

وفي الحديث " اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف "

يستبيح بيضتهم " أي يستأصلهم بالهلاك فلا يبقى منهم أحد . وبيضة الشئ – اكثره – ومعظمه ، وقيل البيضة – العز والملك ، وقيل أراد الخوذة ، وقيل – موضع سلطانهم ، وبيضة الدار وسطها .

الضالين المضلين : الداعين إلى الهوى والبدع السائرين على غير منهج كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة وقد وقعت كلها كما أخبر عنها صلى الله عليه وسلم . فانه لاينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحي .

ومن أسماء الله تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب، أو الذي لانظير له أو المعزّ لغيره ، ولا يحل لمسلم أن يتسمّى بأسماء الله فهـو أخنـع [١٥٩] اسم عند الله ، أن يتسمى الرجل باسم ملك الأملاك ، ثبت ذلك عـن

---

[١٥٩]- لفظ الحديث في صحيح البخاري " حدثنا أبو اليمان . أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم . أخنى(١) الاسماء يوم القيامة عند الله رجل تسمى ملك الاملاك .(٢)

وجاء أيضاً عن طريق سفيان عن أبي الزناد " أخنع اسم عند الله ."

(أ) رواته : ثقات

(ب) درجته : إسناده صحيح

(ج) تخريجه : (١) البخاري كتـاب بـاب أبغـض الاسمـاء الى الله تعـالى جــ ٧ ص ١١٩ - ١٢٠.

(٢) الترمذي كتاب الأدب ، باب ما يكره من الأسمـاء جــ ٥ ص١٣٤(٢٨٣٧) وقال أبو عيسى حديث حسن صحيح .

(٣) أبو داود باب تغيير الاسم القبيح جـ ٥ ص٢٤٥ رقم الحديث ٤٩٦١

(٤) مسند أحمد جـ ص٢٤٤ . وجميعهم عن أبي هريرة .

(د) المفردات :

(١) أخنى : أفحش .

(٢) أخنع : أذل وأوضع .

(٣) ملك الأملاك : وتحرم التسمية بملك الأملاك وشاهان شاه ، وهذا دليل قـاطع على تحريم التسمية بهذه الاسمـاء، ولقـد كـان صلى الله عليـه وسـلم يغـير الاسـم القبيح، ويقول : أنا محمد وأحمـد وأنـا المـاحي الـذي يمحـو الله بـي الكفـر ، وأنـا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي .

وفي الحديث " أحب الاسماء إلى الله - عبد الله وعبد الرحمن .

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومعنى أخنع فيما فسّره أبو عمرو الشيباني في صحيح مسلم، وفي رواية في صحيح البخاري . أي اخنى اسم: أي (أيخش)[160] والخنا الفحش وقد يكون بمعنى الهلاك يقال:أخنى عليه أهلكه، وقال أبو عبيد:أخنع أذل ، والخانع الذليل الخاضع، ويكون أخنع أقبح، ويكون أفجر، قال الخليل: الخنع الفجور، وذكر أبو عبيد أنّه روى أنخع بتقديم النون أي أقتل وأهلك، والخنع القتل الشديد، وفسره سفيان بن عيينة بشا هنشاه [161] وقال غيره:هو أن يتسمى باسم من اسماء الله عزّ وجلّ الذي هو ملك الأملاك كالعزيز والرحمن والرحيم والقادر والمقتدر،كما فعل من لاخلاق له، وأعجبه ملكه وضلاله ، وأمّا الخلفاء من بني العباس فإنهم أضافوا قدرتهم واقتدارهم إلى الله تعالى فلا حرج عليهم إن شاء الله .

---

[160])- في أوب " أفحش " وهو الصحيح

[161])- شاهانشاه – ويحرم شاهانشاه للسلطان وغيره من الملوك والأمراء لأن معناه : أي اللفظ المذكور :" ملك الملوك "، ولا يوصف بذلك غير الله سبحانه وتعالى " ، فاطلاقه على غير الله تعالى وصف ذلك الغير بوصف الخالق الذي لايصح قيامه بغيره سبحانه ، إنما وصف العبد الذلة والحضور في العبودية ، قال سفيان بن عيينة : ملك الأملاك مثل شاهان شاه . وشاهان شاه من عكس التشبيه ، وذلك لأن ملك الملوك هو المنصوص عليه وشاهان شاه هو الشبه والمقيس قال السيوطي: شاه . هو الملك وشاهان جمعه وقدم على قاعدة العجم من تقديم المضاف اليه على المضاف انظر (شرح دليل الصالحين لطرق رياض الصالحين)

والخامس في الولاية قوله تعالى :﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ [١٦٢]والولاية إذا كانت بمعنى الولاء جاز فيها الفتح والكسر؛ ولذلك قراءات القرآن ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ وَلاَيَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [١٦٣] بفتح الواو وبكسرها ، والولاية بكسر الواو الإمارة

والسادس في الإجابة قوله تعالى :﴿اسْتَجِيبُوا للهِ وِلِلْرَّسُولِ﴾ [١٦٤] ، وسيأتي بيانه

---

[١٦٢])- سورة المائدة الآية ٥٥

[١٦٣])- سورة الانفال الآية ٧٢

هم المؤمنون وعلي بن أبي طالب ، وحدثنا أبو سعيد الأشبح حدثنا الفضل بن دكين أبو نعيم الأدول حدثنا موسى بن قيس الحضرمي عن سلمة بن كهيل قال تصدق علي بخاتمه وهو راكع فنزلت :" إنّما وليُّكُمُ اللهُ ورسولُهُ".

وقد وردت أحاديث كثيرة في هذا المعنى في سبب نزول هذه الآية إلا أنهم قالوا لايصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها ، وجهالة رجالها ، وقد قيل في الأحاديث التي وردت أن هذه الآيات كلها نزلت في عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، حين تبرأ من حلف اليهود ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين ،(ابن كثير ٧٢/٢)

جعلت الولاية لك على طريق الأصالة ثم نظم في سلك إثباتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على سبيل التبع . (الكشاف ٦٦٣/١).

[١٦٤])- سورة الانفال الآية ٢٤

الاستجابة – أي للحرب التي أعزكم الله بها بعد الذل ، وقواكم بها بعد الضعف ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم . (ابن كثير ٢٨٩/٢)

والسابع في التسمية قوله تعالى :﴿إِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[165]، وقال في حق محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ فسمّاه باسمين من أسمائه ، والرأفة أشدّ الرحمة وأبلغها، وخاصية الرأفة أنّها لدفع المكاره والشدائد، والرحمة طلب المحاب، ولهذا تقدمت الرأفة على الرحمة . ومن رأفته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه رأى أعرابياً يبول في المسجد فصاح الناس به فكفهم عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى فرغ ، فأمر بذنوب من ماءٍ فصُبَّ على بوله ،ثم قال له بلين من القول:"**إِنَّ هذِهِ الْمَسَاجِدَ لا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنَ الْبَوْلِ وَلاَ الْقَذْرَةِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ وَالصَّلاَةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**"، والحديث ثابت بإجماع وله طرق في الصحيحين[166].وفيه من الفقه، أنّ الماء اذا تغلب على البول طهره و لم

---

[165])- سورة الحديد الآية ٩

[166])- لفظ الحديث في البخاري" حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال : اخبرني عبيد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة قال: قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم دعوه وهريقو على بوله سجلا من ماء أو ذنوباً من ماء فانما بعثتم ميسرين و لم تبعثوا معسرين "

(أ) رواته :ثقات

(ب) درجته : اسناده صحيح

(ج) تخريجه : البخاري كتاب الوضوء باب صب الماء على البول في المسجد جـ ١ص ٦١.

* مسلم كتاب الطهارة باب وجوب إزالة البول وغيره من النجاسات اذا حصلت في المسجد وأن الأرض تظهر بالماء من غير حاجة الى حفرها . جـ ١ ص٢٣٧ .
وقد أورده مسلم بألفاظ مختلفة مع زيادات في العبارات وافق فيها ما أورده المؤلف وخالف فيها ما جاء في صحيح البخاري . والكل يدور على معنى واحد هو أن الارض تطهر بصب الماء عليها ، كما أن رواية مسلم عن أنس .

* أبو داود كتاب ١ باب ١٣٨ الارض يصيبها البول جـ١ ص٢٦٤ . وقد أورده عن طريق آخر - أنه قال يعني صلى الله عليه وسلم - خذوا ما بال عليه من التراب فألقوه ، وأهريقوا على مكانه ماء، وقد تفرد به أبو داود و لم يرد في الصحيحين ولا في غيرهما.-

* ابن ماجه كتاب الفتن

* مسند احمد - الفتح الرباني جـ ١ ص ٢٦٤

(د) المفردات :

* في المسجد : مسجد النبي صلى الله عليه وسلم - بالمدينة

* فبال : شرع في البول

* فتناوله الناس : أي تناولوه بألسنتهم ، وقد جاءت بعض الروايات موضحة لمعنى التناول ففي رواية :" فثار عليه الناس "، وفي أخرى :"فزجره الناس . وفي رابعة : "فصاح الناس به "

* هريقوا : أصله وأريقو كما جاء في بعض الروايات .

* سجلا: بفتح السين وسكون الجيم - الدلو الضخمة الملأى .

* الذنوب: بفتح الذال - الدلو العظيمة المملوءة ماء أو فيها ما يقرب من ملئها

* فقه الحديث :

ما في هذا الحديث من فقه - أن اثبات نجاسة بول الآدمي مجمع عليه ولا فرق بين الكبير والصغير باجماع من يعتد به لكن الصغير يكتفى فيه بالنضح
وفيه احترام المسجد وتنزيهه من الأقذار .

يضره ممازجة البول له ، لأنّه معلوم أنّ البول اذا صب عليه الماء مازجه، لكنّه إذا غلب عليه طهّره، على ماشهدت به السنّة الثابتة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والثامن في الرضا قال الله العظيم :﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[١٦٧].

وفيه أن الأرض تطهر بصب الماء عليها ولا يشترط حفرها وهذا مذهب الجمهور وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزم من غير تعنيف ولا ايذاء إذلم يأت بالمخالف استخفافاً أو عناداً.

وفيه دفع أعظم الضررين باحتمال أخفهما لقوله صلى الله عليه وسلم : دعوه . قال العلماء : كان قوله صلى الله عليه وسلم دعوه لمصلحتين -أحدهما - أنه لو دفع عليه بول لتضرر، وأصل التنجس قد حصل ، فكان احتمال زيادته أولى من إيقاع الضرر به ، والثانية : أن التنجس قد حصل في جزء يسير من المسجد فلو أقاموه أثناء بوله لتنجس ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة في المسجد (النووي علىصحيح مسلم ٣/١٩٠). -

[١٦٧]- التوبة الآية ٦٢

روي أن قوماً من المنا فقين اجتمعوا فيهم الجلاس بن سويد وفيهم غلام من الانصار يدعى عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا: ان كان ما يقول محمد حقاً لنحن شرمن الحمير ، فغضب الغلام فقال : والله ما يقول حق وأنتم شر من الحمير فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم فحلفوا أن عامراً كاذب فقال عامر : هم الكذبة وحلف على ذلك ، وقال : اللهم لاتفرق بيننا حتى يتبين صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الآية (التوبة الآية٦٢).

فأخبر تعالى أن حلفهم على طريق الكذب بدليل قوله :﴿والله وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ فلفظة الجلالة رفعت بالابتداء ، ولفظة "ورسوله" عطفت عليها، وأحق أن يرضوه الخبر، ويقال لهم: جاز ردّ الضمير الواحد في لفظة "الله ورسوله" أحق أن يرضوه ولم يقل يرضوهما- الجواب أنّ رضى الرسّول رضى الله فترك، لأنّه دال عليه مع الإيجاز وكما قال الشاعر:

فمن يكُ أمسى بالمدينةِ رحلُهُ　　　فإنّي وقياراً بها لغريبُ

أي فإني لغريب وقياراً بها لغريب، فحذف، والتقدير - والله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن يرضوه ثم اجتزئ بأحد الخبرين عن الآخر . هذا مذهب سيبوبه . وللمبرد فيه قول : قال فيه تقديم وتأخير، والتقدير عنده: والله أحقّ أن يرضوه ورسوله . وقول سيبويه أحقّ، ولأن كل كلام يصح معناه على ترتيبه فليس لنا أن نغيّر ترتيبه،

هما أحق من ارضاء المؤمنين بالأيمان الكاذبة فانهم لو اتقوا الله وآمنوا به وتركوا النفاق لكان ذلك أولى لهم ، وافراد الضمير في يرضوه اما للتعظيم للجانب الالهي بافراده بالذكر أو لكونه لافرق بين إرضاء الله وإرضاء رسوله فارضاء الله إرضاء لرسوله أو المراد : الله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك (فتح القدير ٢/٣٧٦).

وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم - أي المسلمين - فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم: إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق (الكشاف ٢/١٩٩).

وموضع أن جر، والتقدير أحق بأن يرضوه، ثم حذفت الباء وهي مراده ، وهي كثيراً ما تحذف مع أن لطولها بالصلة.

١١-ومن خصائصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنّ الله تعالى أمر بتقديمه على النفوس على ما ثبت في الكتاب والسنة ومنهما استنبطته، فأمّا الكتاب العزيز فقال جلّ من قائل :﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**﴾[١٦٨]. أي أحقّ، وقد قدّمه الله في القرآن على الآباء والأبناء

---

[١٦٨])-الأحزاب الآية ٦

هذه الآية أزال الله تعالى بها أحكاماً كانت في صدر الاسلام منها أنه صلى الله عليه وسلم كان لايصلي على ميت عليه دين ، فلما فتح الله عليه الفتوح قال: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه ومن ترك مالاً فلورثته أخرجه الصحيحان . وفيهما أيضاً فأيكم ترك ديناً أو ضياعاً فأنا مولاه . وقال بعض العلماء العارفين : هو أولى بهم من أنفسهم ؛ لأن أنفسهم تدعوهم إلى الهلاك وهو يدعوهم الى النجاة (القرطبي ١٤/١٢٢).

قال ابن عطية ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم "أنا آخذ بحجزكم على النار وأنتم تتقحمون فيها تقحم الفراش " (فتح الباري ١١/٢٧٢ ومسلم شرح النووي ١٥/٤٩).

" النبي أولى بالمؤمنين في كلّ شيء من أمور الدين والدنيا ، من أنفسهم " ولهذا اطلق و لم يقيد فيجب عليهم أن يكون أحب اليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ اليهم من حكمها، وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها ، وأن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه إذا أعضل خطب ، ووقاءه إذا الفحت حرب وأن لايتبعوا ما تدعوهم إليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ، لأن كل ما دعا اليه فهو ارشادهم إلى نيل النجاة بالظفر بسعادة الدارين . تفسير الكشاف ٣/٢٥١ .

والأزواج والعشائروالأموال فقال جلّ من قائل:-﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍفِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَيَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾(١٦٩).فهذاكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وقد أمر الله جلّ جلاله

---

(١٦٩)- التوبة آيه ٢٤

في سبب نزول هذه الآية أقوال : أحدها - أنها نزلت في الذين تخلفوا مع عيالهم بمكة ولم يهاجروا قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني : أن علي ابن أبي طالب قدم مكة فقال لقوم : ألا تهاجرون ؟ فقالوا نقيم مع اخواننا وعشائرنا ومساكننا فنزلت هذه الآية قاله ابن سيرين .

الثالث : أنه لما نزلت الآية التي قبلها قالوا : يارسول الله إنا نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آ باءنا وعشيرتنا وذهبت تجارتنا وخربت ديارنا فنزلت هذه الآية .﴿زاد المسير ﴾٤١٢/٣ .

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لايطعم أحدكم طعم الايمان حتىيحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله أبعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه " ﴿فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ وعيد . عن ابن عباس : هو فتح مكة . وعن الحسن: هي عقوبة عاجلة أوآجلة وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها . كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف أروع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله ، والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والاخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله .الكشاف ١٨١/٢

فيه تعظيم هذا النبيّ المجيد، وأوجب فرض محبته وعظم قدرهـا ، وقـرّع مـن كـان مالــه وأهلــه أحَــب اليــه مــن الله ثــم أوعدهــم بقولــه: ﴿فَتَرَبَّصُواحَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ وما أوعد الله على فعله فهـو حـرام ، ثم فسّقهم وأعلمهم أنّهم ممن ضلّ و لم يهده الله،وأمّـا[170]السنّة الثابتـة ففي صحيـح البخـاري في كتـاب الأيمـان والنـذور: **حدّثني** يحيى بـن سليمان، قال حدثني ابن وهب، قال أخـبرني حيـوة، قـال حدثـني أبـو عقيل، زهرة بن معبد أنّه سمع جدّه عبد الله بن هاشـم قـال: "**كُنّـا مَـعَ**

---

[170]- الحديث

(أ) رواته :ثقات

(ب) درجته :إسناده صحيح

(ج) تخريجه : البخاري (١) كتاب الايمان والنذور - باب ٣كيف كانت يمـين النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال سعد قـال النبي صلى الله عليـه وسـلم والـذي نفسي بيده ، وقال أبو قتادة قال أبو بكر عند النبي صلى الله عليه وسلم لاهـا الله إذاً يقال والله وبالله وتالله جـ ٧ ص٢١٨ .لفظه .

(د) المفردات :

والذي نفسي بيده : أي والله الذي روحي بقبضتـه وتحت تصرفـه وهـو مما كـان يكثر صلىالله عليه وسلم القسم به لأن فيه إذعانـاً وتسـليماً وتعظيمـاً للمقسـم بـه وهو يفيد تأكيد القسم وأهمية المقسم عليه .

ومن يمين النبي صلى الله عليـه وسـلم - وايـم الله ، لا ومقلـب القلوب . ولذلـك كان حديثه صلى الله عليه وسلم صريحاً في حرمة من يحلف بغير الله حيث قال : " من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليذر " أي ليترك.

النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ مكررا يَا رَسُولَ اللهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ مِنْ نَفْسِي.، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ وَاللهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الآنَ يَا عُمَرُ" يعني أنت مؤمن.لما ثبت بإجماع أهل النقل من حديث قتادة عن أنس قال قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" لاَيُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ."[١٧١]وفي رواية عبدالعزيز، عن

---

[١٧١]- الحديث :

(أ) درجته : إسناده صحيح

(ب) تخريجه :

(١) البخاري كتاب الإيمان باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان ٩/١ نحوه .

(٢) مسلم كتاب الايمان باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والناس أجمعين ٦٧/١ لفظه حديث ٦٩و٧٠

(د) المفردات:

(١) أحب إليه من ولده : قال ابن بطال والقاضي عياض وغيرهما - المحبة ثلاثة أقسام - محبة اجلال واعظام كمحبة الوالد،ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد،ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس . فجمع صلى الله عليه وسلم أصناف المحبة في محبته .

أنس، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **لَايُؤْمِـنُ عَبْـدٌ**". وفي حديث عبد الوارث : "**الرَّجُلُ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِـهِ وَمَالِـهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**" . ولذلك جاءه الصدّيق بماله كلّه وقال تركت لأهلي الله ورسوله، وفداه علي المرتضى بنفسه ليلـة خروجـه إلى الغـار وعليـه برد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجلس في مكانه وعلى بابه مائـة من قريش ينتظرونه ليقتلوه بزعمهم ؛ فخرج عليهـم رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد حجبه الله عزّ وجلّ عنهم .

١٢) **ومـن خصائصـه صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ:** أنّ الله عـز وجل تولّى الجدال عنه، وكلّ نبيّ إنما جادل عن نفسه فيما نيـل منـه ، فمن ذلك قول قوم نوح عليه السلام، قال الله العظيم:﴿**قَـالَ الْمَلأُ مِـنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَـنَرَاكَ فِـي ضَـلاَلٍ مُبِـينٍ**﴾[١٧٢] فأجـابهم نـوح عليـه السـلام فقال:﴿**لَيْـسَ بِـي ضَلاَلَـةٌ وَلكِنِّـي رَسُـولٌ مِـنْ رَبِّ الْعَـالَمِينَ أُبَلِّغُكُـمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِـنَ اللهِ مَـا لاَتَعْلَمُـونَ**﴾[١٧٣] وقـال قوم هود:﴿**قَالَ الْمَلأُ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّـا**

---

(٢) لايؤمن أحدكم : أي لايؤمن الايمان التام . وإلا فأصل الإيمـان يحصـل لمـن لم يكن بهذه الصفة

[١٧٢]- سورة الاعراف الآية ٦٠

[١٧٣]- سورة الاعراف الآية ٦١

لَنظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِينَ*قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾(١٧٤) أي ضلالة من الحق وأصل السفاهة في اللغة،الجهل،دليل ذلك قوله تعالى:**﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾**(١٧٥)أي الجهال وقيل هورقةالحلم،والطيش، يقال :ثوب سفيه إذا كان خفيفاً، وقد يأتي بمعنى الكفر، قال الله العظيم: **﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾**(١٧٦) وهم اليهود ، وقد يأتي بمعنى النساء والصبيان كقوله جلّ وعلا **﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ﴾**(١٧٧).

وقد يأتي بمعنى الأبله العاجز، قال الله تبارك وتعالى: **﴿فَإِنْ كَانَ الذِي عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً ﴾**(١٧٨) وقد يأتي السفه بمعنى الهلاك

---

[١٧٤]- سورة الاعراف الآية ٦٦

[١٧٥]- سورة البقرة الآية ١٣

[١٧٦]- سورة البقرة الآية ١٤٢

[١٧٧]- سورة النساء الآية ٥

[١٧٨]- البقرة الآية ٢٨٣

جعل الله الذي عليه الحق أربعة أصناف - مستقل بنفسه يملُّ، وثلاثة أصناف لايُملُّونَ وتقع نوازلهم في كل زمن وكون الحق يترتب لهم في جهات سوى المعاملات كالمواريث أن يملَّ، فالسفيه المهلهل الرأي في المال الذي لايحسن الأخذ لنفسه ولا الإعطاء منها ، مشبه بالثوب السفيه وهو الخفيف النسيج . والبذيء اللسان يسمى سفيهاًلأنه لاتكاد تتفق البذاءة إلا في جهال الناس وأصحاب العقول الخفيفة ، والعرب تطلق السفه على ضعف العقل تارة وعلى ضعف البدن أخرى قال الشاعر:

قال الله العظيم:﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾(179) قال أبو عبيد معناه: إلاّ من أهلكها وأتعبها، وقال يونس النحوي: معناه إلاّ من سفه نفسه؛يذهب إلى أنّ فَعِلَ للمبالغة كما أنّ فعّل للمبالغة، والتشديد مذهب أهل التأويل . وقال الفراء: إلاّ من سفهت نفسه، فنقل الفعل عن النفس إلى ضمير من، ونصب النفس على التشبيه بالتفسير .

وقال أبو إسحق: القول عندي، أنّ سَفِهَ بمعنى جهل نفسه؛ أي لم يفكر في نفسه كقوله تعالى:﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾(180)

نخافُ أنْ تسفَهَ أحلامُنا ويجهلُ الدهرُ مع الحالمِ

وقال ذو الرمة :

مَشَيْنا كما اهتزَّتْ رماحٌ تسفَّهت أعاليها مرُّ الرياحِ النواسمِ

القرطبي ٣/٣٨٥-٣٨٦.

(179)- البقرة الآية ١٣٠

سبب نزول هذه الآية :أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه مهاجراً وسلمه إلى الإسلام ؛ فأسلم سلمة ، ورغب عن الاسلام مهاجر فنزلت هذه الآية قاله مقاتل ، قال الزجاج:"ومن " لفظها لفظ الاستفهام ومعناها التقرير والتوبيخ والمعنى : ما يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ويقال : رغبت في الشيء إذا أردته ، ورغبت عنه إذا تركته ، وملة إبراهيم دينه . (زاد المسير ١/١٤٧-١٤٨).

(180)- حدثني يونس قال أخبرناابن وهب قال تعالى:﴿وفي أنفسِكُمْ أفلا تُبْصِرُون﴾ وقرأ قول الله تبارك وتعالى:﴿ ومِنْ آياتِهِ أنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثم إذا أنتم بشرٌ تنتشرون ﴾ قال: وفينا آيات كثيرة هذا السمع والبصر واللسان والقلب لايدري

فوضع سفه موضع جهل، وعدي كما عدي وقال الأخفش: معناه سفه في نفسه فلما سقط حرف الخفض نصب ما بعده كقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾[١٨١] أي على عقدة النكاح، وأصل السفه راجع إلى المعنى الأول، والملأ الأشراف، وقيل الرؤساء؛

أحد ماهو أسود أو أحمر وهذا الكلام الذي يتلجلج به وهذا القلب أي شيء هو ؟ إنما هو مضغةفي جوفه يجعل الله فيه العقل أيدري أحد ما العقل وما صفته وكيف هو ؟ والصواب أن يقال معنى ذلك وفي أنفسكم أيضا أيها الناس آيات وعبر تدلكم على وحدانية صانعكم وأنه لا الـه لكم سواه " (تفسير الطبري ١٢٦/١١).

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

[١٨١]- والمعنى – لاتعزموا على عقدة النكاح في زمان العدة " حتى يبلغ الكتاب أجله؛ يريد تمام العدة. والكتاب هنا هو الحد الذي رسم من المدة وان الله تعالى حرم عقدة النكاح في العدة بنص الآية ، وهذا من المحكم المجمع على تأويله أن بلوغ أجله انقضاء العدة؛ فقول عمر وجماعة من العلماء أن ذلك لايويد تحريماً وأنه يكون خاطباً من الخطاب ، وقاله مالك وابن القاسم في المدونة ، وقال قوم من أهل العلم ذلك كالدخول في العدة يتأبد التحريم بينهما . وقال قوم من أهل العلم لايتأبد بذلك تحريم، وقال مالك والليث والأوزاعي يفرق بينهما ولا تحل له أبدا واحتجوا بأن عمر بن الخطاب قال لا يجتمعان أبداً ، وقال النووي والكوفيون والشافعي يفرق بينهما ولا يتأبد التحريم بل يفسخ بينهما ثم تعتد منه ثم يكون خاطباً من الخطاب واحتجوا باجماع العلماء على أنه لو زنى بها لم يحرم عليه تزويجها فكذلك وطوه إياها من العدة . **القرطبي ١٩٢/٣ -١٩٣**

وإنني ارجحه . / ع

لأنهم يملأون الصدور بعظم شأنهم، وقيل:هم الجماعة من الرجال ليس فيهم امرأة.

قال الحسن: كان تكذيبهم إياه عن الظنّ، وفي هذا الجواب للنبيّيْن الكريمَيْن أدب كثير، لأنّهما صلى الله عليهما إنّما ردّا على قومهما ما نسبه إليهما فقط، ونفيا عن أنفسهما ذلك ، وبيّنا أنّ الذي حملهما على الدعاء إلى الله عزّ وجل النصيحة وأداء الأمانة، والقيام بالرسالة وأنهما أمينان على ما ائتمنهما الله عليه من الرسالة لايكذبان،ولا يبدلان بل يبلغان ما أمر به ، وقال فرعون لموسى: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَامُوسَىٰ مَسْحُوراً﴾[182] يقول:معطى علم السحربهذه الآيات والعجائب التي تفعلها من سحرك؛ وقيل: أي معنى (مسحوراً): ساحر فوضع مفعولاً موضع فاعل؛ كما قيل: إنّك مشؤوم علينا، وميمون؛ إنما هو شائم ويامن ، فأجابه الكليم، وكان حديد الجواب غليظ الخطاب؛ ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾[183] يقول: ملعوناً ممنوعاً

[182])- (الاسراء الآيه ١٠١) إن في الآيتين مقارعة بالظن كأن موسى عليه السلام قال لفرعون ان ظننتني مسحوراً فأنا أظنك مثبوراً هالكاً ،وظني أصح من ظنك لأن له أمارة ظاهرة وهي إنكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله تعالى بعد وضوحها. وأما ظنك فكذب بحت لأن قولك مع علمك بصحة أمري إني لأظنك مسحوراً قول كذب . (تفسير النسفي ١٧١/٢) .

[183])- الاسراء الآية ١٠٢

من الخير، يقال ثبره بفتح الماضي يثبره بالكسر والضم، ويقال رجل مثبور: أي ممنوع من الخير محبوس عنه ملعون؛ قال ابن عباس: مثبور ملعون، وقال مجاهد : مثبور:مهلك، وقال أيضا قتادة وقال عطية: مثبوراً: مبدلاً، وقيل:مجنون لاعقل له وهو معنى قول ابن زيد وقد تضمنت الآيات أنَّ الله تعالى أرسل رسولاً يدعو إلى عبادة الله عزّ وجلّ وأنّه لا إله غيره فمن آمن نجا ومن كذّب وكفر هلك . والله جلّت قدرته هو الذي جادل عن عبده وصفيّه محمّد صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحين قالوا مجنون، قال الله العظيم:﴿**وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ**﴾[184] والمجنون الذي حجب الجنّ عقله أي سترته بحجاب؛ لأنه أصل الجنّ الستر يقال:جنَّ عليه الليل وأجنه إذا ستره بظلامه، وسمي الجنّ والجِنَّة لاستتارهم عن أعين النّاس وكذلك الجَنَّة لأن

وفي المثبور ستة أقوال : أحدهما : أنه الملعون رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال الضحاك . والثاني : المغلوب رواه الحوفي عن ابن عباس ، والثالث : الناقص العقل رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس . والرابع : المهلك رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال أبو عبيدة وابن قتيبة . قال الزجاج : يقال ثبر الرجل فهو مثبور إذا أهلك ، والخامس : الهالك قاله مجاهد ، والسادس : الممنوع من الخير تقول العرب ما ثبرك عن هذا أي ما منعك قاله الفراء قال أكثر المفسرين:الظن ها هنا بمعنى العلم على خلاف ظن فرعون في موسى وسوى بينهما بعضهم فجعل الأول بمعنى العلم أيضاً . (زاد المسير ٥/٩٤-٩٥).

١٨٤)- التكوير الآية ٢٢

سحرها يستر أرضها أو داخلها وجمعها جنّات وجنـان، والجُنّة بضـم الجيم والجمع جنن: وهي الدروع؛ لأنّها تستر لابسها ممـا يخافه ويقيه مما يحذره، والجنين ما استتر في بطن أمّه فإن خرج حيّاً فهـو ولـد، وإن خرج ميتاً فهو سقط، وقد ثبت في صحيح الحديث (١٨٥) إطلاق الاسـم

---

١٨٥)- لفظ الحديث في البخاري"حدثنا ابو اليمان أخبرنا شعيب قـال ابـن شـهاب يصلـى على كل مولود متوفى وان كان لغية من أجـل أنـه ولـد على فطـرة الاسـلام يدعـي أبـواه الاسلام أو أبوه خاصة وان كانت أمه على غير الاسـلام اذا استهل صارخـا صلي عليـه، ولايصلى على من لايستهل من أجل أنه سقط فان أبا هريرة رضـي الله عنـه كـان يحـدث قال النبي صلى الله عليه وسلم": مـا مـن مولـود الا يولـد علـى الفطـرة فـأبواه يهودانـه أو ينصرانه أو يمجسأنه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء " ثم يقـول أبو هريرة رضي الله عنه: " فطرة الله التي فطرها الناس عليها "

(أ) رواته :ثقات

(ب) درجته : اسناده صحيح

(ج) تخريجه : (١) البخاري كتاب الجنائز باب اذا اسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ؟

وهل يعرض على الصبي الإسلام ٩٧/٢ وأخرجه في كتاب الديات - ٤٥/٨.

(٢) ابن ماجه كتاب الجنائز ما جاء فيمن اصيب بسقط وقـد أورده بروايـات مختلفة عما جاء في صحيح البخاري . وزاد فيه الحديث عن ادخال أبويه الجنة .

وفي الزوائد أن الأحاديث التي جاءت في هذا الباب ضعيفة .

(٣) مسند أحمد ٢٤١/٥ على نحو ما في ابن ماجه.

(د) المفرادت :

(١) الغية : أي لغير بأن كانت أمة كافرة أو زانية .

عليه بعد خروجه استصحابا لما قيل . والجنن لقب لأنه ساتر،والجنان: القلب ، سمي بذلك لاستتاره، فإن قيل ما أصل تهمتهم لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنون؟ إذ لايجوز أن يكون القوم مع فضل حلومهم وجودة عقولهم واختيار الله لهم بسكناهم في أشرف البقاع، وأول أرض أجابت الله وتغذيهم بأبرك المياه من همزة أكرم ملائكة الله . فكيف ينبذون بما لايقارب ما قالوا فيه ولاشبهة لهم تقتضيه، قيل إنما تعلقوا بصورة خيالية وهي ما كان يعترضه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند نزول الملك عليه من العرق في اليوم الشديد البرد على ما صح باتفاق من حديث عائشة رضي الله عنها، وشدة حمرة وجهه وكثرة غطيطه على ما صح باتفاق من حديث يعلى بن أمية [186] حتى كأنه يغيب

---

(٢) الفطرة : هي الاستقامة والسلامة والتهيؤ بالطبع لقبول الدين .

(٣) السقط : بالكسر والتثليث لغة هو الولد الذي يسقط قبل تمامه ذكراً أو أنثى وهو مستبين الخلق.

(٤) يهودانه : يصرفانه عن قبول ماهو مهيأ له إلى ما هما عليه بتعليمهما وتأثيرهما.

(٥) جمعاء : لم يذهب من بدنها شيء سميت بذلك لسلامة جميع أعضائها .

(٦) جدعاء : ناقصة الخلقة وهي في الأصل التي قطع أو شقت أذنها بعد ولادتها.

[186])- لفظ الحديث في البخاري " حدثنا يعقوب ابن ابراهيم حدثنا اسماعيل حدثنا ابن جريح عطاء أن صفوان بن يعلى بن أمية أخبره أن يعلى كان يقول:ليتني أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه.قال:فبينا النبي صلى الله عليه بالجعرانه ،وعليه ثوب قد أظل به معه فيه ناس من أصحابه اذ جاءه أعرابي عليه

عن الدنيا، ويغطي وجهه المكرم برداء لكنهم أغفلوا ما وراء الصورة من المعنى بتركهم الانصاف، وطلب الفرق بينه وبين إغماء الجنون ونزول الشياطين بما أوضحه محكم القرآن وعلمه الأحبار وأهل الأديان قال الله العظيم :﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾[١٨٧]، والأفاك الكذاب، والأثيم: الفاجر مرتكب الآثام أثيم بمعنى آثم، وهذا بعينه

متضمخ بالطيب ، فقال يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمرة في جبه بعدما تضمخ بالطيب فأشار عمر إلىيعلى بيده أن تعال ، فجاء يعلى فادخل رأسه فإذا النبي صلىالله عليه وسلم محمر الوجه يغط كذلك ساعةثم سري عنه فقال أين الذي يسألني عن العمرة آنفا؟ فالتمس الرجل فأتي به فقال:أماالطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات،وأماالجبة فانزعهاثم اصنع في عمرتك كماتصنع في حجك"

(أ) رواته :ثقات .

(ب) درجته : إسناده صحيح .

(ج) تخريجه : البخاري كاب المغازي باب غزوة الطائف جـ ٥ ص ١٠٣

* مسلم كتاب الحج ما يباح لمحرم بحج أو عمرة،وما لايباح وبيان تحريم الطيب عليه جـ ١ ص٨٣٧ حديث٨ (١١٨٠)

(د) المفردات:

متضمخ بطيب : أي متلوث به مكثر منه .

يغط: قال في المصباح : غط النائم يغط غطيطاً – تردد نفسه صاعدا الى حلقه حتى يسمعه من حوله وسبب ما طرأ عليه صلى الله عليه وسلم من احمرار الوجه والغطيط حالة الوحي ثقله وشدته قال الله تعالى : ﴿انا سنلقي عليك قولا ثقيلا﴾.

[١٨٧])- الشعراء /٢٢١

الذي نظرته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها حين شكا إليها حاله مع الملك فقالت :"كلاّ أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتقري الضيف،وتعين على نوائب الحق "[188].

---

[188]- الحديث

(١) رواته : ثقات

(ب) درجته :اسناده صحيح

(ج) تخريجه :(١) البخاري كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جـ ١ ص٢ لفظه .

(٢) مسلم كتاب الايمان باب بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث ٢٥٢ (١٦٢) جـ ١ص ١٤١ مثله.وقد جاء في رواية لمعمر " لا يحزنك "

(د) المفردات:

كلا : وهي هنا كلمة نفي وإبعاد ، وهذا أحدمعانيها وقد تأتي - كلا بمعنى حقاً وبمعنى الا التي للتنبيه يستفتح بها الكلام،وقدجاءت في القرآن الكريم على أقسام .

* لايخزيك :الخزي هو الفضيحة والهوان .

* لتصل الرحم : صلة الرحم هي الإحسان إلى الاقارب على حسب حال الواصل والموصول فتارة تكون بالمال وتارة بالخدمة وتارة بالزيارة وغير ذلك .

* وتحمل الكل : الكل - وأصله الثقل ومنه قول الله تبارك وتعالى "وهو كل على مولاه" ويدخل في حمل الكل الانفاق على الضيف واليتيم والعيال وغير ذلك وهو من الكلال وهو الإعياء .

* وتكسب المعدوم : قال أبو العباس ثعلب وأبو سليمان الخطابي وجماعات من أهل اللغة كسبت الرجل مالاً وأكسبته مالاً ، لغتان - أفصحهما باتفاقهم كسبته بحذف الألف.

وأما معنى تكسب المعدوم ، تكسب غيرك المال المعدوم أي تعطيه اياه تبرعا وقيل معناه- تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الاخلاق ، ولعل هذا هو المعنى المراد إذ ان الناس حينذاك أحوج ما يكونون لمكارم الأخلاق ونظام شرع جديد يرفع عن كاهل الناس الشرك والفوضى ليحل محلها النظام وعبادة الله وحده .

* وتقري الضيف : قال أهل اللغة - يقال قريت الضيف أقريه قرى وقراء ، ويقال للطعام الذي يضيفه به قرى ويقال لفاعليه قار مثل قضى فهو قاض .

وتعين على نوائب الحق : النوائب جمع نائبه وهي الحادثة وإنما قالت نوائب لأن النائبة قد تكون من الخير وقد تكون من الشر .

قال لبيد :

نوائبُ من خيرٍ وشرٍ كلاهما فلا الخَيرَ ممدود ولا الشرُّ لاذبُ

قال العلماء رضي الله عنهم معنى كلام خديجة رضي الله عنها أنك لايصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق ومحاسن الشمائل .

أما لبيد :هو لبيد بن أبي ربيعة من مالك بن جعفر بن كلاب العامري . نشأ في نعمة من العيش فقد كان أبوه من الأغنياء وهو من شعراء الجاهلية ومن اصحاب المعلقات السبع فقد كان خير شاعر لقومه يمدحهم ويرثيهم .

وقد قال في الاسلام شعراً كثيراً ، ولكنه لم يجر على المنهج المألوف الممدوح يومذاك . ثم انه جاء عرضاً من حياته لم يتكسب به و لم يفاخر ولا أوقف شعره في سبيل الدعوة الاسلامية كما كان شأن حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك ،بل مايزال لبيد يعد من شعراء الجاهلية وهو القائل بعدإسلامه :

وهو حديث مجمع على صحته أخرجه البخاري مطولاً ومقطعاً في مواضع من حديث معمر ويونس وعقيل عن الزهري ، وهذا نصه في كتاب التفسير في سورة:﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾، وأخرجه مسلم والمصنفون من حديث عبد الرزاق وغيره فجعلت "[189] نفي الجنون وتلاعب الشيطان بنفي الإفك وإثبات الصدق، وحسن الطريقة ، ولذلك نفى الله عزّوجلّ عنه الشعربقوله جلّ من قائل:﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ وقال في الشعراء : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾[190] وهم الشياطين ، قاله مجاهدوقتاده

الحمد لله إذلم يأتني أجلي حتى اكتسبت من الإسلام سربلاً.

(شرح المعلقات السبع ٢١٣).

١٨٩)- في ب "هي " وهو خطأ

١٩٠)- الشعراء ٢٢٤

المعنى :أن الشعراء يتبعهم : أي يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون أي الضالون عن الحق ، والشعراء جمع شاعر ، والغاوون جمع غاو ، وهم ضلال الجن والانس . وقيل الزائلون عن الحق ، وقيل الذين يروون الشعر المشتمل على الهجاء وما لايجوز ، وقيل المراد شعراء الكفار خاصة " ألم ترأنهم في كل واد يهيمون " الخطاب لكل من تتأتى منه الريبة يقال : هام يهيم هيما وهيمانا إذا ذهب على وجهه ؛ أي الم ترأنهم في كل فن من فنون الكذب يخوضون،وفي كل شعب من شعاب الزور يتكلمون ، فتارة يمزقون الأعراض بالهجاء وتارة يأتون من المجون بكل ما يمجه السمع ويستقبحه العقل ، وتارة يخوضون في بحر السفاهة والوقاحة ويذمون الحق ويمدحون الباطل ويرغبون في فعل المحرمات ويدعون الناس إلى فعل المنكرات كما تسمعه في أشعارهم من مدح الخمر والزنا واللواط ونحو

وعكرمه ثم قال جلّ وعلا ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالاَ يَفْعَلُونَ ﴾ وبهذا الأصل نظر العلماء العاملون بالكتاب والسنة في نفي الشبه والفتن قال الله العظيم في فتنة عجل بني اسرائيل : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَيُكَلِّمُهُمْ ﴾ [١٩١] ونعوذ بالله من إلـهٍ أخرس ، وقال جلّ من قائل في فتنة النصارى بمسيحها وأمه : ﴿كَانَا يَأْكُلاَنِ [١٩٢] الطَّعَامَ ﴾ فعبرعن حدوثهما وأبان عن حلول العوارض البشرية بهما بحاجتهما إلى أكل الطعام ، وكنى بذلك وأشار إلى أنّ من يأكل الطعام يكون منه الحدث، وكل هذا مناف لصفات الجلال والألهية، فتضمنت الآية من البلاغة الإرداف والتتبع، والكناية والوحي والإشارة

هذه الرذائل الملعونة ، ثم قال سبحانه:" وأنهم يقولون مالا يفعلون " يقولون فعلنا وفعلنا وهم كذبة في ذلك فقد يدللون بكلامهم على الكرم والخير ولا يفعلونه ، وقد ينسبون إلى أنفسهم من أفعال الشر مالا يقدرون على فعله كما تجده في كثير من أشعارهم من الدعاوى الكاذبة والزورالخالص المتضمن لقذف المحصنات، وانهم فعلوا بهن كذا وكذا وذلك كذب محض وافتراء بحت. ثم استثنى سبحانه الشعراء المؤمنين الصالحين الذين أغلب أحوالهم تحري الصدق والحق (فتح القدير ١٢١/٤) وذلك في الآية التي تليها .

المفردات : الافك : أبلغ مايكون من الكذب . يهيمون : يسلكون كل طريق .

أخرس من الخرس : وهو انعقاد اللسان عن الكلام .

[١٩١]- الاعراف ١٤٨

[١٩٢]- المائدة ٧٥

فإنّ تحت قوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ معان عظيمة. وفصولاً كثيرة وعلوماً غزيرة .

وقالوا : شاعر. فقال : جلّ وعلا:﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾[193] ما: حرف نفي، والهاء مفعول أول، والشعر مفعول

---

[193])- سورة يس الآية ٦٩.

المعنى نفي كون القرآن شعرا ثم نفي أن يكون النبي شاعرا فقال ﴿وما ينبغي له﴾ أي لا يصح له ولا يتأتى منه، ولا يسهل عليه لو طلبه وأراد أن يقوله؛ بل كان صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن ينشد بيتا قد قاله شاعر متمثلا به كسر وزنه فانه لما أنشد بيت طرفة بن العبد المشهور وهو قوله :

ستبدي لك الأيامُ ما كنت جاهلاً ويأتيكَ بالاخبارِ من لم تزودِ

قال : ويأتيك من لم تزوده بالأخبار ، وأنشد مرة أخرى قول العباس بن مرداس السلمي :

نجعل نهبى ونهبَ العبيـ ـدِبين عيينةَوالأقرعِ

فقال : بين الاقرع وعيينة . وأنشد أيضا : كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهياً

فقال أبو بكر يارسول الله انما قال الشاعر : كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً

فقال أشهد انك رسول الله بقول الله عز وجل:﴿وماعلمناه الشعر وما ينبغي له﴾ وقد وقع منه صلى الله عليه وسلم كثير من مثل هذا . قال الخليل :كان الشعر أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن لايتأتى منه وأما ماروى عنه من قوله صلى الله عليه وسلم :/هل أنت إلا أصبع دميت / وفي سبيل الله ما لقيت / ونحو ذلك فمن الاتفاق الوارد من غير قصد فانه ليس بشعر ولا مراد به الشعر قال الخليل :في كتاب العين إن ما جاء من السجع على جزأين لايكون شعراً فتح القدير ٣٧٩/٤

ثان، والهاء عائدة إلى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أي وما علمنا محمّداً الشعر، وما ينبغي له أن يكون شاعراً؛ إن هو إلا ذكر . إن بمعنى: ما وهو ابتداء، وإلا ذكر خبره أي: ما محمد إلا ذكر لكم أيها الناس ذكركم الله بإرساله إياه إليكم، ونبهكم به على خطئكم، وهذا الذي جاءكم به قرآن مبين لمن تدبره، ولما اختلف اللفظ كرر، لأن الكفار زعموا أنه شعر فنفى الله عزّ وجلّ عنه الشعر أي ليس بشاعر، فأوجب أنّ الذي أتى به من قبل الله، وأنه مباين لكلام الناس وأوزان الشعر، وجعله معجزة للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمره أن يتحداهم بسورة من مثله فأعجز الله عن ذلك جميع العرب إلى وقتنا هذا وإلى يوم القيامة. وقالوا: أفترى القرآن؛ فقال الله العظيم: ﴿**وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ**﴾[١٩٤]. والافتراء: الكذب، والفرية: الكذبة، يقال منه فري بكسر الراء يفري إذا كذب .

---

[١٩٤]- سورة يونس الآية ٣٧

قال الزجاج : هذا جواب قولهم :﴿ إيت بقرآن غير هذا أو بدله ﴾ وجواب قولهم " افتراه " وقال الفراء ومعنى الآية :ما ينبغي لمثل هذا القرآن أن يفترى من دون الله فجاءت أن على معنى ينبغي : ولكن تصديق الذي بين يديه " فيه ثلاثة أقوال - أحدها - أنه تصديق الكتب المتقدمة قاله ابن عباس فعلى هذا . انما قال " الذي " لأنه يريد الوحي الثاني - ما بين يديه من البعث والنشور ذكره الزجاج . الثالث - تصديق النبي صلى الله عليه وسلم الذي بين يدي القرآن لأنهم شاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم وعرفوه قبل سماعهم القرآن ، ذكره ابن الأنباري " وتفصيل

وقالوا : إنما يعلمه بشر ؛ فقال جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[١٩٥]. أي ولقد نعلم يا محمّد أنَّ هؤلاء المشركين يقولون جهلاً منهم إنما يعلم محمدا هذا الذي يتلوه بشرمن بني آدم . فكذبهم الله في قولهم وبين كذبهم بأنّ لسان الذي يلحدون إليه:أي يميلون إليه؛ يقال لحد وألحد لغتان وأصله الميل؛وقد اختلف العلماء في اسم الذي كان المشركون يزعمون أنه يعلم محمّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الكتاب" أي وبيان الكتاب الذي كتبه الله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم . الفرائض التي فرضها عليهم . زاد المسير ٣٢/٤.

١٩٥)- سورة النحل الآية ١٠٣

اراد بالبشر غلاماً كان لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وحسن إسلامه اسمه عائش أو يعيش،وكان صاحب كتب وقيل هو حبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي ، وقيل عبدان : حبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لأحدهما.فقال : بل هو يعلمني ، وقيل:سلمان الفارسي . واللسان – اللغة . ويقال: اللحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود : إذا حفره أمال حفره عن الاستقامة فحفرفي شق منه ثم استعير لكل إمالة عن استقامة، فقالوا : ألحد فلان في قوله والحد في دينه،ومنه الملحد لأنه أمال مذهبه عن الاديان كلها " أعجمي " غيربين "وهذا " القرآن " لسان عربي مبين " ذو فصاحة وبيان. (٢) الكشاف ٤٢٩/٢

هذا القرآن من البشر فقال ابن عباس[١٩٦]: كان اسمه بلعام، وكان فتى بمكة نصرانياً وقال عكرمة[١٩٧] وقتادة[١٩٨]: كان اسمه يعيش وكان يقرأ الكتب عند الحضرمي، واسمه عبد الله، والد العلاء بن الحضرمي وقال ابن اسحق اسمه جبراً وعبد الله بن كثير، وقال عبيد الله بن مسلم كانا غلامين: اسم أحدهما يسار والآخر جبر يقرآن كتاباً لهما بلسانهما فإذا مرّ بهما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقوم عندهما فيستمع منهما. فقال المشركون:تعلم منهما فأنزل الله تعالى يكذبهم فيما يقولون، وقيل:كانا من أهل عين النمر وكانا صقلبيين، وقال الضحاك:على علله كانوا يقولون إنما يعلمه سلمان الفارسي، وهو

---

[١٩٦])- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفهم في القرآن فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه وقال عمر : لوأدرك ابن عباس اسناننا ماعاشره منا أحد ، مات سنة ثمان وستين بالطائف وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة . روى له الجماعة . (تقريب التهذيب ٤٢٥/١).

[١٩٧])- عكرمة بن أبي جهل بن هشام المخزومي صحابي أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه واستشهد بالشام في خلافة أبي بكر على الصحيح . (تقريب التهذيب ٢٩/٢).

[١٩٨])- قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري الظفري بمعجمة وفاء مفتوحتين؛ صحابي شهد بدراً وهو اخو أبي سعيد لأمه مات سنة ثلاث وعشرين على الصحيح. (نفس المرجع السابق).

معنى قول الثقة: مجاهد بن جبر وهذا باطل بيقين، فإنّ سورة النحل مكية إلاّ ثلاث آيات ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَاعُوقِبْتُمْ بِهِ...﴾إلى آخرها، نزلت حين رجع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أحد ، وسلمان إنما أسلم بالمدينة بعد نزول كثير من القرآن فبطل هذا القول بأوضح البرهان، وقيل: قائل ذلك كاتب كان لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بني النجار ارتد عن الإسلام فافتتن الناس به لأنه كان يكتب الوحي، وكان يملي عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :سميع عليم أوعزيز حكيم أوغير ذلك من خواتم الآي . ثم يشتغل عنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وهو على الوحي فيستفسر رسول الله صلى الله عليه وسلمَ فيقول : عزيزحكيم أو سميع عليم أو عزيز عليم؛ فيقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي ذلك كتبت فهو كذلك، ففتنه ذلك؛ فقال إنّ محمّداً يكل ذلك إليّ فأكتب ما شئت، فقال ابن شهاب[199]: وهو الذي ذكر أنّ سعيد بن المسيّب قرأ به من الحروف السبعة .

---

[199]- محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة ابن كلاب القرشي الزهري ، وكنيته أبو بكر الفقيه الحافظ متفق على جلالته واتقانه ، وهو من رؤوس الطبقة الرابعة مات سنة خمس وعشرين وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين / روى له الجماعة .(تقريب التهذيب ٢/٢٠٧).

قال ذو النسبين أيده الله: فلمّا تنصّر هذا الكاتب لعنه الله ظهرت فيه معجزة عظيمة فدفن فلم تقبله الارض.

واعلموا رحمكم الله أنّ مثل هذه الحكاية لاتوقع في قلب مؤمن ريبا لعصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هي حكاية عن من ارتدّ وكفر بالله؛ فقد أجمعنا على إسقاط خبر المسلم المتّهم، فكيف بكافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله مشكك للمسلمين، ولم يصح عن أحدمن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين أنّه شاهد ماقاله وافتراه ﴿**إنّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بآيَاتِ اللهِ وَ أُولئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ**﴾[200] وقال بعض العلماء : يحتمل أن يكون فيما يكتبه عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى الناس من غير القرآن، فيصف الله عزّ

---

[200]- سورة النحل الآية ١٠٥

أخبر الله تعالى أن رسوله صلى الله عليه وسلم ليس بمفتر ولا كذاب لأنه انما يفتري الكذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم شرار الخلق : "الذين لايؤمنون بآيات الله " من الكفرة والملحدين المعروفين بالكذب عند الناس . والرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان أصدق الناس وأبرهم وأكملهم علماً وعملاً وايماناً وايقاناً ، معروفا بالصدق في قومه لايشك في ذلك احد منهم بحيث لايدعى بينهم إلا بالأمين محمد؛ ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن تلك المسائل التي سألها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما قال له : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال لا. فقال هرقل : فما كان ليدع الكذب على الناس ويذهب فيكذب على الله عز وجل . (ابن كثير ٥٨٨/٢).

وجلّ ويسميه كيف شاء، والقول الأول هو الذي عليه المعول، فحديثه متفق على صحته.[٢٠١] خرّج البخاري عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس، قال: كان رجلاً نصرانياً فأسلم، وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتب للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فعاد نصرانياً، فكان يقول: مايدري محمّد إلاّ ماكتبت له فأماته الله فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا:هذا فعل محمّد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا؛ فحفروا له فأعمقوا له؛فأصبح وقد لفظته الأرض،فقالوا : هذا فعل محمّد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لّما هرب منهم، فألقوه خارج القبر،فحفروا له فأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا؛ فأصبح وقد لفظته الأرض فعلموا أنّه ليس من الناس فألقوه".وفي صحيح مسلم من

---

[٢٠١]- البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الاسلام جـ ٤ص ١٨١ لفظه.

(أ) رواته:ثقات

(ب) درجته : اسناده صحيح

المفردات :

نبشوا : نبش نبشا- الشيء المستور أبرزه ، الكنز من الأرض ، كشفه واستخرجه ومنه نبش القبر كما جاء في هذا الحديث .

فأعمقوا له : العمق ، البير بعد قعرها فهي عميقة .

حديث سليمان[٢٠٢] بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس، قال:"كان فينا رجل من بني النجار، وقد قرأ البقرة وآل عمران فكان يكتب لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فأسلم وانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب قال فرفعوه، وقالوا هذا كان يكتب لمحمّد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) فأعجبوا به فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم، فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت الارض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها فتركوه منبوذاً"[٢٠٣]. وزاد الإمام أحمد في مسنده[٢٠٤] وهي من فوائده قال: **حدّثنا** يزيد[٢٠٥] بن

---

٢٠٢)- سليمان بن المغيرة القيسي مولاهم البصري أبوسعيد ثقه قال يحي بن مغين من السابعة أخرج له البخاري مقرونا وتعليقا مات سنة خمس وستين . روى له الجماعة.

٢٠٣)- مسلم كتاب صفات المنافقين جـ٣ ص٢١٤٥ حديث ١٤ (٢٧٨١) لفظه.

(أ) درجته أصحيح بسنده

المفردات :

قصم الله عنقه أي أهلكه .

نبذته على وجهها :أي طرحته على وجهها ، عبرة للناظرين .

٢٠٤)- مسند أحمد جـ ٣ ص ٢٢٢ . وقد جاء هذا الحديث بزيادات مفيدة لم تكن في صحيحي البخاري ومسلم. وكل الروايات عن أنس .

هارون، قال أخبرنا حميد،[٢٠٦] عن أنس،[٢٠٧] أنّ رجلاً كان يكتب للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وكان قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا؛ يعني عظم؛ فكان النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يملي عليه غفوراً رحيماً فيكتب عليماً حكيماً؛ فيقول للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أكتب كذا وكذا، فيقول:أكتب كيف شئت،ويملي عليه عليماً حكيماً؛ فيقول: أكتب سميعاً بصيراً، فيقول: أكتب كيف شئت فارتد ذلك الرجل عن الإسلام فلحق بالمشركين، وقال أنا أعلمكم بمحمّد إن كتبت لأكتب ما شئت، فمات ذلك الرجل فقال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إنّ الأرض لاتقبله. قال أنس: فحدثني أبو طلحة أنّه أتى الأرض التي مات فيها ذلك الرجل فوجده منبوذاً. قال أبو طلحة: ما شأن هذا الرجل؟ قالوا: دفنّاه مراراً فلم تقبله الأرض.

---

(٢٠٥)- يزيد بن هارون بن زادان السلمي مولاهم أبو خالد الواسطي ثقة متقن عابد من التاسعة مات سنة ست ومائتين وقد قارب التسعين وروى له الجماعة تقريب التهذيب ٢/٣٧٢

(٢٠٦)- حميد بن أبي حميد الطويل أبو عبيدة البصري ثقة مدلس وعابه زائد لدخوله في شيء من أمر الأمراء في الخامسة مات وهو قائم يصلي . وروى له الجماعة . المرجع السابق ١/٢٠٢.

(٢٠٧)- أنس بن مالك بن النضر الانصاري الخزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم خدمه عشر سنين صحابي مشهور مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة روى له الجماعة . المرجع السابق ١/٨٤.

هذا سند صحيح، وأبو طلحة اسمه زيد بن سهل الأنصاري البخاري من خيار الصحابة وشجعانهم ورماتهم، شهد العقبة ثم شهد بدراً، وما بعدها من المشاهد رضي الله عنه.

شرح ما تقدم في هذين الحديثين الصحيحين من الغريب.

قوله: لفظته الأرض، أي طرحته الأرض، وقوله: فأعمقوا بالعين المهملة: أي أبعدوا في الأرض، ومنه قوله جلّ وعلا: ﴿**مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾[٢٠٨] أي بعيد المذهب، وقوله: فقصم الله عنقه: أي أهلكه، وأصله الكسر، ومنه قوله جلّ من قائل:﴿**وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ**﴾أي اهلكنا، والمنبوذ في اللغة: المطروح، ولا يسمى لقيطاً إلا بعد أخذه.

وقيل :هو غلام للفاكه بن المغيرة اسمه جبر كان نصرانياً وكانوا إذا سمعوا من النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ما مضى، وما هو آت، مع أنه أمي من أمة أمية لا يحسب ولا يكتب على ماثبت في الصحيحين عن ابن عمر عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: "نَحْنُ أُمَّةٌ أُمِّيَةٌ.." الحديث[٢٠٩]. فقالوا إنّما يعلمه بشر فقال الله العظيم: ﴿ **لِسَانُ الَّذِي**

---

٢٠٨)- سورة الحج الآية ١١

٢٠٩)- لفظ الحديث في البخاري " حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا الاسود بن قيس حدثنا سعيد بن عمر و أنه سمع ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : انا أمة أمية لانكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا - يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين "

يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ أي كيف يعلمه جبر - وهو أعجمي - هذا الكلام الذي لايستطيع الجنّ والإنس أن يعارضوا منه سورة واحدة فما فوقها، وكان مولاه يضربه ويقول له: أنت تعلّم محمّداً (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) فيقول: لا والله بل هو يعلمني ويهديني.

(أ) رواته ثقات

(ب) درجته :اسناده صحيح

(ج) تخريجه : (١) البخاري كتاب الصوم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا نكتب ولانحسب جـ ٢ ص٢٣٠ .

(٢) مسلم كتاب الصوم وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال جـ ١ص ٧٦١ رقم الحديث ١٥ لفظه .

(٣) النسائي كتاب الصوم باب ذكر الاختلاف على يحيى بن أبي كثير في خبر أبي سلمة فيه جـ ٤ ص ١٤٠ لفظه .

(٤) أبو داود كتاب الصوم الشهر يكون تسعاً وعشرين جـ ٢ / ص ٧٣٧ - ٧٤٠ لفظه رقم الحديث ٢٣١٩.

(د) المفرادات :

أمة أمية : إنما قيل لمن لا يقرأ ولا يكتب " امي " منسوب إلى أمة العرب فكانوا لايكتبون ولا يقرأون أوعلى معنى : أمي - باعتبار أنه باق على الحالة التي ولدته أمه في عدم معرفة الكتابة والحساب،وفي القرآن الكريم:" هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم " (الجمعة ٢) .

وقالوا: كاهن فقال جلّ وعلا: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾[210]
والكاهن في اللغة: الذي يخبر بما يكون في المستقبل مما يخبره به صاحبه من الجنّ من استراق خبر السماء، والعرّاف: هو الذي يأخذ الأمور بالظنّ والتخمين، والطرق: هو الضرب بالحصى، وأشياء ليست من جهة الجنّ كأنّه يدّعي معرفة الغيب،وقيل: العرّاف هو الذي يخبر بما أخفي مما هو موجود.

وقالوا: ضلّ محمّد فقال الله عزّ وجلّ: ﴿مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَاغَوَى﴾[211] (النجم ٢) أي ماحاد محمّد أيّها الناس عن الحق، ولا زال عنه، ولكنّه

---

[210]- الحاقة الآية ٤٣.

[211]- الخطاب لقريش وهو جواب القسم، والضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد : أي هو مهتد راشد ، وليس كما تزعمون من نسبتكم إياه إلى الضلال والغي ، وما آتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه،وإنما وحي من عند الله يوحي إليه (الكشاف ٤ /٢٨).

والغاوي : هو العالم بالحق العادل عنه قصدا إلى غيره ؛ فنزّل الله رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى،وطرائق اليهود،وهي علم الشيء وكتمانه والعمل بخلافه . (ابن كثير ٤/٢٤٦).

فصاحبكم راشد غير ضال مهتد غير غاو ومخلص غير مغرض مبلغ بالحق عن الحق غير واهم ولا مفتر ولامبتدع ولاناطق عن الهوى فيما يبلغكم من الرسالة إن هو إلا وحي يوحى إليه صادقا أمينا . هذا الوحي معروف حامله مستيقن طريقه مشهودة رحلته - رآه الرسول صلى الله عليه وسلم - رأي العين والقلب فلم يكن واهما ولا مخدوعاً . (في ظلال القرآن ٦/٣٤٠٦).

على استقامة وسداد. و"غوى" عطف على " ما ضل"، و"صاحبكم"، رفع بضلّ، وهذا كله جواب القسم، يقال: غوى بفتح الواو ويغوي بكسرها في المضارع غياً، وهو غاوٍ إذا خاب. قال الشاعر:

فَمَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ   وَمَنْ يَغْوَ لاَ يَعْدَم عَلَى الغَيِّ لاَئِماً.

ومن يغوأي من (تحب)[٢١٢] هذا من الغي، وغوى بكسر الواو في الماضي الفصيل يغوَى بفتحها في المضارع غوى من اللبن إذا بشم، فقوله جل وعلا: " وما غوى" أي ما صار غوياً ولكنه رشيد سديد نبي مجيد.

وقالوا: قلاه أي أبغضه. : قال أهل اللغة:هو البغض والقلي؛ فأنزل الله عزّ وجلّ تكذيبهم في قيلهم لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم؛ فقال جلّ من قائل: ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾ وهو في موضع خفض بواو القسم من ضحا يضحو مقصور، والليل عطف على والضحى، أقسم جلّ وعلا بالضحى،وهو النّهار كله يقال: ضحى فلان للشمس إذا ظهر لها، ومنه قوله جلّ وعلا: ﴿ لاَتَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى﴾[٢١٣] أي لا يصيبه العطش ولا تصيبه الشمس وقال

---

[٢١٢]- في أ " نحب " وفي ب" يحب " ولعله الصحيح .

[٢١٣]- طه الآية ١١٩

قتادة: عن وقت الضحى، والضحى من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيض الأرض جداً. قال أبو حاتم: تصغير الضحى ضحيٌّ، و لم يقولوا: ضحية على القياس، كرهوا أن تختلط بتصغير ضحوة والضحا بفتح الضاد والمد مذكر بخلاف الأول، وهو من لدن انقضاء الضحى إلى قريب من نصف النهار .﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ يقال سجا يسجو معناه إذا أقبل بظلامه قاله ابن عباس والحسن،وفي رواية أخرى عن ابن عباس إذا سجا إذا ذهب، وقال آخرون إذا استوى وسكن واستقر ظلامه؛ قاله مجاهد وقتادة والضحاك، وهذا تنبيه لنا على ما فيهما من تدبير رب العالمين، وأنّه ليس كتدبير المخلوقين مع تأكيد المقسم عليه

فان نفي الظمأ يستلزم حصول الري ووجودالمسكن الذي يدفع عنه مشقة الضحو؛ يقال : ضحى الرجل يضحى ضحواً إذا برز للشمس فأصابه حرها وذكر سبحانه هاهنا أنه قد كفاه الاشتغال بأمر المعاش ، وتعب الكد في تحصيله ولاريب أن أصول المتاعب في الدنيا تحصيل الشبع والري والكسوة والسكن ، وما عدا هذه ففضلات يمكن البقاء بدونها وهو إعلام من الله سبحانه لآدم أنه إن أطاعه فله في الجنة هذا كله ، وإن ضيع وصيته و لم يحفظ عهده أخرجه من الجنة إلى الدنيا،ويحل به التعب والنصب بما يدفع الجوع والعري والظمأ والضحو (فتح القدير ٣/٣٩٠).

ويتضح من هذا أن الله سبحانه وتعالى وجه آدم إلى طاعته وعدم معصيته فان خالف ذلك فسينزله إلى الدنيا دار الشقاء والتعب، وهذه الوصية والتوجيه يشملان ذريته فان من أطاعه أدخله الجنة فينعم بما فيها من نعيم مقيم ، ومن عصاه أدخله النار وما فيها من العذاب الأليم /ع

وهو محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أن الله عزّ وجلّ ما ودّعه أي ما تركك ربّك يا محمّد وما أبغضك؛ لأن وما قلى معناه وما قلاك اكتفى بفهم السامع بمعناه إذا كان قد تقدم ذلك.ثبت في الصحيحين [٢١٤] عن

---

[٢١٤]- الحديث

(أ) رواته :ثقات

(ب) درجته :إسناده صحيح

(ج) تخريجه :(١) البخاري كتاب تفسير القرآن باب : ما ودعك ربك وما قلى جـ ٦ ص٨٦ لفظه .

(٢) مسلم كتاب الجهاد والسير :باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم لفظه ، عدا ما ذكره البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه ١٤٢٢/٢.

(٣) الترمذي كتاب التفسير باب ومن سورة والضحى ٤٤٢/٥ ورقم الحديث ٣٣٤٥ وقال أبو عيسى :هذا حديث حسن صحيح ، وقد أورد بألفاظ قليلة بعضها مغاير لما في الصحيحين .

وقد وقع في رواية أخرى عند الحاكم قالت خديجة، وأخرجه الطبري عن طريق عبد الله ابن شديد فقالت خديجة :ولا أرى ربك لما ترى من جزعه ،وهذان طريقان مرسلان . والذي يظهر أن كلاً من أم جميل امرأة أبي لهب وخديجة قالت ذلك،لكن أم جميل عبرت بلفظ شيطانك لكونها كافرة ، وخديجة كونها مؤمنة عبرت بلفظ ربك او صاحبك ، وام جميل شماتةوخديجة قالت توجعاً .(فتح الباري١٠/٣٣٩).

(د) الفردات :

(١) قربك :بكسر الراء والمضارع يقربك بفتحها ، أي دنامنك .

(٢) سجى : أي سكت وستر الأشياء بظلمته .

الأسود بن قيس، قال: سمعت جندب بن سفيان، قال: " اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَلَمْ يَنَمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا؛ فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ:يَا مُحَمَّدُ إِنِّي لأَرْجُو اللهَ أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ. لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ (١) مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلاَث فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) ما ودَّعك (٣) ربُّكَ وما قَلى (٤)﴾ يروى بالتشديد والتخفيف بمعنى واحد ما تركك ربك، وذكر البخاري عن ابن عباس ما تركَكَ وما أبغضَكَ.

قال ذو النسبين أيده الله: وقد ذكر أصحاب الغوامض والمبهمات اسم هذه المرأة وكل ذلك من الترهات الذي لا يصح عن العدول الأثبات، ذكر شيخنا القاضي أبو القاسم ابن بشكوال في كتاب الغوامض والمبهمات له، وهي في ثلاثة عشر جزءاً النسخة الكملى عند قول جندب فقالت امرأة، وأورده في تفسير القرآن للنسائي و لم يسنده النسائي فقال أبو القاسم: هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وجده في أعلام النبوة بأسانيد مجهولة

---

(٣) ودع : أي ترك المودع ،ومن ودع أحدا مفارقاً له فقد بالغ في تركه وسمي الوداع وداعاً لأنه فراق ومتاركة .

(٤) وما قلى : أي وما قلاك ، يعني ما أبغضك .

منقطعة، ثم قال: وقد جاء أنها عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ذكر ذلك سنيد ابن داود في تفسيره[٢١٥].

قال ذو النسبين أيده الله: وهذا كله باطل، "سنيد" ضعفه أبو داود، وقال أبو عبد الرحمن النسائي: ليس بثقة، وشيخنا أبو القاسم رحمه الله كان من الثقات الأخيار وغير[٢١٦] عالم بصحيح الأخبار ونقد الآثار، وذلك أنه مخالف لحسن ظنّ خديجة في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجميل رأيها فيه، وأنّها كانت له عوناً على الطاعة كما جاء في الحديث، وكأنّها بإلهام الله تعالى لها أطلعها على ما يكون منه، وكانت تسأل له الكهّان قبل الإسلام بزمان فكيف أن تقرن معه الشيطان.

---

[٢١٥]) الأقوال الواردة في هذا الشأن كثيرة، فمنها ما أخرجه الغرياني وعبد بن حميد وسعيد بن منصور وابن جرير والطبراني وابن مردويه عن جندب قال: أبطأ جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال المشركون:قد ودع محمد؛فنزلت: ﴿ما ودعكَ ربُّكَ وما قلى﴾. وأخرج الطبراني عن جندب قال احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالت بنت عمه: ما أرى صاحبك إلا قلاك فنزلت: والضحى، واخرجه الترمذي وصححه وابن ابي حاتم عن جندب، وفيه فقالت له امرأة: ما أرى شيطانك إلا وقد تركك فنزلت والضحى. (فتح القدير ٥/٤٥٦).

وانني أرجح أن قائل ذلك هم المشركون ذلك لأنهم كانوا يتابعون الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما يحدث ظناً منهم أن الوحي سينقطع أبداً وأن مسيرة الإسلام ستتوقف حتى يخلو المجال لطغيانهم واستبدادهم وآلهتهم التي تعبد من دون الله /ع.

[٢١٦] في (أ) و(ب) بغير "واو".

وأمّا عائشة رضي الله عنها فلم تكن ولدت في ذلك الوقت فنسبة ذلك إليها من الكذب البحت، والصحيح أنّ المشركين قالوه فنكبوا عن قول أهل الجهل وأخذوه.

لما أخرجه مسلم في صحيحه، قال: **حدّثنا** إسحق بن إبراهيم، قال: أخبرنا سفيان بن قيس أنّه سمع جندباً يقول: "أَبْطَأَ جِبْرِيلُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: قَدْ وُدِّعَ مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى** ... ﴾ الى آخر الآية[٢١٧].

فبيّن أنّ المشركين قالوه:﴿**وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾ "لولا" ها هنا بمعنى "هلاّ أنزل"؛ أي وقال المشركون بالله من قريش: لمّا جاءهم القرآن، هذا سحر فإن كان حقاً

---

[٢١٧]) درجته: صحيح بسنده.

تخريجه: (١) مسلم كتاب الجهاد والسير باب مالقي النبي صلى الله عله وسلم من أذى المشركين والمنافقين. حديث ١١٤ (١٧٩٧) ج١ ص ١٤٢١/٢.

المراد بالقريتين مكة والطائف ، وبالرجلين : الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف كذا قال قتادة وغيره، وقال مجاهد وغيره: عتبة بن ربيعة من مكة، وعمير بن عبد ياليل الثقفي من الطائف، وقيل غير ذلك، وظاهر النظم أن الراد رجل من أحد القريتين عظيم الجاه من عظماء القريتين فأجاب الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ (فتح القدير ٥٥٣/٤ ٥٥٤).

فهلاّ نزل على رجل من القريتين عظيم، أي على رجل من رجلي القريتين، فحذف ذلك؛ كما قال: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾، واختلف في الرجل الذي وصفوه بأنّه عظيم فقيل: هو الوليد بن المغيرة المخزومي، من أهل مكة، ومن أبطن قريش وأعيانها، أو عروة بن مسسعود الثقفي عين أهل الطائف وهذا قول مختار عند الحذاق من أصحابنا؛ لأنّ الوليد بن المغيرة قال: لو كان ما يقوله محمّد حقاً أنزل علي، أو على أبي مسعود الثقفي، فهذا سبب نزول هذه الآية.

وقيل هو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي من أهل الطائف أيضاً، روي ذلك عن ابن عباس بأسانيد ضعيفة، وقيل عتبة بن ربيعة القرشي المكّي، وقيل هو ابن عبد ياليل من أهل الطائف فأجابهم الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾[٢١٨] أهولاء يا محمد يقسمون

---

(٢١٨) الزخرف الآية ٣٢.

وتقرير هذا الجواب من وجوه أحدها: أنا أوقعنا التفاوت في مناصب الدنيا و لم يقدر أحد من الخلق على التغيير، فالتفاوت الذي اوقعناه في مناصب الدين والنبوة بأن لا يقدروا على التصرف فيه كان أولى. وثانيها أن يكون المراد: أن اختصاص ذلك الغنى بذلك المال الكثير إنما كان لأجل حكمنا وفضلنا وإحساننا اليه فكيف يليق بالعقل أن نجعل احساننا اليه بكثرة المال حجة علينا في أن نحسن اليه أيضا بالنبوة.

رحمة ربك بين خلقه فيجعلون كرامته لمن شاؤوا وفضله عند من أرادوا أم الله يقسم ذلك فيعطيه من أحب ويحرمه من شاء تعالت قدرته وجلّت عزته، وقد عاب الله عزّ وجلّ عدو محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بعشر خصال، فقال جلّ من قائل: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ* هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ* مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ* عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ* أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ* إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ* سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾[٢١٩].

أي لا تطع يا محمّد كل مكثار للحلف بالباطل مهين أي ضعيف وقيل المهين: الكذّاب فلولا مهانة نفسه لم يستعمل الكذب، وقال

وثالثها: أنا لما أوقعنا التفاوت والإحسان بمناصب الدنيا لا لسبب فلم لا يجوز أيضا أن نوقع التفاوت من الإحسان بمناصب الدين والنبوة لا لسبب سابق. (تفسير الفخر الرازي ٢٧/٢٠٨).

"أهم يقسمون" الهمزة للإنكار والمراد برحمة الله هنا النبوة المعنى:هل أمر النبوة بيد الطغاة المترفين ليختاروا لها من يشاؤون ويحرمون منها من يريدون؟ وهل النبي مختار في قرية أو نائب في برلمان، إن النبوة منصب إلهي والنبي يبلغ عن الله سبحانه وتعالى فهو لسانه وبيانه فهل يريد المترفون أن يختاروا لله من يبلغ عنه ويتكلم باسمه من لا يأتمنه ويرتضيه؟ وهل يجيز المترفون لأحد أن ينوب عنهم ويتكلم باسمهم دون أن يأذنوا له في ذلك؟ فكيف أجازوا على الله ما لا يجيزونه على أنفسهم. (تفسير الكشاف ٦/٥٤٦).

[٢١٩]- القلم الآية ١٠ - ١٦.

الحسن وقتادة هو المكثار في الشر وقوله ﴿هَمَّازٍ﴾ اي مغتاب للناس أي يأكل لحومهم، وأصله الدفع في شدة اعتماد، ومنه الهمزة حرف من حروف المعجم، لأنها نبرة تخرج من الصدر بشدة اعتماد، وقال الله العظيم: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً﴾[220] ضرب المثل لأخذه العرض بأكل اللحم ؛ لأن اللحم ستر على العظم.

---

220)- الحجرات الآية ١٢.

في الآية دليل على ان الاغتياب الممنوع اغتياب المؤمن لا ذكر الكافر لأنه شبهه بأكل لحم الأخ، وفي هذا إشارة الى ان عرض الإنسان كدمه ولحمه، وهذا من باب القياس الظاهر، وذلك لأن عرض المرء أشرف من لحمه، فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى لأن ذلك آلم، وقوله: "لحم أخيه" أكد فيه العدو ويحمله الغضب على مضغ لحم العدو، وقال: أصدق الأصدقاء من ولدته أمك فأكل لحمه أقبح ما يكون، وقوله: "ميتاً" إشارة الى دفع وهم، وهو أن، يقال القول في الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلم، فقال أكل لحم الأخ وهو ميت أيضاً لا يؤلم ومع هذا فهو في غاية الأذى لما أنه لو اطلع لتألم لما أن الميت لو أحسّ بأكل لحمه لآلمه وفيه معنى: وهو أن الاغتياب كأكل لحم الآدمي ميتاً، ولا يحل أكله إن وجد لحاجته مدفعاً غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب وقوله: "ميتاً" لأن الموت يورث النفرة الى حد لا يشتهي الإنسان أن يبيت في بيت فيه ميت فكيف يقربه بحيث يأكل منه ففيه إذاً كراهة شديدة فلذلك لا ينبغي أن يكون حال الغيبة. (الفخر الرازي ١٤٣/٢٨ - ١٣٥).

والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه من ستر، وقوله: ﴿مَيْتاً﴾ لأنّ الميّت لا يحس وكذلك الغائب لا يسمع ما يقول فيه المغتاب، ثم هو التحريم ، كأكل لحم الميت ، واللمزة العياب ، واللمز في اللغة هو الغض من الناس والعيب لهم، ويقال اللمز في الوجه والهمز[٢٢١] في الظهر وقيل كلاهما في الظهر كالغيبة، وقيل اللمز العيب سراً والهمز العيرة، وبغمز العين ، حكاه الوُزير أبو القاسم الحسين بن علي في كتاب المصابيح، وعندي منه أصله، وقيل: اللمز بإشارة العين والشفة دون نطق ولا تصريح يقال:لَمَزَهُ، يَلْمِزُهُ ويَلْمَزُهُ، وقوله: ﴿مَشَّاءٍ بِنَمِيمْ﴾ أي بحديث الناس بعضهم في بعض ينقل من واحد إلى

[٢٢١]- الهماز المغتاب للناس قال ابن زيد هو الذي يهمز بأخيه وقيل الهماز الذي يذكر الناس في وجوهم واللماز الذي يذكرهم في مغيبهم،كذا قال أبو العالية والحسن وعطاء بن ابي رباح،وقال مقاتل عكس هذا والمشاء بنميم: الذي يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم يقال:نم ينم إذا سعى بالفساد بين الناس ومنه قول الشاعر

ومولى كبيت النمل لا خير عنده لمولاه إلا سعيه بنميم

وقيل النميم جمع نميمة. (١) فتح القدير ٢٦٨/٥.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح واختلف في الذي نزلت فيه هذه الآيات: "ولا تطعْ كلَّ حلاف مهين "فقيل هو الوليد بن المغيرة وذكره يحيى بن سلام،وقيل الأسود ابن عبد يغوث ذكره سيد بن داود في تفسيره وقيل الأخنس بن شريف وذكره السهيلي عن القتيبي وحكى هذين القولين الطبري فقال:يقال هو الأخنس،وزعم قوم أنه الأسود وليس به وأبعد من قال أنه عبدالرحمن ابن الأسود فإنه يضغر عن ذلك وقد أسلم وذكر في الصحابة. (٢) زاد المسير ٣٣١/٨.

واحد. يقال: نميم ونميمة ، قال ابن عباس: يمشي بالكذب . قال الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني: يغلب النمَّام في كلام العرب ، الذي لا يمسك الأحاديث ولا يحفظها مشتق من قولهم جلود نمة ، أي لا تمسك الماء. قال ذو النسبين أيده الله، ويقال للنمَّام: القتّات، وقد نم ينم بكسر النون في المضارع، وقتات وواش وهي الوشاية بكسر الواو، وساع وهي السعاية، وقساس وقد قس يقس بضم القاف في المضارع قساً وهو القساس والقمام والدراج والهماز واللماز والمهينم والمؤدم بكسر الدال، والمساس(٢٢٢) بكسر الميم والأولى والمائس وقد ماس بين القوم إذا مشى بالنميمة.

وكذلك نمل، ومن قال نميم قال ثلاثة(٢٢٣) أنمة، ومن قال نميمة قال نمائم(٢٢٤)، وقد فرق قوم بين القتّات والنمَّام؛ فقالوا القتّات فوق النمَّام ، المعنيين أحدهما: أنه يريد من عنده في الحديث الذي ينقله ما يريد به إلا فساداً، ويوقد به نار العداوة؛ إذ القتّات في اللغة: الذي يجمع القتّ، وهو ما توقد به النار من حشيش أو من حطب صغار، وإذا دسست في النار منها ذكوة ألهبتها إلهاباً، يقال: ذكيت النار تذكية، إذا دسست فيها ذُكوة بضم الذال، وسمي بذلك لأنه يقت

---

(٢٢٢)- في أ "المائس" بالهمزة المكسورة.

(٢٢٣)- في أ و ب سقط لفظ "ثلاثة" .

(٢٢٤)- في ب "تمام".

الحديث أي يزوره(٢٢٥)، ويهيئه قتاً، والقت والقد واحد وهو التسوية، والقت: الفضفضة اليابسة، فإذا كانت رطبة فهي فضفضة وقضب، فالقتّات الذي يتسمع على القوم ولا يشعرون به، يجمع الكلمة إلى الكلمة. والقتُّ والقسُّ على البدل الجمع، والنمَّام الذي يتحدثون بمحضر منه فينم عليه(٢٢٦)، والنمام الذي يأتي به على وجهه، والثاني: أنَّ(٢٢٧) القتّات من يفعل ذلك ويسعى به إلى السلطان والأمراء، وقد أشار الراوي إلى هذا المعنى على ما ثبت في الصحيحين:

عن همام بن الحارث عن حذيفة قال سمعت النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: **"لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّات"**.(٢٢٨)

---

٢٢٥)- في ب " يزرره".

٢٢٦)- ف أ و ب "عليهم " وهو الصحيح.

٢٢٧)- في ب "أي" وهو الصواب.

٢٢٨)- الحديث:

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: اسناده صحيح.

جـ تخريجه:

١- البخاري كتاب الأدب باب ما يكره من النميمة وقوله تعالى: "هماز مشاء بنميم ٨٦/٧ لفظه.

٢- مسلم كتاب الايمان باب غلظ تحريم النميمة ١٠١/١ رقم الحديث ١٦٩ (١٠٥).

٣- الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في النمام ٣٧٥/٤ لفظه رقم الحديث ٢٠٢٦. قال أبو عيسى وهذا حديث حسن صحيح.

وفي صحيح مسلم دون البخاري عن أبي وائل عن حذيفة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّام".(٢٢٩)

٤- مسند أحمد ٥/٣٨٢ -٣٨٩ - ٣٩٢.

د- المفردات:

القتات: هو النمام قال الجوهري وغيره: يقال نم الحديث ينمه وينمه نماً، والرجل نمام، وقته يقته قتاً، قال العلماء: نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم.

٢٢٩)- الحديث:

أ- درجته: صحيح بسنده.

ب -تخريجه:

١- مسلم كتاب الايمان باب بيان غلظ تحريم النميمة ١/١٠١ لفظه حديث ١٦٨ (١٠٥).

٢- مسند أحمد ٥/٣٨٩.

أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي شيخ الكوفة وعالمها مخضرم جليل روى عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعائشة رضي الله عنهم وجماعة، وعنه الأعمش ومنصور وحصين وخلف وسواهم يقال:أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم روى محمد ابن فضيل عن أبيه عن شفيق أنه تعلم القرآن في شهرين فهذا غاية الذكاء فقال ابراهيم النخعي:إني لأحسب أبا وائل ممن يدفع عنابه، وروى عاصم بن بهدلة عن شقيق قال: عثمان أحب إلي من علي وعن أبي وائل قال إني مصدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم توفي سنة اثنتين وثمانين رحمه الله تذكرة الحفاظ ١/٦٠.

د- دون البخاري: أي أن البخاري لم يذكر لفظ " نمام" وإنما ذكر "قتات"، وكلاهما بمعنى واحد.

ولما قال الراوي لحذيفة أن هذا يرفع للسلطان أشياء، فخوفه الصاحب الكريم، بما ثبت عن المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم، وفي هذا الحديث دليل على أن الرجل العالم، إذا رأى من يأتي بفعل منكر أو يتهم بخطة سوء لزمه أن يذكر ما عنده من إيعاد الله عز وجل ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له على ذلك؛ لعله يستعمله فينكب عن الشر الأبدي أن الراوي قال: أراد أن يسمعه.

ومن غرائب اللغة أن يقال:نميت الحديث بتخفيف الميم إذا نقلته على جهة الاصلاح، ونميته بالتشديد إذا رفعته على جهة الإفساد وقوله تعالى:﴿ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾(٢٣٠)، وصفه بالبخل وهو أقبح ما يوصف به الرجل، وقد مدح الله أهل الكرم في القرآن في غير موضع، والخير:

---

٢٣٠)- القلم الآية ١٢. المناع للخير هو البخيل بالمال لا ينفقه في وجهه،وقيل:هو الذي يمنع أهله وعشيرته عن الاسلام قال الحسن: يقول لهم من دخل منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء أبداً. (فتح القدير ٥/٢٦٨ - ٢٦٩).

هو الوليد بن المغيرة المخزومي كان موسراً وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم وللحمته من أسلم منكم منعته رفدي، عن ابن عباس. (الكشاف ٤/١٤٢).

المال، قال الله العظيم: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيد﴾[٢٣١] ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْراً﴾[٢٣٢].

وثبت في الصحيحين أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أجود بالخير من الريح المرسلة، وسيجيء تفسير هذا الحديث في جود رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في باب شهر رمضان[٢٣٣] إن شاء الله.

---

[٢٣١]- العاديات الآية ٨. والحب الشديد للخير يعني - أنه لحب المال قوي مجد في طلبه وتحصيله متهالك عليه، وقال:هو شديد لهذا الأمر وقوي له إذا كان مطيقاً له.

[٢٣٢]- البقرة الآية ١٨٠. ومنه قوله تعالى: ﴿إن ترك خيراً﴾ "وقيل المعنى - ان الانسان من أجل حب المال لبخيل والأول أولى. قال ابن زيد: سمى المال خيراً ، وعسى أن يكون شراً، ولكن الناس يجدونه خيراً فسماه خيراً. [فتح القدير ٤٨٣/٥].

قال تعالى: ﴿ولنبلوَّنكُمْ بالشَرِ والخيرِ فتنة﴾. [الأنبياء الآية ٣٥].

[٢٣٣]- لفظ الحديث في البخاري "عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس رضى الله عنهما قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن؛ فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة".

* أشار المؤلف إلى أن هذا الحديث سيورده في باب شهر رمضان ولم يورده: أي لم يعقد باباً في شهر رمضان. ولعل هذا سهو منه./ع

أ- رواته: ثقات

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه:

وقوله تعالى :﴿مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾: على الناس في معاملاتهم ويظلمهم ويستطيل عليهم، والعدوان في اللغة تجاوز الحد في الظلم.

وقوله تعالى: ﴿أَثِيمٍ﴾ أي ذي إثم، والإثم في اللغة الحرج، وقوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ العتل في اللغة الجافي الشديد في كفره، والغليظ في خلقته، والكثير الأكل والساب للناس والأهل، وأصله في اللغة من العتل وهو الأخذ بغلظة.

(٢٤) وقد ثبت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال:" **أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ، كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**"[٢٣٤] سمعه حارثة

١- البخاري كتاب الصوم باب أجود ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكون في رمضان جـ ٢ ص ٢٢٨.

٢- مسلم كتاب الفضائل باب كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير من الريح المرسلة جـ ٢ ص ١٨٠٣ لفظه.

د- المفردات:

١- أجود: أي أكثر الناس جوداً - والجود الكرم وهو من الصفات المحمودة وروي برفع أجود ونصبه وبالرفع اسم كان والخبر محذوف . أو أنه مرفوع على أنه مبتدأ وخبره الجار والمجرور. وبالنصب خبر لكان.

٢- يعرض عليه القرآن: أي يدارسه، والحكمة من المدارسة تجدد له العهد بمزيد غنى النفس، والغنى سبب الجود، وأيضاً فرمضان موسم الخيرات لأن نعم الله على عباده فيه زائدة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يؤثر متابعة سنة الله في عباده.

[٢٣٤])- الحديث:

أ- رواته: ثقات.

بن وهب الخزاعي من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخرجه البخاري في صحيحه في غير موضع، منها في التفسير، عن أبي نعيم عن سفيان عن معيد بن خالد قال: سمعت حارثة.

وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، فقال: **حدثنا** عبد الله بن معاذ العنبري قال حدثنا أبي حدثنا شعبة قال حدثني معبد بن خالد أنه سمع حارثة بن وهب، وحارثة هذا هو أخو عبيد الله بن عمر بن الخطاب لأمه، صحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحج معه حجة الوداع، يعدّ في الكوفيين، روى عنه

ب- درجته: اسناده صحيح.

جـ- تخريجه:

١- البخاري كتاب الأدب باب الكبر جـ ٧ ص ٨٩.

وأخرجه في كتاب التفسير سورة "ن" والقلم جـ ٦ ص باب عتل بعد ذلك زنيم.

٢- ورواه الترمذي في سننه كتاب صفة جهنم باب ١٣.

حديث (٢٦٠٥) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

٣- ابن ماجه كتاب الزهد باب من لا يؤبه له. (٤١١٦).

٤- مسند الامام أحمد جـ ٣ ص ١٤٥، ص ١٧٥ جـ ٤.

د- المفردات:

عتل: جواظ مستكبر: العتل: الجافي الشديد الخصومة بالباطل، وقيل الجافي الفظ الغليظ.

الجواظ: بفتح الجيم وتشديد الواو - هو الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم المختال في مشيته، وقيل: القصير البطين، وقيل: الفاجر.

مستكبر: وأما المستكبر فهو صاحب الكبر، وهو بطر الحق وغمض الناس.

أبو اسحق السبيعي، ومعبد بن خالد الجهني، ونصه: أنه سمع حارثة بن وهب سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

"أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟! قَالُوا: بَلَى، قَالَ: كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفْ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّه. ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟! قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: كُلُّ عُتُلٍ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِر"[٢٣٥]. اتفقا

---

[٢٣٥]- الحديث:

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: اسناده صحيح.

جـ- تخريجه:

١- البخاري كتاب الايمان والنذور وباب قول الله تعالى : "وأقسموا بالله جهد أيمانهم" جـ ٧ ص ٢٣٤ وهو على نحوه.

٢- مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء جـ ٣ ص ٢١٩٠ حديث ٤٦ (٢٨٥٧) وقد جاء الحديث بلفظه وفي حديث ٤٧ من نفس الصفحة أورده بغير كلمة "بلى" كما أنه قال عنه أهل النار. كل جواظ "زنيم".

د- المفردات:

"كل ضعيف متضعف" ضبطوا قوله بفتح العين وكسرها، المشهور الفتح، ولم يذكر الأكثرون غيره. ومعناه يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله في الدنيا، يقال: تضعفه واستضعفه. وأما رواية الكسر ومعناها متواضع متذلل خامل واضع من نفسه قال القاضي: وقد يكون الضعف هنا - رقة القلب ولينها واخباتها للايمان.

ولعله المراد وإليه أميل، لأن الأمر يتعلق بأهل الجنة. ع.

" لو أقسم على الله لأبره" : معناه لو حلف يميناً طمعاً في كرم الله بابراره لأبره. وقيل: لو دعاه لإجابه يقال: أبررت قسمه وبررته، والأول هو المشهور.

على إخراجه في صحيحيهما وليس عند البخاري "فقالوا بلى" وهي أكمل وأصح.

واختلف فيه أهل اللغة، فقالوا: هو الأكول، وقيل الشديد الخصومة مع جفاء ولؤم، وأما الجوَّاظ، فقيل هو القصير البطّين، وقيل الجموع المنوع، وقيل الكثير اللحم المختال في مشيتة وقيل: الغليظ الرقبة والجسم، وقيل: الذي لا يستقيم على أمر يصانع ها هنا وها هنا، وقيل الفاجر، يقال رجل جظّ وجواظ وجعظ وجعضري بمعنى، وفي الغريبين قيل يا رسول الله ما الجظ؟ قال: الضخم، وفي موضع آخر من الأغْربة: أهل النار كل جظ جعظ. والوقف على ﴿عُتُلٍّ﴾، وقوله تعالى: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾. قيل: "بعد" في هذا الموضع في معنى "مع"، أي مع ذلك زنيم، والزنيم فيه معان، فقيل: الملصق بالقوم ليس منهم، وأنشد اللغويون والمفسرون لحسّان[٢٣٦] بن ثابت شاعر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

[٢٣٦]- حسان بن ثابت بن المنذر وهو من بني النجار من قبيلة الخزرج، وأنه يماني قحطاني عاش مائة وعشرين سنة ستون منها في الجاهلية، وستون منها في الإسلام نشأ حسان في المدينة بين قومه الأوس والخزرج ويهود المدينة، قد كان شاعر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يعطيه ويحنو عليه ويسمع منه، وقد كان في الجاهلية لم يترك باباً من أبواب الشعر إلا قال فيه، أما في الاسلام فقد اقتصر على المدح والهجاء والفخر كما كان يمدح سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ومن يرتضيه من الصحابة، كما

وَأَنْتَ زَنِيمٌ نِيطَ فِي آلِ هَاشِمٍ

كَمَا نِيطَ خَلْفَ الراكِبِ القَدحِ الفَرْدِ(٢٣٧).

وقال حسّان أيضاً:

زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً ... كَمَا زِيدَ فِي عَرْضِ الأَدِيمِ الأَكَارِعُ.

الأكارع جمع كراع، وجهلة العامة تقول: في جمعه: كوارع، والصواب أكارع، وفي أقل العدد أكرع، وعلى هذا يصح قول من قال: إنها نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي، وكان ملصقاً في قريش لأنه حليف لهم ذكره القتبي وغيره.

والأخنس اسمه أبيّ بن شريق، وإنما سمي الأخنس(٢٣٨)، لأنه خلا بأبي جهل حين ترائى(٢٣٩) الجمعان يوم بدر، فقال: أترى أن محمداً يكذب؟ فقال أبو جهل كيف يكذب على الله وقد كنا نسميه الأمين،

كان يهجو قريشاً وشعراء قريش ذوداً عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بيضة الاسلام.

٢٣٧)- البيت من قصيدة يهجو فيها أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أولها

لقد علم الأقوام أن ابن هاشمٍ ... هو الغصن ذو الأفنان لا الواحد الوغد.

المفردات: هو الغصن ذو الأفنان: يعنى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

الوغد: يريد أبا سفيان. الوغد: الدنيء المرذل. والوغد: الخادم الذي يخدم بطعام بطنه. [ديوان حسان بن ثابت ص ٢١٥].

٢٣٨)- الأخنس: الأسد. يقال: خنس - بمعنى تأخر وتنحى.

٢٣٩)- ترائى الجمعان: أي رأى كل من الفريقين صاحبه.

لأنه ما كذب قط، ولكن إذا اجتمعت في بني عبد منـاف السـقاية([240]) والرفادة([241]) والمشورة([242]) ثم تكون فيهم النبوة، فأي شيء بقي لنـا؟ فحينئذ: تخنس الأخنس ببني زهرة فلم يشهدها مع الكفار أحد منهـم، يقال: انخنست عن فلان أي مضيت عنه مستخفياً، ولذلـك وصـف الشيطان بالخنّاس، من خنس إذا رجع وذكر عبد الرازق في تفسيره عن علي عليه السلام، قال الزنيم: في هذه السورة هو الهجين الكافر، وقال عن معمر هو ولد الزنا في بعض اللغة.

وذكر البخاري في صحيحه في باب قوله جل وعلا: ﴿**عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ**﴾. **حدثني** محمد قال حدثنا عبد الله بن موسى عن اسـرائيل عن أبي حصين عن مجاهد عن ابن عبـاس ﴿**عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ**﴾، قال: رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة، فهـو يعرف بالشـر كمـا تعرف الشاة بزنمتها([243]).

---

[240]- السقاية: موضع السقى، الاناء يسقى والسقاية بضم السين ما يبنى لجمع الماء.

[241]- الرفادة: العطاء - كانت قريش في الجاهلية تخرج فيما بينها ما لاتشتري به للحجاج طعاماً وزبيباً.

[242]- المشورة: أي أصحاب الشورى، والمراد المجلس المؤلف لاستماع الدعـاوى عرفـاً أو للتداول في شئون البلاد.

[243]- الحديث:

أ- رواته: ثقات

ب- درجته: اسناده صحيح.

جـ -تخريجه:

– البخاري كتاب التفسير سورة "ن" والقلم "باب عتل بعد ذلك زنيم. جـ ٦ ص ٧١ وهو بمثله غير أن بعض الاختلاف في الرواية قد ورد حيث قال البخاري حدثني محمود ثم قال حدثنا عبيد الله.

–مسند الامام أحمد جـ ٤ ص ٢٢٧ حيث قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم – عن العقل الزنيم فقال: هو الشديد الخلق المصحح الأكول الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس رحب الجوف.

د– المفردات:

العتل: الأكول الجافي الغليظ الشديد في كل شيء.

زنيم: الزنيم – الدعي في النسب الملصق بالقوم وليس منهم، شبه بزنمة الشاة: وهي اللحمة المتدلية من أذن الشاة أو البعير.

(فائدة)–

"عتل بعد ذلك زنيم"

قال المفسرون نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة، لقد كان دعياً في قريش، وليس منهم، ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة أي بعد أن تبناه ونسبه لنفسه، بعد أن كان لا يعرف له أب – قال ابن عباس – لا نعلم أحداً وصفه الله بهذه العيوب غير هذا، فألحق به عارا لا يفارقه أبداً وإنما ذم بذلك لأن النطفة إذا خبثت خبث الولد.

وروي أن الآيه لما نزلت جاء الوليد إلى أمه فقال لها : إن محمداً وصفني بتسع صفات كلها ظاهرة فيّ أعرفها غير التاسع منها يريد أنه "زنيم" فإن لم تصدقيني ضربت عنقك بالسيف فقالت له: إن أباك كان عنيناً: أي لا يستطيع معاشرة النساء فخفت على المال فمكنت راعيا من نفسي، فأنت ابن ذلك الراعي. فلم يعرف أنه ابن زنا حتى نزلت الآية الكريمة.[انظر تفسير الجلالين، وحاشية الصاوي عليه جـ ٤ ص ٢٩٦].

ويقال لمن دخل في قوم وليس منهم: زعنفة بفتح الزاي وكسرها، والزعنفة الجناح من أجنحة السمك وقوله تعالى: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ (القلم ١٤) لأن كان هكذا، وهذا يصحح قول من قال فيه أنه الوليد(٢٤٤) بن المغيرة المخزومي والد خالد لأنه كان موسراً كثير المال، وكان له عشرة بنون، وقيل كان له سبعة بنون لا يغيبون عن عينه في سفر يكونون زيناً له في النادي، وعوناً على الأعادي، وكان يقول لهم ولعشيرته: من آمن منكم منعته رفدي، وكان من

---

٢٤٤)- ما أقبح ما يجزى إنسان نعمة الله عليه بالمال والبنين استهزاء بآياته وسخرية من رسوله واعتداء على دينه، "والاشارة إلى المال والبنين والبطر الذي يبطره المكذبون. يضرب لهم مثلاً بقصة يبدو أنها كانت معروفة عندهم ويذكرهم فيها بعاقبة البطر بالنعمة ومنع الخير والاعتداء على حقوق الآخرين ويشعرهم أن ما بين أيديهم من نعم المال والبنين انما هو ابتلاء لهم. (في ظلال القرآن ٣٦٦٤/٦).

وبالرغم من نعم الله التي اغدقها عليه من المال والبنين كفر بآيات الله وأعرض عنها وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين.

أما ابنه خالد – فهو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومي سيف الله يكنى أبا سليمان من كبار الصحابة، وكان اسلامه بين الحديبية والفتح وكان أميرا على قتال أهل الردة وغيرها من الفتوح إلى أن مات سنة إحدى أو اثنتين وعشرين في مدست. تقريب التهذيب ٢١٩/١.

الحديبية: قال عياض: في مشارق الأنوار – بضم الحاء وتخفيف الياءين – الأولى ساكنة والثانية مفتوحة وبينهما باء بواحدة مكسورة، كذا ضبطناه على المثقفين وعامة الفقهاء والمحدثين يقولونها بتشديد الياء الأخيرة.

أشراف قريش وإليه كانت القبة والأعنة في الجاهلية؛ أما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش، وأما الأعنة فإنه كان يكون على جنود قريش في الحروب، وورث ذلك ولده خالد بعده على ما حكاه القاضي الزبير في نسب قريش، وكان الوليد بن المغيرة ذا سن وتقدم في قريش يكنى أبا عبد شمس وهو الذي أقام لقريش الرأي، وأن يقولوا في النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه ساحر. ذكر ابن اسحق وغيره، وفيه أنزل الله عز وجل: ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً** ﴾،وفيهاتهديد له، والآية كلها في ذمه ولعنه، وكرر الله جل من قائل ذمه كماكررهوالتقدير،وقال تعالى:﴿**فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ**﴾ (المدثر ١٩) أي لعن ، وهو شتم كان للعرب.

وأصل القتل إصابه القتال، وهو النفس، وروي أنه لم يزد الوليد بعد نزول هذه الآية مالاً ولا ولداً، وقوله تعالى: ﴿**إذا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين**﴾[٢٤٥] (القلم ١٥). وقيل أينما نزلت ﴿**أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**﴾ فقائلها النضر بن الحارث بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار؛ لأنه دخل بلاد فارس وتعلم أخبارهم، وحفظ أكاذيبهم المفتعلة وأسمارهم، وكان يقول: أنا أحدثكم بأحسن مما يحدثكم به محمد صَلَّى

---

٢٤٥)- "أساطير الأولين: أي إذا قرئت آيات القرآن على ذلك الفاجر قال مستهزئاً سافراً: إنها خرافات وأباطيل المتقدمين اختلقها محمد، ونسبها إلى الله هذا وقد جاء الرد متوعداً له بالعذاب في الآية التي تليها.

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيحدث بتلك الأخبار، ويسلبهم بتلك الأسمار ويزهد الناس في القرآن؛ فأمكن الله منه وقتله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صبراً يوم بدر.

ويقال، سطر يسطر سطراً، إذا كتب، وواحد الأساطير أسطوره، كأحدوثة وأحاديث وقيل: أساطير جمع أسطار، وأسطار جمع سطر بفتح الطاء، وأما سطر بسكون الطاء فجمعه أسطر أساطر بغير ياء، فمعناه أنه كان يقول لعنه الله: هذا مما كتبه الأوّلون استهزاء به وإنكاراً منه أن يكون من عند الله، قال الله العظيم: ﴿سَنَسِمُهُ([246]) عَلَى الخُرْطُومِ﴾ (القلم ١٦) أي سنخطمه بالسيف على الأنف، والخرطوم؛ الأنف يقال: خرطمه إذا قطع أنفه، وجمع الخرطوم خراطيم قال ابن عباس: (فقاتلوا)([247]) يوم بدر، فخطم بالسيف في القتال.

قال ذو النسبين أيده الله:

---

[246])- سنسمه على الخرطوم: كنى بالخرطوم عن أنفه على سبيل الاستخفاف به لأن الخرطوم للفيل والخنزير فإذا شبه به الانسان به كان ذلك غاية في الاستخفاف والاستذلال والإهانة، قال الامام الفخر: لما كان الوجه أكرم موضع في الجسد والأنف أكرم موضع من الوجه لارتفاعه عليه، ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الأنفة، وقالوا في الذليل رغم أنفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة؛ لأن السمة على الوجه شين فكيف على أكرم موضع من الوجه. الفخر الرازي ٨٧/٣٠ وانظر البحر المحيط لابن حبان ٣١١/٨.

[247])- في (أ) و ب "فقاتل" وهو الصواب.

فهذا يدل على أنه النضر بن الحارث، وقال قتادة سنشمه بشين لا يفارقه ما عاش ومات، والسمة العلامة المعرفة بالرؤية بين الأشياء المختلطة كسمة الخيل إذا أرسلت في المسرح، وقيل: سنجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف به أهل النار من اسوداد وجوههم، وجائز والله أعلم أن ينفرد بسمة، لمبالغته في عداوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيخص به من التشويه بما يتبين به من غيره، وأي تشويه أعظم من ذمه وخزيه في القرآن العظيم، الذي هو كلام الله العزيز العليم.

وَمِنْ خَصَائِصِهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ صَاحِبُ الكَوْثَرِ

وذلك أنّ العاص بن وائل السهمي لقي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يدفن ابنه القاسم فقال: إني لأشنؤك، فقال له ابنه عمر: وأصبح اليوم أبتر حين مات ابنه، فأنزل الله عز وجل: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شانئكَ هوَ الأبترُ﴾(٢٤٨) هكذا ثبت في صحيح مسلم من طريق العدول الحفاظ الأثبات.

---

٢٤٨)- * عن ابن عباس أنه فسر الكوثر بالخير الكثير قال سعيد بن جبير: أن أناساً يقولون هو نهر في الجنة، فقال: هو من الخير الكثير ، والنحر: نحر البدن وعن عطية هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى، وقيل: صلاة العيد والتضحية، وقيل: هي جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال ، والمعنى - أعطيت مالا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه أحد غيرك، ومعطي ذلك إله العالمين ، فأعطيت لك العطيتان السنيتان اصابة أشرف عطاء وأوفره من أكرم معط وأعظم منعم ، فاعبد ربك الذي أعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغماً لقومك الذين يعبدون غير الله ، وانحر لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفاً لهم في النحر للأوثان. (الكشاف ٤/٢٩١).

قال الحسن بن الفضل: هو تفسير القرآن وتخفيف الشرائع، وقال أبو بكر بن عياش: هو كثرة الاصحاب والأمة وقال ابن كيسان هو الإيثار. وقيل: هو الاسلام رفعه وقيل رفعة الذكر وقيل: نور القلب، وقيل الشفاعة وقيل المعجزة وقيل إجابة الدعوة. (فتح القدير ٥/٥٠٢).

ونص ذلك، **حدثنا** علي بن حجر السعدي قال: حدثنا علي بن مشهر قال أخبرنا المهتار بن فلفل، عن أنس بن مالك. وحدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، واللفظ له قال: حدثنا علي بن مشهر، عن المختار، عن أنس قال:([249]) **بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَأَغْفَى([250]) إِغْفَاءَةٍ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُبْتَسِماً فَقُلْنَا([251]): مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: "نَزَلَتْ عَلَيَّ آنِفاً([252]) سُورَةٌ، فَقَرَأَ**

وان الذي أرجحه وأميل إليه أنه نهر في الجنة كما وردت بذلك الأحاديث./ع

[249])- الحديث:

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: اسناده صحيح.

جـ - تخريجه:

١- البخاري كتاب الرقاق باب الحوض وقول الله تبارك وتعالى ﴿انا اعطيناك الكوثر﴾ ٢٠٦/٧ وأخرجه في كتاب المغازي وكتاب الفتن.

٢- مسلم كتاب الصلاة باب حجة من قال البسملة آية من أول كلمة سورة سوى براءة ٣٠٠/١ لفظه رقم الحديث ٥٣ وقد ورد وصف الحوض من نفس الجزء ص ٢١٧ كتاب الطهارة باب استحباب اطالة الغرة والتعجيل في الوضوء بوصف أكثر ورقم الحديث ٣٦ - ٣٧.

٣- الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الكوثر حديث ٣٣٥٩ - ٣٣٦١ وقال أبو عيسى حديث صحيح وقد روي من غير وجه عن أنس.

[250])- أغفى إغفاءة: أي نام.

[251])- في أ و ب "قال" من غير فاء.

[252])- آنفا: الآنف: الماضي القريب، يقال فعله آنفا قريباً وأول هذه الساعة وقت كنا فيه.

بِسْمِ اللهِ الرَحْمنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّـا أَعْطَيْنَـاكَ الكَوْثَـرَ.([253]) فَصَـلِّ لِرَبِّـكَ وَانْحَـرْ.([254]) إِنَّ شَـانِئَكَ هُـوَ الأَبْتَرُ([255])﴾، ثُـمَّ قَـالَ: أَتَـدْرُونَ مَـا الكَوْثَر؟ فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم. قَالَ: فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعدَنِيهُ رَبِّي، عَلَيْـهِ خَيْرٌ كَبِيرٌ،([256]) هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْـهِ أُمَّـتِي يَـوْمَ القِيَامَـةِ، آنِيَتُـهُ عَـدَدَ النُّجُومِ فَيُخْتَلَعُ العَبْدُ مِنْهُم، فَأَقُولُ: "يَا رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ".

ولحديث الكوثر طرق في الصحيحين، وفسره رسول الله صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه نهر وهو حوض، وفي البخاري حافتاه قباب الدر المجوف، وفي هذه الرواية من الفقه نزول ﴿ **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ**

---

[253]- الكوثر: الخير الكثير وهو مبالغة من الكثرة والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد والقدر والخطر كوثراً قال الشاعر:

وأنتَ كثيرٌ يا ابنَ مروان طيبٌ   وكان أبوكَ ابنُ العقائلِ كوثرا

[254]- وانحر: النحر خاص بالإبل، وهو بمنزلة الذبح في البقر والغنم.

إن شانئك: الشانئ: المبغض. وفي القرآن الكريم ﴿ ولا يجرمَّنكُم شنآنُ قومٍ﴾.

[255]- الأبتر: هو المنقطع العقب، وقيل المنقطع من كل خير.

[256]- في أ و ب "كثير" وهو الصواب.

وفي هذه السورة أخبر الله تعالى: أن هذا الكافر هو الأبتر وإن كان له أولاد، ذلك لأنه مبتور من رحمة الله تعالى: أي مقطوع عنها، وأنه لا يذكر إلا باللعنة، بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم وأن ذكره خالد إلى يوم القيامة، فالمؤمنون يرددون ذكره على المآذن والمنابر، وفي صلواتهم, قال تعالى: ﴿والنبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الغر الميامين.

الرَّحِيمِ﴾ في هذه السورة، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :"**آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ ، وَالنُّجُومُ لا يَعْلَمُ عَدَدَهَا إلاَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**"، فيحتمل أنه أعلم نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدد النجوم حتى يعلم أن عدد آنية حوضه بعددها كما أعلمه بعدد درجات الجنة وهي مغيبة أكثر من النجوم.

لفظ الحديث في البخارى **حدثنا** أبو الوليد، حدثنا همام عن قتادة عن أنس عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وحدثنا هدية بن خالد، حدثنا همام حدثنا قتادة، حدثنا أنس بن مالك عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:(٢٥٧)" **بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَّتَاهُ**(٢٥٨) **قِبَابُ**

---

٢٥٧)- الحديث:

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: اسناده صحيح.

جـ - تخريجه:

١- البخاري كتاب الرقاق باب في الحوض وقول الله تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر﴾ ج ٧ ص ٢٠٧ وهو بلفظه، وذلك في أول الحديث لا في آخره.

٢- مسلم كتاب الطهارة باب استحباب استطالة الغر والتحجيل في الوضوء جـ ١ ص ٢١٧ فهو على نحوه.

٣- أبو داود كتاب السنة باب الحوض جـ ٥ ص ١١٠ - وقد ذكر بصيغة مغايرة تضمنت بعض الوصف للحوضين.

٤- الدارمي كتاب الرقاق باب في الكوثر جـ ١ ص ٧٣٤ وهو بمثله.

الدُّرِ[259] المُجَوَّفِ[260]، قُلْتُ: مَا هذا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هذا الكَوْثَرُ الذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذا طِينَهُ أَوْ طِيبُهُ مِسْكٌ أَذْفَر"[261] " شك هدبة".

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:[262] **"مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ فَإِنَّ**

---

[258]- حافتاه: من حف الشيء بالشيء - استدار حوله ومن حوله - وفي الحديث "حفت الجنة بالمكاره".

[259]- الدر: اللؤلؤ العظيم الكبير.

[260]- المجوف: الجوف من كل شيء باطنه الذي يقبل الشغل والفراغ، ومن الليل ثلثه الأخير، وفي الحديث قيل له : أي الليل أسمع ؟ قال : جوف الليل الآخر ومن الأرض ما اتسع وانخفض فصار كالجوف.

[261]- مسك أذفر: الأذفر: الطيب الرائحة.

[262]- الحديث:

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: اسناده صحيح.

جـ - تخريجه:

١- البخاري كتاب الجهاد باب درجات المجاهدين في سبيل الله ٢٠١/٣ وفي كتاب التوحيد ١٧٦/٨ باب وكان عرشه على الماء مثله.

٢- النسائي كتاب الجهاد باب درجة المجاهدين في سبيل الله ٢٠/٦ وذكره ضمن حديث طويل وبرواية وألفاظ متقاربة وبزيادة في آخره وهي "ولولا أن أشق على المؤمنين ولا أجد ما أحملهم عليه ولا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا بعدي ما قعدت خلف سرية ولوددت أن أقتل ثم أحيا ثم أقتل".

حَقًّا عَلى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا. قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ: أَفَلا نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا، كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمنِ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ ".هَذا حديث صحيح. بإخراج أهل النقل، أخرجه

٣- ابن ماجه كتاب الزهد باب وصف الجنة ١٤٤٨/٢ حديث ٤٣٣٥ لم يذكر الحديث بأكمله بل تضمن وصف الجنة فقط.

٤- مسند الامام أحمد ٣٣٥/٢ والحاكم في المستدرك ٨٠/١

هـ- المفردات:

إن في الجنة: أي ليس المطلوب المغفرة فقط بل تحصيل الدرجات أيضاً والإخبار بمثل هذا الخبر يؤدي إلى قصر الهمة على تحصيل المغفرة، وهو يفضي إلى الحرمان عن الدرجات المطلوبة فلا ينبغي الإخبار .

ولولا أن أشق: أي أنا مع حصول المغفرة قطعاً أريد الجهاد في سبيل الله لتحصيل الخير فكيف حال الغير.

أن يتخلفوا بعدي: فيوجب ذلك إلى مشيهم معي على الرجل وفيه من المشقة عليهم ما لا يخفى.

ولوددت: يحتمل أن يكون ذلك قبل قوله تعالى: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ ويحتمل أن يكون بعده لجواز تمني المستحيل كما في – ليت الشباب يعود.

* هو بلال بن علي وفي كنية أبيه واسمه اختلاف، وعلي أثبت وهو الذي صححه البخاري في (أ) غير واضحة وفي (ب) "يسار".

البخاري في كتاب الجهاد، وأخرجه أيضاً في كتاب التوحيد، وهو آخر الصحيح. ونصه قال: **حدثنا** ابراهيم بن المنذر قال حدثني محمد بن فليج قال حدثني أي قال حدثني هلال، عن عطاء بن بشار، عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

"والدرجات"، المنازل العلى، "والدركات" المنازل السفلى. "والكوثر" فوعل من الكثرة، وسبب نزول هذه الآية فيما ذكر أهل السير منهم محمد بن اسحق في رواية يونس بن بكير، وابن اسحق يستشهد به عن جماعة من علماء المحدّثين منهم البخاري، دون أن يسند عنه حرفاً، لأنّ مالكاً كذّبه، وقد ذكر ما قاله ابن اسحق موسى(٢٦٣) بن عقبة الثقة العدل، وسليمان التيمي، في رواية المعتمد

---

٢٦٣)- موسى بن عقبة أبو عياش بتحتانية ومعجمه الأسدي مولى آل الزبير ثقة فقيه إمام في المغازي من الخامسة لم يصح أن ابن معين لقيه مات سنة إحدى وأربعين وقيل بعد ذلك. المرجع السابق.

هذا تعجب من حالهم واختلف المفسرون في معنى الجبت: فقال ابن عباس، وابن جبير وأبو العالية: الجبت: الساحر بلسان الحبشة ، الطاغوت : الكاهن وروي عن عمر بن الخطاب ان الجبت : الساحر ، الطاغوت : الشيطان ، وروي عن ابن مسعود أن الجبت، والطاغوت ها هنا كعب بن الأشرف، وقال قتادة الجبت: الشيطان، والطاغوت: الكاهن، وروى عن مالك أن الطاغوت ما عبد من دون الله والجبت الشيطان، وقيل هما كل معبود من دون الله أو مطاع في معصية الله وقيل الجبت: إبليس والطاغوت أولياؤه. (فتح القدير ٤٧٧/١).

ابنه عنه من رواية يزيد([264]) بن رومان، قال: كان العاص بن وائل السهمي إذا ذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: دعوه فإنّما هو رجل أبتر، لا عقب له، لو قد هلك انقطع ذكره واسترحتم منه؛ فأنزل الله عز وجل هذه السورة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾ وهو خير لك من الدنيا وما فيها، والكوثر: العظيم من الخير، والألف واللام لاستغراق الجنس، يعني الخير كله، وقد قيل: نزلت في أبي جهل بن هشام، وقيل: نزلت في كعب بن الأشرف، ويلزم على هذا القول الأخير أن تكون السورة مدنية، وهي مكية باتفاق، إلا أن عكرمة روى عن ابن عباس قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة أتوه فقالوا له: نحن أهل السقاية والسدانة وأنت سيد أهل المدينة، فنحن خيرأم هذا (القنبور)([265])المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا.قال: بل أنتم خير منه. قال فنزلت عليه:﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾وأنزلت عليه﴿أَلَمْ تَرَ إِلىالذِينَ أُوتُوانَصِيباً مِنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ...إلىقوله نَصِيراً﴾النساء٥٠- ٥١.

وروي عن ابن عباس أيضاً:﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾إنّ عدوك ابا جهل، وقال شمر بن عطية: ذلك عقبة بن أبي معيط، وقال ابن عباس وسعيد

---

[264]- يزيد بن رومان المدني مولى آل الزبير ثقة من الخامسة مات سنة ثلاثين وروايته عن أبي هريرة مرسلة. روى له الجميع. (تقريب التهذيب ٣٦٤/٢).

[265]- في أ و ب "الصنبور".

بن جبير ومجاهد وقتادة: عنى بذلك العاص بن وائل السهمي؛ ذكر ذلك كله الإمام أبو الحسن علي بن ابراهيم الحوفي النحوي، رحمه الله، في كتابه: البرهان في علوم القرآن، فوعد الله رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إعطاء الكوثر[٢٦٦] الذي يحتاج إليه جميع الناس عند الظمأ الأكبر، فلا يشرب منه إلا من آمن به وذلك لعلو درجته عند ربه.

(٣٠) وفي الصحيحين ،عن ابن شهاب، عن أنس، أنّ رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال:[٢٦٧] **"قُدِّرَ حَوْضِيَ[٢٦٨] كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الأَبَارِيقِ بِعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ".**

---

[٢٦٦])-الكوثر: المراد بالكوثر النهر الذي يصب في الحوض فهو مادة الحوض.

[٢٦٧])- الحديث:

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: اسناده صحيح.

جـ - تخريجه:

١- البخاري كتاب الرقاق باب في الحوض وقول الله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ ٢٠٧/٧ لفظه.

٢- مسلم كتاب الفضائل باب اثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته ١٨٠٠/٢ حديث ٣٩ (٣٣٠٣) لفظه.

٣- الترمذي كتاب صفة القيامة باب ما جاء في صفة الحوض ٦٣٠/٤ نحوه رقم الحديث ٢٤٤٥ قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

[٢٦٨]الحوض: أي حوض النبي صلى الله عليه وسلم وجمع الحوض حياض وأحواض وهو مجمع الماء.

وفي صحيح مسلم:[٢٦٩] "إنَّ حَوْضِي[٢٧٠] أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ إلى عَدَن، هُوَ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ الثَلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ[٢٧١] بِاللَّبَنِ، وَلآنِيَتُهُ[٢٧٢] أَكْثَرُ مِنْ عَدِدِ النُّجُومِ، وَإِنِّي لأَصُدُّ[٢٧٣] النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ". قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنَا

---

[٢٦٩]- الحديث:

درجته: صحيح بسنده.

ب- تخريجه:

١- مسلم كتاب الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء حديث ٣٦ (٢٤٧) ٢١٧/١ لفظه.

٢- ابن ماجه كتاب الزهد باب ذكر الحوض ١٤٣٨/٢ رقم الحديث (٣٠٢) نحوه

[٢٧٠]- "إن حوضي أبعد من أيله من عدن" أي بعدما بين طرفي حوضي أزيد من بعد أيلة من عدن" وهما بلدان ساحليان في بحر القلزم أحدهما وهو أيلة في شمال العرب والآخر وهو عدن في جنوبها هو آخر بلاد اليمن مما يلي الهند.

[٢٧١]- وأحلى من العسل باللبن "أي المخلوط به".

[٢٧٢]- ولآنيته " الآنية جمع إناء قال في المصباح: الاناء والآنية كالوعاء والأوعية وزناً ومعنى، والأواني جمع الجمع.

[٢٧٣]- أصد الناس: أطرد وأمنع.

يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: "نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا([274]) لَيْسَتْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرّاً([275]) مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ". ولهذا الحديث طرق.

قال لي شيخنا النحوي العالم أبو القاسم الخشمي السهيلي في مسجده، بمدينة مقالة، في شهر صفر، سنة أربع وسبعين وخمسمائة، قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾([276]) ولم يقل: إن شانئك

---

[274])-"لكم سيما"السيما العلامة. مقصورة وممدودة. لغتان - ويقال السيمياء بياء بعد الميم.

[275])- "غراً محجلين من أثر الوضوء" قال أهل اللغة: الغرة بياض في جبهة الفرس والتحجيل بياض في يديها ورجليها، قال العلماء سمى النور الذي يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة غرة وتحجيلاً تشبيهاً بغرة الفرس.

وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذا الحديث على أن الوضوء من خصائص هذه الأمة زادها الله تعالى شرفا ، وقال آخرون: ليس الوضوء مختصاً وإنما الذي اختصت به هذه الأمة الغرة والتحجيل. [النووي على صحيح مسلم ١/١٣٦].

[276])- إن مبغضك هو المنقطع عن الخير على العموم فيعم خيري الدنيا والآخرة أو الذي لا عقب له، أو الذي لا يبقى ذكره بعد موته، وظاهر الآية العموم، وأن هذا شأن كل من يبغض النبي صلى الله عليه وسلم، ولا ينا في ذلك كون سبب النزول هو العاصي ابن وائل فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قيل كان أهل الجاهلية إذا مات الذكورة من أولاد الرجال قالوا قد بتر فلان فلما مات ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم خرج أبو جهل إلى أصحابه فقال بتر محمد فنزلت الآية وقيل القائل بذلك عقبة بن أبي معيط. قال أهل اللغة" الأبتر من الرجال الذي لا ولد له ومن الدواب الذي لا ذنب له، وكل أمر انقطع من الخير اثره فهو ابتر وأصل البتر القطع يقال: بترت الشيء بتراً: قطعته. (فتح القدير ٥/٥٠٣).

أبتر؛ ليتضمن اختصاصه هذا الوصف، لأنّه هو في مثل هذا الموضع، يعطى الاختصاص، مثل أن يقول قائل: إنَّ زيداً فاسق، فلا يكون مخصوصاً بهذا الوصف دون غيره، فإذا قلت: إنَّ زيداً هو الفاسق، فمعناه هو الفاسق، لا الذي زعمت، يدل على أنّ مَنْ بالحضرة مَنْ يزعم غير ذلك، وهكذا قال الجرجاني وغيره، في تفسير هذه الآية إنّ (هو) تعطي الاختصاص، وكذلك قالوا في قوله سبحانه: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾[٢٧٧].لما كان العباد يتوهمون أنَّ غير الله قد يغني، قال: هو ﴿هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ أي لا غيره، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَى﴾. إذ كانوا يتوهمون بالإحياء والإماتة، ما توهمه النمرود حين قال لخليل الله إبراهيم: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾؛ أي: أنا أقتل من شئت واستحيي من شئت، فقال الله عز وجل ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَى﴾ أي لا غيره، وكذلك قوله جلَّ من قائل ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ أي هو الرب لا غيره،إذكانو اقداتخذوا أرباباً من دونه، منهن الشعراى قال ذو النسبين أيّده الله: الشعرى: كوكب عند الجوزاء وهو الموزم كان قوم من خزاعة يعبدونه.

---

[٢٧٧]- قال ابن عباس ومجاهد: "أغنى" أعطى" و "أقنى" أرضى،وقيل:معناه أغنى نفسه وأفقر الخلائق إليه، وقيل: أغنى من شاء من خلقه وأقنى افقر من شاء منهم. ابن كثير (٣٥٩/٤).

فلمّا قال جلَّ من قائل: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ﴾ ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا﴾ استغنى الكلام عن (هو) التي تعطي معنى الاختصاص، لأنّه فعل لم يدعه أحد، وإذا ثبت هذا فكذلك قوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ أي: لا أنت، بل مبغضك يا محمد، وعدوك هو الأبتر، الأقل، الأذل، المنقطع دابره، الذي لا عقب له، يتبعه بعده "كالبتر" الذي هو عدم الذنب؛ فإذا تأملت هذا ونظرت إلى العاص وكان ذا ولد وعقب وولد عمرو وهشام أبناء العاص بن وائل، فكيف يثبت له البتر وانقطاع الولد وهو ذو ولد ونسل، وينفيه عن نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقول: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾.(٢٧٨)

---

٢٧٨)- الأحزاب الآية: ٤٠.

ليس بأب لزيد بن حارثة على الحقيقة حتى تحرم عليه زوجته ولا هو أب لأحد لم يلده قال الواحدي: قال المفسرون: لم يكن أبا أحد لم يلده، وقد ولد له من الذكور - ابراهيم والقاسم، والطيب، والمطهر، قال القرطبي: ولكن لم يعش له ابن حتى يصير رجلاً قال: وأما الحسن والحسين فكانا طفلين و لم يكونا رجلين معاصرين له. (فتح القدير ٢٨٤/٤).

نهي أن يقال بعد هذا زيد بن محمد، أي لم يكن أباه وإن كان قد تبناه فإنه صلى الله عليه وسلم لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم، فإنه صلى الله عليه وسلم ولد له القاسم والطيب والطاهر من خديجة رضي الله عنها فماتوا صغاراً وولد له صلى الله عليه وسلم إبراهيم من مارية القبطية فمات أيضاً رضيعاً، وكان له صلى الله عليه وسلم من خديجة أربع بنات: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين. (ابن كثير ٤٩٣/٣ - ٤٩٤).

فالجواب: أن العاص وإن كان ذا ولد فقد انقطعت العصمة بينه وبينهم، فليسوا بأتباع له، لأن الإسلام قد حجزهم عنه فلا يرثهم ولا يرثونه، وهم من أتباع محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأزواجه أمهاتهم (والنَّبِيُّ[٢٧٩]) أولى بهم) كما قال الله سبحانه: ﴿**أَلنبيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**﴾([٢٨٠]) أي: أحق، فجميع المؤمنين أتباع محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في الدنيا، وأتباعه في الاخرة إلى حوضه، وهذا معنى الكوثر، وهو موجود في الدنيا لكثرة أتباعه فيها، ليغذو أرواحهم بما فيه حياتهم، من العلم وكثرة اتباعه في الآخرة ليسقيهم من حوضه ما فيه الحياة الباقية، وعدوُّ اللهِ العاص، على هذا هو الأبتر، على الحقيقة. إذ قد انقطع ذَنَبُهُ وأتباعه، وصاروا تبعاً لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك قوبل (تعبير)([٢٨١]) للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبتر بما هو ضده من الكوثر، فإنّ الكثرة تضاد معنى القلة، وقد أنزل الله تعالى في العاص: ﴿**أَفَرَأَيْتَ الذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً. أَطَّلَعَ**

لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينهم ما يثبت به بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح،ولكن كان رسول الله وكل رسول أبو أمته فيما يرجع في وجوب التوقير والتعظيم له عليهم، ووجوب الشفقة والنصيحة لهم لأن سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء. [الكشاف ٣/٢٦٤].

[٢٧٩]- هذه العبارة في أ وج مكررة.

[٢٨٠]- الأحزاب الآية ٦.

[٢٨١]- ف أ و ب "تعييره" بياءين وهو الصحيح.

الغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً. كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ العَذَابِ مَدّاً. وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً﴾(مريم ٧٧ - ٨٠)

اتفق على إخراج هذا في الصحيحين (رواية)(٢٨٢) خباب بن الأرت صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وممن شهد بدراً.

لفظ الحديث في البخاري **حدثنا** الحميدي حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: سمعت خباباً قال:(٢٨٣)

---

٢٨٢)- في أ و ب "من رواية" وهو الأصح.

٢٨٣)- الحديث:

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: اسناده صحيح.

جـ - تخريجه:

١- البخاري كتاب تفسير القرآن باب قوله تعالى ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا ٥/٢٣٧.

٢- مسلم كتاب صفات المنافقين باب سؤال اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح وقوله تعالى يسألونك عن الروح ٣/٢١٥٣ رقم الحديث ٣٥ - ٣٦ (٢٧٩٥) نحوه

٣- الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة مريم ٥/٣١٨ حديث ٣١٦٢. بلفظ ما في البخاري.

٤- مسند أحمد ٥/١١٠.

د- المفردات:

١- حتى تموت ثم تبعث "مفهومه أنه يكفر حينئذ لكنه لم يرد ذلك لأن الكفر حينئذ لا يتصور فكأنه قال لا أكفر أبداً والنكتة في تعبيره بالبعث تعبير العاص بأنه لا يومن به.

جئت العاص بن وائل اتقاضاه حقاً لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فقلت: لا حتى تموت ثم تبعث قال: وإني ميّت ثم مبعوث قلت: نعم قال: إن لي هنالك مالاً وولداً فأقضيكه فنزلت هذه الآية ﴿أَفَرَأَيْتَ الذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً﴾.

ولو قال في جواب اللعين: إنا أعطيناك الحوض الذي من صفته كذا لم يكن رداً عليه ولا مشاكلاً لجوابه، ولكن جاء باسم يتضمن الخير الكثير[٢٨٤] والعدد الجم الغفير، ويقابل هذه الصفة في الدنيا علماء الأمة من أصحابه ومن بعدهم، وهم يروون العلم عنه ويؤدونه إلى من بعدهم كما تروي الآنية في الحوض، فتسقي الواردة عليه، تقول: رويت الماء إذا أسقيته، كما تقول: رويت العلم، وكلاهما فيه حياة،

هـ - العاص بن وائل: هو والد عمرو بن العاص الصحابي المشهور وكان له قدر في الجاهلية و لم يوفق للاسلام قال ابن الكلبي: كان من حكام قريش وكان موته بمكة قبل الهجرة وهو أحد المستهزئين قال عبد الله بن عمرو سمعت أبى يقول عاش أبي خمساً وثمانين وأنه ليركب حماراً إلى الطائف فيمشي عنه أكثر مما يركب ويقال أن حماره رماه على شوكة أصابت رجله فانتفخت فمات منها.

[٢٨٤]- المعنى على هذا: إنا أعطيناك يا محمد الخير الكثير البالغ في الكثرة إلى الغاية. وذهب أكثر المفسرين كما حكاه الواحدي إلى أن الكوثر نهر في الجنة، وقيل هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الموقف قاله عطاء. وقال أبو بكر بن عياش هو كثرة الأصحاب والأمة.

ومنه قيل لمن روى علماً أو شعراً راوية "نسبتها"([285]) بالمزادة، والجمل الذي يحمل عليه الماء، وحصباء الحوض الدر واللؤلؤ والياقوت وتقابلها في الدنيا الحكم المأثورة عنه؛ألا ترى أن اللؤلؤ([286]) في علم التعبير حكم وفوائد علم، وفي صفة الحوض حالة المسك أي حموه، ويقابله في الدنيا طيب الثناء على العلماء أتباع النبيّ الأتقياء كما أنّ المسك في علم التعبير ثناء حسن، وعلم التعبير من علم النّبوة مقتبس، وقد أثنى الله عز وجل على يوسف به عليه السلام.

وذكر في صفة الحوض الطير التي ترده كأعناق البخت فيما أخرجه أبو عيسى الترمذي، وهو حديث حسن.

قال لنا شيخنا الخثعمي رحمه الله: ويقابله في صفة العلم في الدنيا ورود الطالبين من كل صقع وقطر على حضرة العلم، وإتيانهم إياها في زمان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعده.

---

[285]- في أ و ب "تشبيهاً" وهو الصحيح.

[286]- وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء فإذا مسك أذفر قلت: ما هذا يا جبريل قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله" وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن أسامه بن زيد مرفوعاً "أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك أعطيت نهراً في الجنة يدعى الكوثر. فقال: أجل وأرضه ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ".[فتح القدير ٥/٥٠٢ - ٥٠٣].

فتأمّل صفة الكوثر معقولة في الدنيا محسوسة في الآخرة مدركة بالعيان، هنالك بيّن لك إعجاز القرآن ومطابقة السورة لسبب نزولها، وكذلك قال جل من قائل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾(٢٨٧)؛ أي تواضع لمن أعطاك الكوثر بالصلاة له؛ فإن الكثرة في الدنيا تقتضي في أكثر الخلق الكبر، وتحدو إلى (الفخر)(٢٨٨) والجبرية؛ ولذلك كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين رأى كثرة أتباعه عام الفتح يُطأطئ رأسه وهو على الراحلة حتى ألصق ذقنه بالرحل امتثالاً لأمر ربه، وكذلك أمره بالنحر شكراً له، وللمفسرين فيه أقاويل، قالوا: فقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ

---

٢٨٧)- كما أعطاك الخير الكثر في الدنيا والآخرة ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونحرك ؛ فاعبده وحده لا شريك له وانحر على اسمه وحده لا شريك له كما قال تعالى: ﴿قل إنَّ صلاتِي ونُسكِي ومحياي ومماتِي للهِ ربِّ العالمينَ لا شريكَ له وبذلك أمرتُ وأنا أولُ المسلمينَ﴾ "قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والحسن:يعنى بذلك نحر البدن ونحوها،وهذا بخلاف ما كان عليه المشركون من السجود لغير الله والذبح على غير اسمه كما قال تعالى: ﴿ولا تأكلُوا مما لم يذكرِ اسمُ اللهِ عليه وإنه لفسقٌ .... ﴾ الآية [ابن كثر ٤/٥٥٨).

بعد توكيد هذا العطاء الكثير الفائض الكثرة على غيرها أرجف المرجفون وقال الكائدون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم – إلى شكر النعمة بحقها الأول – حق الاخلاص والتجرد لله في العبادة وفي الاتجاه في الصلاة وفي ذبح النسك خالصاً لله غير ملق بالاً إلى شرك المشركين وغير مشارك لهم في عبادتهم أو في ذكر غير اسم الله على ذبائحهم.[في ظلال القرآن ٣٩٨٨/٦].

٢٨٨)- في أ و ب "الفجر" وهو الأصح.

﴿وَانْحَرْ﴾ حضه على المواظبة على الصلوات المكتوبة وعلى الحفاظ عليها وفي أوقاتها بقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ وضع اليمين على اليسرى في الصلاة وهو قول: علي رضي الله عنه حكاه عنه أبو الحسن الحوفي في كتاب (البرهان) له.

قال ذو النسبين أيده الله: وهذا بخلاف ما نقلته الإمامية عن علي عليه السلام من إسبال اليدين، وأنّه لا يجوز عندهم وضع إحديهما على الأخرى في الصلاة، وقال آخرون: ﴿وَانْحَرْ﴾ أي يرفع يديه إلى النحر عند افتتاح الصلاة والدخول فيها، وقال مجاهد وعطاء وابن عباس: فصلِّ المكتوبة وانحر البدن، وقال آخرون: عنى بذلك، صلِّ يوم النحر صلاة العيد وانحر نسكك، وهو قول أنس بن مالك، وهذا يبطل القول الذي قبله.

قال أنس: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينحر قبل أن يصلي فأمر أن يصلي ثم ينحر حكاه الحوفي عن عكرمة وعطاء والحسن وقتادة وابن عباس، وقال سعيد بن جبير: نزلت هذه الآية يوم الحديبية حين حصر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وصُدّوا عن البيت. قال الخثعمي: ورفع اليدين إلى النحر في الصلاة عند استقبال القبلة التي عندها ينحر إليها بهدي، معناه: الجمع بين الفعلين، النحر المأمور به يوم الأضحى، والإشارة إليه في الصلاة برفع اليدين إلى النحر، كما أن

القبلة محجوجة ومصلّى إليها فكذلك ينحر عندها ويشار إلى النحر عند استقبالها(٢٨٩).

وإلى هذا التفت صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حين قال: **"مَنْ صَلّى صَلاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَنَسَكَ نُسُكَنَا فَهُوَ مُسْلِمٌ"**(٢٩٠).

---

٢٨٩)- وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي في سننه عن علي بن أبي طالب قال لما نزلت هذه السورة على النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إنا أعطيناك الكوثرْ فصلِّ لربكَ وانحرْ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هي النحيرة التي أمرني الله بها ؟ فقال: إنها ليست بنحيرة ولكن يأمرك إذا تحرمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع فإنها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين هم في السموات السبع، وأن لكل شيء زينة وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبير. قال النبي صلى الله عليه وسلم: رفع اليدين من الاستكانة التي قال الله تعالى فيها: ﴿فما استكانوا لربهم وما يتضرعونَ﴾ وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في الآية قال:إن الله أوحى إلى رسوله أن ارفع يديك حذاء نحرك إذا برزت للصلاة؛ فذلك النحر. [فتح القدير ٥/٥٠٤].

٢٩٠)- لفظ الحديث في البخاري " حدثنا عمرو بن عباس قال حدثنا ابن المهدي قال حدثنا منصور ابن سعيد عن ميمون بن سياه عن أنس بن مالك. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ومن صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته".

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: اسناده صحيح.

جـ - إخراجه:

وقال الله جل من قائل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي ونُسُكِي﴾[291] "الأنعام فقرن بين الاستقبال إلى الكعبة والنسك إليها، كما قرن بينهما حين

١- البخاري كتاب الصلاة باب فضل استقبال القبلة يستقبل بأطراف رجليه القبلة قاله أبو حميد عن النبي صلى الله عليه وسلم. جـ ١ ص ١٠٢ وقد أورده البخاري برواية أخرى في نفس الجزء والباب ص ١٠٣.

٢- النسائي كتاب تحريم الدم جـ ٧ ص ٧٦ ذكره ضمن حديث طويل لفظه ولكنه لم يذكر "فذلك المسلم ... الخ بل قال " فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم الا بحقها لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم "وكلا الروايتين عن أنس".

٣- مسند أحمد جـ ٣ ص ١٩٩ وهو بلفظ مسلم.

د- المفردات:

فلا تخفروا الله: بالضم - أي لا تغدروا يقال أخفرت إذا غدرت.

ذمة الله: أي أمانته وعهده.

اختصر الحديث على الأفعال المذكورة - والحكمة من ذلك أن من يقر بالتوحيد من أهل الكتاب وإن صلوا واستقبلوا وذبحوا لكنهم لا يصلون مثل صلاتنا ولا يستقبلون قبلتنا ومنهم من يذبح لغير الله" ومنهم من لا يأكل ذبيحتنا ولهذا قال "وأكل ذبيحتنا" والاطلاع على حال المرء في صلاته وأكله يمكث بسرعة بخلاف غير ذلك من أمور الدين. [فتح الباري ٣/٥٢ - ٥٣].

[291]- الصلاة والنسك والحياة والموت كلها واقعة بخلق الله وقضائه وقدره وسائر أفعاله لا يشاركه فيها أحد من خلقه فهي لله رب العالمين. [تفسير الجواهر ٤/١٢٤].

والمراد بالصلاة - الصلوات الخمس المفروضة، والنسك والعبادات كلها لله وحده، وأصل النسك كلما يتقرب به إلى الله تعالى ومنه قولهم للعابد: ناسك، ويقال: أراد بالصلاة صلاة العيد وبالنسك الأضحية، وعن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه قرب كبشاً أملح أقرن فقال: ﴿لا إله إلا الله والله أكبر إن صلاتي ونسكي

قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ وقد ذكرنا أحاديث الحوض وحكينا ما بلغ إلينا من الروايات الثابتة فيه في جزء مفرد، وأما اختلاف المسافات التي في الحديث فالحوض له طول وعرض وزوايا وأركان فتكون اختلاف هذه المسافات التي في الأحاديث على حسب ذلك.

وقد ذكرنا عمان التي هي ببلاد اليمن وهي بضم العين وتخفيف الميم لا غير، وهي فرضة([٢٩٢]) البحر من أرض البحرين، بناه عمان بن لوط، وحلّه فسمي به، وسفين معمن إذا كان بعمان، وعَمِن بالمكان: أقام به، وعمّان التي في الحديث : الحوض أيضاً بفتح العين وشد الميم قرية بالشام قاله الخطابي.

قال ذو النسبين أيده الله: هي قرية كبيرة في أرض البلقاء من كورة دمشق، واشتقاقه عند اللغويين من العم وهو الجمع الكبير قال جرير:

فَكَيْفَ رَأَيْتَ مِنْ عَمَّانَ نَاراً ... بِوَافِضَةٍ يَشِيبُ لَهَا وَقُودُ([٢٩٣])

ومحياي ومماتي﴾، أي وما أنا عليه في حياتي وأكون عليه عند موتي من الإيمان والطاعة، فالتقدير ذا محياي وذا مماتي. [روح البيان ٣/١٢٨ - ١٢٩].

[٢٩٢]- فرضة: الفرضة: هي الثلمة ينحدر منها الماء وتصعد منها السفن ويستقى منها.

[٢٩٣]- وبيت جرير وجدته في ديوانه هكذا.

فكيف رأيت من عثمان داراً ... يشبُّ لها بواقعةِ الوقود.

ديوان جرير ص ١٢٧ وفيما يظهر لي أن هذا البيت غير صحيح يدل على ذلك التوهم في شرحه، وأرى أن البيت الوارد في الكتاب هو الأصح/ع.

وقد ذكرنا هذا كله في كتابنا المسمى "بالتنوير في مولد السراج المنير"، وانظر أيها العبد المأمور، بتدبر كتاب الله، ما في هذه السورة من الإعجاز.

وتقابل المعاني والإيجاز إذ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ هنا أحسن من صلّ لنا؛ لأنه يجب أن يذكر جلّ جلاله في الصلاة بصفة الربوبية، ﴿وَانْحَرْ﴾ هنا: أحسن من أشكر لأنه على بِرٍّ بعد بِر، والابتر: أحسن من الأخسر هنا لأنه أدل على النكاية في النفس، فهذه ثلاث آيات قد بلغت من رتبة البلاغة أقصى الغايات، وتناهت في الإعجاز والإيجاز إلى منتهى النهايات، بحيث لا تقبل ألفاظها التبديل بألفاظ تعني معناها، وتدل على معناها مع اتساع نطاق نطق العرب في الأسماء المترادفة الدالة على المعنى الواحد بالألفاظ المتخالفة، ولقد شارك الأنباء في فضائلهم وزاد أضعاف ذلك عليهم وتحقق فضله عليهم، وسيادته لديهم، على ما ثبت عنه بإجماع أهل الصحيح من الخبر: "أنه سيد ولد آدم"، فليقف على ذلك من اختبر، وبموجبه جعل أمته أفضل الأمم حيث جعلهم شطر أهل الجنة، وسواهم شطرها، وهذه فضيلة تنظر إلى الفضائل من أمم، وبنص الكتاب العزيز الذي (لا يستعمل)[294] إلا به كل القياس، قوله جل من قائل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

---

[294]- في ب "لا تستعمل" بتاءين.

﴿لِلنَّاسِ﴾([٢٩٥]) كيف وهو صاحب المقام المحمود والمنفرد بالشفاعة العظمى يوم الورود.

وخصه الله في القرآن باسمين من أسمائه وجعل صراطه مستقيماً حيث سماه بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً فإن قيل: أليس قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "**لاَ تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى**"([٢٩٦]) قلنا ذلك قبل إعلام الله

---

[٢٩٥])- آل عمران الآية ١١٠.

اختلف أهل التأويل في قوله تعالى: ﴿كنتمْ خيرَ أمةٍ أخرجتْ للناسِ﴾ فقال بعضهم هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، وخاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عمر بن الخطاب: لو شاء الله تعالى قال: أنتم فكنا كلنا ولكن قال: كنتم في خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. [الطبري ٢٩/٣].

وقيل:معناه كنتم في اللوح المحفوظ، وقيل: كنتم منذ آمنتم وفيه دليل على أن هذه الأمة الإسلامية خير الأمم على الإطلاق، وأن هذه الخيرية مشتركة ما بين أول هذه الأمة وآخرها بالنسبة إلى غيرها من الأمم، وإن كانت متفاضلة في ذات بينها كما ورد في فضل الصحابة على غيرهم. [فتح القدير ٣٧١/١].

[٢٩٦])-لفظ الحديث في البخاري "حدثنا مسدد حدثنا يحي عن سفيان قال: حدثني الأعمش حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا يقولن أحدكم أني خير من يونس.زاد مسدد:يونس بن متى" وجاء في رواية أخرى للبخاري، "حدثنا حفص عن عمر حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى ونسبه إلى أبيه" أما حديث " لا تفضلوني على

يونس بن متى" هذا اللفظ المشهور لم يروه أحد من أهل الكتب التي يعتمد عليها، وانما اللفظ المشهور الذي في الصحيح "لا ينبغي لعبد أن يقول: إني خير من يونس: زاد مسدد يونس بن متى".

أ- رواته: ثقات.

ب - درجته: اسناده صحيح.

جـ - تخريجه:

١- البخاري كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى (وان يونس لمن المرسلين- إلى قوله: مليم" ١٣٢/٤.

٢- مسلم كتاب الفضائل باب في ذكر يونس عليه السلام وقول النبي صلى الله عليه وسلم "لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى" ١٨٤٦/٢ لفظه كما أورده ابن عباس.

٣- أبو داود كتاب السنة باب في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ٥١/٥.

-قد يتوهم كثير من الناس أن بين الحديثين خلافاً وذكر أنه قد أخبر في حديث أبي هريرة أنه سيد ولد آدم، والسيد أفضل من المسود.

وقال في حديث ابن عباس رضى الله عنهما: ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس ابن متى، والأمر في ذلك بّين، ووجه التوفيق بين الحديثين واضح.

وذلك أن قوله: "أنا سيد ولد أدم" إنما هو إخبار عما أكرمه الله به من الفضل والسودد وتحدث بنعمة الله عليه، واعلام لأمته وأهل دعوته مكانه عند ربه ومحله من خصوصيته ليكون ايمانهم بنبوته واعتقادهم لطاعته على حسب ذلك. وكان بيان هذا لأمته ولإظهاره لهم من اللازم له والمفروض عليه.

وأما قوله في يونس صلوات الله عليه وسلامه قد يتأول على وجهين:

أحدهما: أن يكون قوله: "ما ينبغي لعبد" إنما أراد به من سواه من الناس دون نفسه.

له بأنه الأفضل؛ فلقد صح عنه وثبت أنه قال: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ" كما سبق.

مُعْجِزَاتُ مُحَمَّدٍ وَالأَنْبِيَاءِ مِن قَبْلِه عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ

والحقّ كلامه، والصدق فيما نطق، وأعظم كرامة تكون ليست لغيره من الأنبياء عليهم السلام، أنّه يرغب في شفاعته سائر الأمم، حتى إبراهيم خليل الرحمن، على ما ثبت عنه بنقل عدول الإسلام وليس على الأنبياء في ذلك شيء من النقص والغض، فقد قال أصدق

والوجه الآخر: أن يكون ذلك عاماً مطلقاً فيه وفي غيره من الناس ويكون هذا القول منه على الهضم من نفسه واظهار التواضع لربه.

يقول: لا ينبغي لي أن أقول أنا خير منه، لأن الفضيلة التي نلتها كرامة من الله سبحانه وتعالى وخصوصية منه لم أنلها من قبل نفسي، ولا بلغتها بحولي وقوتي، فليس لي أن افتخر بها وإنما يجب علي أن أشكر عليها ربي.

وانما خص يونس بالذكر لما قصه الله تعالى علينا من شأنه، وما كان من قلة صبره على أذى قومه فخرج مغاضباً لهم و لم يصبر كما صبر أولو العزم من الرسل.

وقد قيل أن قوله: أنا سيد ولد آدم" انما أراد به يوم القيامة حين قدم بالشفاعة وسادهم بها. [انظر التعليق على سنن أبي داود ٥/٥٢– ٥٣ خطابي].

القائلين: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾(297).فلإن كانت قصة آدم وزوجته حوّاء حيث كانت عوناً له على المعصية، على ما رواه الزبير بن بكار نسابة الجماعة، فلقد كان من قصة محمّد صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وزوجته)(298) أنها كانت له عوناً على الطاعة ، ولإنْ تضرع آدم وتلقى من ربه كلمات حتى تاب عليه، فلقد تقدم لمحمد صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر في الإحسان إليه، ولإن كانت معجزة آدم بين ملائكة السماء، ما علم من الأسماء فلقد أوتي محمّد صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوامع الكلم واختصر له القول

---

(297)- البقرة الآية ٢٥٣.

المراد بتفضيل بعضهم على بعض أن الله سبحانه وتعالى جعل لبعضهم من مزايا الكمال فوق ما جعله للآخر فكان الأكثر مزايا فاضلاً والآخر مفضولاً وكما دلت هذه الآية على أن بعض الأنبياء أفضل من بعض كذلك دلت الآية الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيينَ على بعضٍ وآتينا داودَ زبوراً﴾ وقد استشكل جماعة من أهل العلم الجمع بين هذه الآية وبين ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ "لا تفضلوني على الأنبياء" فقال قوم: إن هذا القول منه صلى الله عليه كان قبل أن يوحى إليه بالتفضيل ان القرآن ناسخ للمنع من التفضيل، وقيل: إنه قال صلى اله عليه وسلم ذلك على سبيل التواضع كما قال: "لا يقل أحدكم أنا خير من موسى بن متى" تواضعاً مع علمه أنه أفضل الأنبياء إنما نهى عن ذلك قطعاً للجدال والخصام في الأنبياء (تعارض بين القرآن والسنة فإن المزايا التي هي مناط التفضيل معلومة عند الله لا تخفى عليه منها خافية) فتح القدير ٢٦٨/١ -٢٦٩.

(298)- في أ و ب "زوجته خديجة".

اختصاراً وأي اختصار، ونصر ببلاغة القرآن على البلغاء انتصاراً وأي انتصار، ولإن ظهرت آية نوح حيث كانت معجزة الطوفان وإغراق الأنام، فلقد بهرت آية محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث استسقى لقومه فأحيى الموات واستمطر الغمام.

ولإن كانت آية نوح استجابة دعوته في الكفار لما دعا عليهم بالدمار، (ونجاته)[299] ونجاة من اتبعه من المؤمنين؛ فقد استجيب دعاء محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما دعا على كفار قريش بالسنين وأنزل عليه: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾[300]، فكانوا إذا رفعوا رؤوسهم إلى السماء رأوا بينهم وبينها دخانا متراكماً كالرّكام[301] آخذاً بأنفاسهم أخذ الزكام، وعُدموا القوت حتى أكلوا العلهز[302] من شدة الجوع، ثم دعا لهم ليستيقظوا بعد الهجوع[303] فأخصبوا[304] وامتنعوا من الإنابة[305] والرجوع، ثم دعا لهم ليستيقظوا

---

[299]- في أ و ب " وبنجاته".

[300]- الدخان الآية ١٠.

[301]- الركام: المتراكم بعضه فوق بعض أو الرمل وما أشبه ذلك.

[302]- العلهز:؛ بالكسر القراد الضخم وطعام من الدم والوبر كان يتخذ في المجاعة ونبات ينبت ببلاد بني سليم، والعلهز اللحم النيىء.

[303]- الهجوع: النوم قليلاً.

[304]- فاخصبوا: خصب المكان كثر فيه العشب والخير فهو خصب وخصيب ومخصب.

[305]- الإنابة: التوبة والرجوع إلى الله تعالى.

بعد نـور الله بـأنواع الكفر[٣٠٦]، وتخـيّروا الجيـش العرمـرم[٣٠٧]، وسـار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نفـر قليـل مـن أهـل الجنـة إلى أهـل جهنم، فأخذهم الله أخذة رابية[٣٠٨] فقتلوا وطرحوا في القليب.

لفظ الحديث في البخاري **حدثنا** يحيى، حدثنـا أبـو معاويـة، عـن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، قال: قال عبد الله:[٣٠٩]" إِنَّمـا كَـانَ

---

٣٠٦)-بأنوار الكفر " هكذا في كـل النسـخ فكيـف يجعـل للكفـر نـور بينمـا الكفـر ظـلام والاسلام يخرج الناس من الظلمات إلى النور؛ أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمـان. (ولا أرى التعبير بهذا سليماً).ع

٣٠٧)- العرمرم: الشديد، الجيش الكثير.

٣٠٨)- رابية: زائدة في الشدة علـى عقوبـات مـن سـبقهم. وفي القـرآن الكريـم:﴿ فعصـوا رسولَ ربِّهم فأخذهم أخذةً رابيةً﴾ [الحاقة الآية ١٠].

309 لفظ الحديث في البخاري حدثنا أبومعاويـة، عـن الأعمـش، عـن مسـلم ، عـن مسروق، قال:قال عبدالله إنّمَا كَانَ هذالأنَّ قُرَيْشـاً اسْـتعصوْا عَلَـى النَـبيِّ صلّـى اللّـه عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ،.فَأَصَابَهُمْ قَحْط وَجُهْدُ، حَتّىأَكَلُوا العِظَامَ فَجَعَلَ الرجل ينظر الى السماء فيرى مابينه وبينها كهيئة الدخان ، فانزل الله تعالى:﴿ فـارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم﴾ قال : فأتى رسـول الله صلـى الله عليه وسلم ، فقيل يارسول الله استسق لمضـر ، فإنهـا قـد هلكـت ، قـال: لمضـر إنـك لجرىء، فاستسقى، فسقوا. فنزلت ﴿انكم عـائدون ﴾ فلمـا اصـابتهم الرفاهيـة عـادوا الى حـالهم حـين اصـابتهم الرفاهيـة فـأنزل الله عزوجـل :﴿ يـوم نبطـش البطشـة الكـبرى إنامنتقمون﴾ (الدخان١٦). قال يوم بدر".

ب – درجته: اسناده صحيح

جـ تخريجه:

هذا لأَنَّ قُرَيْشاً لَمَّـا اسْتَعْصَوْا عَلَى النَبِـيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ دَعَـا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُـفَ، فَأَصَـابَهُمْ قَحْـطٌ وَجُهْـدٌ، حَتَّـى أَكَلُـوا العِظَامَ فَجَعَـلَ الرَجُـلُ يَنْظُـرُ إِلى السَّـمَاءِ فَيَرَى مَـا بَيْنَـهُ وَبَيْنَهَـا كَهَيْئَـةِ الدُّخَانِ مِـنَ الجُهْـدِ، فَـأَنْزَلَ اللهُ تَعَـالَى: ﴿فَارْتَقِبْ يَـوْمَ تَـأْتِ السَّـمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هذا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قَالَ: فَـأَتَى رَسُـولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقِيلَ يَـا رَسُـولَ اللهِ، اسْتَسْـقِ لِمُضَـرٍ، فَإِنَّهَـا قَـدْ هَلَكَتْ، قَالَ: لِمُضَرٍ؟ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ، فَاسْتَسْقَى، فَسُقُوا. فَنَزَلَتْ ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ فَلَمَـا أَصَـابَتْهُمُ الرَّفَاهِيَـةَ عَـادُوا إِلى حَـالِهِمْ، حِينَ أَصَـابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَـةَ فَـأَنْزَلَ اللهُ عَـزَّ وَجَـلَّ: ﴿يَـوْمَ نَبْطِـشُ البَطْشَـةَ الكُـبْرَى إِنَّـا مُنْتَقِمُونَ﴾ (الدخان ١٦).قال يوم بدر".

١- البخاري كتاب تفسير القرآن باب يغشى الناس هذا عذاب أليم ٣٩/٦.

٢- مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب الدخان ٢١٥٧/٣ نحوه وجميع روايات مسلم جاءت بلفظ "استغفر الله لمضر

د- المفردات:

الجهد: المشقة الشديدة.

استغفر الله لمضر ، واستسق الله لمضر، قـال القـاضي: قـال بعضهـم استسـق هـو الصـواب اللائق لأنهم كفار لا يدعى لهم بالمغفرة، قلت كلاهما صحيح، فمعنى استسق: اطلب لهم المطر والسقيا. ومعنى استغفر: ادع الله لهم بالهدايـة الـتي يـترتب عليهـا الاسـتغفار. [انظـر النووي على صحيح مسلم].

قَالَ ذُو النَّسَبَيْنِ أَيَّدَهُ اللهُ: أي زائدة تامة من قولهم ارتبت: إذا أخذت أكثر مما أعطيت من الربا، ﴿**كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ. فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ**﴾ أي أصول نخل، وقيل خاوية؛ لأن النخل يذكر ويؤنث، وخاوية: خالية من الحياة والنمو، وقال جل من قائل في التذكير ﴿**أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ. فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ**﴾ ونجّاه الله ومن معه من المستضعفين وكفاه المستهزئين، ولإن دعا نوح على قومه فقال: ﴿**رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً**﴾، فقد حكى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقومه عند إيذائهم له، وشجهم وجهه، وكسرهم رباعيته، نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: "**رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُون**".حنواً واختياراً[٣١٠].

---

[٣١٠]–لفظ الحديث في البخارى "قال حميد وثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال كيف يفلح قوم شجوا نبيهم فنزلت "ليسَ لكَ منَ الأمرِ شيء" سورة آل عمران ١٢٨.

الحديث:

أ– رواته: ثقات.

ب– درجة إسناده صحيح.

جـ– تخريجه:

١– البخاري كتاب المغازي باب ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون، جـ ٥ ص ٣٥.

ثم لإن كان من قصة صالح حيث عقر قومه الناقة[٣١١] أنه كان سبب هلاكهم ودمارهم، فلقد كان من قصة محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث شجه قومه وكسروا رباعيته، وقتلوا عمه (وحبه)[٣١٢] انه قدر عليهم فعفا عنهم وأطلقهم وأمكنهم من مكة[٣١٣]، وأسكنهم من

٢- مسلم كتاب الجهاد والسير باب غزوة أحد جـ ٢ ص ١٤١٧ وهو على نحو ما في البخاري غير أنه ذكر فيه "كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عنه "وكلا الروايتين عن أنس كما أورده بروايات أخرى في نفس الصفحة.

٣- ابن ماجه كتاب الفتن الصبر على البلاء جـ ٢ ص ١٣٣٦ ورقم الحديث ٤٠٢٧ وهو على نحو ما في مسلم.

٤- الترمذي كتاب تفسير القرآن باب سورة آل عمران جـ ٥ ص ٢٢٦.

٥- مسند أحمد وهو على نحو ما في مسلم وابن ماجه.

د- المفردات:

شج في رأسه: حصل جرح في رأسه الشريف، والجراحة إذا كانت في الوجه أو الرأس تسمى: شجه.

يسلت: يمسح.

[٣١١]- اشارة إلى قوله تعالى ﴿فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم﴾

[٣١٢]- في أ و ب "وأحبته" وهو الصحيح.

[٣١٣]- وذلك في فتح مكة عندما دخلها منتصراً كبر في نواحيها ثم خرج إلى مقام إبراهيم وصلى فيه ثم شرب من زمزم وجلس في المسجد والناس حوله والعيون شاخصة إليه ينظرون ما هو فاعل بمشركي قريش الذين آذوه وأخرجوه من بلاده وقاتلوه، ولكن هنا تظهر مكارم الأخلاق التي يلزم أن يتعلم منها المسلم أن يكون رضاه وغضبه لله لا لهوى النفس فقال عليه السلام: معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم

ديارهم، ولإن كانت آية الخليل إبراهيم حين أُلقي(٣١٤) في كفه المنجنيق خمود نار الحريق؛ فقد أحمد الله برمية محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٣١٥) نار حرب حنين بعد احتدامها(٣١٦) وتلهبها واضطرامهـا، وتطبيـق فجاجهـا بمنصعد(٣١٧) دخان عجاجها، حين انعقد دخان العجاج على الـرؤوس، ووصل ضرره إلى الأرواح والنفوس، واستعرت نار الحرب واشتدَّ كـر الكرب وضُرّ الرمي والضرب، وطافت كـأس البـأس بمـدام الـدم علـى الشرب فجعلها الله برمية مـن تـراب بـرداً وسـلاماً عليـه، وكفـاه شـر الأسنة المشرعة إليه، وبلغه فيهـم ما كان يرجوه، وقال في رميته: كلمـة واحدة شاهت الوجوه.

وابن أخ كريم، فقال عليه السـلام : اذهبـوا فـأنتم الطلقـاء". [نـور اليقـين في سـيرة سـيد المرسلين ٤٢٢].

وهنا يظهر العفو عند المقدرة وتتجلى أخلاقـه السـمحة في أعلى معانيهـا فقـد وصفـه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وانكَ لعلى خُلقٍ عظيمٍ﴾.

٣١٤ـ في (ب) ألقي في كفه.

٣١٥)- في ب "عليهما وسلم".

٣١٦)- في أ احتذامها بالذال، وفي ب احتزامها بالزاي، والصحيح ما أثبتناه.

٣١٧)- في أ و ب بمتصعد بالتاء.

ثم لإن كانت آية داود في تسبيح الجبال وتأويبها[318] معه، فلقد كانت آية محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تسبيح الطعام وهو يؤكل تسبيحاً؛ كل من حضره من الصحابة سمعه.

لفظ الحديث في البخاري **حدثني** محمد بن المثنى حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال:[319] كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفاً كنا مع رسول

---

[318] في ب وتأويبها " وهو الصحيح.

[319]- الحديث:

أ- رواته: ثقات.

ب- إسناده صحيح.

جـ- تخريجه:

١- البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الاسلام جـ ٤ ص ١٧١.

د- المفردات:

- الآيات: أي الأمور الخارقة للعادات.

- وأنتم تعدونها تخويفاً: الذي يظهر أنه أنكر عليهم عد جميع الخوارق تخويفاً، وإلا فليس جميع الخوارق بركة فإن التحقيق يقتضى عد بعضها بركة من الله كشبع الخلق الكثير من الطعام القليل، وبعضها تخويف من الله ككسوف الشمس والقمر؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: " إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده".

- حي على الطهور المبارك: أي هلموا إلى الطهور وهو بفتح الطاء والمراد به الماء ويجوز ضمها والمراد الفعل - أي تطهروا.

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر فقلَّ الماء، فقال: **"أُطْلُبُوا فضْلَةً مِنْ مَاء، فَجَاءُوا بِإنَاء فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاء، ثم قال: حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ المُبَارَكِ، وَالبَرَكَةُ مِنَ اللهِ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ المَاءَ يَنْبَعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ".**

ولإن كانت آية سليمان لما أطاع وأناب بتسخير الريح[٣٢٠] تجري بأمره رخاء حيث أصاب، وجنود الشياطين البنائين والغواصين المؤتمرين لما يرد منه من الخطاب؛ فلقد كانت الآية في تسخير الريح لمحمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يوم الأحزاب، وشخصت الأبصار وعميت البصائر، وشتّان ما بين الملائكة المخلوقين من النور والشياطين المخلوقة من النار، وريح سليمان وهو على بساط نعمته المعروف، وريح محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو محصور قد خندق على نفسه، إذ كانت

- يسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل: أي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غالباً لا يرفع ذلك عند الإسماعيلي صريحاً أخرجه عن الحسن بن سفيان عن بندار عن أبي أحمد الزبيري في هذا الحديث. [انظر فتح الباري ١٤/٨١].

[٣٢٠]- وفي القرآن الكريم ﴿فسخرنا له الريحَ تجري بأمره رخاء حيثُ أصابَ والشياطينَ كلَّ بناءٍ وغواصٍ وآخرينَ مقرنينَ في الأصفادِ﴾ "ص" الآية ٣٦-٣٧-٣٨.

الأحزاب في عدة ألوف، فجاءت ريح[٣٢١] الله تعالى فاقتلعت الخيام وأكفأت القدور وزحزحت جميع الصفوف[٣٢٢].

ولإن صحب خدمة الهدهد بين يدي سليمان في قصة بلقيس فلقد صحب[٣٢٣] خدمة الروح الأمين جبريل بين يدي محمد صلى الله عليهما في غزوة بني قريظة، ولا قياس بينهما لمن يقيس، فقذف الرعب

---

٣٢١)- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهمْ ريحاً وجنوداً لم تروْها﴾ (الأحزاب).

٣٢٢)- قال حذيفة: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هوياً من الليل ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع؟ يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة؛ أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟ فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد؛ فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال يا حذيفة اذهب فادخل مع القوم فانظر ماذا يصنعون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا؟ قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء وأبو سفيان ينادي بالرحيل ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف، ولقينا من شدة الريح ما ترون ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فاني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه، ثم ضربه فوثب به على ثلاث فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم،و لولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي أن لا تحدث شيئاً حتى تأتيني ثم شئت لقتلته بسهم. [السيرة النبوية لابن هشام ٣/١٣٩-١٤٠].

هوياً من الليل: جزءا منه.

الكراع: الخيل.

الخف: الإبل.

٣٢٣)- في (أ) و(ب) (صحت) وهو الصحيح.

في قلوب بني قريظة الشياطين المردة، وأمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بضرب أعناق اليهود إخوان القردة، فقتل منهم سبعمائة وخمسين، وقسم نساءهم وأولادهم بين[٣٢٤] المسلمين، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

---

٣٢٤)- في (أ) "بين" وهو الصواب.

لفظ الحديث في البخاري "حدثني عبد الله بن أبي شيبة حدثنا ابن نمير عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الخندق ، ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام فقال: قد وضعت السلاح والله ما وضعناه فاخرج اليهم. قال: فإلى أين ؟ قال ها هنا وأشار الى بني قريظة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم".

رواته ثقات، درجته: إسناده صحيح، تخريجه: (١) البخاري كتاب المغازي باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه الى بني قريظة ومحاصرته إياهم ج٥ ص٤٩.

(٢) مسلم كتاب الجهاد والسير باب جواز من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم. (ج٢ ص ١٣٨٩ ٦٥ (١٧٦٩)) وهو على نحو ما في البخاري إلا أنه زاد في آخره: "فقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم الى سعد. قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى الذرية والنساء وتقسم أموالهم" وجاء في الحديث الذي يليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل".

وفي القرآن الكريم: ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً﴾ الأحزاب الآية ٢٦.

ولإن صح علو سليمان على بساط الخشب عند ذوي النهي، فلقد صح علو محمد صلى الله عليهما ليلة المعراج في الهواء، الى سدرة المنتهى، فسار مسيرة سبعة آلاف سنة صاعداً ونازلاً في بعض ليلة بروحه وجسده، دون نوم ولا سنة،ثم لإن كانت معجزة موسى في انقلاب العصى ثعباناً شديد البأس يتلقف ما خيلته السحرة من التهاويل لعيون الناس، فلقد كانت معجزة رسول الله صلى الله عليهما وسلم في جِذْلِ حطب أعطاه لعكاشة ولعبد الله بن جحش، فانقلب صارماً يفلق الجماجم ويحز الغلاصم.

ولإن كان انفلاق البحر، فلقد كان انشقاق القمر، وتلك آية أرضية وهذه آية سماوية(٣٢٥).

---

٣٢٥)- لفظ الحديث في البخاري "حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة وسفيانه عن الأعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين - فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا".

(أ) رواته ثقات، درجته: إسناده صحيح. تخريجه: (١) البخاري كتاب تفسير القرآن - سورة القمر باب وانشق القمر وأن يروا آية يعرضوا ج ص ٥٢. وقد أورده البخاري بروايات مختلفة يقارب بعضها البعض في نفس المرجع ج٦ ص ٥٢ - ٥٣ وقد أورده في كتاب المناقب. مثله ج٤ ص١٨٦.

(٢) مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب انشقاق القمر ج٣ ص ٢١٥٨ حديث ٤٤ (٢٨٠٠) وهو لفظه ، وقد أورده كذلك بروايات مختلفة كما جاء لفظ "انشق" تارة "وانفلق" تارة أخرى.

انظر السيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص١١٤.

خلاصة:

لقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عمن أحاط بها ونظر فيها، وذلك مروي عن أنس بن مالك وجبير بن مطعم وحذيفة وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين. أما أنس فقال الامام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر مرتين فقال: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر ...﴾ الآيات. رواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به، وروى البخاري ومسلم هذا الحديث عن طريق شيبان.

زاد البخاري وسعيد بن أبي عروبة. وزاد مسلم ثلاثتهم عن قتادة عن أنس. أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما.

وإذا كان المفسرون يرون أن انشقاق القمر من علامات الساعة فهذا لا يمنع أن يكون معجزة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه قال: "أنا والساعة كهاتين" فأشار بالسبابة والوسطى وذلك كناية عن قربهما لزمنه صلى الله عليه وسلم.

وعلى كل فإن الحادث ثابت من هذه الروايات المتواترة المحددة للزمان والمكان والهيئة، وهو حادث واجه القرآن به المشركين في حينه، ولم يرو عنهم تكذيب لقومه، فلا بد أن يكون قد وقع فعلاً بصورة يتعذر معها التكذيب ولو على سبيل المراء الذي كانوا يمارونه في الآيات، لو وجدوا منفذاً للتكذيب ، وكل ما روي عنهم أنهم قالوا: سحرنا! ولكنهم هم أنفسهم اختبروا الأمر فعرفوا أنه ليس بسحر، فلإن كان قد سحرهم فإنه لا يسحر المسافرين خارج مكة الذين رأوا الحادث وشهدوا به حين سئلوا عنه. (في ظلال القرآن ٣٤٢٦/٦).

ولإن كان انفجار الماء من الحجر حين ضربه موسى بعصاه، فلقد صح نبع الماء من بين أصابع محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك مراراً عدة شهد بذلك من أطاعه ومن عصاه([٣٢٦]).

---

[٣٢٦])- لفظ الحديث في البخاري "حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضؤوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم".

(أ) رواته ثقات. (ب) درجته: إسناده صحيح. (ج) تخريجه: (١) البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ج٤ ص ١٦٩.

(٢) مسلم كتاب الفضائل باب معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ج٢ ص١٧٨٣ وهو بلفظه. حديث ٥ (٢٢٧٩) وقد أورده في حديث ٦ و٧ على نحوه.

(٣) الدارمي ج١ ص١٠ المقدمة.

(٤) دلائل النبوة ج٢ ص ١٧٤ للأصبهاني.

(د) الوضوء: بفتح الواو هو الماء الذي يتوضأ به.

من عند آخرهم: هكذا هو في الصحيح ومن هنا بمعنى الى وهي لغة.

الأحاديث في نبع الماء كثيرة فقد تكررت منه صلى الله عليه وسلم عدة مرات في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر و لم يسمع بمثل هذه المعجزة من غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد اختلف العلماء في الذي نبع من بين أصابعه هل كان من بين اللحم والدم أم بركة حصلت من الله تعالى في الماء؟

ولإن أوتي موسى تسع آيات بينات لـذوي التبيين، فلقـد أوتـي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الآيات المبينات ما يزيـد في التسـع علـى التسعين.

ولإن كانت معجزة عيسى في إبراء الأكمه بلمسه، حيـث كـان في ذلك نسيج وحده، فلقد كانت آيات محمد صلى الله عليهما وسـلم في رد عين قتادة بـن النعمـان البصـري بيـده المقدسـة لمـا سـالت علـى خده([٣٢٧]).

ولإن كانت معجزة عيسى في إحيـاء الموتـى بعـد الممـات، فلقـد ثبـت لمحمـد صلـى الله عليهمـا إحيـاء الجمـادات والمـوات مثـل حنـين

قال الإمام المحقق "ابن القيم"من زاد المعاد في هدي خير العباد" هي بركة من الله حصلت بوضعه صلى الله عليه وسلم أصابعه الشريفة فيه فجعل يفور ويخرج من بين أصابعه، لا أنه يخرج من نفس اللحم والدم كما ظنه بعض الجهال".

وقال غيره: بل هو ايجاد معدوم وإنما نبع الماء من بين أصابعه حقيقة لأنه تكثير موجود.

[٣٢٧]- رد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد عين قتادة بن النعمان الى موضعها بعد ما سالت على خده فأخذها في كفه الكريم، وأعادها الى مقرها فاستمرت بحالها وبصرها وكانت أحسن عينيه رضي الله عنه. (السير النبوية لابن كثير ص /٥٦٨).

ومن ذلك ما رواه ابن اسحق أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد حتى وقعت على وجنتيه فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت أحسن عينيه، وفي ذلك يقول ابنه:

أنا ابن الذي سالت على الخدّ عينه ... فردت بكف المصطفى أحسن الردّ

فعادت كما كانت لأول أمرها ... فيا حسن ما عينٍ ويا حسن ما ردّ

(دلائل النبوة لأبي نعيم ١٧٤).

جذع([328]) النخلة، وفيه من الفقه الرد على القدرية الطغام، لأن الصياح ضرب من الكلام، وهم لا يرون الكلام يجوز إلا من حي ذي فم ولسان، كأنهم لم يسمعوا قول الملك الرحمن: ﴿**وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ فالحمدلله الذي بيّن لنا الرشد من الغي؛ ففي صحيح البخاري، عن جابر بن عبد

---

[328])- لفظ الحديث في البخاري "حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الواحد بن أيمن قال سمعت ابي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة الى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً قال: إن شئتم، فجعلوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة دفع الى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي صلى الله عليه وسسلم فضمها اليه تئن أنين الصبي الذي يسكن قال: كانت تبكي على ما كانت تسسمع من الذكر عندها".

رواته: ثقات، درجة إسناده صحيح.

تخريجه: (١) البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ج٤ ص ١٧٣ وقد أورده البخاري بروايات متقاربة.

(٢) ابن ماجة كتاب الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في بدء شأن المنبر ج١ ص ٤٥٤ وهو على نحوه.

(٣) الدارمي كتاب الصلاة باب مقام الإمام إذا خطب ج١ ص ٣٦٣.

(١) حنين: الحنين صوت كالأنين يكون عند الشوق لمن يهواه إذا فارقه ويصف به الإبل كثيراً.

(٢) الجذع: ساق النخلة اليابس وقيل: لا يختص به، لقوله تعالى: ﴿وهزي إليك بجذع النخلة﴾.

الله الأنصاري، سمعنا للجذع مثل أصوات العشار([329])، وهذه آية نظرت بعين الصحة وطارت بجناح الانتشار.

وفي باب علامات النبوة في الاسلام في فضائل سيد الأنام محمد عليه أفضل الصلاة وأشرف السلام، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضمها إليه تئن أنين الصبي الذي يسكن، وهذه معجزة أعربت بحركات الإعجاز فلا تسكن.

وَمَشْيُ الأَشَانِين ثم رجوعهما بأمره الى مكانهما، وهي من الآيات التي بهرت في برهانها، وفي آخر صحيح مسلم ما هو فخر لكل مسلم، وهو حديث الشجرتين اللتين كانتا بشاطئ الوادي حيث دعاهما صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأَمَ بينهما، فانقادتا كالبعير المخشوش، وطاعتا منه أكرم مناد، وهو الذي رواه مشاهدة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صاحبه وابن صاحبه جابر بن عبد الله الأنصاري([330]).

---

[329]- العشار: جمع العشراء كنفساء، وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر.

[330]- لفظ الحديث في مسلم "سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا وادياً أفيح، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته بأداوة من ماء، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي. فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال "انقادي علي بإذن الله" فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى، فأخذ بغصن من أغصانها فقال: "انقادي علي بإذن الله" فانقادت معه حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأم بينهما "يعني: جمع بينهما" فقال التئما علي بإذن الله

فالتأمتا. قال جابر فخرجت أحضر مخافة أن يحس رسول الله صلى الله عليه وسلم بقربي فيبتعد، وقال محمد بن عباد فيبعد" فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتة فإذا برسول الله صلى الله عيله وسلم مقبلاً، وإذا الشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق. فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف وقفة. فقال برأسه هكذا (وأشار أبو اسماعيل برأسه يميناً وشمالاً) يا رسول أقبل. فلما انتهى الي قال: يا جابر: هل رأيت مقامي؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: فانطلق الى الشجرتين، فاقطع من كل واحدة منهما غصناً، فأقبل بهما حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصنا عن يمينك وغصنا عن يسارك. قال جابر: فقمت فأخذت حجراً فكسرته وحسرته فانذلق لي، فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصناً، ثم أقبلت أجرهما حتى قمت مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، أرسلت غصناً عن يميني وغصناً عن يساري، ثم لحقته فقلت: قد فعلت يا رسول الله، فعم ذاك؟

قال: "إني مررت بقبرين يعذبان فأحببت بشفاعتي أن يرفه عنهما ما دام الغصنان رطبين".

درجته: صحيح بسنده.

تخريجه: (١) مسلم كتاب الزهد والرقائق باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر ج٣ ص ٢٣٠٦ - ٢٣٠٧.

(٢) الدارمي المقدمة باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر والبهائم والجن ج١ ص ١٠. وهو برواية مغايرة لمسلم.

(د) وادياً أفيح: أي واسعاً.

بشاطئ الوادي: أي جانبه.

كالبعير المخشوش: هو الذي يجعل في أنفه خشاش، وهو عود يجعل في أنف البعير إذا اشتد صعباً، ويشد فيه حبل ليذل وينقاد. وقد يتمانع لصعوبته فإذا اشتد عليه وآلمه انقاد شيئاً، ولهذا قال: الذي يصانع قائده.

بالمنصف: هو نصف المسافة

وتسبيح الحصى بكفه المقدسة الطاهرة، وتسليم الحجر عليه على ما ثبت في صحيح مسلم، **حدثنا** أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا يحيى بن ابي بكير عن ابراهيم بن طهمان، قال حدثني سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَراً بِمَكَةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ**"(٣٣١).

لأم: روى بهمزة مقصورة: لأم. وممدودة لآم. وكلاهما صحيح.

فخرجت أحضر: أي أعدو وأسعى سعياً شديداً.

فحانت مني لفته: اللفته: اللفتة النظرة الى جنب.

وحسرته: أي أحددته ونحيت عنه ما يمنع حدته بحيث صار مما يمكن قطع الأغصان به.

فانذلق: أي صار حاداً.

أن يرفه عنهما: أي يخفف.

٣٣١)- درجته صحيح بسنده.

تخريجه: (١) مسلم كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي صلى الله عله وسلم وتسليم الحجر عليه قبل النبوة. ج٢ ص ١٧٨٢ وهو بلفظه.

(٢) الترمذي كتاب المناقب باب في آيات اثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وما قد خصه الله عز وجل به ج٥ ص ٥٩٢ (٣٦٢٤) وهو على نحوه قال هذا حديث حسن غريب.

(٣) مسند أحمد ج٥ ص ٨٩ وهو بلفظ مسلم وأورده في ص ٩٥ و ص ١٠٥ في نفس المرجع.

(٤) الدارمي المقدمة باب ما أكرم الله به نبيه في إيمان الشجر به والبهائم والجن ج ص ١٢ وهو بلفظ مسلم. ج١ ص ١٢.

هذا حديث حَارَ فيه الخلق، إذ ليس من شأن الحجارة النطق دلّت على أنَّ النبيّ الحق. وكل ما به أتانا صدق، وهي الآية الظاهرة الى غير ذلك مما خصّ الله به بشره وشعره وشفته وأسنانه وجوارحه ودمه وريقه وتفله ونفثه وعرقه وماءه، وقد أفردنا كتاباً يحتوي على مجلدين لجميع ما خص الله به أعضاءه، ثم بعد نزول عيسى يصلي خلف إمام من أمّة محمد خاتم النبيّين وهذه فضائل يعدل بها جميع الأنبياء المتقدمين، بل يفضلهم بها عند جميع الضاربين بسيوف النظر وعلى هيجائه المقدمين، وكم لمحمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** المؤيد بالمعجزات، الآخذ بالحجزات([٣٣٢]) من الآيات البينات، ذؤابة([٣٣٣]) هاشم بن عبد مناف، المرتفع في صريح نسبه بلا خلاف، الذي ظلّلته الغمائم، وكلمته البهائم، ونصر بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وخص بليلة القدر، ونصر بالصبا([٣٣٤]) وشفيت([٣٣٥]) ببسالته غلل صدور الظبا([٣٣٦])، وجعلت له الأرض كلها مسسجداً وترابها طهوراً([٣٣٧]).

(د) "إني لأعرف حجراً بمكة" فيه معجزة له صلى الله عليه وسلم. وفي هذا اثبات التمييز في بعض الجمادات وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة. ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ وقوله تعالى: ﴿وإن من شئ إلا يسبح بحمده﴾.

(١) لعله سقط من اللفظ ما يفهم به الجملة وهو (إمام من أمة محمد ...).

[٣٣٢])- الحجزات: جمع بضم فسكون وهي مقعد الإزار ومن السراويل موضع التكة.

[٣٣٣])- ذؤابة هاشم: أي أشرافهم.

[٣٣٤])- نصرت بالصبا: ريح تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار.

[335]- في (أ) و(ب) "سقيت" وهو الصحيح.

[336]- الظبا: الظبة - حد السيف والسنان، والنصل، والخنجر، وما أشبه ذلك.

[337]- ولفظه في صحيح البخاري "حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن أنه حدثه أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "انما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها فجعل الرجل ينزعهن ويغلبنه فيتقحمن فيها فأنا آخذ بحجزهم عن النار وهم يتقحمون فيها".

رواته ثقاة درجته: إسناده صحيح.

تخرجه: (١) البخاري كتاب الرقاق باب الانتهاء عن المعاصي ١٨٦/٧.

(٢) مسلم شرح النووي - شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ٤٩/٥ نحو لفظ الحديث في البخاري "حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا هشيم قال وحدثني سعيد بن النضر قال أخبرنا هشيم قال: أخبرنا سيار قال: حدثنا يزيد الفقير قال: أخبرنا جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم و لم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة".

(أ) رواته ثقات. (ب) درجته: إسناده صحيح. (ج) تخريجه: (١) البخاري كتاب التيمم باب قول الله تعالى ﴿فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾. ج١ ص ٨٦.

(٢) مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث ٣ (٥٢١) ج١ ص ٣٧٠ وقد ذكره بروايات متقاربة وهو على نحوه.

وختم بـه النبيـون، وزاد الله دينـه علـى الأديـان علـواً وظهـوراً، وذهبـت ظلـم الكفـر بـأنواره، وخـرج قمـر الهـدى مـن سـراره([338]) وساخت قوائم فرس سراقة الى بطنهـا في أرض صلـد لما اتبعـه وتبعهـا عثّان وجمعه عواثن وهو الدخان، وهذه آية ظاهرة وبرهان، فقـال ادع الله أن ينجيـني فكـانت بغيتـه النجـاة والأمـان، ويضـرع الكتـاني بعـد عنجهيته ولان لما أبصر نور النبوة قد اشـرق وبـان، فسـأل الإحسـان،

---

(٣) الترمذي كتاب الغسل والتيمم باب التيمم بـالصعيد ج١ ص ٢١٠ وهـو لفـظ مـا في البخاري إلا أنه لم يذكر "واحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلـي" وهـي ثابتـة في روايـات الصحيحين.

(٤) أحمد في مسنده ج١ ص ٣٠١ وهو مثل ما تقدم.

(د) المفردات: (١) خمسا: لم يرد الحصر بل ذكر مـا حضـره في ذلـك الوقـت مما مـن الله تعـالى بـه عليـه ذكـره اعترافـاً بالنعمـة وأداء لشـكرها وامتثـالاً لأمـر ﴿وأمـا بنعمـة ربـك فحدث﴾. لا افتخاراً.

(٢) "نصـرت بـالرعب": بـالخوف - أي بقذفـه مـن الله في قلـوب الأعـداء، بـلا اسـباب ظاهرة.

(٣) مسجداً: أي موضع سجوده. وجعلت الأرض كالمسجد في جواز الصلاة عليها.

(٤) وطهوراً: والمراد أن الأرض ما دامت على حالها فهي كذلك.

(٥) الغنائم: جمع غنيمة وهي مال حصل عليه المسلمون بعد حرب بينهم وبين الكفار.

(٦) الشفاعة: وهي سؤال فعل الخير بالغير ورفع الضرر عنه والمقصود الشفاعة العظمى في اراحة الناس في حصول الموقف، والخاصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

[338]- سراره: أي محاقه.

وبذل الإذعان، فكان أول الليل لهم طالباً وآخر الليل لهم مسلحة، وفي الذب عنهم راغباً فهذه ست آيات، والسابعة إذعانه وهي من أجلّ المعجزات، لأنها قد تظهر لقوم فلا تلين قلوبهم لها، ولا يذعنون بالطاعة معها، وحنّ الجزع اليابس إليه، ودعا الشجرتين فامتثلتا وجاءتا بين يديه، وسلم الحجر الصلد عليه، واستقصى أبا جهل دين المستجير به فقضاه على الفور ووفّاه، لما رأى فحلاً من الإبل بين السماء والأرض قد فغر فاه، وانشق له القمر، ونبع الماء من بين أصابعه كما ينبع من الحجر، ورجف به وبخلفائه الجبل([339]) فركض،وقال: اسكن فسكن وامتثل ، وبثّ له شكواه الجمل، واستسقى فأطلقت السماء عزاليها كأفواه القرب، ثم استصحى لما خاف الناس الهلاك مع العطب، فانجابت عن المدينة انجباب([340]) الثوب.

---

[339])- لفظ الحديث في البخاري "حدثني محمد بن بشار حدثنا يحيى عن سعيد عن قتادة ان انس بن مالك رضي الله عنه حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان".

رواته ثقات، درجته: إسناده صحيح.

تخريجه: (١) البخاري كتاب فضائل الأصحاب باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلاً قاله أبو سعيد ج٤ ص ١٩٧.

(د) المفردات: رجف: أي اهتز

اثبت: استقر.

[340])- في (أ) مهاب غير واضحة ولعلها انجياب مصدر انجاب.

وخاطبه بخيبر الذراع المسموم([341]).

---

[341]- لفظ الحديث في البخاري. حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا خالد بن الحرث حدثنا شعبة عن هشام بن زيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها فقيل: ألا نقتلها؟ قال: لا قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رواته ثقاة. درجته: إسناده صحيح. تخريجه: (١) البخاري كتاب الهبة باب قبول الهدية من المشركين ج٣ ص ١٤١.

(٢) مسلم كتاب السلام باب السم ج ص ١٧٢١ وهو مثله. حديث ٤٥ (٢١٩٠) إلا أنه ذكر زيادة في الحديث. حيث قال: فسألها عن ذلك؟ فقالت: أردت لأقتلك. قال: "ما كان الله يسلطك على ذاك أو قال "علي".

(٣) الدارمي المقدمة باب ما أكرم النبي صلى الله عليه وسلم من كلام الموتى ج١ ص٣٣ وقد تضمن الحديث جوانب لم تذكر في الصحيحين وهي "أخذ النبي صلى الله عليه وسلم منها الذراع فأكل منها وأكل الرهط من أصحابه معه، ثم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم الى اليهودية، فدعاها فقال لها اسممت هذه الشاة فقالت نعم ومن اخبرك؟فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخبرتني هذه وفي يده الذراع فقالت نعم قال فماذا أردت الى ذلك؟ قالت: قلت إن كان نبياً لم يضره، وإن لم يكن نبياً استرحنا منه. فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يعاقبها، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم النبي صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل أكله من الشاة.

ومن الواضح فإن حديث اليهودية قد اختلفت الرواية فيه.

(٤) أبو داود كتاب الديات باب فيمن سقى رجلاً سماً أو أطعمه فمات. ايقاد منه. ج٤ ص ٦٤٨ - ٦٤٩ حديث ٤٥١. وهو مثل ما جاء في الدارمي.

وانشق ليلة مولده إيوان كسرى وتساقطت النجوم وغاضت بحيرة ساوة، وفاض وادي السماوة، وخمدت نار فارس، ولم تزل موقدة ألف عام[٣٤٢]، وكان يعبدها المجوس كعبادة الكفار للأوثان والأصنام. أبي القسم محمد النبي الكريم الرؤوف الرحيم الحسيب

(د) المفردات: (١) لهوات: جمع لهاة – وهي اللحمة الحمراء المعلقة في أصل الحنك. قاله الأصمعي وقيل اللحمات اللواتي في سقف أقصى الفم.

(٢) فما زلت أعرفها: أي العلامة، كأنه بقي للسم علامة وأثر من سواد وغيره.

(٣) الرهط: قوم الرجل وقبيلته يجمع من الثلاثة الى العشرة وليس فيهم امرأة.

(٤) على كاهله: الكاهل – أعلى الظهر يلي العنق.

وفي الحديث دليل على إباحة طعام أهل الكتاب، وجواز مبايعتهم ومعاملتهم مع إمكان أن يكون في أموالهم الربا، ونحوه من الشبهة.

٣٤٢)- لما كانت ليلة ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتج إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة ورأى الموبذان إبلاً صعاباً تعود خيلاً عراباً، وقد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها.

فلما أصبح كسرى أفزعه ما رأى فصبر تشجعاً، ثم رأى ألا يكتم ذلك عن وزرائه، فلبس تاجه وقعد على سريره وجمعهم إليه، فلما اجتمعوا إليه أخبرهم بالذي بعث إليهم فيه ودعاهم، فبينا هم كذلك إذ ورد عليه كتاب بخمود النار فازداد غماً الى غمه، فقال الموبذان: وأنا أصلح الله الملك قد رأيت في هذه الليلة ... قص عليه الرؤيا في الإبل فقال أي شيء يكون هذا يا موبذان؟ وكان أعلمهم عند نفسه بذلك – فقال: حادث يكون عند العرب.

ومن يرد متابعة هذا والإلمام به، فليرجع الى / تاريخ الطبري ج٢ ص ١٦٦ – ١٦٧.

النسيب الماحي الحاشر العاقب الذي إذا ذكرت مناقب الأنبياء بذّهم من جميع المناقب، وفضلهم بالآيات البازغة في سدف([343]) الغياهب بزوغ زهرة الكواكب.

وأعظم معجزاته القرآن الباقية بقاء الدهور، المتجددة على تعاقب الأعوام والشهور، المتألقة في الأفق الأعلى أنوارها، المتدفقة في رياض الملكوت الأسنى أنهارها، الفاتحة لأقفال القلوب الكاشفة لأسرار الغيوب. المخصوص في اليوم المشهود، بالمقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود، صلى الله عليه صلاة لا ينقطع دوامها، فلقد كرمه وشرفه بفضائل صح عند النبيين إعظامها، ولاحت شمس وضوحها في سماء الإسلام، وكانت شريعته كالتاج لسائر شرائع الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، جعلنا الله ممن تمسك بهداه، وبلغ في حبه أقصى مداه، وأخذ بسنته الحسنة المآخذ، وعض عليها بالنواجذ، وأوردنا حوضه المفعم يوم الميعاد وَلاَ جعلنا ممن يصد عنه ويذاد يوم التناد.

ومعجزات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من أن يأخذها الحصر والعد، أو أن يضبطها الإحصاء والعد، ومنها القرآن العظيم، وكله معجز وأقل ما يقع الإعجاز فيه سوره، لأن رسول الله صَلَّى الله

---

[343]- سدف: جمع سديف وهو الظلام.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحدّى جميع الناس عن الإتيان بسورة[٣٤٤] مثله كسورة ﴿إنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾ ففي هذا عبرة لمن اعتبر، فكلهم عجز عن ذلك، وعلى العجز اقتصر، ففي القرآن من الكلمات نحو من سبع وسبعين ألف كلمة في طي كل كلمة الى أختها معجزة، وعدد كلمات ﴿إنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾ عشر كلمات فتجزأ القرآن على نسبة عدد ﴿إنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾ أزيد من سبعة آلاف جزء، كل جزء معجزة. في كل جزء عشر كلمات كسورة الكوثر، وفي كل جزء معجزتان، البلاغة والنظم، ثم مع البلاغة والنظم الإخبار بعلوم الغيب، وإخباره بأهل الشكّ والريب.

---

[٣٤٤] وفي القرآن الكريم: ﴿قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين﴾ (الآية ٣٨ سورة يونس).

وقوله تعالى: ﴿قل فأتوا بعشر سورٍ مثله مفترياتٍ وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين﴾ (الآية ١٣ سورة هود).

خَفْضُ الصَّوْتِ وَغَضُّ الْبَّصَرِ فِي حَضْرَتِهِ.

ومن خصائصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أن الله تعالى أوجب المغفرة والأجر لمن خفض صوته عنده، وغض البصر دونه، فقال جل من قائل: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ. إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى. لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾**(٣٤٥) ونصّ الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز معاني من توقير النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دلت على ما

---

٣٤٥)- الحجرات الآية ٢.

شروع في النهي عن التجاوز في كيفية القول عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد النهي عن التجاوز في نفس القول والفعل والمعنى لا تبلغوا بأصواتكم وراء حد يبلغه عليه السلام بصوته، وخصص الصوت بالنهي لكونه أعم من النطق والكلام، ويجوز أنه خصه لأن المكروه رفع الصوت لا رفع الكلام ﴿ولا تجهروا له بالقول﴾ إذا كلمتموه وتكلم هو أيضا، والجهر يقال لظهور الشئ: ﴿كجهر بعضكم لبعض﴾ أي جهراً كائناً كالجهر الجاري فيما بينكم بل اجعلوا أصواتكم أخفض من صوته، وتعهدوا في مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب في مخاطبة المهيب المعظم، وحافظوا على مراعاة جلة النبوة، فنهوا عن جهر مخصوص مقيد وهو الجهر المماثل لجهر اعتادوه فيما بينهم لا عن الجهر مطلقاً. (روح البيان ٩/٦٣ - ٦٤).

وراءها، وكشف القرآن العظيم منها ما لم يكن يهتدي العباد باستنباطهم اليها، من ذلك قوله عز وجل: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾(٣٤٦) فوصل عز وجل الإيمان بتوقير الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعزيره بالإيمان بالله توصيلاً، وقرن تعزيره وتوقيره بعبادة الله تعالى وتسبيحه، فذكر تعزيره وتوقيره، وذكر التسبيح من بعده، وختم الآية بقوله تعالى ذكره: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾.

فانعطف الكلام على جميع ما قبله فدخل تعزيره وتوقيره والإيمان به في معنى الدوام عليه كالدوام على الذكر بالغدوّ والآصال، وهذا من توصيل القرآن الذي تقوم فيه المعاني بالتقديم والتأخير دون زيادة الألفاظ، وهو في القرآن الكريم كثير، تنزيل من حكيم حميد وقوله تعالى: وتعزروه، هو بمعنى المنع يقال: عزّرت الرجل الجليل أي منعت منه ونصرته، وعزّر السلطان الإنسان إذا بالغ في أدبه، فمعناه أنه منعه أن يعاود، وقيل: تعزّروه: تبجّلوه وتعظموه :قال قتادة تعزروه تنصروه، وتوقروه : تعظموه وتقاتلوا معه بالسيف .وتسبحوه بكرة وأصيلاً، أي تصلّون له بالغدوات والعشيات لأن الهاء في وتسبحوه لله تعالى.

---

(٣٤٦)- الفتح الآية ٥.

ومنها أن الله تعالى نهى أصحابه أن يقدِّموا بين يديه تعظيماً له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣٤٧] قال مجاهد: لا تقدموا لا تغتابوا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يقضي الله على لسانه، وقال ابن أبي مليكة في صحيح البخاري، وغيره، وهذا نص الصحيح: "كاد الخيران يهلكان "أبو بكر"، "وعمر"، رفعا أصواتهما عند النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر، فقال نافع: لا أحفظ اسمه. فقال أبو بكر لعمر ما أردت الا خلافي. قال: ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما

---

[٣٤٧]- الحجرات الآية ١.

والمعنى أن لا تقدموا على أمر حتى يأذن الله ورسوله فيه فتكونوا مقتدين فيما تأتون وتذرون بكتاب الله وسنة نبيه، فلا تقطعوا أمراً إلا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا إما عاملين بالوحي المنزل، وإما مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه يدور تفسير ابن عباس رضي الله عنه وعن مجاهد: لا تفتاتوا على الله شيئاً حتى يقصه على لسان رسوله. (الكشاف ٣/٥٥٣).

وهو أدب نفسي مع الله ورسوله وهو منهج في التلقي والتنفيذ وهو أصل من أصول التشريع والعمل في الوقت ذاته، وهو منبثق من تقوى الله وراجع اليها. هذه التقوى النابعة من الشعور بأن الله سميع عليم وكل ذلك في آية واحدة قصيرة تلمس وتصور كل هذه الحقائق الأصيلة الكبيرة. (في ظلال القرآن ٦/٣٣٣٨).

في ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ الآية فقال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، و لم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر. أخرجه البخاري في سورة الحجرات في باب: ﴿لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ عن بسرة بن صفوان بن جميل اللخمي قال حدثنا نافع عن ابن عمر(٣٤٨).

قَالَ ذُو النَسَبَيْنِ أَيَّدَهُ اللهُ:

---

٣٤٨)- رواته ثقات، درجته: إسناده صحيح، تخريجه: (١) البخاري كتاب التفسير باب سورة الحجرات ج٦ ص ٤٦ لفظه وأورده برواية أخرى ص ٤٧ نحوه.

المفردات: الهلاك: الموت، يقال لمن ارتكب أمراً عظيماً هلكت وأهلكت.

لا ترفعوا أصواتكم: أي اخفضوا أصواتكم ولا ترفعوها على صوت النبي صلى الله عليه وسلم.

بسرة: في (ب) بالسين المهملة.

فائدة: روي أن ثابت بن قيس كان رفيع الصوت فلما نزلت الآية قال: أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا من أهل النار، حبط عملي وجلس في أهله حزينا فافتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بعض القوم إليه فقالوا له: تفقدك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك؟ فقال: أنا الذي رفع صوتي صوت رسول الله صلى الله عيه وسلم حبط عملي أنا من أهل النار، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا بل هو في أهل الجنة.

الحديث أخرجه أحمد.

هو الجمحي عن أبي مليكة وكرر في باب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾.

حدثنا الحسن بن محمد قال: حدثنا حجاج بن جريج قال: أخبرني بن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركب من بني تميم على النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال أبو بكر: "أَمِّرِ القَعْقَاعَ بْنَ مَعْبَد"، وقال عمر: "بَلْ أَمِّرِ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِس"، فقال أبو بكر: "مَا أَرَدْتَ إِلَيَّ، أَوْ إِلاَّ خِلاَفِي". فَقَالَ عُمَرُ: "مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ" فتماديا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾[٣٤٩] حتى انقضت الآية[٣٥٠].

---

[٣٤٩]- وتكملة الآية: ﴿واتقوا الله أن الله سميع عليم * يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ سورة الحجرات الآية ٢.

[٣٥٠]- رواته ثقات، درجته:إسناده صحيح، تخريجه: البخاري كتاب التفسير باب ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون. ج٦ ص ٤٧ لفظه.

إنّ الذي ناداه عيينة بن حصين، والأقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلاً من بني تميم وقت الظهيرة وقالا يا محمد أخرج إلينا. (تفسير البيضاوي ٣/٣٦٧).

الحرج: الضيق – أي لا يجدوا ضيقاً من حكمك وينقادوا انقياداً تاما لقضائك من غير معارضة ولا مدافعة لأن حقيقة الإيمان الخضوع والإذعان. تفسير أبي السعود ٤/٣١٠.

وأخرج الترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر – وابن أبي حاتم وابن مردويه عن البراء بن عازب في قوله: ﴿ان الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ قال جاء رجل فقال يا محمد

قَالَ ذُو النَسَبَيْنِ أَيَّدَهُ اللهُ:

الأقرع بن حابس اسمه فراس، وقريع القبيلة سيدها وفحلها الذي يقارع الأقران، يقال قرعت أقرع، ومقارعة الأعداء قرع بعضهم بعضاً، أي ضرب بعضهم بعضاً، والقريع الفحل، لأنه يقرع الناقة، والقريع السيد، وقد زعمّ بعض من لا يعلم أنه سمّي بذلك لقرع في رأسه، وذلك جهل ونبز لا يدّعي أحد به، فرفع الله قدر نبيّه محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طاعته وانتظار أمره بأن جعل أمره من الله، وجعل التّقدّم على أمره كالتقدم على أمر الله فتشابهت الآيتان، ثم رفع منزلته في البر والتوقير الى أن يكون مخاطبه خاشعاً بين يديه خافضاً صوته، لأن رفع الصوت فيه كبر للمخاطب وبعض الاستخفاف بالمخاطب،ثم اوعدالله جل وعلا على ذلك أشد الوعيد وما أوعد الله على فعله فهو حرام فقال جل من قائل: ﴿**أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ**﴾.

ان حمدي زين وان ذمي لشين فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ذاك الله. واخرج ابن راهويه ومسدد وأبو يعلى وابن جرير والمنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه قال السيوطي باسناد حسن عن زيد بن أرقم قال: اجتمع الناس من العرب فقالوا: انطلقوا الى هذا الرجل فان يك نبياً فنحن اسعد الناس به وان يك ملكا نعش بجناحه فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بما قالوا فجاؤوا الى حجرته فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فانزل الله ﴿ان الذين ينادونك﴾ الآية (فتح القدير ٥/٦١).

قال أبو اسحق الزجّاج: لأن تحبط أعمالكم، وهذا إعلام أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينبغي أن يجل ويعظّم غاية الإعظام والإجلال، وقيل التقدير مخافة أن تحبط أعمالكم، فنبه جل وعلا بقوله: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾

إن توقير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عقد الإيمان الذي يضاد الكفر، لأنه لا تحبط الأعمال مواقعة الذنوب دون الكفر، قال الله العظيم: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ المائدة الآية ٥) ونبّه بقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ. وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣٥١] فنبه بقوله هذا الى توقيره بأن لا ينادى، ولا يُعَجَّل ولا يحرك أيضا بالاستئذان حتى يخرج.

[٣٥١]- الحجرات الآية ٤-٥.

كفر من كان في صدره حرج مما قضى

ومنها أن الله تعالى كفر من كان في صدره حرج مما قضى به، وأقسم جل وعلا على ذلك فقال جل من قائل: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾(٣٥٢) يقال تشاجر القوم إذا اختلفوا فمعنى فيما شجر بينهم: أي فيما وقع فيه التشاجر بينهم.

ومنها الهدايةوالكفاية والتأييد والعصمة، وصلاة الله تعالى والملائكة عليه قال الله العظيم في الهداية: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾(٣٥٣) وقال تعالى في الكفاية ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (الزمر الآية ٣٦).وقال في التأييد: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ﴾(٣٥٤) وقال في العصمة: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(٣٥٥) وكان قبل ذلك يحرس فلما نزلت هذه الآية ترك الحرس، وقال:"لاَ حَاجَةَ لِي بِكُمْ فَقَدْ عَصَمَنِيَ اللهُ".

---

(٣٥٢)- النساء الآية ٦٥.

(٣٥٣)- الفتح الآية ٢.

(٣٥٤)- الأنفال الآية ٦٢.

(٣٥٥)- المائدة الآية ٦٧.

الصَّلاَةُ عَلَى النَّبِيِّ

قال جل وعلا في الصلاة: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾(٣٥٦) فإن قال

---

(٣٥٦)- الأحزاب الآية ٥٦.

وأخرج ابن مردويه عنه - أي ابن عباس - قال: ان صلاة الله على النبي هي المغفرة إن الله لا يصلي ولكن يغفر، وأما صلاة الناس على النبي فهي الاستغفار له، وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس أنه قرأ: ﴿صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ وأخرج سعيد بن منصور وعبد الرحمن بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه عن كعب عن عجرة قال: لما نزلت ﴿إنّ الله وملائكته يصلون على النبي﴾ الآية. قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وقد وردت هذه الصيغة بأسانيد مختلفة وروايات متعددة اشتملت عليها كتب السنة المطهرة.

واعلم أن هذه الصلاة من الله على رسوله وإن كان معناها الرحمة فقد صارت شعاراً له يختص به دون غيره، فلا يجوز لنا أن نصلي على غيره من أمته.

وأخرج الشافعي في مسنده من حديث أبي هريرة مثله، وجميع التعليمات الواردة عنه صلى الله عليه وسلم في الصلاة عليه مشتملة على الصلاة على آله معه إلاّ النادر اليسير من الأحاديث فينبغي للمصلي عليه أن يضم آله إليه في صلاته عليه وقد قال بذلك جماعة ونقله امام الحرمين والغزالي قولاً عن الشافعي ,كما رواه عنهما ابن كثير في تفسيره، ولا حاجة الى التمسك بقول قائل في مثل هذا مع تصريح الأحاديث الصحيحة به. (فتح القدير ٤/٣٠٠ - ٣٠٤).

قائل: قد قال للمسلمين عامة: ﴿هُوَ الذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُـهُ﴾ فقيل له: إن بين الصلاتين فرقاً عظيماً، وذلك أن صلاة الله تعالى على خلقه عطف ورحمة، فتأويله: هو الذي يرحمكم ويهديكم الى الإيمان لقوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، وأما صلاته على نبيه وصفيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصلاة رضى وإعظام، ألا ترى أنه أمر خلقه بالصلاة عليه كما أمرهم بسائر ما افترض من العبادات، فالصلاة عليه فرض وكذلك التسليم لقوله جل ثناؤه: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اعلموا رحمكم الله، أنّ الصلاة على النبيّ فرض على الجملة غير محدود بوقت لأمر الله بالصلاة عليه، وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه، وقد حكى الطبري قولاً شاذاً أن محل الآية على الندب.

قَالَ ذُو النَسَبَيْنِ أَيَّدَهُ اللهُ:

قال أبو عيسى الترمذي وروي عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا: صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار. والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده منزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً. (ابن كثير ٣/٥٠٧ - ٥٠٨).

ولعله فيما زاد على مرة قال أبو الحسن بن القصار المالكي المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب في الجملة على الإنسان، وفرض عليه أن يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك، والواجب منه الذي يسقط به الحرج، ومآثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب ومرغوب فيه من سنن الإسلام وشعائر أهله الكرام.

ثبت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: "**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْراً**" أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة[٣٥٧].

قال ابن بكير[٣٥٨] افترض الله على خلقه أن يصلّوا على نبيّه ويسلّموا تسليماً، و لم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها.

---

[٣٥٧]- درجته: صحيح بسنده، تخريجه: (١) مسلم كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد ج١ ص ٣٠٦ لفظه حديث ٧٠ – ٤٠٨.
(٢) باب الفضل في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ج٣ ص٥٠ وهو مثله ولكنه زيد في آخره: "وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات".
وقد ورد في ص ٤٤ باب فضل التسليم على النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتاني الملك فقال: يا محمد إن ربك يقول أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشراً.

[٣٥٨]- في صحيح مسلم ابن أبي بكر و لم يأت ذكر ابن أبي بكر في هذا الباب.

مسألة: حكى الإمامان "أبو جعفر الطبري" و"الطحاوي" إجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على أن الصلاة على النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التشهد غير واجبة[٣٥٩] وقال الإمام أبو عبد

---

[٣٥٩]- واختلف العلماء في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة ومستحباتها. قال ابن المنذر: يستحب ألا يصلي أحد صلاة إلا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ترك ذلك تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك، وأهل المدينة وسفيان الثوري وأهل الكوفة من أصحاب الرأي وغيرهم، وهو قول جل أهل العلم، وحكي عن مالك وسفيان أنها في التشهد الأخير مستحبة وأن تاركها في التشهد مسيء . وشدد الشافعي، فأوجب على تاركها في الصلاة الإعادة، وأوجب اسحاق الإعادة مع تعمد تركها دون النسيان وقال أبو عمر قال الشافعي: إذا لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الأخير بعد التشهد وقبل السلام أعاد الصلاة قال: وإن صلى عليه قبل ذلك لم تجزه. وهذا قول حكاه عنه حرملة بن يحيى، لا يكاد يوجد هكذا عن الشافعي، ورواية حرملة عنه وهو من كبار أصحابه الذين كتبوا كتبه.

وقد تقلده أصحاب الشافعي ومالوا إليه وناظروا عليه وهو عندهم تحصيل مذهبه، وزعم الطحاوي أنه لم يقل به أحد من أهل العلم، وقال الخطابي وهو من أصحاب الشافعي وليست بواجبة في الصلاة، وهو قول جماعة من الفقهاء إلا الشافعي، ولا أعلم له فيها قدوة. والدليل على أنها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي وإجماعهم عليه، وقد شنع عليه في هذه المسألة جداً. وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم ليست فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك كل من روى التشهد عنه صلى الله عليه وسلم، وقال ابن عمر كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب، وعلمه أيضاً على المنبر عمر وليس فيه ذلك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. (الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج١٤ ص ٢٣٥ - ٢٣٦). وانظر (تفسير فتح القدير ج٤ ص ٣٠١).

الله الشافعي من لم يصل على النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بعد التشهد الأخير وقبل السلام فصلاته فاسدة، وإن صلّى عليه قبل ذلكم تجزه صلاته، وقد شنع الناس عليه في هذه المسألة، وقالوا هو إمام محدث ولا دليل له على قوله هذا بسنة ثابتة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا تشهد ابن عباس الذي أجازه الشافعي وهو الذي علّمه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنَ عباس، وكذلك تشهد ابن مسعود المجمع على صحته، وتشهد عمرو وابن عمر وجابر وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري وأبي هريرة وعبد الله بن الزبير، وكذلك كل من روى التشهد عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو وقفه، لم يذكر فيه صلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فعامة العلماء على ان التشهد الأول ليس محلاً لها، وهي مستحبة في التشهد الأخير غير واجبة، وذهب الشافعي وحده الى وجوبها في التشهد الأخير فإن لم يصل لم تصح صلاته، واحتج أصحابه بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه﴾ أمر الله تعالى بالصلاة عليه، والأمر للوجوب فكان ذلك منصرفاً الى الصلاة فدل ذلك على وجوبها في الصلاة.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "جلاء الأفهام" ص ٢٣٩: ووجه الدلالة في الآية أن الله سبحانه أمر المؤمنين بالصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر المطلق على الوجوب ما لم يقم دليل على خلافه، وقد ثبت أن أصحابه رضي الله عنهم سألوه عن كيفية هذه الصلاة المأمور بها فقال قولوا: اللهم صلى على محمد ..... الحديث.

(شرح السنة للإمام البغوي ١٨٥/٣).

وقد خالف الخطابي من أصحاب الشافعي في هذه المسألة فقال: ليست بواجبة في الصلاة، وعلى هذا جماعة العلماء إلا الشافعي فإنه قال: الصلاة على النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التشهد الأخير واجبة، فإن لم يصلّ عليه بطلت صلاته، وقد قال إسحاق بن راهويه نحواً من ذلك أيضاً، ولا أعلم للشافعي في هذا قدوة. هذا نص الحافظ أبي سليمان في معالم السنن له.

قال ذو النسبين أيده الله: وعن أحمد روايتان، إنّ الصلاة على النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التشهد فرض، وعنه أيضاً سنة.

الخصائص التي آنفرد بها عن الأنبياء عليه وعليهم صلاة الله وسلامه

ومنها الرؤية لربِّ العزة في دار الدنيا وفيها اختلاف([360]).

[360])- وقد اتفقت الأئمة على أنه لا يراه أحد بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة منهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له صلى الله عليه وسلم وحكى القاضي عياض في كتابه "الشفاء": اختلاف الصحابة ومن بعدهم في رؤيته صلى الله عليه وسلم وإنكار عائشة رضي الله عنها أن يكون صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه وأنها قالت لمسروق حين سألها هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد وقف شعري مما قلت. ثم قالت: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب. (الشفاء ١/١٩٥ – ٢٠٢).

ثم قال: وقال جماعة بقول عائشة رضي الله عنها وهو المشهور عن ابن مسعود وأبي هريرة واختلف عنه، وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة منها المحدثين والفقهاء

والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والبراق والمعراج والصلاة بالأنبياء تلك الليلة وإعطاء جوامع الكلم، وجمع المعاني الكبيرة في الألفاظ القليلة، والبعث الى كافة الناس، وتحليل الغنائم، والنصر بالرعب مسيرة شهر، وجعلت الأرض له مسجداً وطهوراً، وختم به النبيّون قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾(٣٦١) الآية، وقال جل من قائل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾(٣٦٢).

والمتكلمين، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى عليه وسلم رآه بعينه. (انظر صحيح ابن خزيمة).

وروى عطاء عنه أنه رآه بقلبه، وأما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول بأنه رآه بعينه ليس فيه قاطع ، ولا نص إذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور، والاحتمال لهما ممكن، وهذا القول هو الذي قاله عياض رحمه الله هو الحق، فإن الرؤية في الدنيا ممكنة؛ إذا لم تكن ممكنة لما سألها موسى عليه السلام لكن يرد نص بأنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه بل ورودها يدل على نفي الرؤية وهو ما رواه مسلم في صحيحه: "عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ قال: "نور أنّى أراه" وفي رواية رأيت نوراً(١٦١/١)رأيت نوراً.رأي الحجاب ومعنى: نور أنى أراه" االنور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته، فأنى أراه؟ أي فكيف أراه والنور حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته؟ فهذا صريح في نفي الرؤية، وحكى عثمان بن سعيد اتفاق الصحابة على ذلك. (شرح العقيدة الطحاوية ص ١٥٧).

(٣٦١)- سورة الأعراف الآية ١٥٨.

(٣٦٢)- سورة سبأ الآية ٢٨.

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ، أُعْطِيتُ[٣٦٣] جَوَامِعَ

لفظ الحديث في البخاري "حدثنا اسماعيل قال حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لكل نبي دعوة يدعو بها وأريد أن اختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة" وقال معمر سمعت أبي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كل نبي سأل سؤلاً أو قال لكل نبي دعوة وقد دعا بها فاستجيب فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة.

رواته ثقات، درجته: إسناده صحيح، تخريجه: (١) البخاري كتاب الدعوات باب لكل نبي دعوة مستجابة ج٧ ص ١٤٥.

(٢) مسلم كتاب الإيمان باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته ج١ ص ١٨٨ نحوه.

والبراق: هي الدابة التي كانت تحمل عليها الأنبياء قبله تضع حافرها في منتهى طرفها.

والمعراج: قال ابن اسحق: وحدثني من لا أتهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لما فرغت مما كان في بيت المقدس أتي بالمعراج ولم أر شيئاً قط أحسن منه: وهو الذي ميتكم عينيه إذا حضر فأصعدني صاحبي فيه حتى انتهى بي الى باب من أبواب السماء ..... الخ السيرة النبوية لابن هشام ٣٢/٢ - ٣٦.

٣٦٣)- أعطيت جوامع الكلم: وفي رواية أخرى بعثت بجوامع الكلم قال الهروي يعني به القرآن جمع الله في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة. وكلامه صلى الله عليه وسلم كان بالجوامع، قليل اللفظ كثير المعنى.

درجته: صحيح بسنده، تخريجه: (١) مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ج١ ص ٣٧١ حديث ٥ (٥٢٣) لفظه وفي الرواية الأخرى "بعثت بجوامع الكلم".

وفي كتاب السير باب ما جاء في الغنيمة حديث ١٥٥٣ مثله. وقال حديث حسن .

الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمَ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، وَأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كَافَةً، وَخُتِمَ بِيَ النَبِيُّونَ"

اختصاصه بالتيمم

الذي اختص به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم من ذلك التيمم و لم يكن ذلك للأنبياء قبله، واليهود يصلّون حيث أدركتهم الصلاة بعد إصابتهم من الماء إلا فرقة من اليهود القاربيين([364]) يقال لهم "العنانية" فإنّهم لا يصلّون إلاّ في كنيسة لهم، وكان المسيح على نبينا وعليه السلام يسيح في الأرض ويصلي حيث أدركته الصلاة، فخص الله نبيه وصفيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتيمم.

وفي الصحيحين عن جابر قال قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "أُعْطِيتُ([365]) خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ([366]) أَحَدٌ قَبْلِي كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إلى أُمَّتِهِ خَاصَةً وَبُعِثْتُ إلى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأُحِلَّتْ لِيَ

هذا الحديث لم يخرجه البخاري وانما جاء في شرح فتح الباري عليه ج١ ص ٤٥٥ – ٤٥٦.

[364])- في (ب) "القرابين" بالباء والياء.

[365])- أعطيت خمساً: لم يرد الحصر بل ذكر ما حضره في ذلك الوقت مما منّ الله تعالى به عليه، ذكره اعترافاً بالنعمة وأداء لشكرها، وامتثالاً لأمر ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾.

[366])- لم يعطهن : أي من الأنبياء أو من الخلق.

نصرت بالرعب: أي بقذفه من الله في قلوب الأعداء بلا أسباب ظاهرة وآلات عادية له، بل بضدها.

الغَنَـائِمُ[٣٦٧] وَلَـمْ تَحِـلَّ لأَحَـدٍ قَبْلِـي، وَجُعِلَـتْ لِـيَ الأَرْضُ طَيِّبَـةً مَسْجِداً[٣٦٨] وَطَهُوراً[٣٦٩]، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيّ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ" وله طرق.

وفي صحيح مسلم وتفرد به عن حذيفة قال قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء"، وذكر خصلة أخرى

قال ذو النسبين أيده الله: الخصلة التي لم يذكرها مسلم، أكملها أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده عن حذيفة ونصها: "**وَأُوتِيتُ هؤُلاَءِ**

---

[٣٦٧]- الغنائم: جمع غنيمة وهي مال حصل عليه المسلمون بعد الحرب بينهم وبين الكفار.

[٣٦٨]- مسجداً: موضع صلاة.

[٣٦٩]- طهوراً: بفتح الطاء، والمراد أن الأرض ما دامت على حالها الأصلية فهي كذلك.

رواته ثقات، درجته: إسناده صحيح، تخريجه: (١) البخاري كتاب التيمم باب قول الله تعالى: ﴿فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ ج١ ص ٨٦ نحوه. ولم يرد فيه " كل أحمر وأسود".

(٢) مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ج١ ص ٣٧٠ حديث ٣ (٥٢١) لفظه.

(٣) النسائي باب التيمم بالصعيد ج١ ص ٢١٠ مثله وهو عن جابر.

(٤) مسند أحمد ج١ ص ٣٠١. وقد ورد فيه "ولا أقولهن فخراً" ثم جاء فيه "وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتي فهي لمن لا يشرك بالله شيئاً" والحديث عن ابن عباس.

الآيَاتِ مِنْ بَيْتِ كَنْزٍ تَحْتَ العَرْشِ، مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ، لَـمْ يُعْـطَ أَحَدٌ مِنْهُ كَانَ قَبْلِي، وَلَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنْهُ كَـانَ بَعْـدِي". وهـي الخصلـة التي لم يخرجها مسلم رحمه الله[٣٧٠].

---

[٣٧٠]- درجته صحيح بسنده، تخريجه: (١) مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ج١ ص ٣٧١حديث٤ (٢٢٢) لفظه.

صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ العَظِمى يَوْمَ القِيَامَةِ

قال ذو النسبين أيده الله:

في هذه الأحاديث الثابتة ما خصه الله تعالى به من الشفاعة، وأنه لا يشفع في أحد يوم القيامة إلا شفع فيه.

واعلموا رحمكم الله أنّ الشفاعة على ضروب خمسة، ويلحق بها ضرب سادس اتفق في بعضها أهل القبلة، وخالفت المعتزلة في بعضها فأنكرتها وبئس ما فعلت.

أوَّلها وأعمُّها: شفاعة الموقف التي اختص بها محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين **صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ** صلاة دائمة الى يوم الدين وهو تخليص الناس من الكرب في انتظار الفصل الى القضاء، وتعجيل الحساب والتمييز بين فريقي الجنة والنار، ويدخل فيها آدم ومن ولد، بل جميع الخلائق وسكان الأرض حسب ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة المجمع على صحتها وعدالة نقلها وتواترها، وهو المقام المحمود الذي وعده ربه عز وجل في قوله جل ثناؤه ﴿**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً**﴾[٣٧١] "عسى" طمع وإشفاق إلاّ من الله جل ثناؤه فإنها واجبة.

---

[٣٧١]- سورة الإسراء الآية ٧٩.

فـ (عسى) ترجٍ، وهو فعل ماض غير منصرف[٣٧٢].و(أن يبعثك) (أن) وما عملت فيه في موضع نصب بـ(عسى) على التشبيه بـ (كـان) كما قالوا:"عَسَى الغوير أَبْؤُسا".

هذا قـول الحـوفي، وقـال النحـوي أبـو طاهراسماعيل بـن خلـف فيماحدثني غير واحد منهم بالمكاتبة المسندة الثقة ابـو طـاهر أحمـد بـن محمد السلفي قال حدثني ابو المفضل جعفر بن امام القرية النحوى أبـي

عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاماً محموداً، ومعنى المقام المحمود: المقام الذي يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه، وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد مـن أنـواع الكرامـات، وقيل: المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله. وعن ابن عباس رضـي الله عنهمـا: مقـام يحمدك فيه الأولون والآخرون، وتشرف فيـه علـى جميـع الخلائـق تسـأل فتعطى، وتشـفع فتشفع ليس أحد إلا تحت لوائك، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النـبي صلـى الله عليـه وسلم: "هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي". (الكشاف ٢/٤٦٢).

وقد اختلف في تعيين هذا المقام على أقوال:

الأول: أنه المقام الذي يقومه النبي صلى الله عليه وسلم للشفاعة يوم القيامة للناس لـيريحهم ربهم سبحانه مما هم فيه، وهذا القول هو الذي دلت عليه الأدلة الصحيحة في تفسير الآية.

الثاني: أن المقام المحمود عطاء النبي صلى الله عليه وسلم لواء يوم القيامة، ويمكـن أن يقـال أن هذا لا ينافي القول الأول.

الثالث: أن المقام المحمود أن الله سبحانه يجلس محمداً صلى الله عليه وسلم معه على كرسيه حكاه ابن جرير عن فرقة منهم مجاهد. قال ابـن عبـد الـبر: مجـاهد وإن كـان أحـد الأئمـة بالتأويل فإن له قولين عند أهل العلم، أحدهما هذا والآخر في تأويل : وجوه يومئذ ناضرة قال معناه: تنتظر الثواب، وليس من النظر. (فتح القدير ٣/٢٥١ - ٢٥٢).

[٣٧٢]- في (أ) و(ب) "متصرف" وهو الصواب.

طاهر المذكور قال حدثني أبي قال: (أن) وما بعدها في موضع رفع بـ (عَسَى)، والتقدير: قرب بعث ربك إياك أو وجب أو نحو ذلك، لأن تشبيههم عسى بكان إنما هو إذا ولي عسى اسم وجاءت أن بعد ذلك الاسم كقولك "عسى زيد أن يقوم" فـ (زيد) اسم (عسى) ويقوم في موضع الخبر، والتقدير: قارب زيد القيام؛ فإن قدمت قلت: "عسى أن يقوم زيد" كانت (أن) في موضع رفع لأنّه لا اسم هنا غيرها، فيكون التقدير "قرب قيام زيد" اللهم إلا أن تضمر في (عسى) اسمها فتكون (أن) حينئذ في موضع الخبر، و(ربّك) رُفع بـ (يبعثك)، (مقاماً) مصدر، وإن كان من غير لفظ الفعل المذكور لأن يبعثك بمعنى يقيمك كما يقول أقيم من قبره ، وبعث من قبره، ومحموداً نعت لمقام.

أجمع أهل العلم على أن المقام المحمود الذي وعده الله عز وجل به في كتابه في قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ هو شفاعته لأمته فتنال[٣٧٣] شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميع من بالموقف من سكان الأرض[٣٧٤] والدليل على ذلك: ما ثبت في

---

[٣٧٣]- في (ب) "فينال".

[٣٧٤]- افعل هذا الذي أمرتك به لنقيمك يوم القيامة مقاماً محموداً يحمدك فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى. قال ابن جرير قال أكثر أهل التأويل: ذلك هو المقام الذي يقومه محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم. عن حذيفة قال يجمع الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي

الصحيحن وغيرهما " يَجْمَعُ اللهُ الأَوَّلِـينَ وَالآخِرِيـنَ فِي صَعِيـدٍ وَاحِـدٍ" الحديث بطوله([375]).

وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا قياماً لا تكلم نفس إلا بإذنه ينادي يا محمـد فيقـول لبيك وسعديك والخير في يديك، والسر ليس إليك، والهدى من هديت وعبدك بين يديـك ومنك وإليك لا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك تبـاركت وتعـاليت سبحانك رب البيـت "فهذا المقام المحمود الذي ذكر الله عـز وجـل. وقـال ابـن عبـاس هـذا المقـام المحمـود مقـام الشفاعة. (١) ابن كثير ٥٦/٣ وانظر الكشاف ٤٦٢/٢ - ٤٦٣.

[375]- ولفظه في البخاري " حدثني اسحق بن نصر حدثنا محمد بن عبيد حدثنا أبـو حيـان عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة وقـال أنـا سيد القـوم يـوم القيامـة هـل تدرون بمن يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسـمعهم الداعـي وتدنو منهم الشمس؛ فيقـول بعـض النـاس: ألا تـرون الى مـا أنتـم فيـه الى مـا بلغكـم ألا تنظرون الى من يشفع لكم الى ربكم، فيقول بعض الناس أبوكـم آدم فيأتونـه فيقولـون يـا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفـخ فيـك مـن روحـه وأمـر الملائكـة فسجدوا لـك وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا الى ربك، ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا . فيقول: ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسـي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح، فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح أنـت أول الرسـل الى أهـل الأرض وسماك الله عبداً شكوراً أما ترى الى مانحن فيه ألا ترى إلى ما بلغنا ألا تشفع لنا الى ربك فيقول ربي غضب اليوم غضباً لم يغضـب قبلـه مثلـه ولا يغضـب بعـده مثلـه نفسـي نفسي ائتوا النبي صلى الله عليه وسلم فيأتوني فأسجد تحت العرش فيقـال: يـا محمـد ارفـع رأسك واشفع تشفع وسل تعطه. قال محمد بن عبيد لا أحفظ سائره.

وذكر فيه طلبهم للشفاعة لما نالهم من الكرب والغم وقصدهم نبياً بعد نبي حتى يأتوا محمداً **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فيشفع لهم. فهذا عام لأهل الأرض، وربما تعلق من لم يرق على تقرير الحقائق وفهم الدقائق بما ورد في بعض طرق أحاديث الشفاعة من قوله: "**يُحْشَرُ الْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّنَا؟**" الحديث. فيقول المتعلق

رواته: ثقات، درجته: إسناده صحيح، تخريجه: (١) البخاري كتاب الأنبياء باب قوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا نوحاً الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾ الى آخر السورة ج٤ ص ١٠٥ – ١٠٦.

(٢) مسلم كتاب الايمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ج١ ص ١٨٤.

ولقد زاد مسلم أنهم يأتون إبراهيم وموسى وعيسى. وزاد في آخر الحديث – "فأقول يا رب أمتي. أمتي فيقال: يا محمد ادخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. والذي نفسي بيده أن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى.

المفردات: نهش منها نهشة: أي أخذ لحمها من العظم بأطراف أسنانه.

في صعيد واحد: الصعيد هو الأرض الواسعة المستوية.

شركاء الناس: يعني أنهم لا يمنعون من سائر الأبواب.

أن ما بين المصراعين : المصراعان جانبا الباب.

هجر: مدينة عظيمة من قاعدة بلاد البحرين, قال النووي: وهجر هذه غير هجر المذكورة في حديث "إذا بلغ الماء قلتين بقلال هجر" تلك قرية من قرى المدينة كانت القلال تصنع فيها وهي غير معروفة. قال الجوهري في صحاحه: هجر اسم بلد مذكر مصروف والنسسبة الى هاجري.

وبصرى: مدينة معروفة بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل.

المعترض: هذا هو الصحيح، إذ أصول الشفاعة قد صرحت والأمة قد أجمعت أن الكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين.

فالجواب: أنّ حقيقة شفاعة هذا الموقف ونيل الراحة منها، مما الناس فيه، إنما نالها بالحقيقة المؤمنون الناجون، وإن كان قد طلبها الكافرون معهم فبحكم التبع، ولم يحصل لهم فيها راحة، ولكنهم ظنوها ورأوا أن ما هم فيه من الكذب فوق كل عذاب، حتى تخيلوا أن عذاب النار دونه فأعطوا رغبتهم، وكانت أشد مما كانوا فيه حسب سنة الله فيهم، قال الله العظيم: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾[٣٧٦] الآية وقال أصدق القائلين: ﴿يُغَاثُوا﴾

---

[٣٧٦]- الكهف الآية ٢٩.

يستغيثوا من حر الشمس ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ وهو الحديد المذاب. قال الزجاج: انهم يغاثون بماء كالرصاص المذاب أو الصفر، وقال أبو عبيدة والأخفش: هو كل ما أذيب من جواهر الأرض من حديد ورصاص ونحاس، وقيل: هو ضرب من القطران، ثم وصف هذا الماء الذي يغاثون به بأنه ﴿يشوي الوجوه﴾ إذا قدم إليهم صارت وجوههم مشوية لحرارته. (فتح القدير ٢٨٢/٣).

وإن يستغيثوا ... "أي مما هم فيه من العذاب وشدة العطش" ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ وفيه سبعة أقوال:

أحدها: أنه ماء غليظ كدردي الزيت رواه العوفي عن ابن عباس.

والثاني: ان كل شيء أذيب حتى انماع قاله ابن مسعود.

والثالث: قيح ودم أسود كعكر الزيت قاله مجاهد.

والرابع: أنه الفضة والرصاص يذابان روي عن مجاهد أيضاً.

وليست بإغاثة حقيقية، ولكنهم تخيلوا إغاثة في الصورة فكـانت زيـادة فيما استغاثوا منه.

وفي الصحيحين([277]) **"فَيَقُولُونَ عَطِشْنَا يَا رَبَّنَـا فَاسْقِنَا. فَيُقَالُ: أَلاَ تَرِدُونَ فَيُحْشَرُونَ إلى جَهَنَّمَ كَأَنَّهُمْ سَرَابٌ فَيَتَسَاقَطُونَ فِيهَا".**

والخامس: الذي انتهى حره قاله سعيد بن جبير.

والسادس: (أنه) الصديد ذكره ابن الأنباري.

والسابع: أنه الرماد الذي ينفض عن الخبزة اذا خرجت من التنور. حكـاه ابـن الأنبـاري. (زاد المسير ٥/١٣٥).

[277]- ولفظه في البخاري "حدثني محمد بن عبد العزيز حدثنا أبو عمر حفـص بـن ميسرة عن زيدبن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخـدري رضـي الله عنـه أن أناسـاً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنـا يـوم القيامـة؟ قـال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم هل تضارون في رؤية الشمس بظهيرة ضوء ليس فيهـا سـحاب. قالوا: لا. قال: وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب؟ قـالوا: لا. قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما تضـارون في رؤيـة الله عـز وجـل يـوم القيامـة إلا كمـا تضارون في رؤية أحدهما. إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن تتبع كل أمة ما كانت تعبد فـلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار ؛حتى إذا لم يبـق إلا من كان يعبد الله بر أو فاجر وغبرات أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهـم مـن كنتـم تعبدون قالوا كنا نعبد عزيراً ابن الله فيقال لهم كذبتم مـا اتخـذ الله مـن صاحبـة ولا ولـد. فيقال: فما تبتغون، فقالوا: عطشنا ربنا فاسقنا فيسار ألا تردون فيحشرون الى النار كأنهـا سراب يحطم بعضها بعضاً فيساقطون في النار، ثم يدعـى النصـارى فيقـال لهـم: مـا كنتـم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال لهم: كذبتم ما اتخـذ الله صاحبـة ولا ولـد. فيقال لهم ماذا تبتغون، فكذلك مثل الأول؛ حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر أو

والشواهد على ما قلناه من صحيح الآثار أبين من النهار لأولي النهى والأبصار، وهذا كله من مكر الله بهم، وكذلك من قضى عليه من أهل التوحيد بالنار قد أفضت به الحال بعد هذه الشفاعة الى أشد ما كان فيه، فكل عذاب دون عذاب النار، وكذلك لا يجوز أن يعذب به سوى الله العزيز القهار.

فاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها. فيقال: ماذا تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم ونحن ننتظر ربنا الذين كنا نعبد. فيقول: أنا ربكم فيقولون لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً.

رواته: ثقات، درجته: إسناده صحيح، تخريجه: البخاري كتاب تفسير القرآن باب أن الله لا يظلم مثقال ذرة يعني زنة ذرة. ج٥ ص ١٧٩.

مسلم كتاب الايمان باب معرفة طريق الرؤية ج١ ص ١٦٨ لفظه.

والحديث في مسلم طويل زاد في آخره على البخاري بكثير.

المفردات: غبرات أهل الكتاب: بقاياهم.

كأنها سراب: السراب ما يتراءى للناس في الأرض القفر والقاع المستوى، وسط النهار في الحر الشديد لامعاً مثل الماء. وفي القرآن الكريم: ﴿يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ (سورة النور الآية ٣٩).

يحطم بعضهم بعضاً: لشدة اتقادها وتلاطم أمواج لهبها، والحطم: الكسر والاهلاك، والحطمة اسم من اسماء النار، لكونها تحطم ما يلقى فيها. وفي القرآن الكريم: ﴿كلا لينبذنّ في الحطمة﴾ (سورة الهمزة الآية٤).

فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما نكون إليهم: فارقوا في الدنيا الناس الذين زاغوا عن طاعته سبحانه وتعالى من قرابتهم وغيرهم ممن كانوا يحتاجون في معايشتهم ومصالح دنياهم الى معاشرتهم للارتزاق بهم.

فالشفاعة الأولى عامة لجميع الخلائق في الفصل بينهم، وإراحتهم من موقفهم، لكنه فاز بمطلوبها المطيعون وخسر هنالك المبطلون.

أما الثانية: فمختصة بفضلاء المؤمنين في الموقف، وإدخال قوم الجنة بغير حساب، وتعجيلهم الى منازلهم، فيقال يا محمد: أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه، من باب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمّد بيده إنّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى، مصاريع الجنة: أبوابها، ولا يقال مصراع حتى يكونا اثنين، هجر: قاعدة البحرين بفتح الهاء والجيم، ويقال فيها الهجر بالألف واللام، وهذا حديث ثابت بالاتفاق بنقل العدل عن العدل عن رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

وأما الثالثة: فلقوْم اسْتَوْجَبُوا النار بقبيح أعمالهم فيشفع فيهم رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حتى لا يدخلوا النار[٣٧٨].

وأما الرابعة فهي: إخراج من دخل النار من الموحدين، وهذا يشفع فيه رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والأنبياء والملائكة والمؤمنون، فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع المؤمنون وشفع

---

[٣٧٨]- النوع الثاني والثالث من الشفاعة شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة وفي أقوام آخرين قد أمر بهم الى النار ألا يدخلوها. (شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٧).

النبيون و لم يبق إلاّ أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل".

الحديث بطوله، وهو حديث مجمع على صحته يقال: فوهة النهر والطريق أي فمه وأوله، والحبة بكسر الحاء بذور الصحراء مما ليس بقوت، والحميل ما حمله السيل من الغثاء، وفي هذا الحديث فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة، هؤلاء عتقاء الله من النار الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدّموه، الحديث بطوله حتى لايبقى في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود، وهم الكفار بالله.

ثم هذه الشفاعات المشتملة عليها هذه الشفاعة مختلف آمادها بحسب مراد الله تعالى فيمن قضى بكثرة عذابه، وتطويل بقائه في النار، وتقصير مدته ، وبحسب ابتلائه بالمعاصي وشقوته.

والمعتزلة تقول:لن يخرج من النار من دخل فيها، وذلك تكذيب للشريعة وإخفاء لذمتها المنيعة ، فلا يحرم شفاعة النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلا الكفار[٣٧٩].

---

[٣٧٩]- النوع الرابع: شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم وقد وافقت المعتزلة على هذه الشفاعة خاصة وخالفوا فيما عداها من المقامات مع تواتر الأحاديث فيها(الطحاوية ص ١٩٧).

ولعلها ألاّ تنال من يكذب بها من أهل الأهواء والبدع، فواجب على كل مسلم أن يدعو جهده أن لا يحرمه الله شفاعة النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويكره له أن يدعو أن يخرج من النار بشفاعته، لأنه دعاء في أن يكون من المذنبين المستوجبين للنار إلاّ أن ينوي قائله إن كنت عندك ممن قضيت عليه بإنفاذ وعيدك وتحقيق كلمتك بدخول النار فاجعلني ممن يتعجل خروجه منها بشفاعة نبيك محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا وجه لهذا عندي لما صح عن الصادق المصدوق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مَوَاضِعَ السُّجُودِ"(٣٨٠).

والخامسة الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعله من السبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، والحديث مخرج في الصحيحين. النوع السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه ثم قال القرطبي في "التذكرة" بعد ذكر هذا النوع: فإن مثل: بقوله تعالى: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ (المدثر ٤٨). قيل له: لا تنفعه في الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة. (نفس المرجع ص ١٩٨).

(٣٨٠)- ولفظه في البخاري "حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبرهما: أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب. قالوا: لا. قال: فإنكم ترونه كذلك. يحشر الناس يوم القيامة من كان يعبد شيئاً فليتبع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها

منافقوها فيأتيهم الله عز وجل فيقول: أنا ربكم فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا: نعم. قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله، منهم من يخردل ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفون بآثار السجودوحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود..

المفردات: تمارون: ترتابون.

فانكم ترونه كذلك: تشبيه الرؤية بالرؤيه في الوضوح.

الطواغيت: جمع طاغوت وهو كل ما يعبد من دون الله. قال تعالى: ﴿يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت﴾ وقال: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾ وقال: ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾.

يضرب الصراط: أي يمد.

فأكون أنا وأمتي أول من يجيز: معناه أول من يمضي عليه ويقطعه.

فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولاً الجنة مقبلاً بوجهه قبل النار، فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤ ها. فيقول: هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غير ذلك، فيقول لا وعزتك، فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم قال: يا رب قدمني عند باب الجنة. فيقول الله له: أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير

الذي كنت سألت؟ فيقول: يا رب لا أكون أشقى خلقك ، فيقول فما عسيت أن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره، فيقول: لا وعزتك لا أسأل غير ذلك، فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول: يا رب أدخلني الجنة. فيقول الله تعالى: ويحك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيته. فيقول: يا رب لا تجعلني اشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه ثم يأذن له في دخول الجنة فيقول له تمنّ فيتمنى حتى إذا انقطعت أمنيته قال الله عز وجل: زد من كذا وكذا أقبل يذكره ربه عز وجل حتى إذا انتهت به الأماني قال الله تعالى: لك، ومثله معه. قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله عز وجل: لك ذلك وعشرة أمثاله. قال أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قوله لك ذلك ومثله معه. قال أبو سعيد الخدري إني سمعته يقول ذلك لك وعشرة أمثاله.

رواته ثقات، درجته: إسناده صحيح، تخريجه: (١) البخاري :كتاب الاذان باب فضل السجود ج١ ص ١٩٥ - ١٩٧.

وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة﴾.

وفي كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم ج٧ ص ٢٠٥.

(٢) مسلم كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية ج١ ص١٦٥ نحوه.

(٣) النسائي كتاب التطبيق باب موضع السجود ج٢ ص ٢٢٩.

(٤) ابن ماجه كتاب الزهد باب صفة النار ج٢ ص ١٤٤٦ حديث ٤٣٢٦.

المفردات: قد امتحشوا: يقال محشته النار، وامتحشته.

الحبة: بكسر الحاء: بذور البقول وقيل هو نبت صغير ينبت في الحشيش فأما بالفتح فهي الحنطة والشعير.

وحميل السيل: ما يحمله السيل من البذور والحشيش.

فطلب الواجب غير واجب، كما لا يقول الداعي: اللّهم احشرني وابعثني الى غير ذلك من الواجبات.

وأما الخامسة: فلأهل الجنان بعد استقرارهم فيها وفوزهم بها بزيادات الدرجات ورفع المنازل العليات.

وأما السادسة: فهي مخصوصة بنبينا وسيدنا وشفيعنا محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** تنال بعض الكفار ببركته وكرامته عند ربه.

وأما السابعة: شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة، وفي صحيح مسلم، عن أنس رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: **"أَنا اولُ شَفِيعٍ في الجَنَّةِ"**(٣٨١).

النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث، وقد خفي علم

قد قشبني ريحها: وفي الحديث ذكر النار قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها.

احرقني ذكاؤها: الذكاة الجمرة الملتهبة، والذكاة شدة وهج النار، وأذكيت الحرب .

ويحك : كلمة رحمة.

ما أغدرك: من الغدر وهو ترك الوفاء.

والبدع: جمع بدعة: وهي خلاف السنة.

أن يدعو جهده: أي طاقته.

مواضع السجود: الجبهة، واليدين والركبتين والقدمين.

(٣٨١)- أخرجه مسلم (١٩٦) في باب الإيمان في قول النبي صلى الله عليه سلم "أنا أول الناس: يشفع في الجنة وأنا أكثرهم تابعاً، والدارمي ٢٧/١ وأحمد ١٤٠/٣.

ذلك على الخوارج والمعتزلة، فخالفوا في ذلك جهلاً منهم بصحة الأحاديث وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته، وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً. ومن أحاديث هذا النوع، أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **"شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي"**(٣٨٢) رواه الإمام أحمد رحمه الله(٣٨٣).

كما ثبت في الصحيحين من مسند أم حبيبة قالت قلت: فإنّا نحدّث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة: قال بنت أم سلمة قالت: نعم قال: لو أنها لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي إنها لابنة أخي من الرضاعة أرضعتني وأبا سلمة ثويبة.(٣٨٤)

---

٣٨٢)- حديث صحيح بطرقه وشواهده أخرجه أبو داود (٤٧٣٩) في السنة باب في الشفاعة والترمذي (٢٤٣٧) في صفة يوم القيامة باب شفاعته صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته وأحمد ٣/٢٣٠ من حديث أنس وصححه ابن حبان (٢٥٩٦) والحاكم ٦٩/١.

٣٨٣)- شرح الطحاوية ص ١٩٨.

٣٨٤)- الحديث: لفظ الحديث في البخاري، حدّثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، أنّ عروة بن الزبير أخبره، أنّ زينب ابنة أبي سلمة أخبرته، أنّ أم حبيبة قالت:" **قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، اِنْكَحْ أُخْتِي بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: أَوَتُحِبِينَ قُلْتُ: نَعَمْ لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ، وَأَحِبُّ مَنْ شَارَكَنِي فِي خَيْرٍ أُخْتِي. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ ذلِكَ لاَ يَحِلُّ لِي. قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ فَوَاللهِ إِنَّا لَنَتَحَدَّثُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ**

قال عروة: وثويبة مولاة أبي لهب كان أبو لهب أعتقها؛ فأرضعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلمّا مات أبو لهب أريه بعض أهله بشرِّ حيبة. قال له ماذا لقيت ؟ قال أبو لهب: لم ألق بعدكم خيراً غير أنّي سعيت في هذه؛ بعتاقتي ثويبة.

دُرَّةَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَوَاللهِ لَوْ لَمْ تَكُنْ فِي حِجْرِي مَا حَلَّتْ إِنَّهَا لابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ، فَلاَ تَعْرُضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلاَ أَخَوَاتِكُنَّ، "

أ- رواته: ثقات.

ب- إسناده صحيح.

جـ- تخريجه:

١- البخاري كتاب النكاح باب: وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف جـ ٦ ص ١٢٨.

٢- مسلم كتاب الرضاع باب تحريم الربيبة وأخت المرأة جـ ٢ ص ١٠٧٢.

رقم الحديث ١٤٤٩ بلفظ ما في البخاري، غير أنه جرى بعض الاختلاف في الرواة.

٣- النسائي كتاب النكاح باب تحريم الربيبة التي في حجره جـ ٦ ص ٩٤ لفظه.

د- المفردات:

لست مخلية: اسم فاعل من الاخلاء أي لست بمنفرده بك ولا خالية من ضرة .

درة: بضم دال مهملة وتشديد راء.

ثويبة: بالتصغير.

فلا تعرضن: من العرض.

وأحب من شركتني: بكسر الراء.

اللفظ لشعيب عن الزهري، وقوله في هذه إشارة إلى نقرة الكف، وذلك أنها دخلت عليه مبشرة له وقالت له: أشعرت أنّ آمنة ولدت ولداً، فقال لها: أنت حرة، فهو يخفف عنه العذاب كل يوم اثنين لسروره بمولد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك اليوم وعتقه البشيرية. فالأولى أن يقال إنها بركة تعدت لأبي لهب، وكذلك أبو طالب قد خفف الله عنه من عذابه بذبّه[٣٨٥] عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحدبه[٣٨٦] عليه.

ثبت في الصحيحين عن العباس بن عبد المطلب أنّه قال:" **يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَبَا طَالِبَ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَنْصُرُكَ ويَغْضَبُ لَكَ، فَهَلْ نَفَعَهُ ذلِكَ ؟قَالَ : نَعَمْ و جَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ فَأَخْرَجْتُهُ إِلى ضَحْضَاحٍ**"[٣٨٧]، وفي رواية من الصحيحين: "**وَلَوْلا أَنا لَكَانَ فِي الدَرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**".

---

[٣٨٥]- بذبه: الذب بفتح الذال وتشديد الباء - هو المنع والدفع والمحاماة.

[٣٨٦]- وحدبه: الحدب - هو العطف والشفقة.

[٣٨٧]- لفظ الحديث في البخاري "حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان حدثنا عبد الملك حدثنا عبد الله بن الحارث قال حدثنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما أغنيت عن عمك فوالله كان يحوطك ويغضب لك. قال في ضحضاح من النار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار"

الحديث:

أ- رواته: ثقات.

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ" أي شيء كثير يغمره ويغطيه، وقوله: "إِلَى ضَحْضَاحٍ" أي شيء قليل كضحضاح الماء، وهو ما لا يكاد يستر القدم، وهذا ما سرى إليهما من بركته، لأن القرآن قد حكم أن الكفار لا تنالهم ولا تنفعهم شفاعة

ب- إسناده صحيح.

جـ- تخريجه:

١- البخاري كتاب مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب ص ٢٤٧ وأخرجه في كتاب الأدب باب المشرك جـ ٧ ص ١٢١.

٢- مسلم كتاب الايمان باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه - ج ١ ص ١٩٥ مثله. حديث ٣٥٧ (٢٠٩).

د- المفردات: غمرات: واحد غمره: وهي المعظم في الشيء.

٢- يحوطك: قال أهل اللغة: يقال: حاطه يحوطه حوطاً وحياطة - إذا صانه وحفظه وذب عنه وتوفر على مصالحه.

ضحضاح: الضحضاح مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين واستعير في النار.

الدرك: قال أهل اللغة - في الدرك لغتان فصيحتان مشهورتان، فتح الراء واسكانها وقرئ بهما في القراءات السبع. وقال أبو حاتم: جمع الدرك بالفتح ادراك كجمل واجمال وفرس وأفراس وجمع الدرك بالاسكان أدرك كفلس وأفلس أما معناه: فعند جميع أهل اللغة والمعاني وجماهير المفسرين .

الدرك الأسفل: قعر جهنم وأقصى أسفلها وفي القرآن الكريم ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ الآية.

الشافعين([388])، واحتجّ من سمى نفعه لأبي طالب شفاعة بالسنة الثابتة المبينة بكتاب رب العالمين، وهو ما ثبت بنقل العدل عن العدل عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه ابوطالب فقال :"لعله تنفعه شفا عتي يوم القيامة فيجعل في

---

[388]-عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه"

أ- رواة الحديث: "حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد..

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه:

١- مسلم كتاب الايمان باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه. حديث ٣٦٠ (٢١٠) جـ ١ ص ١٩٥ بلفظه.

وللحديث روايات أخرى في نفس المرجع.

د- المفردات:

١- شفاعة الشافعين: أي ليس لهم شافع ينقذهم من عذاب الله. وفي القرآن الكريم "فما تنفعهم شفاعة الشافعين" الآية ٤٨ سورة المدثر.

٢- يغلي: الغليان هو شدة اضطراب الماء ونحوه على النار لشدة اتقادها.

يقال: غلت القدر تغلي غلياً. وغلياناً وأغليتها أنا. ومنه قول الشاعر:

ولا أقول لقدر القوم قد غليت ولا أقول لباب الدار مغلوق.

والصواب - غلت - و "مغلق".

ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه" فسمى نفعه لأبي طالب شفاعة وهذا على سبيل التجوز كما قيل:

فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ تَمْحُو إِسَاءَتَهُ مِنَ القُلُوبِ وَجِيهٌ أَيْنَمَا شَفِعَا

أي أن جمال وجهه ينفعه في طرح التثريب عليه، والمجازاة له على إساءته، فكأنه لما كان ذلك بسبب جمال وجهه شفيع للمجني عليه ألا يؤاخذه، وأن يطرح عنه اللوم والمجازاة في ذلك، إذ حقيقة الشفاعة، الطلب لغيرك ما يوافقه، فإذا وصل إليك من آخر ما ترغبه فكأنه شفيع لك عنده، وإن لم تكلمه في ذلك، وهي مأخوذة من الشفع الذي هو ضد الوتر، لأنه شفع أول كلامه بآخره، ومفرده بمكرره، لأن الطالب والراغب يكرر الرغبة ويثني الطلبة، إذ أصل الشفاعة أن يشفع الواحد الواحد فيصيرا شفعاً، ومنه الشفيع، لأنه يصل جناح الطالب، ويصير ثانياً له فعلى هذا التجوز يحمل قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لعله تنفعه شفاعتي[٣٨٩]. وأما قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخرجته إلى

---

[٣٨٩]- وإذا كانت شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم شملت أبا طالب فأخرجته إلى ضحضاح من النار؛ وذلك بدفاعه وحدبه وعطفه على النبي صلى الله عليه وسلم فمن باب أولى أن تشمل شفاعته صلى الله عليه وسلم أهل الكبائر من أمته الذين ماتوا على الاسلام.

وقد قرر أهل السنة والجماعة شمول شفاعته صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر، لكن لا يشفع أحد حتى يأذن الله له ويحد له حداً كما في الحديث الصحيح، حديث الشفاعة أنهم يأتون آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى فيقول لهم عيسى عليه السلام:

ضحضاح وهـو لم يخرجـه بيـده وإنما هـو إخـراج وشـفاعة بالحـال لا بالفعال والمقال، وإذا قررت موارد الشرع هذا التقرير لم يتعارض لدى الفهم البصير.

اذهبوا إلى محمد فإنه عبد غفر الله له ما تقدم مـن ذنبـه ومـا تـأخر فيـأتوني فـاذهب، فـإذا رأيت ربي خررت له ساجداً فأحمد ربي بمحامد يفتحها علي ولا أحسنها الآن فيقول، أي محمد ارفع رأسك، وقل يسمع واشفع تشفع، فـأقول ربـي أمـتي فيحـد لي حـداً فـادخلهم الجنة ثم أنطلق فاسجد فيحد لي حداً" [أخرجه البخاري جـ ٨ ص ٣٩٥-٣٩٦ مسلم ص ١٩٤ أحمد جـ ٢ ص ٤٣٥ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠٠ - ٢٠١.

من فَضَائِلُ رَسُولِ الله صَلّىالله عليهِ وَسَلَّمَ

ومن فضائله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إعطاء الرضى، والسول، والكوثر، وسماع القول، وإتمام النعمة، والعفو عما تقدم من ذنبه وما تأخر، وشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر(٣٩٠) وعزة النصر، ونزول السكينة(٣٩١)، وايتاء الكتاب، والسبع المثاني، والقرآن العظيم،

---

٣٩٠)- إشارة إلى قوله تعالى ﴿ألم نشرح لكَ صَدركَ ووضعنا عنكَ وزركَ، الذي انقضَ ظهرك، ورفعنا لكَ ذكركَ ... ﴾ الآيات.

والمعنى: شرحنا لك صدرك أي نورناه وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً كقوله: "فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام" وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحاً واسعاً سهلاً لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق، وقيل المراد بقوله: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ شرح صدره ليلة الاسراء كما رواه مالك بن صعصعة وهو إن كان واقعاً ليلة الاسراء لا منافاة، فإن من جملة شرح صدره الذي جعل بصدره ليلة الاسراء وما نشأ عنه من الشرح المعنوي. ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ بمعنى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ قال مجاهد: لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة. ابن كثير ٥٢٤/٤.

٣٩١)- وفي القرآن الكريم ﴿ ثم أنزلَ اللهُ سكينتهُ على رسولهِ وعلى المؤمنينَ﴾ الآية سورة التوبة ٢٦ والمعنى - أنزل ما يسكنهم فيذهب خوفهم حتى وقع منهم الاجتراء على قتال

وأنّ بعثه رحمة للعالمين، يعني لجميع الخلق الجـن والانـس، جعلـه رحمة للمؤمنين بالهداية ورحمة للمنافقين بالأمان من القتـل،ورحمـة للكـافرين بتأخير العذاب إلى يوم الدين، وليـس ذلـك لنبيّ غـيره صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، وآتاه الله نورين لم يؤتهما نبيّ قبله، لما رويناه في صحيح مسـلم وقد تقدمت أسانيدنا إليه.

(٣٩٢) عن ابن عباس قال:" **بَيْنَمَـا جِبْرِيلُ عِنْـدَ النَّبِـيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ نَقِيضاً مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: هذا بَـابٌ مِـنَ**

المشركين بعد أن ولوا مدبرين، والمراد بالمؤمنين هم الذين لم ينهزموا وقيل: الذين انهزمـوا، والظاهر جميع من حضر منهم ثبتوا بعد ذلك وقاتلوا وانتصروا. (فتح القدير ٣٤٨/٢).

[٣٩٢]- الحديث:

أ- درجته: صحيح بسنده

ب- تخريجه:

١- مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة جـ ١ ص ٥٥٤ حديث ٢٥٤ (٨٠٦) بلفظه إلا أنه ورد فيه "جبريل قاعد".

وفي رواية "من قرأ هاتين الآيتين – من سورة البقرة في ليلة كفتاه" نفس المرجع.

٢- النسائي كتاب الافتتاح باب فضل فاتحة الكتاب جـ ٢ص ١٣٨ نحوه.

د- المفردات:

نقيضاً: أي صوتاً كصوت الباب إذا فتح.

أوتيتهما: على البناء للمفعول.

بحرف منهما: أي مما فيه من الدعاء.

السَّمَاء فُتِحَ اليَوْمَ وَلَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلاَّ اليَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ: هذا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لِمْ يَنْزل قَطُّ إِلاَّ اليَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيْتُهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قِبْلَكَ: فَاتِحَةَ الكِتَابِ وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ البَقَرَةِ، لَمْ تَقْرَأْ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلاَّ أُعْطِيتَهُ"

قال ذو النسبين أيده الله: قوله "سَمِعَ نَقِيضاً" يعني: الصوت من غير الفم كفرقعة الأعضاء، والمحامل ونحوها، وجبريل على الحقيقة هو الذي نزل بها لأنه تقدم الملك معلماً به إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا يقال: إذاً لم ينزل بها كما قال بعض الأغفال، وهو قول شنيع، ويتفسر بهذا المعنى قوله جل من قائل: ﴿يُنَزِّلُ المَلاَئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ يعني ملائكة الوحي وهم جبريل عليه السلام، وذكرهم بالجمع لأنه قد ينزل بالوحي معه غيره حسب ما تقدم بيانه.

ومنها الحكم بين الناس بما أراه الله وليس ذلك لغيره حسب ما نطق به القرآن، ووجب التصديق به والإيمان، والقسم باسمه، وإجابة دعوته، والانسان في صلاته، وسيادة ولد آدم وسيادة جميع الناس يوم القيامة.

إلا أعطيته: أي أعطيت مقتضاه - والمرجو بأن هذا لا يختص به بل يعمه وأمته صلى الله عليه وسلم.

كفتاه: دفعتا عنه الشر والمكروه.

ثبت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بإجماع أهل النقل أنه قال:" **أَناْ سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ**". وقال أيضاً: "**أَناْ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلاَ فَخْر**"([٢٩٣]) أي لا أقول هذا فخراً.

---

[٢٩٣]- لفظ الحديث في صحيح مسلم حدثني الحكم بن موسى أبو صالح حدثنا هقل "يعنى ابن زياد "عن الأوزاعي، حدثني أبو عمار حدثنى عبد الله بن فردخ حدثني أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع".

الحديث:

أ- درجته: صحيح بسنده

ب- تخريجه:

١- البخاري كتاب الأنبياء باب قوله تعالى :﴿انا أرسلنا نوحاً إلى قومه إلى آخر السورة﴾ جـ ٤ ص ١٠٥ نحوه ولكن رواه بلفظ "أنا سيد القوم يوم القيامة".

٢- مسلم كتاب الفضائل باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق جـ ٢ ص ١٧٨٢ حديث ٣ (٢٢٧٨).

٣- الترمذي كتاب المناقب باب في فضل النبي صلى الله عليه وسلم حـ٥ ص ٥٨٧ /٣٦١ وورد فيه لفظ "وبيدي لواء الحمد".

٤- ابن ماجه كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة جـ ٢ ص ١٤٤٠ وزاد كذلك "وبيدي لواء الحمد".

٥- أبو داوود كتاب السنة باب في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جـ ٥ ص ٥٤.

د- المفردات:

المحامل: أي الأشياء المحمولة.

لكن أقوله إبلاغاً وتعريفاً وتحدثاً بنعمة الله وفضلـه، ولا فخـر في الدنيا عندي؛ أي لا أتعاظم بذلك، ولا أتكبر في الدنيا، وإلا فله بذلـك الفخر الكبير في الدنيا والآخرة.

ومنها أنّ الله تعالى أمنه من الخزي يوم القيامة، والخـزي في اللغـة الفضيحة يقال في مصدره من الفضيحة خزي يخزى خزأته، وإذا هلـك أو وقع في بلية يقال: خزى يخزي خزياً فقال جل من قـائل: ﴿**يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ**﴾، والحكمة في ذلك أن يفرغ إلى شفاعة أمته، ولو لم يؤمّنه لكان مشغولاً بنفسه كغيره مـن النبيّـين إذا صح أنّ كـل واحـد منهم يقول يوم القيامة نفسي نفسي.

على الحقيقة: أي على صورته الأصلية.

معلماً به: من الإعلام وهو الإخبار.

شنيع: أي قبيح.

ينزل الملائكة بالروح من أمره: أي الوحي، هذه الآية مرتبطة بما قبلها ووجه الارتبـاط أنـه صلى الله عليه وسلم أخبرهم عن الله أنه قد قرب أمـره ترددوا في الطريقـة الـتي علـم بهـا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فأخبر أنه علم بها عن طريق الوحي.

أنا سيد ولد آدم: قال الهروي: السيد هو الذي يفوق قومه في الخير وقال غـيره هـو الـذي يفزع إليه في النوائب والشدائد فيقوم بأمرهم ويتحمل عنهم مكارههم ويدفعها عنهم.

ما أباحه الله له من النساء

ومن خصائصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مما خففه الله عنه وشدّده على أمته أن الله أباح له من النساء أكثر من أربع لأنّه معصوم من الجور الذي قصرت أمته على أربع من أجله، وجميع أزواج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اثنتان وعشرون(٣٩٤) زوجة وقع ذكرهن في كتاب المحبر.

---

٣٩٤)- قال في إسناد العيون: لا يخفى أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم المدخول بهن اثنتا عشرة امرأة - خديجة، ثم سودة، ثم عائشة، ثم حفصة، ثم زينب بنت خزيمة، ثم أم سلمة، ثم زينب بنت جحش، ثم جويريه، ثم ريحانة ثم أم حبيبة، ثم صفية، ثم ميمونة على هذا الترتيب في التزويج.

ومن جملة اللاتي لم يدخل بهن عليه السلام التي ماتت من الفرح لما علمت أنه عليه السلام تزوج بها غراء أخت دحية الكلبي، ومن جملتهن سودة القرشية التي خطبها عليه السلام فاعتذرت ببنيها وكانوا خمسة أو ستة فقال لها خيراً، ومن جملتهن التي تعوذت منه عليه السلام وهي أسماء بنت معاذ الكندية، قلن لها إن أردت أن تحظي عنده فتعوذي بالله، فلما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أعوذ بالله منك ظنت أن هذا القول كان من الأدب فقال عليه السلام:"عذت بمعاذ عظيم الحقي بأهلك" ومتعها ثلاثة أثواب، ومن جملتهن التي اختارت الدنيا حين نزلت آية التخيير، وهي فاطمة بنت "الضحك" وكانت تقول أنا الشقية اخترت الدنيا.

ومن جملتهن قتيلة على صيغة التصغير زوجه إياها أخوها، وهي بحضرموت ومات عليه السلام قبل قدومها عليه، وأوصى أن تخير فإن شاءت ضرب عليها الحجاب وكانت من

وتوفي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تسع نسوة وسريتين، وهن: "**سَوْدَةُ**(٣٩٥) **بِنْتُ زُمْعَةَ العَامِرِيَّةِ**" من عامر لؤي تزوجها بعد موت خديجة أم المؤمنين أم سدة نساء أهل الجنة فاطمة عليها السلام.

أمهات المؤمنين، وإن شاءت الفراق فتنكح من شاءت فاختارت الفراق فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بحضرموت. (روح البيان ٧/٢٠٦).

وجملة من خطبه عليه السلام من النساء ثلاثون امرأة؛ منهن من لم يعقد عليه وهذا القسم منه من دخل به ومنه من لم يدخل به. وفي لفظ : جملة من دخل عليه ثلاث وعشرون امرأة والذي دخل به منهن اثنتا عشرة.

وقال أبو الليث في البستان جميع من تزوج من النساء أربع عشرة نسوة - خديجة، ثم سودة، ثم عائشة، ثم حفصة، ثم أم سلمة، ثم أم حبيبة ثم جويرية ثم صفية، ثم زينب ثم ميمونة ثم زينب بنت خزيمة، ثم امرأة من بني هلال، وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ثم امرأة من كندة وهي التي استعاذت منه فطلقها، ثم امرأة من بني كليب.

وقد نظمهن بعضهم فقال -

توفي رسول الله عن تسع نسوة   إليهن تعزى المكرمات وتنسب

فعائشة ميمونة وصفيـــــة   وحفصة تتلوهن هند وزينب

جويرية مع رملة ثم ســـودة   ثلاث وست ذكرهن ليعذب

روح البيان ٧/٢٠٦ - ٢٠٧).

٣٩٥)- هي سودة بنت زمعة، وكانت تحت السكران بن عمرو وهو من مهاجري الحبشة فمات و لم يعقب فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة وانفردت به نحوا من ثلاث سنين أو أكثر حتى دخل بعائشة.

وهي التي وهبت يومها لعائشة رعاية لقلب الرسول الله صلى الله عليه وسلم, لها أحاديث، وخرج لها البخاري.

حدث عنها: ابن عباس، وحيى بن عبد الله الانصاري.

و"عَائِشَةُ(٣٩٦) بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِيقِ" القرشية التيمية ولم يتزوج بكراً غيرها.

توفيت في أواخر خلافة عمر بالمدينة.

وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: ما رأيت امرأة احب إلي أن أكون في مسلاتها من سودة، من امرأة فيها حدة، فلما كبرت جعلت يومها من النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة.

وروى الواقدي: عن ابن أخي الزهري، عن أبيه قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بسودة في رمضان سنة عشر من النبوة وهاجر بها، وماتت بالمدينة في شوال سنة أربع وخمسين.

عن بكير بن الأشج: ان السكران قدم من الحبشة بسودة فتوفي عنها، فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: أمري إليك. قال: "مري رجلاً من قومك يزوجك" فأمرت حاطب بن عمرو العامري، فزوجها وهو مهاجري بدري.

هشام الدستوائي: حدثنا القاسم بن أبي بزة: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى سودة بطلاقها، فجلست على طريقه فقالت: أنشدك بالذي أنزل عليك كتابه لم طلقتني؟ الموجدة؟ قال: "لا" قالت: فأنشدك الله لما راجعتني فلا حاجة لي في الرجال ولكني أحب ان ابعث في نسائك فراجعها قالت: فإنني قد جعلت يومي لعائشة.

حماد بن زيد عن هشام عن ابن سيرين: ان عمر بعث إلى سودة بغرارة دراهم.

فقالت ما هذه؟ قالوا: دراهم. قالت: في الغرارة مثل التمر، يا جارية بلغيني القنع ففرقتها.

القنع: الطبق. [سير أعلام النبلاء ٢/٢٦٥-٢٦٩].

٣٩٦)- هي بنت الإمام الصديق الأكبر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشية التيمية المكية النبوية أم المؤمنين زوجة النبي صلى الله عليه وسلم أفقه نساء الأمة على الإطلاق.

و"حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ" القرشية العدوية(٣٩٧).

وأمها هي ام رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة الكنانية. هاجر بعائشة أبواها، وتزوجها نبي الله قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهراً وقيل: بعامين. ودخل بها في شوال سنة اثنتين منصرفه عليه الصلاة والسلام من غزوة بدر وهي ابنة تسع.

فروت عنه علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه, وعن أبيها، وعن عمر، وفاطمة، وسعد وحمزة بن عمر الاسلمي وجدامة بنت وهب. حدث عنها إبراهيم بن يزيد النخعي مرسلاً، وإبراهيم بن يزيد التيمي كذلك، وإسحاق بن طلحة، وإسحاق بن عمر، والأسود بن يزيد، وأيمن المكي، وثمامة بن حزن وجبير بن نفير، وجمع بن عمير، والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي والحارث بن نوفل – وغيرهم خلق كثير.

مسند عائشة يبلغ الفين ومئتين وعشرة أحاديث اتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري باربعة وخمسين وانفرد مسلم بتسعة وستين.

وعائشة ممن ولد في الاسلام وهي اصغر من فاطمة بثماني سنين وكانت تقول: لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين. وكانت امرأة بيضاء جميلة ومن ثم يقال لها الحميراء. ولم يزوج النبي صلى الله عليه وسلم بكراً غيرها ولا أحب امرأة حبها، ولا أعلم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم بل ولا في النساء مطلقاً امرأة أعلم منها. [سير إعلام النبلاء ٢/١٣٥ –١٤٠].

٣٩٧)– حفصة أم المؤمنين – الستر الرفيع، بنت أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء عدتها من خنيس بن حذافة السهمي أحد المهاجرين في سنة ثلاث من الهجرة. كان من السابقين الأولين إلى الاسلام هاجر إلى أرض الحبشة وعاد إلى المدينة وشهد بدراً وأحداً، وأصابه بأحد جراحة فمات رضي الله عنه.

قالت عائشة: هي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وروي أن مولدها كان قبل المبعث بخمس سنين، فعلى هذا يكون دخول النبي صلى الله عليه وسلم بها ولها نحو من عشرين سنة.

روت عنه عدة أحاديث.

روى عنها: أخوها ابن عمر وهي أسن منه بست سنين، وحارثة بن وهب وشتير بن شكل، والمطلب بن أبي وداعة، وعبد الله بن صفوان الجمحي وطائفة, وكانت لما تأيمت عرضها أبوها على أبي بكر فلم يجبه بشيء، وعرضها على عثمان، فقال بدالي ألا أتزوج اليوم، فوجد عليهما، وانكسر وشكا حاله إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة"، ثم خطبها فزوجه عمر، وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بابنته رقية بعد وفاة أختها.[أخرجه ابن سعد في "الطبقات" ٨٢/٨ والبخاري ١٥٢/٩ -١٥٣ في النكاح].

ولما أن زوجها عمر، لقيه أبو بكر، فاعتذر وقال: لا تجد علي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد ذكر حفصة فلم أكن لأفشي سره ولو تركها لتزوجتها.

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم طلق حفصة تطليقة ثم راجعها بأمر جبريل عليه السلام له بذلك، وقال: "إنها صوامة، قوامة، وهي زوجتك في الجنة" اسناده صالح هو الذي يرويه به موسى بن علي بن رباح عن عقبة بن عامر الجهني.[سير أعلام النبلاء ٢٢٧/٢-٢٢٩].

وحفصة وعائشة هما اللتان تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله فيهما ﴿إنْ تتوبا الى الله فقدْ صغتْ قلوبُكما، وإنْ تظاهرا عليهِ فانَّ اللهَ هو مولاهُ وجبريلُ﴾ التحريم الآية (٤).

و"**أُمُّ حَبِيبَةَ**[٣٩٨] **بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ**" صخر بن حرب الأموية، واسمها رملة لا خلاف في ذلك. عند علماء النسب إلاّ من شذ ممن يعد قوله خطأ، وكان خطبها له النجاشي وأصدقها عنه أربع مائة دينار إذ كانت بأرض الحبشة، فخرج بها زوجها عبيد الله بن جحش الأسدي

---

[٣٩٨]- أم حبيبة أم المؤمنين - السيدة المحجبة: رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي.

مسندها خمسة وستون حديثاً، واتفق لها البخاري ومسلم على حديثين وتفرد مسلم بحديثين. وهي من بنات عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس في أزواجه من هي أقرب نسباً إليه منها، ولا في نسائه من هي أكثر صداقاً منها، ولا من تزوج بها وهي نائية الدار أبعد منها. عقد له عليها بالحبشة وأصدقها عنه صاحب الحبشة أربع مائة دينار وجهزها بأشياء.

روت عدة أحاديث.

حدث عنها، أخواها الخليفة معاوية، وعنبسة وابن أخيها عبد الله بن عتبة بن أبي سفيان، وعروة بن الزبير وأبو صالح السمان، وصفيةبنت شيبة وزينب بنت ابي سلمة، وشتير بن شكل وأبو المليح عامر وقدمت دمشق زائرة أخاها. ويقال: قبرها بدمشق. وهذا لا شيء بل قبرها بالمدينة.

قال ابن سعد: وأم حبيبة، توفي عنها زوجها الذي هاجر بها إلى الحبشة عبيد الله بن جحش بن رياب الأسدي مرتداً متنصراً.

عقد عليها للنبي صلى الله عليه وسلم بالحبشة سنة ست، وكان الولي عثمان بن عفان. كذا قال.

قال الواقدي، وأبو عبيد والفسوى: ماتت أم حبيبة سنة أربع وأربعين وقال المفضل الغلابي: سنة اثنتين وأربعين. [سير أعلام النبلاء ٢/٢١٨-٢٢٢].

من أسد خزيمة مهاجراً من مكة إلى أرض الحبشة مع المهاجرين الأولين ثم تنصر، ومات نصرانياً، وأبت أم حبيبة أن تتنصر، وأثبت الله لها الإسلام والهجرة، وزوجها رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

و"أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ"(٢٩٩) المعروف بزاد الراكب واسمها هند من بني مخزوم.

---

٢٩٩)- أم سلمة أم المومنين - السيدة المحجبة الطاهرة، هند بنت أبي أمية ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة المخزومية بنت عم خالد بن الوليد سيف الله وبنت عم أبي جهل بن هشام.

من المهاجرات الاول كانت قبل النبي صلى الله عليه وسلم عند أخيه من الرضاعة أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، الرجل الصالح.

دخل بها النبي صلى الله عليه وسلم في سنة أربع من الهجرة، وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسباً.

وكانت آخر من مات من أمهات المومنين عمرت حتى بلغها مقتل الحسين، الشهيد، فوجمت لذلك وغشي عليها، وحزنت عليه كثيراً لم تلبث بعده إلا يسيراً وانتقلت إلى الله.

ولها أولاد صحابيون: عمر، وسلمة وزينب ولها جملة أحاديث. روى عنها سعيد بن المسيب، وسقيف ابن سلمة، والأسود بن يزيد، والشعبي، وأبو صالح السمان ومجاهد، ونافع ابن جبير بن مطعم، ونافع مولاها، ونافع مولى ابن عمر، وعطاء بن أبي رباح وشهر بن حوشب، وابن أبي مليكة وخلق كثير.

عاشت نحواً من تسعين سنة.

وأبوها زاد الراكب، أحد الأجواد - قيل: اسمه - حذيفة. وقد وهم من سماها رملة، تلك أم حبيبة. وكانت تعد من فقهاء الصحابيات. قال عبد الله بن نمير: حدثنا أبو حيان التيمي، عن حبيب بن أبي ثابت قال: قالت ام سلمة: أتاني رسول الله صلى الله عليه

و"زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ الأُسْدِيَةَ" مـن أسـد(٤٠٠) خزيمـة، وهـي أم الحكم. قال الشعبي: كـانت زينـب زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ تقول للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ:" إنّـي لأدل عليـك بثلاث مـا مـن نسائك امرأة تدل بهن: إنّ جدي وجدك واحـد، وإنّـي أنكحنيـك الله

وسلم فكلمني، وبيننا حجاب، فخطبني فقلت وما تريد إلي؟ ما أقول هذا إلا رغبة لك عن نفسي، إني امرأة قد أدبر مني سني، وإني أم أيتام، وإني شديدة الغيرة، وأنت يا رسول الله تجمع النساء.[سير أعلام النبلاء ٢/٢٠١-٢٠٥].

قال : "أما الغيرة فيذهبها الله وأما السـن فأنـا أكـبر منـك. وأمـا أيتـامك فعلـى الله وعلـى رسوله". فأذنت فتزوجني. [رجاله ثقات ولكنه مرسل وهو في الطبقات ٨/٩٠].

٤٠٠)- زينب أم المؤمنين - هي بنت جحش بن رباب، وابنة عم رسول الله صلى الله عليـه وسلم، أمهـا أميمـة بنـت عبـد المطلـب بـن هاشـم، وهـي أخـت حمنـة وأبـي أحمـد. مـن المهاجرات. كانت عند زيد، مولى النبي صلى الله عليـه وسـلم وهـي الـتي يقـول الله فيهـا: ﴿وإذ تقول للذي أنعمَ اللهُ عليهِ وانعمتَ عليهِ أمسكْ عليكَ زوجكَ واتقِ اللهَ، وتُخفـي في نفسِكَ مـا اللهُ مبديـهِ وتخشـىَ النـاسَ واللهُ أحـقُّ أنْ تخشـاهُ. فلمـا قضـى زيـد منهـاوطراً زوجناكها﴾ "الآحزاب ٣٧".

فزوجها الله تعالى نبيه بنص كتابه، بلا ولي ولا شاهد، فكانت تفخر بذلـك علـى أمهـات المؤمنين وتقول: "زوجكـن أهـاليكن وزوجـني الله مـن فـوق عرشـه". [أخرجـه البخـاري ١٣/٣٤٧]. وفي رواية البخاري كـانت تقـول: ان الله انكحـني في السـماء، وكـانت مـن سادات النساء دينا وورعاً وجوداً ومعروفاً رضي الله عنها وحديثها في الكتب الستة.

روى عنها: ابن أخيها محمد بن عبد الله بن جحش، وأم المؤمنـين أم حبيبـة وزينـب بنـت ابي سلمة وارسل عنها القاسم بن محمد توفيت في سنة عشرين وصلى عليهـا عمـر. [سير أعلام النبلاء ٢/٢١١-٢١٢].

من السماء، وإنّ السفير لجبريل"، ذكره الحوف في كتاب (البرهان)، وهو عندي في ثلاثين مجلداً.

قَالَ ذو النسبين أيده الله:

وصدقت رضى الله عنها لأن أمها أمية بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد مكة شيبة الحمد عبد المطلب بن هاشم، وهو جدها أيضاً، وأما قولها"أنكحنيك الله من السماء"فهو قوله عزوجل: ﴿ **فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنهَا وَطَراً زَوَجْنَاكَهَا**﴾ والهاء والكاف مفعولان لزوجنا جواب لما، وهو العامل في لما.

ولا خلاف بين أهل العلم أن سبب نزول هذه الاية ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ**[401] **وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ**

[401]- الله مبديه، صلة الموصول في قوله تعالى: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾والموصول هو"ما" فإنه هنا أبهم هذا الذي أخفاه صلى الله عليه وسلم في نفسه وأبداه الله، ولكنه أشار إلى أن المراد به زواجه صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش رضي الله عنها حيث أوحى الله إليه ذلك، وهي في ذلك الوقت تحت زيد بن حارثة لأن زواجه إياها هو الذي أبداه الله بقوله: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾ "وهذا هو التحقيق في معنى الآية الذي دل عليه القرآن، وهو اللائق بجنابه صلى الله عليه وسلم. وبه تعلم أن ما يقوله كثير من المفسرين من أن ما أخفاه في نفسه صلى الله عليه وسلم وأبداه الله وقع زينب في قلبه وصحبته لها وهي تحت زيد، وأنها سمعته قال: سبحان مقلب

تَخْشَاهُ. فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾.

فقوله جل من قائل:﴿ وَإِذْ تَقُولُ﴾ أي واذكر يا محمد إذ تقول للذي أنعم الله عليه بالهداية للايمان، وأنعمت عليه بالعتق من العبودية التي كانت لحقته، وهو زيد بن حارثة الكلبي، وكلب من سادات العرب إلا أن طائفة من بني القيس بن حسر سبته، فباعته فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد سيدة نساء قريش بأربعمائة درهم، فوهبته لزوجها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتبناه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة قبل النبوة، وهو ابن ثماني سنين في حكاية طويلة ذكرها النسّابون وعدول المحدثين، وقد ذكر ابن اسحاق أنه أول من أسلم ، وقدمه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أميراً على جيش مؤتة مقدماً على جعفر ابن أبي طالب وغيره ويكفيه أن الله عز وجل

القلوب إلى آخر القصة كله لا صحة له، والدليل عليه أن الله لم يبد في ذلك شيئاً مع أنه صرح بأنه مبدي ما أخفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم. [أضواء البيان ٦/٥٨٠-٥٨١].

وأما من ذهب من المفسرين إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم وقع منه استحسان لزينب بنت جحش وهي في عصمة زيد وهو محض هوى يجافي فهم الآيات الكريمة ، وبلاشك فهو غير صحيح ولا يليق بمقام النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

لم يذكر أحداً من الصحابة باسمه العلم في القرآن سواه، فنال من شرف ما أسناه وأسماه.

وقوله تعالى: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾(٤٠٢) قال قتادة وابن زيد: خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً يريده، يعني زيداً وعلى الباب ستر من شعر فرفعت الريح الستر فانكشف، وهي في حجرتها حاسرة فوقع إعجابها في قلب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما وقع ذلك كرهت إلى الآخر قال: فجاء فقال يا رسول الله أريد أن أفارق صاحبتي، قال: ما لك؟ ارابك منها شيء؟ قال: لا والله يا رسول الله ما رابني منها شيء، ولا رأيت إلا خيراً. فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أمسك عليك زوجك واتق الله، فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ

---

(٤٠٢)- الآحزاب الآية ٣٧. إن زواج زينب بنت جحش من زيد بن حارثة كان بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال لها: إني أريد أن أزوجك زيد بن حارثة فإني قد رضيته لك. قالت يا رسول الله: لكني لا أرضاه لنفسي وأنا أيم قومي، وبنت عمتك فلم أكن لأفعل. فنزلت هذه الآية ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرةُ من أمرهم﴾ فبعد نزول الآية قالت له قد أطعتك فاصنع ما شئت فزوجها زيداً ودخل عليها. "أمسك عليك زوجك" الآية, يعني زينب واتق الله في أمرها ولا تعجل بطلاقها "وتخفي في نفسك ما الله مبديه" وهو نكاحها ان طلقها زيد(وتخشى الناس) أي تستحيهم اوتخاف من تعييرهم بأن يقولوا أمر مولاه بطلاق امرأته ثم تزوجها. (فتح القدير ٤/٢٨٣-٢٨٤).

اللهُ عَلَيْهِ﴾.. الآية. حكى ذلك الحوفي وجماعة من المفسرين، وهي غير صحيحة عند العلماء الراسخين وإسنادها عن قتادة منقطع وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم لا يروى عنه لضعفه ونكارة حديثه، وهذا مخالف للقرآن مفسد للإيمان، فقد نهى الله سيد المرسلين فقال في كتابه المبين: ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(٤٠٣) وهذا إقدام عظيم وقلة معرفة بحق هذا النبيّ الكريم، وكيف يقال: رآها فأعجبته، وهذا نفس الحسد المذموم، وما أقرب قائله من نار الجحيم؛ ألم تكن ابنة عمته ولم يزل يراها منذ ولدت إلى أن كبرت فزوجها من زيد مولاه، فما أجسر راوي هذا الخبر على الله، وما أجرأه. وجميع النسوان لم تكن تحتجبن من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك أزواجه الطاهرات، أمّهات المؤمنين إلى أن أنزل الله آية الحجاب، فحجبن وجوههنّ عن عيون الناس أجمعين، والذي روى علي زين العابدين والزهري سيدا المحدثين، أنّ الله تعالى كان أعلم نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ زينب ستكون من أزواجه،

---

٤٠٣)- طه الآية ١٣١. ﴿ولا تمدن عينيك ..﴾ الآية أي لا تطمح ببصرك إلى زخارف الدنيا طموح رغبة فيها وتمن لها. والأزواج: الأصناف؛ قال ابن قتيبة وقال الجوهري: الأزواج: القرناء . وقال بعضهم: لا تحسدن أحدا على ما أوتي من الدنيا ،ورد بأن الحسد منهي عنه مطلقاً ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ زينتها وبهجتها بالنبات وغيره. فتح القدير ٣٩٤/٣.

فلما شكاها إليه زيد قال له: أمسك عليك زوجك واتـق الله، وأخفـى منه في نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها، مما الله مبديـه ومظهـره بتمام التزويج، وطلاق زيد لها، هذه رواية علي زين العابدين.

ورواية الزهري قال: نزل جبريل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ يُعْلِمُهُ أنّ الله يزوجه زينب بنت جحش، فذلك الذي أخفى في نفسـه، وان كان لم يرفعه الزهري ولا علي أيضاً قبلـه فيصححـه قـول الله عـز وجل: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾ أي قضاء الله في زينـب كـان ماضيـاً مفعولا كائناً، ويوضحه أنّ الله جل جلاله لم يبد من أمـره معهـا غـير زواجه لها، فدلّ أنّه الذي أخفاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما كان أعلمه بـه ربه جل وعلا فقال أصدق القـائلين: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾([404]).

---

[404])- الآحزاب الآية ٣٧. أي لما فرغ منها وفارقها زوجناكها، وكان الذي ولي تزويجهـا منه هو الله عز وجل، بمعنى أنه أولى إليه أن يدخل عليها بـلا ولي، ولا عقـد ولا مهـر ولا شهود من البشر. قال الإمام أحمـد حدثنـا هاشـم يعني ابـن القاسـم أخبرنـا النضـر حدثنـا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: لما انقضت عدة زينب رضـي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة: "اذهب فاذكرهـا فـانطلق حتـى أتاها وهي تخمر عجينها قال: فلما رأيتها عظمت في صـدري حتـى مـا أستطيع أن أنظـر إليها وأقول: أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم ذكرهـا فوليتهـا ظهـري ونكصـت علـى عقبي، وقلت يا زينب أبشري أرسلني رسول الله صلى الله عيه وسلم يذكرك قالت مـا أنـا

وأصل الحرج الضيق، والوطر الحاجة، وقوله تعالى: ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ أي زوجناك زينب بعدما طلقها زيد، فليس عليك حرج ولا على المؤمنين في أزواج أدعيائهم أي يعني في نكاح نساء من تبنوه وليسوا ببنيهم ولا أولادهم إذا هم طلقوهن وفارقوهن وحللن لغيرهم، وكان في زواج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زينب بعد مولاه زيد ثلاث فوائد:

الأولى: لتستنَّ أمته بذلك كما قال جل من قائل: ﴿لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ حرج: أي إثم، وقد قدمنا أن أصل الحرج الضيق.

الثانية: أن الله تعالى قد أحل ذلك لمن كان قبله من الرسل دليل ذلك، قوله جل وعلا في القصة بعينها: ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ

بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي عز وجل، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن. ابن كثير ٤٩٢/٣، رواه أحمد وأخرجه مسلم والنسائي عن طرق سليمان بن المغيرة.

قضاء الوطر: في اللغة بلوغ منتهى ما في النفس من الشيء، يقال: قضى وطراً منه إذا بلغ ما أراد من حاجته فيه وقال المبرد الوطر: الشهوة والمحبة. وأنشد:

وكيف ثوائي بالمدينة بعدما قضى وطراً منها جميل ابن معمر

وقال أبو عبيدة: الوطر الأرب والحاجة. وأنشد قول الغزاري

ودعنا قبل أن نودعه لما قضى من شبابنا الوطرا. [فتح القدير ٢٨٤/٤].

حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْـلُ وَكَـانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾ (٤٠٠)

والسنة هي الطريقة التي سنها الله تعالى في الذيـن خلـوا مـن قبـل أي من النبيين فيما أحل لهم، قاله أبو جعفر الطبري.

---

٤٠٠)- الآحزاب الآية ٣٨. * ﴿ما كان على النبي من حـرج .... الآيـة﴾. أي فيمـا أحـلّ الله له وقدره وقضاه، في تزويجه من زينب رضي الله عنها التي طلقها دعيه زيد بـن حارثـة رضي الله عنه: ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾ أي هذا حكم الله تعالى في الأنبياء قبلـه لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج، وهذا رد على من توهم في المنـافقين نقصـاً في تزويجه امرأة زيد مولاه ودعيه الذي كان قد تبناه. "وكان أمـر الله قـدراً مقـدروراً" أي وكان أمره الذي يقدره كائناً لا محالة وواقعاً لا محيد عنه ولا معدل فما شاء كـان ومـا لم يشأ لم يكن.(ابن كثير ٤٩٣/٣).

فأمر الله نافذ مفعول لا يقف في وجهه شيء ، ولا أحد منظور فيه إلى الغايـة الـتي يريدهـا الله منه ويعلم صدورتها وقدرها وزمانها ومكانهـا ، وقـد أمـر الله رسـوله أن يبطـل تلـك العادة ويمحو آثارها عملياً ويقرر بنفسه السابقة الواقعية، ولم يكـن بـد مـن نفـاذ أمـر الله وسنة الله هذه قد مضت في الذين خلوا من قبل من الرسل. [في ظلال القرآن ٥/٢٨٧٠].

(*) قال ابن اسحق: زيد بن حارثة بن شـرحبيل بـن كعـب بـن عبـد العزى ابـن امرىء الكلب. وكان حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق فيهم زيد بن حارثة وصيف فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد: وهي يومئذ عند رسول الله صلى الله عليـه وسـلم فقال لها : ياعمة أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك فاختارت زيداً فأخذته فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها ، فاستوهبه منها فوهبته لـه فاعتقـه رسـول الله صلـى الله عليـه وسلم وتبناه وذلك قبل ان يوحى اليه . [السيرة النبوية لابن هشام ٢٣٠/١] .

الثالثة: وهي أعظم الفوائد أن الله تعالى أراد أن يقطع البنوة بين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزيداً إذ لم يكن محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا أحد من رجالنا إنما هو أبونسائنا، ولا نسب يتصل به إلاّ من طريق ابنته فاطمة عليها السلام، وكان قد أشهد على نفسه في الجاهلية أن زيداً ابنه يرث ماله، وذلك أن زيداً لما سبي في الجاهلية، وقال أبوه الشعر الذي ذكره غير واحد من أهل السير والخبر. وهوقوله

بكيتُ على زيدٍ * ولْمْ ادرِ مافعلْ أحيٌّ يُرجَّى أمْ أتى دونَهُ الأجَلْ

بلغ زيداً فأجابه:

أَحِنُّ إِلَى أَهْلِي وَإِنْ كُنْتُ نَائِياً فَإِنِّي قَعِيدُ البَيْتِ عِنْدَ المَشَاعِرِ

فَكُفُّوامِنَ الوَجْدِالذِي قَدْ شَجَاكُم وَلاَ تَعْمَلُوا فِي الأَرْضِ نَصْرَ الأَبَاعِرِ

فَإِنِّي بِحَمْدِ اللهِ فِي خَيْرِ أُمَّةٍ كِرَامِ مَعَدٍّ كَابِراً بَعْدَ كَابِرِ

فبلغ أباه قوله فجاءه هو وعمه كعب حتى وقفا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة، وذلك قبل الإسلام فقالا له: يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه أنتم جيران الله، وتفكون العاني وتطعمون الجائع، وقد جئناك في ابننا عبدك لتحسن إلينا في فدائه، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو غير ذلك. فقالا: وما هو؟ فقال: ادعوه وأخيره، فإن اختاركما فذلك، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحداً، فقالا له: قد زدت على النصف، فدعاه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما جاء، قال من هذا ؟ فقال هذا أبي حارثة

بن شراحيل، وهذا عمي كعب بن شراحيل، فقال: قد خيرتك إن شئت ذهبت معهما وإن شئت أقمت معي. فقال: بل أقيم معك. فقال له أبوه: يا زيد اتختار العبودية على أبيك وأمك وبلدك وقومك. فقال: إنّي قد رأيت من هذا الرجل شيئاً وما أنا بالذي أفارقه أبداً. فعند ذلك أخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده وقام به إلى الملأ من قريش فقال: اشهدوا ان هذا ابني وارثا وموروثا فطابت نفس أبيه عند ذلك.

ذكرها غير واحد من الثقات، منهم الامام أبو بكر بن أبي خيثمة وذكرها الامام أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب.وقال : فلما رأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك أخرجه إلى الحجر، فقال يا من حضر أشهدكم أن زيداً ابني يرثني وأرثه، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما فانصرفا، ودعي زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام وذكر القصة إلى آخرها.

قال ذو النسبين أيده الله:

لا خلاف بين أهل الصحيح أنه كان يدعى زيد بن محمد حتى أنزل الله قي القرآن ما أنزل، كما **حدثني** جدي فقيه الحرمين أبو عبد الله محمد بن أبي مسعود سماعاً مني عليه، قال حدثني الشيخ الثقة سعيد بن أبي سعيد قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج قال: أخبرنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن موسى بن عقبة عن سالم بن

عبد الله عن ابنه أنه كان يقول: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل في القرآن ﴿أَدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أخرجاه في الصحيحين([406]) من حديث موسى بن عقبة فرواه البخاري عن معلى بن أسد، عن عبد العزيز بن المختار. ورواه مسلم عن أحمد بن سعيد، عن حبان بن هلال، عن وهيب بن خالد، كلاهما عن موسى بن عقبة.

فكان الشيخ الصالح سعيد بن أبي سعيد سمعه من مسلم رحمه الله وهذا علو عظيم نفعنا الله به([407])، فأراد الله أن يزيل حكم الجاهلية

---

[406])-ولفظ الحديث في البخاري ﴿حدثنا مصلى بن أسد عن عبد العزيز بن المختار حدثنا موسى ابن عقبى قال حدثنى سالم عن عبد الله به عمر رضى الله عنهما أن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن: ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾.

١- رواته: ثقات.

درجته: إسناده صحيح.

تخريجه:

١- البخاري كتاب تفسير القرآن باب ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله جـ ٦ ص ٢٢.

٢- أبو داوود كتاب النكاح باب من حرم به جـ ٢ ص ٥٤٩ نحوه.

[407])- (به) لم توجد في (أ) و (ب).

المعنى: يقول الله تعالى متهدداً ومتوعداً من أذاه بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره واصراره على ذلك وايذاء رسوله بعيب أو بنقص - عياذا بالله من ذلك. قال عكرمة: نزلت في المصورين. وفي الصحيحين - من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن

بزواج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امرأة زيد، بعد فراقه إياها، إذ لو كان ابنه لم يحل له أن يتزوجها، وقد نزه سيد الرسل والانبياء عن اظهار خلاف ما في نفسه، إذ هو النفاق بعينه، ومن نسب ذلك إليه فذلك لفرط جهله، بل لمحض كفره.

اعلموا رحمكم الله أن العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلمّ جرّا: مجمعون أن من سب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو عابه أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرّض به، أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الازراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه والعيب له تصريحاً كان أو تلويحاً،أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم، أو عتب(٤٠٨)

المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يقول الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلبل الليل والنهار﴾ ومعنى هذا: أن الجاهلية كانوا يقولون: يا خيبة الدهر فعل بنا كذا وكذا يسندون أفعال الله تعالى إلى الدهر ويسبونه، وانما الفاعل لذلك هو الله عز وجل فنهي عن ذلك، والظاهر أن الاية عامة في كل من آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من قول أو فعل. (ابن كثير ٥١٨/٣) ﴿لعنهم الله﴾ اللعن الطرد والابعاد من رحمته وجعل ذلك في الدنيا والآخرة لتشملهم اللعنة فيهما بحيث لا يبقى وقت من أوقات محياهم ومماتهم إلا واللعنة واقعة عليهم، ومصاحبة لهم واعد لهم مع ذلك اللعن عذاباً مهيناً يصيرون به في الإهانة في الدار الآخرة. (فتح القدير ٣٠٣/٤).

٤٠٨)- وفي ب "عبث" بالثاء.

في جهة الغريـزة بسـخف([409]) مـن الكـلام وهجر، أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائرة والمعهودة لديه، أو وصـف شيئاً على طريق النقص مما جرى مجرى البلاء والمحنة عليه فهـو سـابٌّ لـه، والحكـم فيـه حكم السابّ، يقتل.

وقد فرض الله توقيره وبرّه وتعظيمه، وقال إمام أهل إفريقية محمد بن سحنون: أجمع العلماء أن شاتم النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنتقص له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله قال الله العظيم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً**﴾([410]).

وقال جل من قائل: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ وحكمه عند الأئمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه، كَفَرَ. وروى ابن وهب عن مالك من قال: إنَّ رِدَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسِخٌ أراد به عيبه قتل، وأما قوله جل من قائل: ﴿**وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**﴾ أي وتخاف أن يقول الناس تزوج زوجة ابنه، وقيل الخشية هاهنا الاستحياء، أي خشي من إرجاف المنافقين واليهود، وتشغيبهم على المسلمين بقولهم: تزوج زوجة ابنه بعد نهيه

---

[409])- في ب (فسخف) وهو تصحيف.

[410])- الأحزاب الآية ٥٨.

نكاح حلائل الأبناء كما كان، فعاتبه الله على هذا ونزّهه عن الالتفات إليهم فيما أحلّه له.

كما عاتبه على مراعاة رضى أزواجه بقوله عز من قائل في سورة التحريم: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ ...﴾ الآية قرأت هذا في تفسير الأستاذ ابن فورك رحمه الله، وأخرجاه في الصحيحين(٤١١) وقد تقدمت أسانيدي إليهما"

---

٤١١)- ولفظ الحديث في البخاري "حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش ويمكث عندها، فواطأت أنا وحفصة عن أيتنا دخل عليها فلتقل له أكلت مغافير إني أجد منك ريح مغافير. قال: لا ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا".

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ - تخريجه:

١- البخاري كتاب تفسير القرآن باب يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم جـ ٦ ص ٦٨.

٢- سنن أبي داوود كتاب الأشربة باب في شراب العسل جـ ٤ ص ١٠٥ -١٠٦ نحوه

٣- النسائي كتاب الطلاق باب تأويل هذا الآية على وجه آخر جـ ٦ ص ١٥١ -١٥٢. مثله:

د- المفردات: مغافير: جمع مغفور - بضم الميم - وهو صمغ حلوله رائحة كريهة.

فأخرج البخاري رحمه الله في كتاب التوحيد حدثنا أحمد[٤١٢] قال: حدثنا محمد ابن أبي بكر المقدمي، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس، قال: " **جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "اِتَّقِ اللهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ. قَالَ أَنَسُ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَاتِماً شَيْئاً لَكَتَمَ هذِهِ، قَالَ:**

---

[٤١٢]-أحمد هذا قال الكلاباذي يقال: إنه أحمد بن سياد بن أيوب عبد الرحمن يكنى أبا الحسن مسروري قال ابن أبي حاتم: رأيت أبي يطنب في مدح أحمد بن سياد ويصفه بالعلم والفقه، و لم يذكره الدار قطني فيمن أخرج عنه البخاري، وقال أبو عبد الله أحمد الذي روى عن محمد بن أبي بكر المقدمي وعبد الله ابن معاد رجل واحد وهو أحمد بن النصر بن عبد الوهاب، و لم يذكره أيضاً أبو الحسن الدارقطني في جملة من خرج عنه البخاري، وقد ذكره حافظان أبو أحمد النيسابوري وأبو عبد الله. كذا جاء من إملاء المصنف.

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ - تخريجه:

١- البخاري كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم جـ ٨ ص ١٧٥ -١٧٦ لفظه غير أنه قال: "قالت عائشة".

٢- صحيح مسلم كتاب الايمان باب معنى قوله تعالى: ولقد رآه نزلة اخرى، وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء جـ ١ ص ١٦٠ حديث ٢٨٨ نحوه.

٣- الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الاحزاب جـ ٥ ص ٣٥٢ نحوه.

٤- مسند أحمد جـ ٦ ص ٢٤١ مثله.

وَكَانَتْ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ: "زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِيَ اللهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَموَاتٍ".

وعن ثابت: ﴿**وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ**﴾ أنزلت في شأن زينب وزيد بن حارثة. انتهى نص صحيح البخاري. وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب الايمان بنقل العدل عن العدل عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: ولو كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كاتماً شيئاً مما أنزل عليه لكتم هذه الآية:

﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**﴾ وفي هذه الآية وعظ عظيم، ومدح للنبيّ الكريم وزينب أول من مات من أزواج النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وظهر في ذلك صدق قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو ما رواه محمد بن غيلان أبو أحمد الحافظ الثقة العدل المروزي المتفق على الإخراج عنه قال: **حدثنا** طلحة بن يحيى بن طلحة عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقاً بِي أَطْوَلُكُنَّ يَداً قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَداً قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَداً زَيْنَبُ لأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ[413]" أخرجه مسلم في صحيحه في فضائل زينب أمّ المؤمنين.

[413]- معنى الحديث "فكانت أطولنا يداً" أنهن ظنن أن المراد بطول اليد الحقيقية وهي الجارحة فكن يذرعن أيديهن بقصبة فكانت سودة أطولهن جارحة، وكانت زينب أطولهن يداً في الصدقة وفعل الخير؛ فماتت زينب أولهن فعلم أن طول اليد في الصدقة والجود.

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ - تخريجه:

١- البخاري كتاب الزكاة باب أي الصدقة أفضل جـ ٢ ص ١١٥ نحوه إلا أنه ذكر سودة، وقد وهم البخاري في ذلك كما ذكر في مكان آخر.

٢- مسلم كتاب فضائل الصحابة باب في فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها جـ ٢ ص ١٩٠٧ حديث ١٠١ (٢٤٥٢) لفظه.

٣- النسائي كتاب ٢٣ الزكاة باب فضل الصدقة جـ ٥ ص ٦٦-٦٧ مثله ولكنه لم يذكر زينب وإنما ذكر سودة بطول اليد في الصدقة جرياً على ما في البخاري.

٤- مسند أحمد جـ ٦ ص ١٢١ والحديث يذكر سودة دون زينب.

أطولكن يداً فكانت سودة أسرعهن به لحوقاً.

كذا وقع أيضاً في رواية أحمد وابن سعد والبخاري في التاريخ الصغير والبيهقي في الدلائل.

قال ابن سعد: قال لنا محمد بن عمر يعني الواقدي هذا الحديث،وهل في سودة؟ وانما هو في زينب بنت جحش فهي أول نسائه لحوقاً وتوفيت في خلافة عمر، وبقيت سودة إلى أن توفيت في خلافة معاوية في شوال سنة أربع وخمسين وقال الحافظ أبو علي الصيرفي: ظاهر هذا أن سودة كانت أسرع وهو خلاف المعروف عند أهل العلم أن زينب أول من مات

قَال ذو النسبين أيده الله: حمل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ علـى موجب ظاهر اللّفظة أنّه الطّول الذي هـو ضـد القصـر، ثـمّ بَـانَ لَهُـنَّ بموت زينب رضي الله عنها، أنّه أراد طولَ اليدِ بالإفضال، مـن الطّـول

من الأزواج، ثم نقله عن مالك والواقدي، وقد قال ابن الجوزي: هـذا الحديـث غلـط مـن بعض الرواة، و لم يعلم بفساده الخطابي فإنه فسره، وقال: لحوق سودة به من اعلام النبـوة، وكل ذلك وهم، وإنما هي زينب كما في رواية مسلم، وقال النووي: أجمع أهل السـيرة أن زينب أول من مات من أزواجه وسبقه إلى نقل الاتفاق ابن بطال.

قال الحافظ ابن حجر يعكر عليه ما رواه البخاري في تاريخه باسناد صحيـح عـن سـعيدبن أبي هلال قال: ماتت سودة في خلافة عمر، وجزم الذهبي في التاريخ الكبير بأنها ماتت في آخر خلافة عمر وقال ابن سيد الناس أنه المشهور، وقال ابن حجر: لكـن الروايـات كلهـا متضافرة على أن القصة لزينب، وتفسيره بسودة غلط من بعض الرواة، قـال: وعنـدي أنـه من أبي عوانه، فقد خالفه في ذلك ابن عيينة عن فراس قال ابن رشد: والدليـل علـى ذلـك أن سودة كان لها الطول الحقيقي، ومحط الحديث على الطول المجازي وهو كـثرة الصدقـة، وذلك لزينب بلا شك لأنها رضي الله عنها كانت قصيرة، وكانت وفاتهـا سـنة عشـرين، قلت: وعندي أنه وقع في رواية المصنـف تقديم وتأخير. وسـقط لفـظ زينـب وأن أصـل الكلام فأخذن قصبة فجعلن يذرعنهـا، فكـانت سـودة أطولهـن يـداً أي حقيقـة، وكـانت أسرعهن به لحوقاً زينب، وكان ذلك من كثرة الصدقة فأسقط الراوي لفظـة زينـب وقـدم الجملة الثانية على الجملة الأولى، قال القرطبي: معناه ابتداء ظاهره فلما ماتت زينب علمنـا أنه لم يرد باليد العضو وبـالطول طولها بـل أراد العطـاء وكثرتـه". السـيوطي شـرح سـنن النسائي جـ ٥ ص ٦٧ كتاب الزكاة باب فضل الصدقة".

ورأى القرطبي عندي غاية في التوجيه لفهم معنى الحديث، والخروج من المغالطات الـتي لا ينضوي تحتها طائل. و لم يكن للطول والقصر مكان بجانب فعل الخير والبر، ثـم أن تحديـد وفاة كل منهما يبين المعنى المراد والله أعلم./ع

بفتح الطاء لا من الطُول، لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثابت عنه في الصحيحين ([414])"الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِّ السُفْلَى" واليد العليا المنفقة، واليد السفلى السائلة.

---

[414]- لفظ الحديث في البخاري: "حدثنا محمد بن يوسف حدثنا الأوزاعي عن الزهري عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير أن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ثم قال لي يا حكيم إن هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى قال حكيم: فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا. فكان أبو بكر يدعو حكيماً ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئاً، ثم إن عمر دعاه ليعطيه فيأبى أن يقبله، فقال: يا معشر المسلمين إني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم حتى توفي رحمه الله.

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه:

١- البخاري كتاب الوصايا باب تأويل قول الله تبارك وتعالى: ﴿من بعد وصية توصون بها أو دين﴾ ٣/١٨٩ وأخرجه في كتاب الرقاق باب: وفي كتاب الزكاة باب وفي كتاب النفقات.

٢- مسلم كتاب الزكاة باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح ١/٧١٧ لفظه رقم الحديث ٩٦ (١٠٣٥).

٣- النسائي كتاب الزكاة باب اليد العليا ٥/٦١.

٤- الدارمي كتاب الزكاة باب في فضل اليد العليا ١/٣٨٩.

٥- أبو داود كتاب الزكاة ٢/٢٩٧ رقم الحديث ١٦٤٨.

وهذا تفسير من رسول الله صَلَّــى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، وفي صحيـح البخاري وَهْمٌ يعرفه من له حفظ وفهم، وهذا نصه:

حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا أبـو عوانـة عـن فـراس عـن الشعبي عن مسروق عن عائشة: **أَنَّ بَعْضَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ قُلن لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّنَا أَسْرَعُ بِكَ لُحُوقاً؟ قَـالَ: أَطْوَلُكُنَّ يَداً فَأَخَذُوا قَصَبَةً يَذْرَعُونَهَا، فَكَانَتْ سَوْدَةُ أَطْوَلَهنَّ يَداً**(٤١٥)

د- المفردات:

خضر حلو: شبه الرغبة فيه والميـل إليـه وحـرص النفـوس عليـه بالفاكهـة الخضـراء الحلـوة المستلذة. فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده، والحلو كذلك علـى انفـراده فاجتماعهمـا أشد، وفيه إشارة إلى عدم بقائه لأن الخضروات لا تبقى ولا تراد للبقاء.

٢- باشراف نفس: قال العلماء: إشراف النفس تطلعها إليه وتعرضها له وطمعها فيه.

كالذي يأكل ولا يشبع: قيل: هو الذي به داء لا يشبع بسببه، وقيل يحتمـل المراد التشبيه بالبهيمة.

(٤١٥)- أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه:

١- البخاري كتاب الزكـاة بـاب أي الصدقـة أفضـل وصدقـة الشـحيح الصحيـح، لقولـه تعالى: ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم من قبلِ أن يأتيَ أحدَكُم الموتُ﴾ الآية ٢/١١٥ لفظه.

٢- مسـلم كتـاب فضـائل الصحابـة بـاب مـن فضـائل زينـب أم المؤمنـين حديـث ١٠١ (٢٤٥٢) ٢/١٩٠٧ مثله.

د- المفردات:

فَعَلِمْنَا بَعْدُ إِنَّمَا كَانَتْ طُولُ يَدِهَا الصَّدَقَةَ، وَكَانَتْ أَسْرَعُنَا لُحُوقاً بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ".

قال ذو النسبين أيده الله: وهــذا سـند صحيـح، وكلهـم ثقـات لولا أني أرى الوهم فيه من أبي عوانة وإن كـان ثقـة واسمـه الوضـاح. وقال أبو حاتم الرازي كتب أبو عوانه([416]) صحيحـه، وإذا حـدّث مـن

"فكانت أطولنا يداً زينـب": معنـى الحديث أنهـن ظنـن أن المراد بطـول اليد طـول اليـد الحقيقية، وهي الجارحة فكـن يذرعـن أيديهـن بقصبـة، وكـانت سودة أطولهن جارحـة، وكانت زينب أطولهن يداً في الصدقة وفعل الخير، فمـاتت زينـب أولهـن فعلمـوا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود.

قال أهل اللغة:– فلان طويل اليد وطويل الباع، إذا كان سمحاً جواداً، وضـده قصـير اليـد والباع وجعد الأنامل، وقد وقع البخاري ما يوهم أن أسرعهن لحاقاً سـودة وهـذا الوهـم بـاطل بالاجمـاع وغـير صحيـح، لأن الـتي لحقـت بـه زينـب. (ملخـص تعليـق النـووي على صحيح مسلم ١٩٠٧/٢).

[416])– أبو عوانة الوضاح بن خالد مولى يزيد بن عطاء اليشكري الواسـطي البزاز الحـافظ أحد الثقات رأى الحسن وابن سيرين، وحدث عن قتادة والحكم ابن عتيبة وزياد بن علاقة وأبى بشر وسماك وطبقتهم ، فأكثر وأطاب . حدث عنه حبان بن هـلال، وعفـان وسـعيد بن منصور، ومسدد، ومحمد بن أبي بكر المقدمي وقتيبة وسيبان بـن فـروخ وخلـف. قـال عفان: هو أصح حديثاً عندنا من شعبة. وقال أحمد بـن حنبـل: هـو صحيـح الكتـاب وإذا حدث من حفظه ربما يهم, قال عفان: كان كثير الضبط والنقط. وقال يحيـى القطـان: مـا أشبه حديثه بحديث شعبة وسفيان، وقال عفان: قال لنا شعبة إن حدثكـم أبـو عوانـة عـن أبي هريرة فصدقوه، وقال تمام: سمعت ابن معين يقول: كان أبـو عوانـة يقـرأ ولا يكتـب. وقال حجاج بن محمد قال لي شعبة الزم أبا عوانة. وقال جعفر بن أبي عثمـان: سـئل ابـن

حفظه غلط كثيراً، وهو صدوق ثقة، وهو أحبّ إليّ من أبي الأحوص، ومن جرير بن عبد الحميد، وهو أحفظ من حمّاد بن سلمة وقال أبو زرعة الرازي: أبو عوانة بصري ثقة إذا حدّث من كتابه. قال أحمد بن علي بن مسلم: حدثنا الحسين بن الحسن المروزي سمعت عبد الرحمن ابن مهدي يقول: كنت عند أبي عوانة فحدّث بحديث عن الأعمش فقلت: ليس هذا من حديثنا، فقال: بلى. قلت: لا. فقال : بلى. قلت: لا. قال: يا سلامة هات الدرج، فنظر فيه فإذا الحديث ليس فيه. فقال: صدقت يا أبا سعيد فمن أين أتيت؟ قلت :ذوكرت به وأنت شابُ فظننت أنك سمعته، والعجب من البخاري كيف لم ينبه على هذا الوهم، وقد روى ضده.

فقال في التاريخ: **حدّثنا** أحمد بن يونس، حدّثنا زهير، حدثنا اسماعيل، أنّ عامراً أخبره، أنّ عبد الرحمن ابن أبزا أخبره أنه صلى مع عمر على زينب بنت جحش فكانت أول نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

معين من لأهل البصرة مثل سفيان؟ قال: شعبة. قيل: من لهم مثل زائدة؟ قال: أبو عوانة. وقال أحمد بن حنبل عن ابن المديني: كان أبو عوانة في قتادة ضعيفاً ذهب كتابه وكان يحفظ من سعيد، وقال عبيد الله العبس قال شعبة لأبي عوانة: كتابك صالح وحفظك لا يساوي شيئاً. مات في شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين ومائة بالبصرة رحمه الله. (تذكرة الحفاظ ١/٣٣٦-٣٣٧).

وَسَلَّمَ موتاً بعده، ولا خلاف أنّ زينب هي التي ماتت من أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل سائرهنّ.

وروى الامام أبو محمد سفيان بن عيينة([417]) عن اسماعيل ابن ابي خالد، عن الشعبي، عن عبد الرحمن بن أبزا، قال: صلّيت مع عمر بن الخطّاب على أم المؤمنين زينب بنت جحش، وكانت أول نساء رسول

([417])- سفيان بن عيينة ميمون العلامة الحافظ شيخ الاسلام أبو محمد الهلالي الكوفي محدث الحرم مولى محمد بن مزاحم أخى الضحاك بن مزاحم ولد سنة سبع ومائة وطلب العلم في صغره. سمع عمرو بن دينار والزهري وزياد بن علاقة وأبا اسحاق والأسود بن قيس وزيد بن أسلم وعبد الله بن دينار ومنصور بن المعتمر وعبد الرحمن بن القاسم وأمماً سواهم. حدث عنه الأعمش وابن جريج وشعبة وغيرهم من شيوخه وابن المبارك وابن مهدي والشافعي وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وإسحاق بن راهوية وأحمد بن صالح، وابن نمير وأبو خيثمة وخلق لا يحصون. فقد كان خلق يحجون والباعث لهم لقيا ابن عيينة فيزدحمون عليه في أيام الحج، وكان إماماً حجة حافظاً واسع العلم كبير القدر.

قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. وعن الشافعي قال: وجدت أحاديث الأحكام كلها عند مالك سوى ثلاثين حديثاً وجدتها كلها عند ابن عيينة سوى ستة أحاديث.

قال عبد الرحمن ابن مهدي كان ابن عيينة من أعلم الناس بحديث أهل الحجاز. وقال الترمذي سمعت البخاري يقول سفيان بن عيينة أحفظ من حماد بن زيد. قال حرملة: سمعت الشافعي يقول: ما رأيت أحداً فيه من آلة العلم ما في سفيان. وما رأيت أحداً أكفأ عن الفتيا منه، وقال ابن المديني: ما في أصحاب الزهري أتقن من ابن عيينة.

قال العجلي كان ابن عيينة ثبتاً في الحديث وحديثه نحو من سبعة آلاف ولم يكن له كتب. (تذكرة الحفاظ ١/٢٦٢-٢٦٣).

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توفيت بعده، وروى الإمام أبو بكر بن أبي خيثمة قال: حدثنا معاوية بن عمر، قال حدثنا المسعودي، عن القاسم بن معن، قال: كانت زينب بنت جحش أو ل نساء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحوقاً به. قال الحافظ أبو عمر النمري: وقد تقدم سندنا عن غير واحد من أصحابه عنه قال: وتوفيت رضي الله عنها سنة عشرين في خلافة عمر، وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وفي هذا العام افتتحت مصر، وقد قيل توفيت سنة إحدى وعشرين وفيها افتتحت الإسكندرية عنوة.

وقالت عائشة رضى الله عنها: كانت زينب بنت جحش تساميني في المنزلة عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما رأيت امرأةقط خيراً في الدين من زينب وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة". وهذا سند ثابت صحيح لا مطعن فيه([418]).

---

[418]- لفظ الحديث في صحيح مسلم "حدثني الحسن بن علي الحلواني وأبوبكر بن النضر وعبد ابن حميد (قال عبد: حدثني. وقال الآخران: حدثنا) يعقوب بن ابراهيم بن سعد. حدثني أبي عن صالح عن ابن شهاب أخبرني محمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنت عليه، وهو مضطجع معي في مربطي، فأذن لها. فقالت: يا رسول الله. إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة وأنا ساكتة. قالت: فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أي بنية ألست تحبين ما أحب؟" فقالت: بلى. قال "فأحبي هذه"

قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجعت إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرتهن بالذي قالت، وبالذي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت لها: ما نراك أغنيت عنا من شيء، فارجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة. فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبداً. قالت عائشة: فأرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أر امرأة قط خيراً في الدين من زينب وأتقى لله. وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به إلى الله تعالى. ما عدا سورة من حد ،كانت فيها تسرع منها الفيئة. قالت : فاستأذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع عائشة في مربطها على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها - فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة قالت ثم وقعت بي فاستطالت علي، وأنا أرقب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرقب طرفه هل يأذن لي فيها؟ قالت: فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكره أن انتصر. قالت: فلما وقعت بها لم أنشبها حين انحنيت عليها. قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبسم: "إنها ابنة أبي بكر".

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه:

١- البخاري كتاب الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضا ٣/١٥٤-١٥٨ وقد ذكره ضمن حديث طويل. نحوه.

٢- مسلم كتاب فضائل الصحابة باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها ٢/١٨٩١-١٨٩٢ حديث ٨٢ /٢٤٤٢ لفظه.

وقولها: تساميني أي تطاولني وتنازعني المنزلة السامية عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو من السمو يقال: فلان يسمو إلى المعالي، أي يرتفع إليها ويتطاول نحوها.

و"**جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ الخُزَاعِيَةَ**" سباها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم المريسيع، وهي غزاة بني المصطلق في سنة خمس، وقيل في سنة ستّ و لم يختلفوا أنه أصابها في تلك الغزوة، وكانت قد وقفت في سهم ثابت بن قيس بن شمّاس، خطيب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو ابن عم له ، فكاتبته على نفسها وكانت امرأة جميلة.

د- المفردات:

"العدل في ابنة أبي قحافة": معناه يسألنك التسوية بينهن في محبة القلب.

"ينشدنك" : أي يسألنك.

تساميني: أي تعادلني وتضاهيني في الحظوة والمنزلة الرفيعة.

مأخوذ من السمو وهو الارتفاع.

سورة: السورة الثوران وعجلة الغضب.

في حد: وفي بعض النسخ من حدة وهي شدة الخلق وثورانه.

الفيئة: الرجوع – ومعناه أنها كاملة الأوصاف إلا أن فيها شدة خلق وسرعة غضب تسرع منها الرجوع.

ثم وقعت بي: أي نالت مني بالوقيعة في.

لم أنشبها: أي لم أمهلها.

انحنيت عليها: أي قصدتها واعتمدتها بالمعارضة.

قالت عائشة: كانت جويرية عليها حلاوة وملاحة لا يكاد يراها أحد إلا وقعت بنفسه([419]). قالت: فأتت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تستعينه على كتابتها. قالت فوالله ما هو إلاّ أن رأيتها على باب الحجرة فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها ما رأيته . فقالت: يا رسول الله: جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من الأمر ما لم يخف عليك، وقد وقعت في السهم لثابت بن قيس أو لابن عم له فكاتبته على نفسي، وجئتك أستعينك على كتابتي فقال لها: هل لك في خير من ذلك. قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أقضي كتابتك وأتزوجك. قالت: نعم قد فعلت، وخرج الخبر إلى الناس أن رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوجّ جويرية بنت الحارث فقال الناس: صهر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأرسلوا ما بأيديهم من سبايا

---

[419])- أ- تخريجه:

١- مسند أحمد ٢٧٧/٦.

٢- أبو دود كتاب العتق باب في بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة ٢٤٩/٤-٢٥١.

ب- المفردات: ملاحة: يقال جارية مليحة وملاحة، وفعالة: يجيء في النعوت بمعنى التوكيد فإذا شدد كان أبلغ في التوكيد كقوله سبحانه وتعالى "ومكروا مكراً كباراً" نوح ٢٢ وقال الشماخ: يا ظبية عطلا حسانة الجيد. والبيت هو

دار الفتاة التي كنا نقول لها يا ظبية عطلا حسانة الجيد

وعطلا: أي عاطل من الحلي، لأنها استغنت بحسنها الفطري عن التجمل بالحلي.

بني المصطلق. قالت: عائشة: فلا نعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها".

و"مَيْمُونَةُ بِنْتُ الحَارِثِ الهِلاَلِيَة": من بني هلال بن عامر بن صعصعة بن معونة بن بكر بن هوازن، من أعيان العرب، وكان اسمها "برة"، فسمّاها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ميمونة، كأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كره أن تزكي المرأة نفسها، وهي خالة ابن عباس، وقد اختلف الفقهاء وأهل السير في حال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هل كان حلالاً أو محرماً؟![٤٢٠] ومن العجب أنها ماتت في المكان

---

[٤٢٠]- حدثنا الربيع قال: أخبرنا الشافعي قال: أخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن شهاب قال: أخبرني يزيد بن الأصم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح ميمونة وهو حلال قال عمر: قلت لابن شهاب: أتجعل يزيد ابن الاصم إلى ابن عباس؟ أخبرنا سفيان عن أيوب بن موسى عن نبيه ابن وهب عن ابان بن عثمان عن عثمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿المحرم لا ينكح ولا يخطب﴾ أخبرنا الشافعي قال: أخبرنا مالك عن نافع عن نبيه بن وهب أحد بني عبد الدار عن ابان بن عثمان عن عثمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب﴾ أخبرنا مالك عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن سليمان بن يسار أن رسول الله صلى عليه وسلم بعث أبا رافع مولاه ورجلاً من الأنصار فزوجاه ميمونة، والنبي بالمدينة - أخبرنا الشافعي أخبرنا سعيد بن مسلمة عن اسماعيل بن أمية عن سعيد بن المسيب قال: وهل خلاف ما نكح رسول الله ميمونة إلا وهو حلال. قال: وقد روى بعض قرابة ميمونة أن النبي صلى الله عليه وسلم نكح ميمونة محرماً. قال الشافعي: فكان أشبه الأحاديث أن يكون ثابتاً عن رسول الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح ميمونة حلال ، فإن قيل ما يدل على أنه أثبتها؟ قيل:

الذي بنى بها فيه بسرف، وهو على ستة أميال من مكة، وقيل على سبعة أميال، وقيل على تسعة، وقيل على اثني عشر ميلاً.

و"**صَفِيَّةُ بنْتُ حَيِيِّ بْنِ أَخْطَبَ الْهَارُونِيَةَ**" أبوها هارون نبي الله وعمها موسى كليم الله عليهما السلام أعطاها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لدحية الكلبي فقيل يا رسول الله: إنّها سيدة فريضة([421]) والنضير لا (يصلح)([422]) إلا لك، فأخذها منه، وأعطاه جارية من السبي غيرها، وقيل: أفداها منه بسبعة أرؤس، وجعلها عند أمّ سليم

روي عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن أن ينكح المحرم ولا ينكح ، وعثمان متقدم الصحبة ، ومن روى أن النبي نكحها محرماً لم يصحبه إلا بعد السفر الذي نكح فيه ميمونة وإنما نكحها بعد عمرة القضية وقيل له.

وإذا اختلف الحديثان فالمتصل الذي لا شك فيه أولى عندنا إن ثبت لو لم تكن الحجة إلا فيه نفسه، ومع حديث عثمان ما يوافقه وإن لم يكن متصلاً اتصاله، فإن قيل: إن من روى أن رسول الله نكحهامحرماً قرابة يعرف نكاحها . قيل : ولا بن أخيها يزيد بن الأصم ذلك المكان منها، ولسليمان بن يسار منها مكان الولاية يشابه أن يعرف نكاحها ، فإن كان يزيد ابن الأصم وسليمان بن يسار مع مكانهما منها يقولون: نكاحها حلال وكان ابن المسيب يقول نكاحها حلال. ذهبت العلة في أن يثبت من قال نكاحها وهو محرم بسبب القرابة، وبأن حديث عثمان بالاسناد المتصل لا شك في اتصاله أولى أن يثبت مع موافقة ما وصفت فأي محرم نكح أو أنكح فنكاحه مفسوخ بما وصفت في نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن نكاح المحرم. [الام للشافعي ص ٥٣٠].

[421])- في ب "قريظة".

[422])- في أ و ب (لا تصلح) وهو الصحيح.

حتى اعتدت: فأعتقها وجعل عتقها صداقها لا صداق لها غيره، لا يختلفون في ذلك، ولقصتها طرق في الصحيحين([٤٢٣])، وهذا خصوص عند أكبر الفقهاء، وقالت الظاهرية: هذه سنة لكل من أراد أن يفعل مثل ذلك إلى يوم القيامة.

---

[٤٢٣])- ولفظ الحديث في البخاري " حدثنا قتيبة حدثنا اسماعيل بن جعفر عن حميد عن أنس رضى الله عنه قال: أقام النبي صلى الله عليه وسلم بين خيبر والمدينة ثلاثاً يبنى عليه بصفية بنت حيي، فدعوت المسلمين إلى وليمة فما كان فيها من خبز ولا لحم، أمر بالانطاع فألقي فيها من التمر والأقط والسمن فكانت وليمته، فقال المسلمون إحدى أمهات المؤمنين أو مما ملكت يمينه فقالوا: ان حجبها فهي من أمهات المؤمنين. وان لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه، فلما ارتحل وطّأ لها خلفه ومد الحجاب بينها وبين الناس.

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه:

١-البخاري كتاب النكاح باب اتخاذ السرائر ومن اعتق جاريته ثم تزوجها جـ ٦ ص ١٢١.

٢-مسلم كتاب النكاح باب فضيلة اعتاقه أمة ثم يتزوجها حديث ٨٧ (١٣٦٥).جـ ٢ ص ١٠٤٥-١٠٤٦ نحوه.

٣-الترمذي كتاب النكاح باب ما جاء في الرجل يعتق الأمة ثم يتزوجها جـ ٣ ص ٤٢٣ نحوه حديث ١١١٥.

٤- الدارمي كتاب النكاح باب في الأمة يجعل عتقها صداقها جـ ١ ص ٥٥٠ مثله.

مَنْ تَسَرَّى بِهِنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن السراري "مَارِيَّةُ([424]) بِنتُ شَمْعُونَ" من أهل مصر، من كورة جفن، من مدينة أنصناء من عمل مصر، نبطية أهداها له

[424])- مارية بنت شمعون القبطية من فواضل نساء عصرها كانت أم مارية رومية وكانت مارية بيضاء فأهداها المقوقس صاحب الاسكندرية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ٧ هـ ومعها أختها سيرين وألف مثقال ذهبا وعشرين ثوباً وبغلته دلدل، وحماره غفير ومعهم خصي يقال له مابور شيخ كبير وبعث كل ذلك مع حاطب بن أبي بلتعة، وعرض حاطب على مارية الاسلام فأسلمت، وأسلمت أختها، وأقام الخصي على دينه حتى أسلم بالمدينة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجب رسول الله صلى عليه وآله وسلم بمارية، وأنزلها بالعالية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلف إليها هناك، وضرب عليها الحجاب، وكان يطؤها بملك اليمين.

وفي ذي الحجة من سنة ثمان هجرية، ولدت مارية إبراهيم فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أم بردة بنت المنذر ابن زيد النجار فكانت ترضعه. وقال ابن عباس: لما ولدت أم ابراهيم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقها ولدها .

وخصيا يقال له مابور وقد جاء ذكره في عدة أخبار غير مسمى، منها ما أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر بسنده عن عبد الله بن عمرو وقال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على القبطية أم ولده ابراهيم فوجد عندها نسيبا لها قدم معها من مصر، وكان كثيراً ما يدخل عليها، فوقع في نفسه شيء فرجع فلقيه عمر فعرف ذلك في وجهه، فسأله فأخبره، فأخذ عمر السيف ثم دخل على مارية وقريبها عندها، فأهوى إليه فلما رأى ذلك

المقوقس، أمير مصر والاسكندرية وأهدى معها أختها سيرين وخصياً يقال له مابور، ويقال: مابو، وبغلة اسمها دلدل، وسميت بذلك لقلة سكونها وسرعة مشيتها، من قولهم دلدل القوم: اضطربوا.

وهي أول بغلة ركبت في الاسلام، والدلدل أيضاً: القنفذ العظيم، وحمار يسمى عفير تصغير الأعفر، كسويد تصغير الأسود حذفت همزتها، والقياس أعيفر، وهو لون أبيض تعلوه حمرة، وقيدناه في الصحيح، ورويناه باسمين عفير ويعفور كأخضر ويخضور قال الشاعر:

عِيدَانُ شَطَّيْ دِجْلَةَ اليَخْضُورِ وَقَدَحاً مِنْ قَوَارِيرَ

كشف عن نفسه، وكان مجبوباً ليس بين رجليه شيء فلما رآه عمر رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن جبريل أتاني فأخبرني أن الله تعالى قد برأها وقريبها، وأن في بطنها غلاماً مني وأنه أشبه الناس بي، وأنه أمرني أن أسميه ابراهيم، وكناني أبا إبراهيم.

ويجمع بين قصتي عمر وعلى باحتمال أن يكون مضى عمر إليها سابقاً عقب خروج النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه مجبوباً اطمأن قلبه، وتشاغل بأمر ما، وأن يكون ارسال علي تراخى قليلاً بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكانه، ولم يسمع بعد بقصة عمر، فلما جاء علي وجد الخصي قد خرج من عندها إلى النخل يتبرد في الماء فوجده ويكون إخبار عمر وعلي معاً أو أحدهما بعد الآخرة ثم نزل جبريل بما هو آكد من ذلك. [الاصابة في تمييز الصحابة ٥/٧٠٥].

فأوصى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقبط خيراً([٢٥]) على ما في صحيح مسلم، عن أبي ذرّ، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجميع أولاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خديجة أم المؤمنين إلاّ إبراهيم فإنه من مارية القبطية.

---

[٢٥])- لفظ الحديث في صحيح مسلم "حدثني زهير بن حرب وعبيد الله بن سعيد قالا: حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي سمعت حرملة المصري يحدث عن عبد الرحمن بن شماسة عن أبي بصرة، عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط ، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً أو قال: ذمة ورحما، أو قال ذمة وصهراً، فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها في موضع لبنة فأخرج منها "قال: فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لبنة، فخرجت منها.

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: صحيح لسنده.

جـ- تخريجه:

مسلم كتاب فضائل الصحابة باب وصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر ١٩٧٠/٢٠ حديث ٢٢٧.

جـ - المفردات:

القيراط: قال العلماء: القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به.

ذمة: الذمة هي الحرمة والحق وهي هنا بمعنى الذمام.

ورحما: الرحم لكون هاجر، ام اسماعيل منهم.

وصهرا: الصهر لكون مارية أم ابراهيم، منهم.

وعقب رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة لا عقب له من سواها، ومن لا ينتمي إليها فليس بابن لرسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ([426]).

آخر الجزء الأول ويتلوه الجزء الثاني:

"وأما ريحانة بنت شمعون القرظية."

---

[426])- لفظ الحديث في البخاري "وقال النبي صلى الله عليه وسلم: فاطمة سيدة نساء أهل الجنة".

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه:

١- البخاري كتاب فضائل الاصحاب باب مناقب فاطمة رضي الله عنها ٢١٩/٤

٢- مسند أحمد ٣٩١/٥ لفظه.

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

أمها خديجة بنت خويلد ولدتها وقريش تبني البيت قبل النبوة بخمس سنين، وهي أصغر بناته تزوجها علي عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة في رمضان وبنى بها في ذي الحجة، وقيل تزوجها في رجب، وقيل في صفر على بدن من حديد، فولدت له الحسن والحسين، وزينب وأم كلثوم ، فتزوج زينب عبدالله بن جعفر فولدت له عبدالله وعوناً، وماتت عنده، وتزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب فولدت له زيداً. وزاد ابن اسحاق في أولاد فاطمة من علي: محسناً. قال: ومات صغيراً، وزاد الليث بن سعد: رقية - قال وماتت و لم تبلغ.

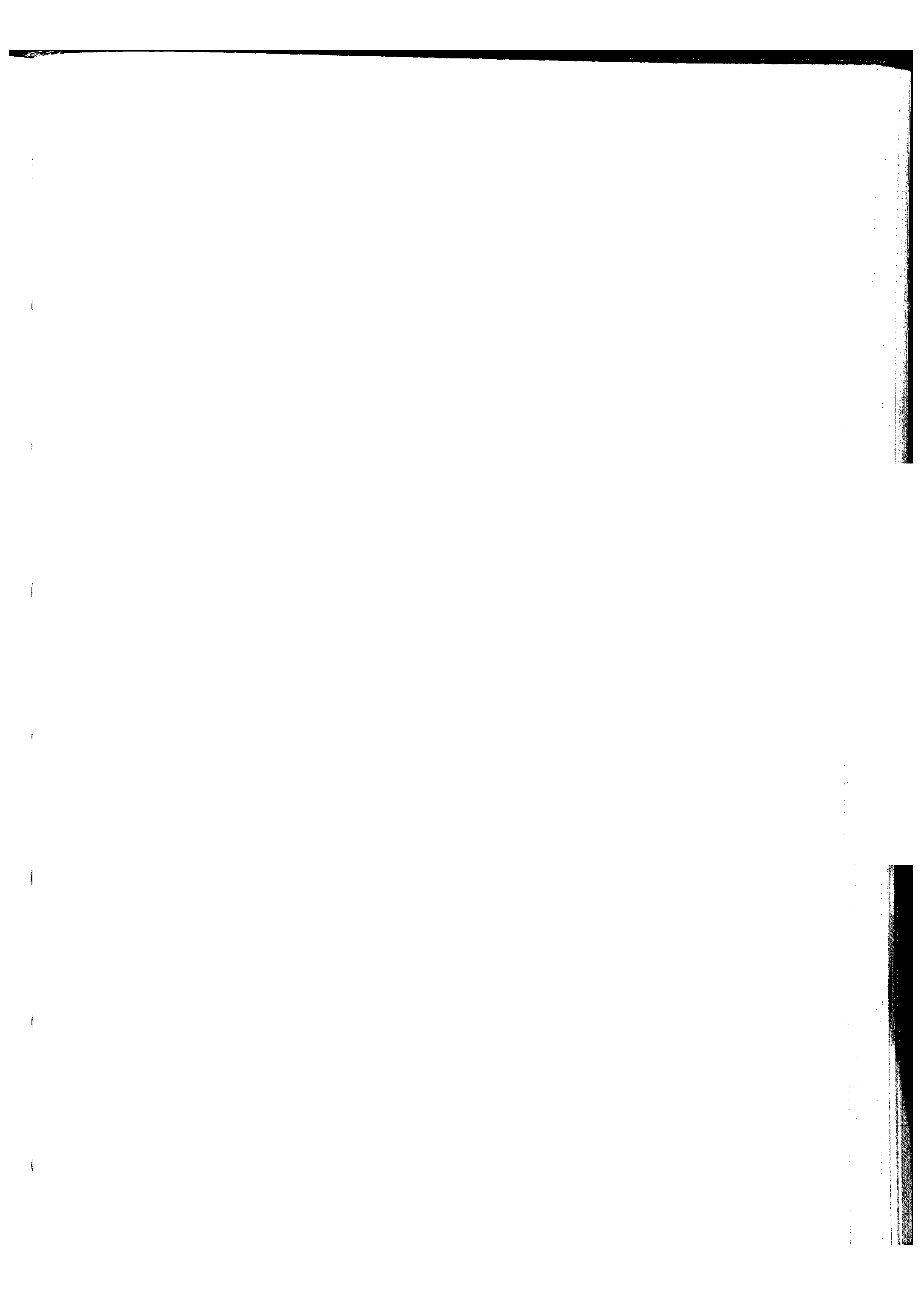
والحمد لله رب العالمين كثيراً ملء السموات حتى تفيض، وملء الأرض حتى تغيض، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد خير خلقه أجمعين كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، وعلى آله وأصحابه، وسائر النبيّين والمرسلين، وآل كل وسائر الصالحين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

تعليق على المخطوطة

علقه لنفسه العبد المفتقر إلى لطف ربه عبد الله بن علي البالسي عامله الله بألطافه آمين، في سابع ربيع الأول عام ست وعشرين وسبعمائة.

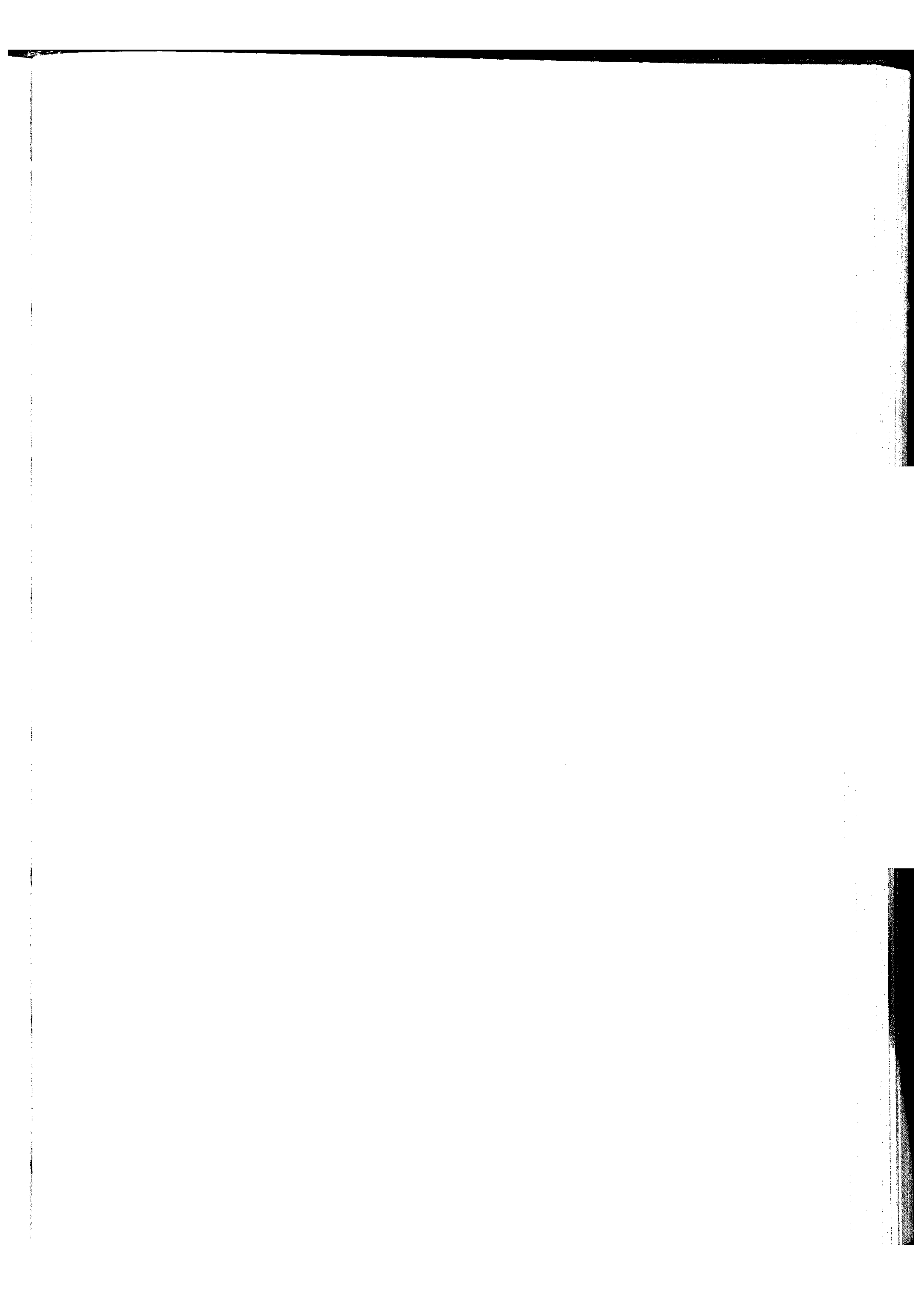
كتبه حسين فهمي بن الخطاب وانتهى من نسخه في اليوم السابع عشر من شهر شعبان سنة ألف وثلاثمائة وثمان وخمسين هجرية، الموافق لليوم الأول من شهر أكتوبر سنة ألف وتسعمائة وتسع وثلاثين ميلادية.

وقد نقل على نفقة **الكتب المصرية** من النسخة المخطوطة بها والموضوعة تحت رقم ٦١٢ حديث وهي خطية.



بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثاني



(تتمة زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم)

وَأَمَّا رَيْحَانَةُ بِنْتُ شَمْعُونَ القُرَظِيَّةَ[٤٢٧]

وقيل: من بني النضير، والأكثر أنها من بني قريظة، وكانت من سبي اليهود، وقد اختلف أهل التواريخ فيها: هل ماتت قبله أم عاشت بعده؟ فقال القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن شجرة، في كتاب البرهان: إنّ أوّل مرض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في بيتها، وهو المرض الذي مات فيه، وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر في تأليفه في الصحابة، أنّها ماتت قبل وفاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

[٤٢٧]- القرظية في كل النسخ والأصح "القريظية" نسبة إلى بني قريظة.

إسلام ريحانة: قال ابن اسحاق: ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين وكان صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بنت خناقة احدى نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه وقد كان رسول صلى الله عليه وسلم عرض عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب. فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك فتركها وقد كانت حين سباها قد نقضت بالاسلام وأبت إلا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه لذلك من أمرها فبينما هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال :إن هذا لثعلبة ابن سعية يبشرني باسلام ريحانة فسره ذلك من أمرها. [سيرة ابن هشام ١٤٩/٤].

وَسَلَّمَ، سنة عشر من مرجعه من حجة الوداع، فالله أعلم أي ذلك كان.

وَمِنْهَا:أنّ العدل في القسم بين النساء غير واجب عليه قال الله عز وجل: ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ أي تؤخر ﴿وَتُـؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾[428] أي تضم، فأباح له أن يترك التسوية وهي القسمة بين أزواجه في يوم نوبتهنّ، حتى قالت عائشة: "والله ما أرى ربك إلاّ يسارع لك في هواك" وهو حديث صحيح باتفاق.

عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عروة بن الزبير، عن خالته عائشة أم المؤمنين، قالت: كنت أغار على اللائي وهبن أنفسهنّ لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقول: أتهب المرأة نفسها؟ فلما أنزل الله عز وجل: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾. قلت: ما أرى ربك إلاّ يسارع في هواك[429].

---

[428]- الأحزاب الآية ٥١.

[429]- لفظ الحديث في البخارى (حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو أسامة قال هشام حدثنا عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول: أتهب المرأة نفسها فلما أنزل الله تعالى: ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك قلت ما أرى ربك إلا يسارع في هواك).

هذا نص صحيح البخاري في التفسير، ونص صحيح مسلم بعد قوله تعالى: ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ قالت:قلت: والله ما أرى ربّك إلا يسارع

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه:

١- البخاري كتاب تفسير القرآن باب قوله تعالى: ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ٢٤/٦.

٢- مسلم كتاب الرضاع باب جواز هبتها نوبتها لضرتها حديث ٤٩. ١٠٨٥/٢ لفظه.

٣- ابن ماجة كتاب النكاح باب التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ٦٤٤/١ حديث ٢٠٠٠ نحوه.

٤- مسند أحمد ١٣٦/٦ وخرجه في ١٥٨ و ٢٦١ بألفاظ متقاربة.

د- المفردات:

ترجي من تشاء منهن: أي من الواهبات.

تؤوي إليك من تشاء: أي من شئت قبلتها ،ومن شئت رددتها ،ومن رددتها فأنت فيها أيضاً بالخيار بعد ذلك إن شئت فيها أويتها.

ومن ابتغييت ممن عزلت فلا جناح عليك "قال عامر الشعبي في قوله تعالى :﴿ ترجي من تشاء منهن﴾ .. الآية كن نساء أوهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فدخل ببعضهن وأرجأ بعضهن لم ينكحن بعده ، منهن أم شريك وقال آخرون: بل المراد بقوله: ترجي من تشاء منهن. الآية من أزواجك لا حرج عليك أن تقسم لهن فتقدم من شئت وتؤخر من شئت وتجمع من شئت وتترك من شئت هكذا يروى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأبي رزين وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم. [تفسير ابن كثير ٥٠٢/٣].

لك في هواك، ولكن التزمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخذ به نفسه تفضلاً منه وتخلقاً بالعدل، ولتقتدي به أمته.

أحكام خاصة به عليه السلام دون أمته

وَمِنْهَا: إباحة الموهوبة له، وهو أن يتزوجها بلفظة الهبة قال الله العظيم: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ[430] إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ

---

[430]- وأحل الله لك امرأة مصدقة بالتوحيد إن وهبت نفسها منك بغير صداق.
وأما من لم تكن مؤمنة فلا تحل لك بمجرد هبتها نفسها لك، ولكن ليس ذلك بواجب عليك بحيث يلزمك قبول ذلك بل مقيداً بإرادتك، ولهذا قال: إنْ أراد النبيُّ أن يستنكحها﴾ أي يصيرها منكوحة ويمتلك بضعها بتلك الهبة بلا مهر.
وقد قيل: إنه لم ينكح النبي صلى الله عليه وسلم من الواهبات أنفسهن أحداً ولم يكن عنده منهن شيء، وقيل: كان عنده منهن خولة بنت حكيم كما في صحيح البخاري عن عائشة، وقال قتادة: هي ميمونة بنت الحارث. وقال الشعبي: هي زينب بنت خزيمة الأنصارية أم المساكين، وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل: هي أم شريك بنت جابر الأسدية، وقال عروة بن الزبير: هي أم حكيم بنت الأوقص السلمية.
ثم بين سبحانه وتعالى: أن هذا النوع من النكاح خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لغيره من أمته فقال: "خالصة لك من دون المؤمنين" أي هذا الإحلال الخالص هو خاص بك دون غيرك من المؤمنين.
وما فرضه الله سبحانه وتعالى على المؤمنين في حق أزواجهم من شرائط العقد وحقوقه، فإن ذلك حق عليهم مفروض لا يحل لهم الإخلال به ولا الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما خصه الله به توسعة عليه وتكريماً له، فلا يتزوجوا إلا أربعاً بمهر وبينة وولي. [فتح القدير ٢٩٢/٤].

يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا[٤٣١] ما خص به محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله العظيم: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾[٤٣٢] يعني من الصداق فلا بد لكل مسلم من صداق قل أو كثر، على حسب ما للعلماء في ذلك من التحديد في قليله دون كثيره.

وخص النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنّ الموهوبة له جائزة دون صداق، وفي القياس أن كل ما يجوز البدل منه والعوض جازت هبته إلاّ أنّ الله عزّ وجلّ حرّم الإبضاع من النساء إلاّ بالمهور، وهي الصدقات المعلومات قال الله عز وجل: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[٤٣٣]

---

[٤٣١]- في أ و ب "فهذا مما".

[٤٣٢]- الأحزاب الآية ٥٠.

[٤٣٣]- النساء الآية ٤. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس النحلة: المهر، وقال محمد بن اسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشةنحلة: فريضة، وقال مقاتل وقتادة وابن جريج نحلة: أي فريضة زاد ابن جريج : مسماة، وقال ابن زيد: النحلة في كلام العرب الواجب، يقول : لا تنكحها إلا بشيء واجب لها.

وليس ينبغي لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينكح امرأة إلا بصداق واجب، ولا ينبغي أن يكون تسمية الصداق كذبا لغير حق ،ومضمون كلامهم ان الرجل يجب عليه دفع الصداق إلى المرأة حتماً، وأن يكون طيب النفس بذلك كما يمنح المنيحة ويعطي النحلة طيباً، كذلك يجب أن يعطي المرأة صداقها طيباً بذلك فإن طابت هي له بعد تسميته أو عن شيء منه فليأكله حلالاً طيباً. [تفسير ابن كثير ٤٥٢/١].

قال أبو عبيدة يعني عن طيب نفس بالفريضة التي فرضها الله من ذلك، وقال عز وجل﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[٤٣٤] يعني: مهورهن، وأجمع علماء المسلمين أنه لا يجوز لأحد أن يطأ فرجاً وهب له وطؤه دون رقبته، وأن الموهوبة لا تحل لأحد غير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

واختلفوا في عقد النكاح بلفظ الهبة مثل أن يقول الرجل للرجل: قد وهبت لك ابنتي أو وليتي وسمّى صداقاً أو لم يسم.

فقال الشافعي: لا يصح النكاح بلفظ الهبة ولا ينعقد[٤٣٥]، حتى يقول: أنكحتك أو زوجتك. وممن أبطل النكاح بلفظ الهبة ربيعة

المحصنات: الحرائر أو العفائف، وتخصيصهن بعث على تخيير المؤمنين لنطفهم، والإماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق، وكذلك نكاح غير العفيفات منهن، وأما الإماء الكتابيات فعند أبي حنيفة هن كالمسلمات وخالفه الشافعي، وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ ﴾- ويقول: لا أعلم شركاً أعظم من قولها ان ربها عيسى، وعن عطاء قد أكثر الله المسلمات وانما رخص لهن يومئذ. [تفسير الكشاف ١/٥٩٥-٥٩٦].

٤٣٤)- المائدة الآية ٥.

٤٣٥)- قال الشافعي فسمى الله تبارك وتعالى النكاح اسمين :النكاح و التزويج وقال عز وجل: ﴿وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي إن أراد النبيُّ أن يستنكحها﴾. الآية، فأبان جل ثناؤه أن الهبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم دون المؤمنين.

ومالك على اختلاف عنه، والشافعي دون اختلاف، وأحمد وأبو عبيد وأبو شر وداود وغيرهم.

وذكر الإمام أبو عمر بن عبد البر في التمهيد، قال: وذهبت طائفة من أصحاب مالك أنّ النكاح ينعقد بلفظ الهبة لأنه لفظ يصح للتمليك، والاعتبار فيه (للمعنى)[436] لا باللفظ.

وقال ابن القاسم عن مالك: لا تحل[437] الهبة لأحد بعد النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: وإن كانت هبته إياها ليست على نكاح إنما وهبها له ليحصنها، أو ليكفلها فلا أرى بذلك بأساً.

والهبة والله أعلم – تجمع أن ينعقد له عليها عقدة النكاح بأن تهب نفسها له بلا مهر، وفي هذا دلالة على أن لا يجوز نكاح إلا باسم النكاح أو التزويج، ولا يقع بكلام غيرهما وإن كانت معه نية. [الأم للامام الشافعي ١/٣٧].

وينعقد النكاح بلفظ الانكاح والتزويج، والجواب عنهما إجماعاً وهما اللذان ورد بهما نص الكتاب في قوله سبحانه ﴿زوجناكها﴾ وقوله سبحانه: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾ وسواء اتفقا من الجانبين أو اختلفا مثل أن يقول: زوجتك بنتي هذه فيقول قبلت هذا النكاح، أو هذا التزوج ولا ينعقد بغير لفظ الانكاح والتزويج، وبهذا قال سعيد بن المسيب وعطاء والزهري وربيعة والشافعي.

وقال الثوري والحسن بن صالح وأبو حنيفة وأصحابه وأبو ثور وأبو عبيد وداود ينعقد بلفظ الهبة والصدقة والبيع والتمليك. وقال مالك: ينعقد بذلك إذا ذكر المهر. واحتجوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم زوج رجلاً امرأة فقال: "قد ملكتكها بما معك من القرآن "رواه البخاري. [المغني و الشرح الكبير ٧/٤٢٨-٤٢٩].

[436]- في أ و ب (بالمعنى).

وقال أبو حنيفة وأصحابه، والثوري والحسن بن حي: ينعقد النكاح بلفظ الهبة إذا كان أشهد عليه، ولها المهر المسمّى إن سمّى، أو لم يسمّ لها مهراً فلها مهر مثلها، ومما احتج به أصحاب أبي حنيفة في هذا، أنّ الطلاق يقع بالتصريح وبالكناية، قالوا: فكذلك النكاح. قالوا: والذي خُصَّ به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعري البضع من العوض لا النكاح بلفظ الهبة.

والصحيح من هذا كله أنه لا ينعقد بلفظ الهبة نكاح، كما أنه لا ينعقد بلفظ النكاح هبة شيء من الأموال مع ما ورد به التنزيل المحكم من رب العالمين في الموهوبة، أنّها للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالصة دون المؤمنين، فلما لم يصح للهبة في ذلك لم يصح بلفظها نكاح. هذا هو الصحيح في النظر والله أعلم.

---

[٤٣٧]- وفي أ وب "لولا تحل" بالواو.

قال مالك الهبة لا تحل لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم فإن كانت هبته إياها ليست على نكاح وإنما وهبها له ليحضنها أو ليكفلها فلا أرى بذلك بأساً. "ابن وهب" عن الليث أن عبد الله بن يزيد مولى الأسود بن سقيات حدثه أنه سأل ابن المسيب عن رجل بشر بجارية فكرهها فقال رجل من القوم: هبها لي فوهبها له (قال) سعيد لم تحل الهبة لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو أصدقها حلت له.

قال مالك في الذي يهب السلعة لرجل على أن يعطيه كذا وكذا فهذا بيع فأرى الهبة بالصداق مثل البيع وإنما كره من ذلك الهبة بلا صداق.[المدونة الكبرى للامام مالك ٢٤١/٢-٢٤٢].

ومن جهة النظر أيضاً إن النكاح مفتقر إلى التصريح لتقع الشهادة عليه، وهو ضد الطلاق فكيف يقاس عليه، وقد أجمعوا أن النكاح لا ينعقد بقوله: أبحث لك، وقد أحللت لك فكذلك الهبة.

وثبت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال **"اِسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنّ بِكَلِمَةِ اللهِ"**[٤٣٨].

---

[٤٣٨]-ولفظ الحديث في مسلم "فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله".

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه:

١- مسلم : كتاب الحج باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم جـ ١ ص ٨٨٩ حديث ١٤٧ (١٢١٨)، وقد ورد هذا في حديث طويل تضمن جوانب متعددة إذ كان ذلك في حجة الوداع.

٢- ابن ماجة: كتاب المناسك باب حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم جـ ٢ ص ١٠٢٥ (٣٠٧٤) لفظه ما عدا كلمة "أمان" التي وردت في مسلم وأنها في ابن ماجة "بأمانة".

٣- الدارمي: كتاب المناسك باب في سنة الحاج جـ ١ ص ٤٤٤ نحوه.

٤-أبو داود كتاب المناسك "الحج" باب صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم جـ ٢ ص ٤٦٢ لفظه.

د- المفردات:

يعني القرآن، وليس في القرآن عقد نكاح بلفظ الهبة، وإنما فيه التزويج والنكاح، وفي إجازة النكاح بلفظ الهبة إبطال خصوصية النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[439].

وَمِنْهَا: أنّه أباح له النكاح في الاحرام، وقد اختلف فيه الصحابة والتابعون وفقهاء المسلمين، فمنع من ذلك عمر وعثمان وعلي وسعيد بن المسيب ويزيد بن الأصم، وهو ابن أخت ميمونة زوج النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسليمان بن يسار، وهي مولاته وأبو بكر بن عبد

"بكلمة الله" قيل: معناه قوله تعالى: ﴿فامساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسان﴾ سورة البقرة الآية ٢٢٩. وقيل: المراد كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله إذ لا تحل مسلمة لغير مسلم.

وقيل: قوله تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ سورة النساء الآية ٣ وهذا هو الصحيح. وقيل: المراد بها الايجاب والقبول.

[439]- والهبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مجمع أن ينعقد له بها النكاح بأن تهب المرأة نفسها له بلا مهر، وفي هذا دلالة على أنه لا يجوز النكاح إلا باسم التزويج أو النكاح، والفرج محرم قبل العقد فلا يحل أبداً إلا بأن يقول الولي قد زوجتكها أو انكحتكها، ويقول الخاطب قد قبلت تزويجها أو نكاحها،

أو يقول الخاطب زوجنيها، ويقول الولي قد زوجتكها، فلا يحتاج في هذا أن يقول الزوج قد قبلت، ولوقال قد ملكتك نكاحها أو نحو ذلك فقبل لم يكن نكاحاً. وإذا كانت الهبة أو الصدقة تملك بها الأبدان والحرة لا تملك فكيف تجوز الهبة في النكاح؟

فإن قيل معناها: زوجتك قيل فقوله: قد أحللتها لك أقرب إلى زوجتكها وهو لا يجيزه. [الام للامام الشافعي جـ ٧ ص ١٦٧].

الرحمن، وابن شهاب، وجمهور علماء المدينة، وبه قال مالك وأصحابه، والليث بن سعد، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد بن حنبل[٤٤٠] وحجتهم ما رواه نافع، عن نبيه بن وهب، أنّ عمر بن عبيد الله أراد أن يزوج طلحة بن عمر بن شيبة بن جبير فأرسل إلى ابان بن عثمان يحضر ذلك، وهو أمير الحاج - فقال أبان: سمعت عثمان بن عفّان

---

[٤٤٠]-أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه:

١- موطأ الامام مالك كتاب الحج باب نكاح المحرم جـ ١ ص ٣٤٨ لفظه.

٢- مسلم كتاب النكاح باب تحريم نكاح المحرم وكراهة خطبته. جـ ٢ ص ١٠٣٠ لفظه. حديث ٤١ (١٤٠٩) وزاد فيه "ألا أراك عراقياً جافياً" وذكر القاضي أنه وقع في بعض الروايات " عراقياً جافياً" وذكر القاضي أنه وقع في بعض الروايات عراقياً وفي بعضها عربياً، وهو الصواب أي جاهلاً بالسنة.

٣- النسائي: النهي عن نكاح المحرم كتاب مناسك الحج باب النهي عن ذلك لفظه جـ ٥ ص ١٩٢.

٤- ابن ماجة كتاب النكاح باب المحرم يتزوج لفظه جـ ١ ص ٦٣٢ حديث ١٩٦٦.

٥-الدارمي كتاب النكاح باب في نكاح المحرم نحوه ولم يذكر "ولا يخطب " جـ ١ ص ٥٣٧.

د- المفردات:

لا ينكح: لا يعقد لنفسه.

ولا ينكح: بضم الياء: لا يعقد لغيره بولاية ولا وكالة.

ولا يخطب: من الخطبة بكسر الطاء.

يقول: قال رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّم: "**لاَ يَنْكِـحُ الْمحْـرِمُ وَلاَ يُنْكِحُ، وَلاَ يَخْطُبُ**" هذا حديث لا مطعن في طرق صحته أخرجه مالك في موطئه، ونقله عنه مسلم في صحيحه، وأخرجه أيضاً من طرق غير طريقه..

وقال ابن عباس، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبـي بكر الصدّيق، وإبراهيم النخعي، وأبو حنيفة وأصحابه، وسفيان الثوري وأصحابه: لا بأس أن ينكح المحرم أو ينكح. قال عبد الرازق في مصنفه، وقال لي الثوري: لا تلتفت فيه إلى قول أهل المدينة، وحجتهم حديث حبر القرآن أبي العباس عبد الله بن عباس أنه قال: تزوج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ميمونة، وهو محرم، وهذا حديث مجمع على صحته أخرجه البخاري ومسلم. رواه عن ابن عباس عكرمة وسعيد بن جبير وجابر بن زيد أبو الشعثاء ومجاهد وعطاء بن أبي رباح، كلهم عن ابن عباس هذا الحديث.

[(٤٤١)] وذكر ابن عيينة عن عمرو بن دينار، قال حديث ابن شهاب عن جابر بن زيد عن ابن عباس أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّم نكح ميمونة وهو محرم.

---

[٤٤١])- الحديث:

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

فقال ابن شهاب حدثني يزيد بن الأصم: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تزوج ميمونة وهو حلال. قال: فقلت لابن شهاب: أتجعل حفظ ابن عباس كحفظ أعرابي تبوَّل على فخذيه.

قَالَ ذُو النَّسَبَيْنِ أَيَّدَهُ اللهُ: وهذا اختلاف كثير، وقد ثبت بنقل العدل عن العدل [٤٤٢]"عن يزيد بن الأصم قال: حدثني ميمونة بنت الحارث أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تزوجها وهوحلال قال: وكانت خالتي وخالة ابن عباس.

جـ- تخريجه:

البخاري كتاب النكاح باب نكاح المحرم ١٢٨/٦ ولم يرد ذكر ميمونة في حديث البخاري.

مسلم كتاب النكاح باب تحريم نكاح المحرم وكراهة خطبته ١٠٣١/٢ حديث ٤٦- ٤٧ (١٤١٠) لفظ ما في الكتاب.

عطاء بن ابي رباح بفتح الراء والموحدة، واسم أبي رباح أسلم القرشي مولاهم المكي ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الارسال من الثالثة مات سنة أربع عشرة على المشهور، وقيل: أنه تغير بآخره ولم يكن ذلك منه. [تقريب التهذيب ٢٣٩].

[٤٤٢])- الحديث:

درجته :صحيح بسنده.

تخريجه: مسلم كتاب النكاح باب تحريم نكاح المحرم وكراهة خطبته ١٠٣٢/٢ حديث ٤٨ (١٤١١) لفظه.

قَالَ ذُو النَّسَبَيْنِ أَيَّدَهُ اللهُ: رواية رافع مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم معارضة لرواية ابن عباس وكذلك رواية أبي رافع مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تزوج ميمونة، وهو حلال، وبنى بها وهو حلال، وكنتُ الرسولَ بينهما، وكذلك قال سليمان[٤٤٣] بن يسار وهو مولاها، ويستحيل أن يخفى عليه أمرها، وموضعه من الفقه موضعه.

---

[٤٤٣]- سليمان بن يسار الهلالي المدني مولى ميمونة وقيل أم سلمة ثقة فاضل أحد الفقهاء السبعة من كبار الثالثة مات بعد المائة وقيل قبلها. [تهذيب التعريف ١٣٦].

والفقهاء السبعة من أهل المدينة النبوية الذين كانوا يصدرون عن آرائهم وينتهى إلى قولهم، وأقلهم ممن عرف بالفقه والصلاح والفلاح قال ابن المبارك: وكانوا اذا جاءتهم المسألة دخلوا فيها جميعاً فنظروا فيها ولا يقضي القاضي حتى ترجع إليهم فينظرون فيها فيصدرون. وهم:

١-خارجة بن زيد بن ثابت الانصاري.

٢-القاسم بن محمد بن أبي بكر.

٣-عروة ابن الزبير بن العوام.

٤-سليمان بن يسار الهلالي.

٥-عبيد الله بن عبد الله بن عتبة.

٦-سعيد بن المسيب.

٧-فيه خلاف - إما أبو سلمة عبد الرحمن بن عوف، أو سالم بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب أو أبو بكر عبد الرحمن بن الحارث. [فتح المغيث شرح الفية الحديث للعراقي ص ١٤٧-١٤٨].

وأكبر أحوال حديث ابن عباس[٤٤٤] أن يجعل متعارضاً مع رواية من ذكرنا، فإذا كان ذلك سقط الاحتجاج لجميعها، ووجب طلب

---

٤٤٤)- الجواب عن حديث ابن عباس في نكاح ميمونة فمن أوجه:

- أحدها: أن الروايات اختلفت في نكاح ميمونة، فروى زيد بن الأصم عن ميمونة وهو ابن اختها أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها، وهو حلال "رواه مسلم"، وعن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وبنى بها حلالاً وكنت الرسول بينهما " رواه الترمذي وقال حديث حسن".

وقال أصحابنا: إذا تعارضت الروايات تعين الترجيح فرجحنا رواية الأكثرين أنه تزوجها حلالاً.

الوجه الثاني: ان الروايات تعارضت فتعين الجمع وطريق الجمع تأويل حديث ابن عباس أن قوله: "محرماً أي في الحرم فتزوجها في الحرم وهو حلال، أو تزوجها في الشهر الحرام، وهذا شائع في اللغة والعرف، ويتعين التأويل للجمع بين الروايات.

الثالث: الترجيح من وجه آخر وهو روايةتزوجها حلالاً من جهة ميمونة وهي صاحبة القصة وأبي رافع كان السفير بينهما، فهما أعرف واعتماد روايتهما أولى.

الرابع: أنه لو ثبت أنه تزوجها صلى الله عليه وسلم محرما لم يكن لهم فيه دليل لأنه الأصح عن أصحابنا أن للنبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوج في حال الإحرام، وهو قول أبي الطيب بن أبي سلمة وغيره من أصحابنا، وهي مشهورة في الخصائص من أول باب النكاح. وأما الجواب عن أقيستهم كلها ليست نكاحاً، وإنما ورد الشرع بالنهي عن النكاح وعن قياسهم عن الامام أن الأصح عندنا لا يصح تزويجه لعموم الحديث. انظر المجموع شرح المهذب المجلد ٧/.

"عن أبي غطفان بن طريف المزني أن أباه طريفاً تزوج امرأة وهو محرم فرد عمر بن الخطاب نكاحه. "رواه مالك في الموطأ" . الموطأ ٣٤٩/١. وروى البيهقي باسناده عن سعيد بن المسيب: أن رجلاً تزوج وهو محرم فأجمع أهل المدينة على أن يفرق بينهما.

الدليل على هذه المسألة من سنة ثابتة لا معارض لها فوجدنا عثمان بن عفان روى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنّه نهى عن نكاح المحرم، فقال لا يَنْكِحُ الُمحْرِمُ، وَلاَ يُنْكَحُ، فوجب المصير إلى هذه الرواية التي لا معارض لها، لأنه مستحيل أن ينهى عن شيء ويفعله مع عمل الخلفاء الراشدين، وهو عمر وعثمان وعليّ، وفسخهم نكاح المحرم. والتفريق لا يكون إلاّ عن صحته عندهم عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كما قدمناه، والله الموفق لا رب سواه.

ترجيح: خبر يزيد عن ميمونة هو الحق، وقول ابن عباس وهو منه بلا شك لوجوه بينة: أولها: أنها رضي الله عنها أعلم بنفسها من ابن عباس لاختصاصها بتلك القصة دونه، هذا ما لا يشك فيه أحد.

ثانيها: انها رضي الله عنها كانت حينئذ امرأة كاملة، وكان ابن عباس رضي الله عنه يومئذ ابن عشرة أعوام وأشهر فبين الضبطين فرق لا يخفى.

الثالث: أنه عليه السلام تزوجها في عمرة القضاء هذا ما لا يختلف فيه اثنان، ومكة يومئذ دار حرب وإنما هادنهم عليه السلام على أن يدخلها معتمراً ويبقى بها ثلاثة أيام فقط، ثم تخرج فأتى من المدينة محرماً بعمرة ولم يقدم شيئاً إذا دخل على الطواف والسعي وتم إحرامه في الوقت، ولم يختلف أحد في أنه تزوجها بمكة حاضراً بها لا بالمدينة فصح أنه بلا شك تزوجها بعد تمام إحرامه لا في حالة طوافه وسعيه، فارتفع الإشكال جملة وبقي خبر ميمونة، وخبر عثمان لا معارض لهما، والحمد لله رب العالمين.

وَمِنْهَا:أنّ نكاحه جائز بغير شهود، لأن الشهود إنّما قصدهم الاحتياط من الإنكار[445].

وَمِنْهَا:أنّه أباح له من زوجه الله إياها من النساء فإذا جاز له أن يتزوج بتزويج الله جاز له أن يعقد على المرأة بغير استيمارها.

قال القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري الشافعي: كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يتزوج المرأة بغير استيمارها ولا استيمار وليها، لأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

قَالَ ذُو النَّسَبَيْنِ أَيَّدَهُ اللهُ: الأوّل هو الأخص كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: "**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى**"، أي أخصهم به وأقربهم إليه، فأشار إلى أن قرب (ومنه)[446] كأنه جمعه وإياه حتى صار كالمعنى الواحد، إذ لم يكن بينهما نبيّ، وافتراق أزمان الآخرين كالبطون الشتّى، والدين واحد، كالأب الواحد، وهذا يفسره قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: "**الأَنْبِيَاءُ أُولاَت علاَت**"[447].

---

[445]- هذه العبارة مكررة في (أ) سهوا.

[446]- في أ وب "زمنه" وهو الصواب.

[447]- لفظ الحديث في البخاري " حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني أبو سلمة أن أبا هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولات علات ليس بيني وبينه نبي" وفي الحديث الذي يليه:

أي أولات ضرات، العلة بفتح العين المهملة الضرة وذلك من فصاحته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وبيانه، لأنه قد يعبر بالأب عن الأصل، فبيّنه بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: "أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِد"، يعني التوحيد، وهذا أحسن ما قيل.

أنا أولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة أمهاتهم شتى ودينهم واحد"

وهو عن أبي هريرة أيضاً.

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه:

١-البخاري كتاب الأنبياء باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ١٤٣/٤.

٢- مسلم كتاب: الفضائل باب فضائل عيسى عليه السلام ١٨٣٧/٢ لفظ ما في البخاري رقم الحديث ١٤٣ - ١٤٤ (٢٣٦٥).

د- المفردات:

أولات علات: قال العلماء: هم الأخوة لأب من أمهات شتى. وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم أولاد الأعيان. قال جمهور العلماء: معنى الحديث - أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة فإنهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرايع فوقع فيها الاختلاف.

دينهم واحد: المراد به أصول التوحيد وأصل طاعة الله تعالى وان اختلفت صفتها، وأصول التوحيد الطاعة جميعاً.

وَمِنْهَا: أن نكاحه جائز بغير ولي، لأنّ الولي إنما أريد لئلا تضع المرأة نفسها في غير كفو، والكفو المثل، فهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أشرف وأكفأ العالمين في النسب والدين والجاه عند ملك يوم الدين،

وقال عمر بن الخطاب يوم مات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فيما ذكره فقيه الأندلس أبو مروان(٤٤٨) عبد الملك بن حبيب: والله لو لم تجالس إلا كفواً لما جالست أحداً أبداً، ولو لم تتزوج إلا كفؤاً من النساء لما تزوجت امرأة أبداً، ثم جالستنا وتزوجت إلينا، والله لقد أقرت القبائل كلها بفضل قبيلتك وهم كارهون، والله ما سمينا باسم أحلى من اسم قبيلتك، ولا باسم أحلى من اسمك، ولا سمعنا بكنية أحلى من كنيتك، ولا أعدل كنية كنيت بها لتعدل وتقسم بينهم

---

٤٤٨)-ابو مروان عبد الملك بن حبيب الفقيه الكبير عالم الاندلس أبو مروان السلمي الأندلسي القرطبي ولد بعد السبعين ومائة وأخذ عن صعصعة بن سلام والفاري ابن قيس وحج وأخذ عن عبد الملك بن الماجشون وأصبغ بن الفرح ورجع الأندلس بعلم جم روى عنه بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح ومطرف بن قيس ويوسف المقاضي وكان رأساً في مذهب مالك، وله تصانيف عدة مشهورة و لم يكن بالمتقن للحديث ويقنع بالمناولة. قال ابن الفرضي كان فقيها نحوياً شاعراً أخباريا نسابه طويل اللسان متصرفا في فنون العلم قال ابن بشكوال قيل لسحنون فقيه الأندلس: مات ابن حبيب قال: مات عالم الاندلس بل والله عالم الدنيا. قيل مات في آخر سنة تسع وثلاثين ومائتين وقال سعيد بن فحلون مات في رابع رمضان سنة ثمان. تذكرة الحفاظ ٢/٥٣٧.

بالعدل كما فعلت. وهو حديث طويل، وقد ذكر أيضاً كثيراً منه الفقيه المحدِّث نسابة الأندلس أبو محمد عبد الله[449] بن علي اللخمي الرشاطي[450] في كتابه المسمى: بـ "اقتباس الأنوار والتماس الازهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار" حدّثني عنه عشرون شيخاً رحمهم الله جميعاً.

وَمِنْهَا: أنّ ماله بعد موته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قائم على نفقته وملكه، وهذا ليس لأحد غيره لأنّه استثنى لأزواجه نفقاتهن لما ثبت باتفاق أهل الصحيح وفي جميع الموطآت.

عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال:" **لاَ يَقْتَسِمُ وَرَثَتِي دَنَانِيرَ، مَا تَرَكْتُ بَعْدَ نَفَقَةِ نِسَائِي وَمَؤُونَةِ عَامِلِي فَهُوَ صَدَقَةٌ**"[451].

---

[449])-عبد الله بن علي بن عبدالله بن علي بن أحمد الحافظ النسابة أبو محمد اللخمي المري المعروف الرشاطي، قال أبو جعف بن الزبير روى عن أبي على النسائي وأبى الحسن بن آخي الذي ألف كتابه الحافل المسمى "باقتباس الأنوار والتماس الأزهار في انساب رواة الآثار "وكتاب "الاعلام لما في المختلف والمؤتلف للدارقطني من الأوهام" وكان ضابطاً محدثاً متقناً إماما مقيدا ذاكراً للرجال حافظاً للتاريخ والانساب فقيهاً بارعاً استشهد في جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة. [تذكرة الحفاظ ٤/١٣٠٧-١٣٠٨].

[450])- في أ "الرشاطي" بالظاء المعجمة.

[451])- الحديث:

هكذا قال يحيى بن يحيى الأندلسي في الموطأ، دنانير، وتابعه ابن كنانة، وأمّا سائر رواة الموطأ فيقولون ديناراً، وقد ذكرنا من روى ذلك منهم في آخر المجلد الأول من هذا الديوان: لأن الواحد في هذا الموضع عند أهل اللغة أعم من الجميع، لأنّه يقتضي الجنس، والقليل والكثير، وأما قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ومؤونة عاملي، قيل: أراد بعامله خادمه في حوائطه ووكيله وأجيره، وقيل: أجرة حافر قبره،

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه:

١- البخاري كتاب الوصايا باب نفقة القيم للوقف ١٩٧/٣ لفظه.

٢- مسلم كتاب الجهاد والسير باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " لا نورث ما تركناه فهو صدقة ١٣٨٢/٢٠ مثله. حديث ٥٥ (١٧٦٠).

٣- أبو داود كتاب الخراج والامارة والفيء باب في صفايا رسول الله صلى عليه وسلم من الأموال ٣٧١/٣ نحوه.

د- المفردات:

مؤونة عاملي: أي نفقته. قال في المصباح: المؤونة الثقل، وفيها لغات:

احدها: على وزن فعوله، والجمع مؤونات، ومأنت القوم أمأنهم واللغة.

الثانية: مؤنة والجمع مؤن غرفة وغرف.

والثالثة: مونة والجمع مون مثل سورة وسور.

ومؤونة عامله صلى الله عليه وسلم قيل هو القائم على هذه الصدقات والناظر فيها.

وقيل: الخليفة بعده، وقد وقع الإجماع المعصوم أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لا يورَثُ.

وَمِنْهَا: أن الله أباح له الصفي، وهو أن يصطفى من الغنيمة ما شاء أن يختار قبل القسمة، وأربعة أخماس الفيء، وخمس خمس الغنيمة، وخمس خمس الفيء، والصفي عند جمهور علماء الإسلام خصوص بالنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.

وَمِنْهَا: أنه أباح له دخول الحرم من غير إحرام حسبما ثبت في الصحيحين وأصله من الموطأ[٤٥٢].

---

[٤٥٢]-أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه:

١- البخاري كتاب جزاء الصيد باب دخول الحرم ومكة بغير احرام ودخل ابن عمر وإنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاهلال لمن أراد الحج والعمرة ولم يذكر للحطابين وغيرهم. وقد ورد في رواية البخاري لفظ "وعلى رأسه" ٢١٦/٢.

٢- مسلم كتاب الحج باب دخول مكة بغير إحرام. لفظ البخاري ٩٩٠/١ حديث ٤٥٠ (١٣٥٦).

د- المفردات:

المغفر: هو ما يلبس على الرأس من درع الحديد.

اقتلوه: قال العلماء: إنما قتله لأنه كان ارتد عن الاسلام، وقتل مسلماً كان يخدمه. وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسبه، وكانت له قينتان تغنيان بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين.

عن مالك عن ابن شهاب عن انس ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة عام الفتح، وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاءه رجل فقال : ابن خطل متعلق باستار الكعبة فقال: اقتلوه"

قال مالك قال ابن شهاب: ولم يكن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يومئذ محرماً هذا نصه في موطأ يحيى بكدينا عن مالك، وهو حديث متفق على صحته، ولا يثبت أهل العلم بالنقل فيه إسناداً غير حديث مالك، وقد تفرد به عن الزهري عندهم، واحتاج إليه فيه جماعة من الأئمة جميعهم في جزء الحافظ أبو القاسم خلف بن القاسم بن سهل الأزدي يعرف بابن الدبّاغ، شيخ ابن عبد البر رحمهما الله، وفي هذا الحديث من الفقه، دخول مكة بغير إحرام وبالسلاح، وإظهار السلاح فيها، ولكن هذا عند جمهور العلماء منسوخ بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الثابت بإجماع.

إِنَّ اللهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَموَاتِ وَالأَرْضَ لَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي وَلاَ تَحِلُّ لأَحَدٍ بَعْدِي وإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنَ نَهَارٍ"[٤٥٣].

---

٤٥٣)- لفظ الحديث في البخاري "حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الوهاب حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي، وإنما حلت لي ساعة من نهار لا يختلى خلاها، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف،

يعني يوم الفتح، وللحديث طرق، والمغفر في اللغة: ما غطى الرأس من السلاح كالبيضة وشبهها من حديد كان ذلك أو غيره، إلاّ أنّه روي أن هذا المغفر كان من حديد، والمغفر أيضاً: ما يجعل من فضل درع الحديد على الرأس مثل القلنسوة، وأصله الستر والتغطية،

وقال العباس يا رسول الله إلا الإذخر لصاغتنا وقبورنا قال إلا الإذخر" وعن خالد عن عكرمة قال هل تدري ما لا ينفر صيدها: هو أن ينحيه من الظل ينزل مكانه.

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه:

١- البخاري كتاب جزاء الصيدباب لا ينفر صيد الحرم ٢١٣/٢ وقد خرجه في ٢١٤/٢ من نفس المرجع وأورد فيه "يوم خلق الله السموات والأرض".

٢- مسلم كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام وهو بلفظ الرواية الثانية التي وردت في البخاري ٢١٤/٢ حديث رقم ٤٤٥ (١٣٥٣) ٩٨٦/١.

د- المفردات:

ولا يختلى خلاها: الخلا - هو الرطب من الكلأ قالوا الخلا والعشب اسم للرطب منه والحشيش والهشيم اسم لليابس منه ومعنى يختلى: يؤخذ ويقطع.

لا يعضد: أي لا يقطع.

الأذخر: قال العلائي في معجمه: الأذخر نبات عشبي من فصيلة النجيليات له رائحة ليمونية عطرة أزهاره تستعمل منقوعاً كالشاي.

ويقال أيضاً طيب العرب. والأذخر المكي من الفصيلة نفسها ويقال له حلفاء مكة.

وقد زعم بعض المحدّثين أن هذا الحديث عارضه حديث جابر بن عبد الله، أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم دخل مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام على ما طرقه مسلم في صحيح، ولا معارضة بينهما، لأنه فعل يمكن أن يكون على رأسه عمامة سوداء، وعليها المغفر فلا يتعارض الحديثان لظهور الاحتمالات.

وقد اختلف الفقهاء في من دخل مكة لحاجة، وهم محجوجون بالسنة الثابتة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وهو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: "إِنَّ مَكَّةَ لَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي وَلاَ تَحِلُّ لأَحَدٍ بَعْدِي وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِيَ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا كَمَا كَانَتْ بِالأَمْسِ".

والحديث له طرق في الصحيحين وانما أراد بذلك والله أعلم، أنّه دخلها بغير إحرام، وذلك خصوصية لمكةلمباينتها جميع البلدان، فليس لأحد أن يدخلها إلا بإحرام، بحج أو عمرة، فإن دخلها بغير إحرام قال مالك والليث: ولا يدخل أحد مكة من أهل الآفاق إلاّ محرماً فإن لم يفعل أساء ولا شيء عليه، وقال الشافعي: من دخل مكة غير محرم فقد أساء ولا شيء عليه لأن الحج والعمرة لا تجبان إلا على من نواهما،

وأحرم بهما. قال: وسنة الله في عباده ألاّ يدخلوا الحرم إلا حرماً قال: ومكة مباينة لسائر البلدان فلا يدخلها أحد إلاّ بإحرام[454].

وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا يدخل أحد مكة بغير إحرام فإن دخلها أحد غير محرم فعليه حِجَّة أو عُمرة، وهو قول سفيان الثوري،

---

[454]- مذاهب العلماء فيمن أراد دخول الحرم لحاجة لا تتكرر كالتجارة والزيارة وعيادة المريض ونحوها، قد ذكرنا أن الأصح عندنا أنه يستحب له الاحرام، ولا يجب سواء قربت داره من الحرم أم بعدت، وبه قال ابن عمر.

قال مالك وأحمد يلزمه وقال أبو حنيفة يلزمه إن كانت داره في الميقات أو أقرب إلى مكة جاز دخوله بلا احرام وإلا فلا.

وإذا قلنا يجب الاحرام لدخول الحرم فدخل بغير إحرام عصى، والمذهب أنه لا يلزمه القضاء.

وقال أبو حنيفة يلزمه.

وقال ابن القاص من اصحابنا :إذا صار حطاباً ونحوه لزمه القضاء وبالأول قال جمهور أصحابنا ؛ ومأخذ الخلاف بين الجمهور وابن القاص بقول إنما يمتنع القضاء للخوف من التسلسل ؛ فإذا صار حطاباً زال التسلسل فان الحطاب لا يلزمه الاحرام للدخول. المجموع شرح المهذب ١٦/٧.

قال الشافعي : إلا أن من أصحابنا من رخص للحطابين ومن مدخله إياها لمنافع أهلها والكسب لنفسه، ورأيت أحسن ما يحمد عليه هذا القول إلىأن انتياب هؤلاء مكة انتياب كسب لا انتياب تبرر، فأما المرء يأتي أهله بمكة من سفر فلا يدخل إلا محرماً فأما البريد يأتي برسالة أو زور أهله، وليس بدائم الدخول فلو استأذن فدخل محرما كان أحب إلي، ومن دخل مكة خائفاً الحرب فلا بأس أن يدخلها بغير احرام. [الام ١٤١/١ -١٤٢].

إلاّ أنّه قال: فإن لم يحج أو يعتمر قيل له استغفر الله، وهو قول عطاء، والحسن بن حي، وفقهاء الأمصار لا خلاف بينهم في الحطّابين، ومن يدمن الاختلاف إلى مكة، ويكثره في اليوم والليلة أنهم لا يؤمرون بذلك، لما فيه عليهم من المشقّة ولو أُلزِموا الإحرام لكان عليهم في اليوم الواحد ربما عُمَرٌ كثيرة.

وَمِنْهَا: أنّ الله أباح له القتل في الحرم المعظم، فأمر بقتل ابن خطل، وهو متعلق بأستار الكعبة، وبغيره ممّن نصّ عليه، لأنّ ابن خطل ارتد بعد إسلامه، وكفر بعد إيمانه، وبعد قراءته القرآن، وقتل النفس التي حرم الله، ثم لحق بدار الكفر، واتخذ قينتين تغنّيانه بهجاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فعهد فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنْ يقتل، وإنْ وجد متعلقاً بأستار الكعبة، وفي ستة[٤٥٥] نفر معه قد ذكرهم أصحاب السير.

---

٤٥٥)- لم يكونوا ستة نفر بل جاء ذكرهم بأنهم تسعة نفر، فان الرسول صلى الله عليه وسلم أمن الناس بعد فتح مكة إلا تسعة نفر فإنه أمر بقتلهم، وان كانوا متعلقين باستار الكعبة وهم: عبد الله بن سعد ين ابي السرج كان أسلم وهاجر ثم ارتد ورجع إلى مكة.

عكرمة بن أبي جهل وعبد العزى بن خطل، وكان ارتد عن الإسلام وقتل مسلماً وكان يخدمه وكان يسب النبي صلى الله عليه وسلم. والحارث بن نفيل بن وهب. ومقيس بن حباه وهبار بن الأسود وهو الذي عرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت فنخس ناقتها حتى سقطت على صخرة وأسقطت جنينها

فقتل ابن خطل في الوقت الذي أحل الله فيه جلّ وعلا لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مكة، وكانت إذ ذاك دار حرب وكفر، ثم أخبرنا أنه لا يحل لأحد أن يسفك بها دماً، ولا يعضد بها شجرة فان أحد ترخّص، لقتال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فيها، فقولوا: إنّ الله أذن لرسوله و لم يأذن لكم، **"وإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا ا لَيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ فَلْيُبَلِّغِ الشَاهِدُ الغَائِبَ"**[٤٥٦].

(٧-٨) وقينتان لابن خطل كانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يصنعه ابن خطل وسارة مولاة لبعض بني عبد المطلب.

فأما ابن أبي السرج فاستأمن له عثمان فأسلم وأما عكرمة فاستأمنت له امرأته فقد أسلم وحسن إسلامه.

وأما ابن خطل، والحارث ومقيس، واحدى القينتين فقتلوا. وسارة واحدى القينتين استؤمن لهما فاسلمتا. [المنتقى من أخبار المصطفى صلى الله عليه وسلم ص ٢٢١].

[٤٥٦])- لفظ الحديث في البخاري "عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعلى رأسه المغفر فلما نزعه ، جاء رجل فقال : ابن خطل متعلق باستار الكعبة فقال: اقتله.

قال مالك و لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فيما نرى محرماً والله أعلم.

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه:

وقد اختلف العلماء في اسم ابن خطل فقيل: عبد الله، وقيل عبد العزّى، وقيل هلال، قاله الدارقطني في السنن له، وهو رجل من بني تيم بن غالب بن فهر.

وَمِنْهَا: أنّ الله تعالى أباح لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القتل لمن سبّه أو هجاه.

ثبت في الصحيحين أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ؟ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ. فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ ،أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئاً، قَالَ: قُلْ. فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا، وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ.**

البخاري كتاب المغازي باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح جـ ٥ ص ٢٩٢ وأخرجه في كتاب الجهاد والسير جـ ٤ ص ٤٨ باب قتل الأسير وقتل الصبر.

مسلم كتاب الحج باب جواز دخول مكة بغير احرام حديث ٤٥٠ (١٣٥٧) جـ ١ ص ٩٩٠ لفظه.

النسائي كتاب مناسك الحج باب دخول مكة بغير احرام جـ ٥ ص ٢٠٠ لفظه.

د- المفردات:

المغفر: ما يلبس على الرأس من درع الحديد.

اقتله: قال العلماء: انما قتله لأنه كان قد ارتد عن الاسلام وقتل مسلماً كان يخدمه وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسبه.

قَالَ: وَأَيْضاً. وَاللهِ لَتُمِلَّنَّهُ قَالَ: إنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ فَلاَ نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنظُرَ إلى شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وُسْقاً أَوْ وُسْقَيْنِ، وَحَدَّثَنَا غَيْرَ مَرَّةٍ فَلَمْ يَذْكُرْ وُسْقاً أَوْ وُسْقَيْنِ. فَقُلْتُ لَهُ: فِيهِ وُسْقٌ أَوْ وُسْقَانِ.فَقَالَ أَرَى فِيهِ وُسْقاً أَوْ وُسْقَيْنِ. فَقَالَ: نَعَمْ ارْهِنُونِي. قَالَ: أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟ قَالَ: ارْهِنُونِي نِسَاءَكُمْ. قَالُوا: كَيْفَ نُرْهِنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ العَرَبِ؟ قَالَ: فَارْهِنُونِي أَبْنَاءَكُمْ. قَالُوا: كَيْفَ نُرْهِنُكَ أَبْنَاءَنَا فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ، فَيُقَالُ رُهِنَ بِوُسْقٍ أَوْ وُسْقَيْنِ، هذَا عَارٌ عَلَيْنَا وَلكِنْ نُرْهِنُكَ اللأْمَةَ، قال سفيان: يعني السلاح.فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيهِ، فَجَاءَهُ لَيْلاً وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ، وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَدَعَاهُمْ إلى الحِصْنِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هذِهِ السَّاعَةَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ، وقال غير عمرو. قَالَتْ: أَسْمَعُ صَوْتاً كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ. فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ، إِنَّ الكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلى طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لأَجَابَ. قَالَ: وَيَدْخُلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ، قيل لسفيان، سماهم عمرو قال: بعضهم.قال عمرو:جاء معه برجلين. وقال غير عمرو، أبوعيسى اسمه عبد الرحمن بن جبر، و الحارث بن أوس، وعباد بن بشر: قال عمرو:وجاء معه برجلين،فَقَالَ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي مَائِلٌ بِشَعْرِهِ فَأَشُمُّهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ، فَدُونَكُمْ

فَاضْرِبُوهُ، وقال مرة ثم أشمكم.فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحاً وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحُ طِيبٍ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحاً أَطْيَبَ، وَقال غير عمرو قَالَ: عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ العَرَبِ، وَأَكْمَلُ العَرَبِ. قَالَ عَمْرُو: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ فَشَمَّهُ ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ قَالَ دُونَكُمْ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرُوهُ"[٤٥٧].

---

٤٥٧)- رواته ثقات، درجته: إسناده صحيح، تخريجه: (١) البخاري كتاب المغازي باب قتل كعب بن الأشرف ٢٥/٥.

مسلم كتاب الجهاد والسير باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود حديث ١١٩ (١٨٠١) ١٤٢٥/٢ - ٤٢٦.

المفردات: من لكعب بن الأشرف: أي من كائن لقتله.

فأذن لي أن أقول: معناه: أقول عني وعنك ما رأيته مصلحة من التعريض وغيره.

قد عنانا: أوقعنا في العناء وهو التعب والمشقة، وكلفنا ما يشق علينا. قال النووي: هذا من التعريض الجائز بل المستحب، لأن معناه في الباطن أنه أدبنا بآداب الشرع التي فيها تعب لكنه تعب في مرضاة الله تعالى فهو محبوب لنا والذي فهم المخاطب منه العناء الذي ليس بمحبوب.

لتملنه: أي لتضجرت منه أكثر من هذا الضجر.

وسقين: الوسق بفتح الواو وكسرها وأصله الحمل.

صوتا كأنه يقطر منه الدم: أي صوت طالب دم أو صوت سافك دم.

"محمد بن مسلمة ورضيعي وأبو نائلة هكذا هو في جميع النسخ.

هذا حديث مجمع على صحته عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،وله طرق في الصحيحين.

وكان كعب بن الأشرف لعنه الله شاعراً يرثي أهل قليب بدر، وهو من طي، ثم من بني نبهان بن عمرو بن الغوث بن طي، وأمه يهودية من بني النضير، وهم أولاد هارون أخي موسى عليهما السلام لكن الله جل وعلا جعلهم أهل غدر وكفر، ويهجو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، ويحرض عليه كفار قريش في شعره، ويتشبب بنساء المسلمين، وقول زوجته كأنه صوت دم أي صوت طالب دم، أو سفك[458] دم، وفيه من الفقه، أنّ الذمّي إذا ذكر الله تعالى ورسوله وكتابه بما لا ينبغي، أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به انتقضت ذمته، ولا خلاف عندنا في قتله إن لم يُسْلِمْ، لأنّنا لم نعطه الذمة والعهد على هذا، وهو قول عامة العلماء

قال القاضي رحمه الله تعالى قال لنا شيخنا القاضي الشهيد صوابه أن يقال: إنما هو محمد ورضيعه أبو نائلة، وكذا ذكر أهل السير أن أبا نائلة كان رضيعاً لمحمد بن مسلمة.

ينفح منه ريح الطيب: تنتشر رائحته.

دونكم: أمامكم.

متوشحا: من الوشاح – توشح بسيفه – تقلده به، بثوبه لبسه وأدخله تحت إبطه فألقاه على منكبيه.

[458]- في (أ) و(ب) "أو سافك".

وحجتهم قول الله العظيم: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾[459] فصاروا أهل حرب يقتلون لكفرهم.

والحجة أيضاً، قتل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن الأشرف، وقال أبو حنيفة والثوري وأتباعهما من الكوفة: لا تنتقض ذمته، وما هو عليه من الشرك أعظم لكن يؤدب ويعزر، والحجة في قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفعله، هدانا الله إليها بمنّه وفضله،

---

[459]- التوبة الآية ١٢.

﴿وان نكثوا أيمانهم بعد عهدهم﴾ أي وان نقضوا عهودهم الموثقة.

﴿وطعنوا في دينكم﴾ أي عابوا الإسلام بالقدح والذم.

﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ أي رؤساء وصناديد الكفر.

﴿إنهم لا أيمان لهم﴾ أي لا أيمان لهم ولا عهود يوفون بها.

﴿لعلهم ينتهون﴾ أي كي يكفوا عن الإجرام وينتهوا عن الطعن في الإسلام.

﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل﴾ أي لو اختلق محمد بعض الأقاويل ونسب الينا ما لم نقله.

قال قتادة وغيره: أئمة الكفر، كأبي جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف وعدد رجالاً وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال مر سعد بن أبي وقاص برجل من الخوارج فقال الخارجي هذا من أئمة الكفر فقال سعد كذبت بل أنا قاتلت أئمة الكفر رواه ابن مردويه. وقال الأعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة أنه قال ما قوتل أهل هذه الآية بعد. وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه مثله، والصحيح أن الآية عامة وأن كان سبب نزولها مشركي قريش فهي عامة لهم ولغيرهم. (ابن كثير ٢ /٣٤٠).

وقوله فأذن لي أقول شيئاً، القول والتقول الكذب قال الله العظيم: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ﴾[460] إلاّ أنّه مباح في الحرب والإصلاح بين الناس.وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها.

لما رواه حميد[461] بن عبد الرحمن بن عوف عن أمّه أمّ كلثوم[462] بنت عتبة بن أبي معيط وكانت من المهاجرات الأُوَل

---

[460])- الحاقة الآية ٤٤.

[461])- سير أعلام النبلاء ٢/٢٧٦٥ - ٢٧٧.

درجته: صحيح بسنده، تخريجه: (١) مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الكذب وبيان المباح منه ٣/٢٠١١ لفظه حديث ١٠١ (٢٦٠٥).

المفردات: البر: اسم جامع للخير كله. وقيل البر الجنة.

حميد بن عبد الرحمن بن عوف الرؤاسي ذكره ابن حبان في الثقات. (تقريب التهذيب ٨٤).

وقال ابو زرعة حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن علي مرسل وعن أبي بكر الصديق، مرسل (كتاب المراسيل لابن أبي حاتم ٤٩).

[462])- أم كلثوم بنت عتبة بن ابي معيط أبان بن ذكوان بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأموي من المهاجرات، أسلمت بمكة وبايعت و لم يتهيأ لها هجرة الى سنة سبع. وكان خروجها زمن صلح الحديبية. فخرج في أثرها أخواها: الوليد وعمارة، فما زالا حتى قدما المدينة، فقالا: يا محمد، فِ لنا بشرطنا. فقالت: أتردني يا رسول الله الى الكفار يفتنونني عن ديني ولا صبر لي وحال النساء في الضعف ما قد علمت ؛ فأنزل الله تعالى: ﴿إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن﴾ (الآيتين١٠ - ١١) وكان يقول: الله ما أخرجكنّ إلا حب الله ورسوله والإسلام! ما خرجتن لزواج ولا لمال -

اللائي بايعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: **"لَمْ أَسْمَعْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ، إلاَّ فِي ثَلاَثٍ"**. تعني: الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته والمرأة زوجها.

أدرجه مسلم في صحيحه على ما قبله، وهو حديث مجمع على صحته أخرجاه في رواية من رواية حميد ابنها عنه أنها سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **"لَيْسَ الكَذَّابُ الذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيُنْمِي خَيْراً أَوْ يَقُولُ خَيْراً"**[463].

ولم يكن لأم كلثوم زوج بمكة فتزوجها زيد بن حارثة ثم طلقها فتزوجها عمرو بن العاص. روى لها الجماعة سوى ابن ماجه.

[463]- رواته ثقاة، درجته: إسناده صحيح.

تخريجه: (١) البخاري كتاب (الصلح) باب (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس) ج٣ ص ١٦٦ لفظه.

(٢) مسلم كتاب (البر والصلة والاداب) باب (تحريم الكذب وبيان المباح منه) ج٣ ص ٢٠١١ لفظه غير أنه قدم كلمة "يقول" وأخر "ينمي".

(٣) الترمذي كتاب (البر والصلة) باب (ما جاء في اصلاح ذات البين) ج٤ ص ٣٣١ نحوه.

المفردات: فينمي: يقال نميت الحديث أنميته إذا بلغته على وجه الاصلاح. وفي القرآن الكريم ﴿أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير﴾ (النساء الآية ١٢٨).

ومعلوم أن إصلاح المرء بينه وبين أهله أفضل من إصلاحه على غيره، فكذلك صلاحه على نفسه، ما لم يؤذ أحداً في دم أو عرض أو مال، أو يظلم أحداً بكذبه ذلك، وقد قص الله عز وجل في كتابه العزيز، قصة يوسف على نبيّنا وعليه السلام، إذ جعل السقاية في رحل أخيه ،وفي قصص لغيره، وقتل هذا الفاسق كان فيه الصلاح التام لجميع المسلمين مع ما خص الله به محمداً سيد المرسلين، وقوله: "**فَيُنْمِي خَيْراً**". يقال: نميت الحديث بالتخفيف أسندته ونميته بالتثقيل أبلغته لكن على جهة الفساد.

وَمِنْهَا: أنّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ينام ثم يصلّي ولا يتوضأ، لأنّه كان محفوظاً في نفسه إذ كانت تنام عينه ولا ينام قلبه، على ما ثبت عنه بنقل العدل عن العدل في الصحيحين، وفي صحيح البخاري عن عكرمة عن ابن عباس أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى، ولم يتوضأ. قال ابن عباس لأنه كان محفوظاً[٤٦٤].

---

[٤٦٤]- لفظ الحديث في البخاري "حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا شعبة عن الحكم قال: سمعت سسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بت في بيت خالتي ميمونة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء ثم جاء فصلى أربع ركعات ثم نام ثم قام، فجئت فقمت عن يساره فجعلني عن يمينه فصلى خمس ركعات، ثم صلى ركعتين، ثم نام حتى سمعت غطيطه، أو قال خطيطه ثم خرج الى الصلاة".

فإن قيل: فكيف ذهب عن الوقت و لم يشعر به حتى طلعت الشمس، على ما ثبت في حديث أبي هريرة[٤٦٥] حين قفل من خيبر،

رواته ثقات، درجته: إسناده صحيح.

تخريجه: (١) البخاري كتاب (الآذان) باب (يقوم عن يمين الإمام بحذائه سواء اذا كانا اثنين) ١٧٠/١ وخرجه في كتاب (العلم) باب (السمر في العلم) ٣٧/١ وأيضاً في كتاب (التمني) باب قول النبي صلى الله عليه وسلم ليت كذا وكذا ١٢٩/٧ . مسلم :كتاب (فضائل الصحابة) باب (في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه) ١٨٧٥/٢ حديث ٣٩ (٢٤١٠) نحوه.

(٣) مسند أحمد ١٤١/١ مثله.

سليمان بن حرب الأسدي الواشحي بمعجمة ثم مهملة البصري القاضي بمكة ثقة إمام حافظ من التاسعة مات سنة أربع وعشرين وله ثمانون سنة.

٤٦٥)- لفظ الحديث في صحيح مسلم "حدثني حرملة بن يحيى التجيبي أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من غزوة خيبر سار ليله حتى إذا أدركه الكرى عرس وقال لبلال: اكلأ لنا الليل. فصلى بلال ما قدر له. ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فلما تقارب الفجر استند بلال الى راحلته مواجه الفجر فغلبت بلالاً عيناه، وهو مستند الى راحلته فلم يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم استيقاظاً، ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أي بلال" فقال بلال: "أخذ بنفسي الذي أخذ. بأبي أنت وأمي يا رسول الله بنفسك". قال: "اقتادوا" فاقتادوا رواحلهم شيئاً ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بلالاً فأقام الصلاة فصلى بهم الصبح. فلما قضى الصلاة قال: "من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله قال: ﴿أقم الصلاة لذكري﴾ (طه ١٤).

وأنّه نام عن الصلاة من رواية جماعة من الصحابة، وقوله في مرسل سعيد بن المسيب فيما رواه جماعة رواة الموطأ، وأنه قال لبلال "**اكْلأْ لَنَا الصُّبْحَ، وَاحْفَظْ عَلَيْنَا وَقْتَ صَلاَتِنَا**"، وأصل الكلاية الحفظ والرعاية والمنع، وهي كلمة مهموزة، فأمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يرقب لهم انفجار الصبح فيشعر به في أول طلوعه، لأن من نامت عيناه لم ير هذا في أوله، ونوم العين يمنع من مثل هذا لا نوم القلب، وكانت عادة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يغلس بصلاة الصبح، وكانت عادته كما أخبر عن نفسه في قوله: "**إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي**" فأطلق ذلك على نفسه إطلاقاً غير مقيد بوقت.

قال يونس: وكان شهاب يقرؤها للذكرى.

درجته: صحيح بسنده، تخريجه: (١) مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها ٤٧١/١ حديث ٣٠٩ (٦٨٠).

(٢) أبو داود وكتاب الصلاة باب من نام عن الصلاة أو نسيها ٣٠٢/١ حديث ٤٣٥ نحوه.

(٣) الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة "طه" ٣١٩/٥ نحوه.

المفردات: قفل من غزوة خيبر: أي رجع والقفول. الرجوع، ويقال: غزوة وغزاة.

أدركه الكرى عرس: الكرى : النعاس، وقيل النوم. والتعريس : نزول المسافرين آخر الليل للنوم.

اكلأ لنا: أي أرقبه واحفظه واحرسه..

مواجه الفجر: أي مستقبله.

اقتادوا: قودوا رواحلكم لانفسكم.

وفي صحيح البخاري في المناقب، في باب، كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلاَ يَنَامُ قَلْبُهُ". حدّثنا اسماعيل، قال حدثني أخي، عن سليمان، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، سمعت أنس بن مالك، فحدّثنا عن ليلة أسري بالنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مسجد الكعبة: جاءه ثلاثة[٤٦٦] نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام. فقال أولهم: أيهم هو؟ قال: أوسطهم هو خيرهم، وقال آخرهم: خذوا خيرهم فكانت تلك فلم يرهم حتى جاؤوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نائمة عيناه، ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فتولاّه جبريل ثم عرج به الى السماء[٤٦٧].

---

[٤٦٦]- في (أ) و(ب) "ثلاث" بغير تاء وهو خطأ.

[٤٦٧]- رواته ثقاة، درجته: إسناده صحيح.

تخريجه: (١) البخاري كتاب المناقب باب كان النبي صلى الله عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه ١٦٨/٤ لفظه.

(٢) مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عيه وسلم في الليل وأن الوتر ركعة وأن الركعة صلاة صحيحة ٥٠٩/١ حديث ١٢٥. (٠٧٣٨) وقد أورد جزءاً من الحديث وهو آخرها بلفظ "يا عائشة ان عينيّ تنامان ولا ينام قلبي".

(٣) أبو داود كتاب الطهارة باب في الوضوء في النوم ١٣٩/١ على نحو ما في مسلم.

وهذا الحديث فيه من الأوهام والغلط وقلة التيقظ والضبط كثير جداً. وذلك أن إسماعيل هو ابن أبي أويس واسم أبي أويس عبد الله بن أبي عامر الأصبحي ابن عم مالك وابن اخته وزوج ابنته، وقد اختلف أهل العلم في ثقته: فقال يحيى بن معين ابن أبي أويس ، وأبوه: لا يساوي نواة، وقال ابن الجنيد قال ابن معين: اسماعيل بن ابي أويس مخلط يكذب ليس بشيء. وقال النصر بن سلمة المروزى: هو كذاب. وقال النسوي :ضعيف .و قال أحمد بن أبي خيثمة في تاريخه: سمعت يحيى بن معين يقول: اسماعيل بن أبي أويس صدوق ضعيف العقل. فهذا بعض كلام الناس في اسماعيل[468].

---

(٤) الترمذي كتاب الفتى باب ما جاء في ذكر ابن صائد ٥١٨/٤ على نحو ما في أبي داود.

[468]- اسماعيل بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي أبو عبد الله بن أبي أويس ابن أخت مالك، ونسيبه روى عن أبيه وأخيه أبي بكر وخاله، وأكثر وعن سلمة بن وردان وابن أبي الزناد وعبد العزيز الماجشون وسليمان بن بلال واسماعيل بن ابراهيم بن عقبة وكثير بن عبد الله وغيرهم، وعنه البخاري ومسلم، وهما والباقون بواسطة ابراهيم بن سعيد الجوهري وأحمد بن صالح المصري والحسن غير منسوب ،وابي خيثمة والدارمي وأحمد بن يوسف السلمي وجعفر بن مسافر وعبد الله بن محمد بن يزيد بن خنيس وأبو حاتم وقتيبة والحارث ابن أبي اسسامةوخلق.

قال أبو طالب عن أحمد: لا بأس به، وكذا قال عثمان الدارمي عن ابن معين، وقال ابن معين، وقال ابن ابي خيثمة عنه: صدوق ضعيف العقل ليس بذاك، يعني أنه لا يحسن الحديث، ولا يعرف أن يؤديه، أو يقرأ من غير كتابة، وقال معاوية بن صالح

وأما عبد الحميد أخـو اسماعيل هـذا، ويكنـى أبـا بكـر ويعـرف بالأعشى فصيح لا بأس به، وأما سـليمان فهـو ابـن بـلال أحـد ثقـات المسلمين، وأما شريك فرجل صدوق كثير الأوهام والغلط بين السقط، وقد قال في هذا الحديث عـن أنـس و لم يعرفـه[٤٦٩] إلى النبيِّ صَلَّـى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه ليلة أسري به جاءه ثلاثة[٤٧٠] نفر قبل أن يوحـى إليـه، والإسراء كان بعد البعث باتفاق علماء الأمصـار، ومسـتندات الآثـار، فقال الزهري :أسري برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد مبعثه بخمس سنين. وقال موسى بن عقبة: قبل الهجرة بسنة. وقال ابن فارس: فلمّـا

عنه: هو وأبوه ضعيفان وقال عبد الوهاب بن عصمة عن أحمد بن أبي يحيى عن ابن معين بن ابي أويس وأبوه يسرقان الحديث وقال ابراهيم بن الجنيد عن يحيى: مخلط يكذب ليس شيئاً. وقال أبو حاتم محله الصدق، وكان مفضلاً .وقال النسائي: ضعيف وقال في موضع آخر: غير ثقة، وقال اللالكائي: بالغ النسائي في الكلام عليه الى أن يؤدي الى تركه، ولعله بان له ما لم يبن لغيره لأن كلام هؤلاء كلهم يؤول الى أنه ضعيف.

وأما الشيخان فلا يظن بهما أنهما أخرجا عنه إلا الصحيح من حديثه الذي شارك فيه الثقات. (تهذيب التهذيب ١/٣١٠ - ٣١٢).

وإنني أرى أن في عدم الظن بالشيخين رداً على وصف المؤلف له بالأوهام، والغلط وقلة التيقظ في الحديث الذي أورده في مؤلفه هذا، وذلك لأن الشيخين لا يجهلانه حين أخذا هذا الحديث وغيره معتمدين على صحته مشاركين فيه الثقات. /ع.

[٤٦٩]- في (أ) و(ب) "ولم يرفعه".

[٤٧٠]- في (أ) و(ب) "ثلاث" وهو خطأ.

أتت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أسري به من بين زمزم والمقام إلى بيت المقدس، وقد ذكرنا اختلاف العلماء[٤٧١] في كتاب (الابتهاج في أحاديث المعراج).

وقد ثبت في جميع المصنّفات، بأسانيد الثقات الأثبات، أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "**إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي**"[٤٧٢].

---

[٤٧١]- وروي أن الاسراء كان قبل الهجرة بأعوام، ووجه ذلك أن خديجة صلت مع النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ماتت قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل بثلاث وقيل بأربع، ولم تفرض الصلاة إلا ليلة الإسراء، وقد اختلفت الرواية عن الزهري في رواية عنه أن الإسراء كان قبل الهجرة بسنة وكذلك الحربي فانه قال: أسري بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة سبع وعشرين من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة، وقال ابن القاسم في تاريخه: كان الإسراء بعد مبعثه بثمانية عشر شهراً. قال ابن عبد البر: لا أعلم أحداً من أهل السير قال بمثل هذا، وروى يونس عن عروة عن عائشة أنها قالت: توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة.

قال الحسن وقتادة: أن النبي صلى الله عليه وسلم أسري به من المسجد نفسه وهو ظاهر القرآن. وقال عامة المفسرين أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من دار أم هاني فحمله المسجد الحرام على مكة، أو الحرم لإحاطة كل منهما بالمسجد الحرام، أو لأن الحرم كله مسجد.

بيت المقدس: وسمي الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ولم يكن حينئذ وراءه مسجد. (فتح القدير ٣/٢٠٦ - ٢٠٧).

[٤٧٢]- لفظ الحديث في البخاري "حدثنا اسماعيل قال حدثني مالك عن سعيد المقبري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة رضي الله عنها كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان؟ فقالت: ما كان يزيد في رمضان ولا في غيرها

وزاد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنّه كان يرى من وراء ظهره كما يرى من أمامه، وسيأتي هذا الحديث في موضعه عند أعضائه المقدسة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله، وقال بعض العلماء: إنّ نومه هذا كان خرق عادته ليسن لأمّته، ويعرفهم ما يجب على من نام فيهم عن

على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً فقلت يا رسول الله: أتنام قبل أن توتر؟ قال: يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي".

رواته ثقات، درجته: إسناده صحيح، تخريجه: (١) البخاري كتاب صلاة التراويح باب فضل من قام رمضان ج٢ ص ٢٥٣. وأخرجه في كتاب المناقب باب كان النبي صلى الله عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه - رواه سسعيد بن ميناء عن حابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ج٤ ص ١٦٨.

(٢) مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم في الليل وأن الوتر ركعة. حديث ١٢٥ (٧٣٨) ج١ ص ٥٠٩ لفظ ما جاء في البخاري.

(٣) أبو داود كتاب الطهارة باب في الوضوء من النوم حديث ٢٠٢ ج١ ص ١٣٩ نحوه.

(٤) الترمذي كتاب الفتن باب ما جاء في ذكر ابن صائد حديث ٢٢٤٨ ج٤ ص ٥١٨ نحوه.

المفردات: فلا تسأل عن حسنهن وطولهن: معناه في نهاية من الكمال الحسن والطول مستغنيان بظهور حسنهن وطولهن عن السؤال عنه والوصف.

إن عيني تنامان ولا ينام قلبي: قال الإمام النووي رضي الله عنه: هذا من خصائص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

صلاته حتى يخرج وقتها، وكيف العمل في ذلك؛ فكانت هـذه المسألة رحمة للعالمين.

واعلم أنّ النوم يحكم له بحكم الحدث إذا غمر القلب وخامره، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يخامر النوم قلبه، ألا ترى الى حديث ابن عباس الثابت في الصحيحين، وأثبته البخاري في صحيحه أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نام حتى نفخ، ثم صلّى و لم يتوضأ ثم قال: "**إِنَّ عَيْنَايَ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي**"[٤٧٣].

---

[٤٧٣]- لفظ الحديث في البخاري "حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا سفيان عن عمرو قال أخبرني كريب عن ابن عباس قال: بت عند خالتي ميمونة ليلة، فقام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل فلما كان في بعض الليل قام النبي صلى الله عليه وسلم فتوضأ من شن معلق وضوءاً خفيفاً يخففه عمرو، ويقلله، وقام يصلي. فتوضأت نحواً مما توضأ ثم جئت فقمت عن يساره، وربما قال سفيان عن شماله فحولني فجعلني عن يمينه، ثم صلى ما شاء ثم اضطجع فنام حتى نفخ، ثم أتاه المنادي فآذنه بالصلاة فقام معه الى الصلاة فصلى و لم يتوضأ. قلنا لعمرو أن ناساً يقولون: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه. قال عمرو: سمعت عبيد بن عمير يقول رؤيا الأنبياء وحي، ثم قرأ: ﴿إني أرى في المنام أني أذبحك﴾.

رواته ثقات، درجته: اسناده صحيح، تخريجه: (١) البخاري كتاب الوضوء باب التخفيف في الوضوء ١/٤٣ - ٤٤.

(٢) مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ١/٥٢٧ نحوه.

(٣) النسائي كتاب التطبيق باب الدعاء في السجود ٢/٢١٨.

ولا يجوز حمل اخباره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صحت عنه على التناقض، عند جميع أهل الإسلام.لأنّه لا يجوز فيها النسخ، فيحصل من هذا أنّ سرّه وباطنه وروحه، بخلاف جسمه وظاهره لأن غيره إذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه، وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نومه حاضر القلب، كما هو في يقظته وجسمه، وظاهره خالص البشر يجوز عليه من الآفات والآلام والأسقام ويجرع كأس الحمام ما يجوز على البشر.

وهذا كله ليس بنقيصة فيه لأنّ الشيء إنما يسمى ناقصاً بالإضافة الى ما هو أتمّ منه وأكمل من نوعه، فامتحنهم الله ليتحقق بامتحانهم بشريتهم، وقد كتب على جميع البشر الحياة والموت وخلقهم بمدرجة الغير، ونزه بواطنهم بتلقيها الوحي عن الملائكة الكرام، وأكرمهم بما ظهر على أيديهم من المعجزات الجسام، والمعرفة دون قراءة بوجوه الأحكام.

وَمِنْهَا: أنّه أباح له الوصال في الصوم، قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله. قال:" **إِنَّكُمْ لَسْتُمْ فِي ذلِكَ مِثْلِي إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي**". وفي رواية الصحيحين:" **إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ**

المفردات: شن معلقة: هكذا وردت في صحيح مسلم مؤنثة وقد انتهى على ارادة القربة، وفي رواية البخاري: شن معلق: على ارادة السقاء. والوعاء: قال أهل اللغة الشن : القربة الخلق وجمعها شنان.

أَطْعَمُ وَأُسْقَى"[474]، وللحديث طرق في الصحيحين وسأتكلم عليه إن شاء الله عند ذكري شهر رمضان الذي كرمه الله.

وَمِنْهَا: أنّ صلاته التطوع من غير علة قاعداً مثل صلاته قائماً. لما ثبت في صحيح مسلم وغيره، عن عبد الله بن عمرو قال:" **حُدِّثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: صَلاَةُ الرَّجُلِ قَاعِداً نِصْفُ**

---

[474]- لفظ الحديث في البخاري "حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصوم. فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله. قال وأيكم مثلي إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني، فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوماً ثم يوماً، ثم رأوا الهلال فقال: لو تأخر لزدتكم، كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا".

رواته ثقات، درجته: اسناده صحيح، تخريجه: (١) البخاري كتاب الصوم باب التنكيل لمن أكثر الوصال رواه أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ٢/٢٤٢ - ٢٤٣ وقد أورده في كتاب الصوم بروايات متقاربة.

(٢) مسلم كتاب الصوم باب النهي عن الوصال في الصوم ١/ ٧٧٤ حديث ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ (١١٠٢ - ١١٠٣).

المفردات: الوصال في الصوم: أن يستمر الصائم في صومه يومين أو أكثر من غير أن يتناول شيئاً من المفطرات ليلاً بلا عذر.

وأيكم مثلي: أي هذا شأني وهذه صفتي ومنزلتي؟ والاستفهام للتوبيخ.

كالتنكيل لهم: هذه الجملة من كلام الراوي، والمراد بها أنه صلى الله عليه وسلم واصل بهم بعد نهيه لهم عن الوصال، وهذه من باب الزجر والمقابلة لهم.

الصَّلاَةِ. قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي جَالِساً فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو؟ قُلْتُ: حُدِّثْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ قُلْتَ صَلاَةُ الرَّجُلِ قَاعِداً عَلَى نِصْفِ الصَّلاَةِ، وَأَنْتَ تُصَلِّي قَاعِداً. قَالَ: أَجَلْ وَلَكِنِّي لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ"[٤٧٥] أخرجه مسلم في صحيحه، عن زهير بن حرب، قال: حدّثنا جرير، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن أبي يحيى، عن عبد الله بن عمرو، وأبي يحيى بن الأعرج، أجل: مخففة اللام مبنية على السكون بمعنى نعم.

---

[٤٧٥]- رواته ثقات، إسناده صحيح، تخريجه: (١) البخاري كتاب تقصير الصلاة باب صلاة القاعد ٢/ ٤٠ نحوه.

(٢) مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب جواز النافلة قائماً وقاعداً وفعل بعض الركعة قائماً وبعضها قاعداً ١/ ٥٠٧ حديث (٧٣٥) لفظه.

(٣)أبو داود كتاب الصلاة باب في صلاة القاعد ١/ ٥٨٣.

(٤) مسند أحمد ٤/ ٤٣٣ - ٤٤٢ - ٤٤٣. بالفاظ متقاربة لرواية البخاري.

المفردات: حُدثت: أي حدثني ناس.

هذا إذا كان في صلاة التطوع أما إذا كان في صلاة الفرض و لم يتأت له القيام عدل الى القعود ولا ينقص ثوابه، لأنه معذور، ولا نعني بالعجز عدم تأتي القيام، بل خوف الهلاك أو زيادة المرض أو لحوق مشقة شديدة والذي اختاره امام الحرمين في ضبط العجز أن يلحق بالقيام مشقة تذهب خشوعة.

روضة الطالبين ١/ ٢٣٣ - ٢٣٤.

وأخرج البخاري في صحيحه، عن عمران بن حصين،[٤٧٦] قال:" سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَلاَةِ الرَّجُلِ وَهُوَ

---

[٤٧٦]- رواته ثقات، إسناده صحيح.

تخريجه: (١) البخاري كتاب تقصير الصلاة باب صلاة القاعد ٢/٤٠ لفظه.

عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن عبد نهم بن حذيفة بن جهمة بن غاضرة ابن حبشة بن كعب بن عمرو الخزاعي هكذا نسبه الكلبي ومن تبعه.

وعن أبي عمرو عبد الله نعم بن سالم بن غاضرة، ويكنى أبا نجيد بنون وجيم مصغراً روى عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث وكان إسلامه عام خيبر، وغزا عدة غزوات، وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح: قاله ابن البرقي. وقال الطبراني أسسلم قديماً هو وأبوه وأخته، وكان ينزل ببلاد قومه، ثم تحول الى البصرة الى أن مات بها.

روى عنه ابنه نجيد وأبو الأسود الدؤلي وأبو رجاء العطاردي وربعي بن حراش ومطرف وأبو العلاء ابنا عبد الله بن الشخير وزهدم الجرمي وصفوان بن محرز وزارة ابن أبي أوفى وآخرون. وأخرج الطبراني بسند صحيح عن سعيد بن أبي هلال عن أبي الأسود الدؤلي قال: قدمت البصرة وبها عمران بن حصين: فكان عمر بعثه ليفقه أهلها.

وقال خليفة: استقصى عبد الله بن عامر عمران بن حصين على البصرة فأقام أياماً ثم استعفاه. وقال أبو عمر: كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم يقول عنه أهل البصرة: انه كان يرى الحفظة وكانت تكلمه حتى اكتوى.

وقال أبو نعيم: كان مجاب الدعوة، وقال الدارمي: حدثنا سليمان بن حرب حدثنا أبو هلال حدثنا قتادة عن مطرف قال عمران بن حصين: اني محدثك بحديث انه كان يسلم علي وان ابن زياد أمرنا فاكتويت فاحتبس حتى ذهب أثراً لكي ... مات سنة اثنين وخمسين وقيل سنة ثلاث.

الاصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٧٠٥ - ٧٠٦.

قَاعِدٌ، فَقَالَ: مَنْ صَلَّى قَائِماً فَهُوَ أَفْضَلُ، وَمَنْ صَلَّى قَاعِداً فَلَهُ نِصْفُ أَجْرِ القَائِمِ، وَمَنْ صَلَّى نَائِماً فَلَهُ نِصْفُ أَجْرِ القَاعِدِ". وله طرق، وهذا أحدها.

وَمِنْهَا: أنّه يدعو المصلي في حال صلاته فتلزمه إجابته، لما ثبت في الصحيح من حديث أبي سعيد بن المُعَلّى قال: " كُنْتُ أُصَلِّي فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِينِ؟ أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلْرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾[477] الحديث بطوله أخرجه البخاري في صحيحه منفرداً به في تفسير سورة الأنفال بنقل العدول الحفاظ عن أبي سعيد عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[478]

---

[477]- الأنفال الآية ٢٤.

[478]- لفظ الحديث في البخاري: "حدثني إسحق، قال: أخبرنا روح، حدثنا شعبة، عن خبيب بن عبد الرحمن، قال: سمعت حفص بن عاصم، يحدث عن أبي سعيد بن المُعَلّى رضي الله عنه،قال:" كُنْتُ أُصَلِّي، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَانِي، فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ. فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأتِ؟ أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلْرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ ثُمَّ قَالَ لأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ. فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَخْرُجَ فَذَكَرْتُهُ لَهُ". وقال معاذ: حدثنا شعبة، عن خبيب بن عبد الرحمن، سمع حفصاً، سمع أبا سعيد رجلاً من أصحاب النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا، وقال: هي "الحمد لله رب العالمين السبع

وقد اختلف في اسم أبي سعيد هذا فقيل اسمه رافع بن المعلّى، وذلك باطل بيقين، لأنّ رافع بن المعلّى قتل ببدر، وقيل اسمه أبو سعيد بن أوس بن المعلّى، وأصح ما فيه والله أعلم، أنّه الحارث بن نفيع بن العلي بن لوذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة الرزقي الأنصاري، توفي سنة أربع وسبعين وهو ابن أربع وسبعين سنة.

قال الخطابي وقد تقدم سندي إليه، فيه دليل على أنّ الخصوص والعموم إذا تقابلا كان العام[٤٧٩] منزلاً على الخاص، وذلك أنّ النبيّ

المثاني"رواته ثقات، درجته: اسناده صحيح، تخريجه: البخاري كتاب تفسير القرآن باب ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول﴾. الآية ١٩٩/٥.

المفردات: استجيبوا: أي أجيبوا.

إذا دعاكم: أي للحرب الذي أعزكم الله تعالى بها بعد الذل، وقواكم بها بعد الضعف، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم.ابن كثير ٢:٢٩٨.

[٤٧٩]- وألفاظ العموم خمسة أقسام، كل اسم عرف بالألف واللام - وهي ثلاثة أنواع: الأول ألفاظ الجموع كالمسلمين والمشركين. الثاني: اسماء الأجنا س وهو ما لا واحد له من لفظه كالناس والحيوان، والثالث الواحد كالسارق والسارقة. والقسم الثاني من ألفاظ العموم: ما أضيف من هذه الأنواع الثلاثة الى معرفة كيد زيد. ومن الفاظ العموم كذلك أدوات الشرط كمن في من يعقل ومافيما لايعقل ، وأي في الجميع، وأين وأيان في المكان، ومتى في الزمان ونحوه،وكقوله تعالى :﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ ﴿ والله خالق كل شيء﴾ والفكرة في سياق النفي وقوله تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه﴾. قال البستي: الكامل في العموم هو الجمع لوجود صورته

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرّم الكلام في الصلاة، فكـان ظـاهر ذلـك علـى العموم في الأعيان والأزمان، ثم كان الكلام الذي هو إجابة الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم مستثنى منه ، وفيه بيان أن إجابة النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد تحريم الكلام في الصلاة لا تفسد الصلاة.

قال ذو النسبين أيده الله: وصدق الخطابي رحمه الله بأنّ رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استدل بهذه الآيـة في إجابـة دعائـه الرجـل في صلاته والله أعلم بما أنزل عليه.

وَمِنْهَا: أنّه أبيح له القتل لمن اتهمه بالزنا[٤٨٠].

ومعناه، وما عداه قاصر في العموم، لأنه بصيغته يتناول واحداً لكنه ينتظم جمعاً من المسميات معنى، فالعموم قائم بمعناها لا بصيغتها. (روضة الناظر وجنة المناظر ١١٦). أما التخصيص فهو اخراج ما يمكن دخوله تحت اللفظ – ومنه قوله تعالى: ﴿تدمر كلّ شيءٍ بأمر ربها﴾ خرج منه السماء والأرض وأمور كثيرة بالحس. ﴿ولله على الناس حجّ البيت من استطاع اليه سبيلا﴾ خرج منه من لا يفهم لدلالة الفعل على استحالة تكليف من لا يفهم واللفظ الخاص يخصص اللفظ العام كقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا قطع إلا في ربع دينار" خصص عموم قوله تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ وقوله عليه السلام: "لا زكاة فيما دون خمسة أوسق" خصص عموم قوله ﴿فيما سقت السماء العشر﴾. (انظر روضة الناظر وجنة المناظر ١٢٧)

[٤٨٠]- والحديث الذي ورد في ذلك في صحيح مسلم وهذا لفظه: "حدثني زهير بن حرب حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت عن أنس أن رجلاً كان يهتـم بـأم ولـد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: "اذهـب فاضرب عنقه" فأتاه علي فإذا هو في ركى يتبرد فيها ، فقال له علي: اخرج فناوله يده

ولا يجوز ذلك لغيره بإجماع، إلاّ باعتراف أو رؤية الذكر في الفرج كالمرود في المكحلة أو الرشأ في البئر، ويشهد على معاينة ذلك أربعة شهداء فإن رجع واحد منهم عن الشهادة وجب عليهم الحد،

فأخرجه فإذا هو مجبوب ليس له ذكر فكفّ علي عنه، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه لمجبوب ما له ذكر.

وفي لفظ آخر وجده في نخلة يجمع تمراً وهو ملفوف بخرقة فلما رأى السيف ارتعد وسقطت الخرقة فإذا هو مجبوب لا ذكر له، وقد استشكل هذا القضاء على كثير من الناس، فطعن بعضهم في الحديث ولكن ليس في إسناده من يتعلق عليه، وتأوّله بعضهم على أنه صلى الله عليه وسلم لم يرد حقيقة القتل إنما أراد تخويفه ليزدجر عن مجيئه إليها. قال: وهكذا كما قال سليمان للمرأتين اللتين اختصمتا إليه في الولد: علي بالسكين حتى أشق الولد بينهما، و لم يرد أن يفعل ذلك بل أراد استعلام الأمر من هذا القول، ولذلك كان من تراجم الأئمة على هذا الحديث باب الحاكم يوهم غير الحق ليتوصل به الى معرفة الحق، فأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرف الصحابة براءته وبراءة مارية، وعلم أنه إذا عابت السيف كشف حقيقة حاله فجاء الأمر كما قدره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحسن من هذا أن يقال: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر علياً رضي الله عنه بقتله تعزيراً لإقدامه وجرأته على خلوته بأم ولده، فلما تبين لعلي حقيقة الحال وأنه بريء من الريبة كف عن قتله ، واستغنى عن القتل بتبين الحال والتعزير بالقتل ليس بلازم كالحد بل هو تابع للمصلحة دائماً معها وجوداً وعدماً. (زاد المعاد في هدي خير العباد).

درجته : صحيح بسنده، تخريجه: (١) مسلم كتاب التوبة باب براءة حرم النبي صلى الله عليه وسلم من الريبة ج٣ ص ٢١٣٩ حديث ٥٩ (٢٧٧١).

(٢) مسند أحمد ج٣ ص ٢٨١ بلفظه إلا أنه قال كان يتهم "بامرأة".

وحسبك بما كان من ذلك بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، بمحضر الصحابة رضي الله عنهم وأن عمر أمر بأبي بكرة فحدّ وأمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب حاضر في مثل هذه القصة بعينها، لكنّ أبا بكرة أحد من شهد على المغيرة[٤٨١]. بن شعبة بالزنا ،

---

[٤٨١]- وهذه القصة رأيت استيفاءها من كتب التاريخ وهذا نصها: قال وفي هذه السنة ولى عمر أبا موسى البصرة، وأمر أن يشخص إليه المغيرة، فشهد عليه فيما حدثني معمر عن الزهري عن ابن المسيب أبو بكرة، وشبل بن معبد النجلي، ونافع بن كلدة، وزياد.

قال وحدثني محمد بن يعقوب بن عتبة عن أبيه قال: كان يختلف الى أم جميل امرأة من بني هلال، وكان لها زوج هلك قبل ذلك من ثقيف يقال له الحجاج بن عبيد، فكان يدخل عليها فبلغ ذلك أهل البصرة فأعظموه، فخرج المغيرة يوماً من الأيام حتى دخل عليها، وقد وضعوا عليها، فانطلق القوم الذين شهدوا جميعا فكشفوا الستر فقد واقعها، فوفد أبو بكرة الى عمر فقص عليه القصة فبعث عمر أبا موسى الأشعري عاملاً وأمره أن يبعث إليه المغيرة فبعثه إليه، فقال له عمر: إنك لفارغ القلب طويل الشبق. فصار عمر يسأل عن المرأة، وكان المغيرة وأبو بكرة متجاورين بينهما طريق، وفي دار كل منهما كوة مقابلة الأخرى فاجتمع الى أبي بكرة نفر يتحدثون في مشربية فهبت ريح ففتحت باب الكوة فقام أبو بكرة فبصر المغيرة، وقد فتحت الريح باب كوة مشربته وهو بين رجلي امرأة ، فقال للنفر قوموا فانظروا، فقاموا فنظروا، ثم قال: اشهدوا. قالوا: من هذه؟ قال أم جميل امرأة الأفقم. قالوا: إنما رأينا أعجازاً ولا ندري ما الوجه؟ ثم إنهم صمموا حتى قامت. وارتحل المغيرة، وأبو بكرة، ونافع بن كلدة، وزياد، وسبل بن معبد، فجمع بينهم وبين المغيرة، فبدأ بأبي بكرة فشهد عليه أنه رآه بين رجلي أم جميل، وهو يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة، ثم دعا بشبل بن

وابوبكرة من فضلاء الصحابة وخيارهم ، فكان هذا الحكم خاصاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، (أخرجه مسلم في صحيحه) .

وقد تقدمت أسانيدي إليه عن أهل المشرق والمغرب، وأنا الآن أذكر طريقاً واحداً منها: حدّثني الشيخ الصالح أبو الحسن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد الجرجاني، قراءة منّي عليه بمسجد المطرز بشادياخ نيسابور، قال: حدثنا فقيه الحرمين أبو عبد الله الصاعدي، سماعاً عليه بمسجد المطرز بمربعة نيسابور سنة أربع وعشرين وخمسمائة، قال: حدثنا به العدل أبو الحسن الفارسي سماعاً عليه سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وفيها مات قال: حدثنا الحاكم أبو أحمد قراءة، قال: حدثنا عابد خراسان الفقيه أبو إسحق ابراهيم بن سفيان سماعاً عليه، قال: حدثنا فخر نيسابور وحافظها أبو الحسن[٤٨٢] مسلم بن الحجاج بن

معبد فشهد بمثل ذلك، وشهد نافع بمثل شهادة أبي بكرة و لم يشهد زياد بمثل شهادتهم. قال هل رأيت كالميل في المكحلة قال: لا.قال هل تعرف المرأة؟ قال: لا، ولكني أشبهها. قال: فتنحى، وأمر بالثلاثة فجلدوا الحد وقرأ: ﴿فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ (سورة النور الآية ٣٣). وأما المغيرة فقال والله إنها امرأتي لشبهة بها. (تاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ج٤ ص ٦٩ - ٧٢).

[٤٨٢]- هو الامام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري - من بني قشير قبيلة من قبائل العرب معروفة - النيسابوري إمام أهل الحديث. ومن شيوخه - سمع قتيبة بن سعيد

مسلم، زاد الحافظ أبو بكر محمد بن ابراهيم الكسائي في روايته، عن الفقيه أبي إسحق المذكور، قال: فرغ لنا مسلم من قراءة الكتاب لعشر خلون من شهر رمضان سنة سبع وخمسين ومائتين،قال: حدثنا [٤٨٣]

والقعنبي، وأحمد بن حنبل وإسماعيل بن أبي أويس ويحيى، وأبا بكر وعثمان ابني أبي شيبة، وعبد الله بن اسماء وغيرهم.

وروى عنه - أبو عيسى الترمذي، ويحيى بن صاعد، ومحمد بن مخلد، وابراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه الزاهد، وهو رواية صحيح مسلم، ومحمد بن اسحق بن خزيمةوغيرهم.

وأجمع العلماء على جلالته وامامته وعلو مرتبته وحذقه في هذه الصنعة ، وتقدمه فيها وتضلعه منها ، ومن أكبر الدلائل على جلالته وإمامته وورعه وحذقه وقعوده في علوم الحديث واضطلاعه منها وتفننه فيها كتابه الصحيح، الذي لم يوجد في كتاب قبله ولا بعده من حسن الترتيب وتلخيص طرق الحديث بغير زيادة ولا نقصان، والاحتراز من التحويل في الأسانيد عند اتفاقها من غير زيادة، وتنبيهه على ما في ألفاظ الرواة من اختلاف في متن أو إسناد.

توفي مسلم رحمه الله تعالى بنيسابور سنة إحدى وستين ومائتين عشية يوم الأحد ، ودفن يوم الاثنين لخمس بقين من رجب وهو ابن خمس وخمسين سنة رضي الله عنه. (مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي ١/٣ - ٥).

[٤٨٣]- درجته: صحيح بسنده، تخريجه: (١) مسلم كتاب التوبة باب براءة حرم النبي صلى الله عليه وسلم من الريبة ٢١٣٩/٣ حديث ٥٩ (٢٧٧١) لفظه.

(٢) مسند أحمد ٣/ ٢٨١ نحوه.

المفردات: الركى: البئر.

زهير[٤٨٤] بن حرب، قال: حدثنا عفان، قال: حدثنا حماد[٤٨٥] بن سلمة، قال: أخبرنا ثابت، عن أنس" **أَنَّ رَجُلاً كَانَ يُتَّهَمُ بِأُمِّ وَلَدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِّي اذْهَبْ فَاضْرِبَ عُنُقَهُ، فَأَتَاهُ عَلِيٌّ فَإِذَا هُوَ فِي رَكَى يَتَبَرَّدُ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: اخْرُجْ فَنَاوَلَهُ يَدَهُ، فَأَخْرَجَهُ، فَإِذَا هُوَ مَجْبُوبُ لَيْسَ لَهُ ذَكَرٌ، فَكَفَّ عَنْهُ عَلِيٌّ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ لَمَجْبُوبٌ مَا لَهُ ذَكَرٌ**".

قوله "في ركى"، ولا يقال ركى وركية إلا إذا كان فيها ماء قلّ أو كثر، وإلا فهو بئر، وقوله:" إنّه لمجبوب الذكر": أي، مستأصل مقطوع الذكر.

وَمِنْهَا: أنّه أبيح له الحكم لنفسه وقبول شهادة من يشهد له بقوله. قال الفقيه أبو العباس بن القاضي الطبري: وإذا جاز له ذلك جاز أن يحكم لولده ولولد ولده.

---

٤٨٤)- زهير بن حرب بن شداد أبو خيثمة النسائي نزيل بغداد ثقة ثبت روى عنه مسلم أكثر من ألف حديث من العاشرة مات سنة أربع وثلاثين وهو ابن اربع وسبعين. (تقريب التهذيب ١٠٨).

٤٨٥)- حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة ثقة عابد اثبت الناس في ثابت وتغير حفظه بآخره من كبار الثامنة مات سنة سبع وستين. (تقريب التهذيب ٨٢).

وَمِنْهَا : أنّه منع الشيطان أن يتمثل له .

ثبت في الصحيحين[٤٨٦] وغيرهما أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " **مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَقَدْ رَأَى الحَقَّ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَصَوَّرُ بِي وَلاَ يَتَمَثَّلُ**".

رواه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جماعة من الصحابة منهم أبو قتادة، وفي حديث جابر عن رسو ل الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَقَدْ رَآنِي إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِلْشَيْطَانِ أَنْ يَتَمَثَّلَ فِي صُورَتِي**". وله طرق. وفي صحيح البخاري أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:" **فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَكَوَّنُنِي**". فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

[٤٨٦]- رواته ثقات، درجته: إسناده صحيح، تخريجه: (١) البخاري كتاب الأدب باب من سمي بأسماء الأنبياء ١١٨/٧ وقد خرجه في كتاب التعبير وفي كتاب العلم بروايات متقاربة ٣٦/١٠.

(٢) مسلم كتاب الرؤيا باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "من رآني في المنام فقد رآني" ١٧٧٥/٢ وقد أورده بروايات مختلفة متقاربة.

(٣) الترمذي كتاب الرؤيا باب ما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من رآني في المنام فقد رآني" ٥٣٥/٤ نحو ما في مسلم.

وَسَلَّمَ:" **فَقَدْ رَأَى الحَقَّ**"، أي رؤيا صادقة، أي ليست يضغث، والأضغاث: الأحلام الملتبسة، وقد قيل: "**رَآنِي**" رأى ذاتي غير مشبهة، وقوله:" **إِنَّ الشَيْطَانَ لاَ يَتكَوَّنُنِي**"، أي بأن يكون كأننا. كما قال في حديث آخر: من الصحيحين: "**لاَ يَتَصَوَّرُ عَلَى صُورَتِي وَلاَ يَتَمَثَّلُ بِي**".

وَمِنْهَا: أنّ الله خصّه بأن جعل معجزته ثابتة في حياته وبعد موته، وكانت معجزات النبيّين تنقطع بوفاتهم.

من خصائصه: أن الصدقة عليه حرام
وخصائص أخـــرى

ومن خصائصه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ الصدقة عليه حرام، والسر في ذلك أربعة أشياء:

الأوّل: دفع التهمة لأنه الآمر بها فلو أخذها لقيل إنما أمر لنفسه.

الثاني: أن الصدقة طهور يطهر الله بها المتصدق من الذنوب، ويغسلهم من الدرن والحوب فلا يكون للمخصوص من الفضل بكل خصيصة أن يأخذ ما يكون في مقابلة ذنب أو نقيصة، لأنّ التكفير والتطهير شأنهما رفع ما كان على صاحب الذنب وستره، والذي يليق بالنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كان مرفوعاً عن ذلك قدره.

والثالث: أنّ الصدقة أوساخ الناس، والأوساخ أخوات الأقذار فلا تليق بالمصطفى المختار صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثبت في صحيح مسلم[٤٨٧] بنقل العدل عن العدل أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد

---

[٤٨٧]- درجته: صحيح بسنده، تخريجه: (١) مسلم كتاب الزكاة باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة ١/٧٥٤ لفظه حديث ١٦٨ (١٠٧٢).

أبو داود كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذوي القربى ٣/٣٨٨ - ٣٨٩ مثله.

المطلب، والفضل بن عباس بن عبد المطلب: "**إِنَّ هذِهِ الصَدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ وَإِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلاَ لآلِ مُحَمَّدٍ**".

وهذا نص في الباب. والوسخ: الدرن. وسماها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسخاً، لأن بها غسل المال من درن البخل.

الرابع: أن يد المعطي فوق يد الآخذ. ثبت في الموطأ والصحيحين وغيرهما:

عن ابن عمر، أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال وهو على المنبر، وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة: "**اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُفْلَى، وَاليَدُ العُلْيَا المُنْفِقَةُ وَالسُفْلَى السَائِلَةُ**". وهذا تفسير من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[488] (الأحزاب الآية ٣٦) فلم يرد

موطأ مالك كتاب الصدقة باب ما يكره من الصدقة ٢/ ١٠٠٠ نحوه.

مسند أحمد ٤٠٢/٣ نحوه وفي ١١٦/٤ بلفظ متقارب.

[488]- رواته ثقات، درجته: إسناده صحيح، تخريجه: (١) البخاري الزكاة باب الصدقة من كسب طيب لقوله: ﴿ويربي الصدقات ...﴾الآية. ١١٢/٢ - ١١٣ نحوه وأخرجه في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ وقوله جل ذكره: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾١٧٧/٨ - ١٧٨.

مسلم كتاب الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ٧٠٢/١ لفظه حديث ٦٣ (١٠٢٤).

الله أن يجعل فوق يد نبيه يداً.فإن قيل: فقد ثبت أيضا باتفاق، أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:" **وَمَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ (وِلاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلاَّ طَيِّباً) إِلاَّ أَخَذَهَا الرَّحْمنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ**

النسائي كتاب الزكاة باب الصدقة من غلول ٥/٥٧ لفظه.

(٤) ابن ماجة كتاب الزكاة باب فضل الصدقة ١/٥٩٠ نحوه.

(٥) مسند أحمد ٢/٢٦٨ مثله.

المفردات: "إلا أخذها الرحمن بيمينه": كنى عن قبول الصدقة بأخذها في الكف وعن تضعيف أجرها بالتربية.

"فتربو" أي تزيد. قال تعالى: ﴿وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله﴾.

"فلوه أو فصيله" قال أهل اللغة: الفلو: المهر، سمي بذلك لأنه فلى عن أمه أي فصل وعزل، والفصيل: ولد الناقة إذا فصل من إرضاع أمه. فعيل بمعنى مفعول كجريح وقتيل بمعنى مجروح ومقتول.

وفي الفلو لغتان: أفصحهما وأشهرهما فتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو. والثانية كسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو.

"ان الله طيب: قال القضي الطيب في صفة الله تعالى بمعنى: المنزه عن النقائص ، وهو بمعنى القدوس. وأصل الطيب الزكاة والطهارة والسلامة من الخبث.

من طيب: أي حلال، وقد يطلق على المستلذ ولكن المراد هنا هو الحلال.

بيمينه: المروي عن السلف في هذا أو أمثاله" من المتشابه" أن يؤمن المرء به ويكل علمه الى العليم الخبير. وقيل: هو كناية عن الرضا والقبول.

"وان كانت تمرة أي ولو كانت الصدقة شيئاً حقيراً. وفي الحديث: "تصدق ولو بشق تمرة".

تَمْرَةً فَترْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمنِ حَتّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ".

وله طرق في الصحيحين، وإذا كان الرحمن جلّ وعلا هو آخذها بيمينه فكيف ينسب الى نبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لـو أخذهـا نقـص؟ والجواب أنّ اليمين والكف ليسا على الإطـلاق الجسـمي، ويتعـالى الله عن الجارحة وصفات المخلوقين علواً كبيراً وإنما أطلقهـا، أعـني اليمـين والكف كناية عن القبول والثواب والرضا بذلك العمل والشـكر عليـه بالجزاء.

كما قال الشمّاخ:

إِذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاهَا عُرابَةُ باليَمِينِ

استعار لخصال المجد رايـة، وللمبـادرة الى فعلهـا، أو الرغبـة فيهـا يميناً، والعرب كـانت تعـد أيـام السـرور وفوائدهـا مـن الدنيـا بـاليمين ويكون ضد ذلك بالشمال. قال الشاعر:

أَبَيْنِي أَفِي يُمْنَى يَدَيْكِ جَعَلْتِنِي ... فَأَفْرَحُ أَمْ صَيَّرْتِنِي فِي شِمَالِك

فعوملوا وخوطبـوا بذلـك، فـأراد بذلـك أنـه تعـالى يقبلهـا علـى وجـه الكرامة قال من يأخذ شيئاً من غيره بيمينه فكأنه أكرمه به.

وكذلك لّما كـان أكـثر الأخـذ والعطـاء بـاليمين، اسـتعير لكـثرة العطاء وسعته ولسرعة القبول أيضاً، وقيل: هو إشارة الى أفضل جهات الإعطاء والبـذل والقبـول والقبـض، ولمـا كـان ذلـك بإعطـاء وأخـذ ،

حسن إطلاق اليمين والكف، وكنى بالكف لأنها أعز محل يقبل به الشيء فهي أدل على الرضى وكذلك اليمين، وأقرب الى طمأنينة المعطي بالثواب، حتّى كأنّه أعطى ما قبض منه وتسلم عنه من حيث المعنى، فيطمئن قلبه بثواب الله تعالى الذي كأنه الآخذ منه لأنه المثيب له، فأما يد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهي يد جارحة؛ فلو تسلم الصدقة[489] لكانت يد المعطي فوقها حقيقة، وهي دونها منزلة، وهذا

[489]- كما أن الصدقة لا تحل لنبي ولا له، وقد وردت في ذلك الأحاديث منها: حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا محمد بن زياد قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن ابن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: كخ كخ. ليطرحها ثم قال: أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة.

رواته ثقات، درجته: إسناده صحيح، تخريجه: (١) البخاري الزكاة باب ما يذكر في الصدقة للنبي صلى الله عليه وسلم ١٣٥/٢ لفظه.

(٢) مسلم كتاب الزكاة باب تحريم الزكاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٧٥١/١ وقد جاء فيه: "إرم بها أما علمت". نحوه.

المفردات: كخ كخ: قال القاضي: يقال كخ كخ بفتح الكاف وتسكين الخاء، ويجوز كسرها مع التنوين وهي كلمة يزجر بها الصبيان عن المستقذرات فيقال له: كخ كخ أي اترك وارم به.

أما علمت أنا لا نأكل الصدقة: هذه اللفظة تقال في الشيء الواضح التحريم ونحوه وان لم يكن المخاطب عالماً به، وتقديره: عجب كيف خفي عليك هذا مع ظهور تحريمه؟ وهذا أبلغ في الزجر عنه من قوله لا تفعل.

مما نزه الله رسوله عنه ومنعه منه، وأعطاه ما أخذ بالسيف قهراً وهي الغنائم والأنفال.

ومن الفرق بينهما أيضاً أعني بين المعنيين أن الله يثيب المعطي دون أن ينتفع بها، لأنه جلّ وعزّ لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية، والمخلوق الآخذ للصدقة ينتفع بها ويصرفها في منافع نفسه وأهله وولده وما يكون من عَدَده وعُدَده.

وَمِنْهَا: أنّ المرض كان يشتد عليه كما يمرض رجلان[٤٩٠] من أجل ذلك كان له أجران، ثبت في الصحيحين:

عن الحارث بن سويد، عن عبد الله بن مسعود قال:" **دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسَسْتُهُ بِيَدِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكاً شَدِيداً. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَجَلْ. إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ . قَالَ فَقُلْتُ : ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ . فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ : أَجَلْ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ**

---

٤٩٠)-في كل النسخ "رجلاً" والصواب رجلان.

يُصِيبُهُ أَذىً مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ إِلاَّ حَطَّ اللهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا"[491] وله طرق.

وفيه من الفقه: وضع اليد على المريض، وقد وضع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده على جبهة سعد بن أبي وقاص قال: ثم مسح وجهي وبطني[492] الحديث الى آخره، وترجم البخاري عليه (باب وضع اليد على المريض) لغته؛ الوعك بفتح العين وسكونها.

---

[491])- رواته ثقات، درجته: إسناده صحيح، تخريجه: (١) البخاري كتاب المرض باب وضع اليد على المريض ج٧ ص ٦ - ٧ بمثله.

مسلم كتاب البر الصلة والآداب باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها. ج٣ ص ١٩٩١ حديث ٤٥ (٢٥٧١) بلفظه كما في البخاري.

الدارمي كتاب الرقاق باب أجر المريض ج١ ص ٧١٢ نحوه.

المفردات: "إنك لتوعك" الوعك قيل: هو الحمى. وقيل: ألمها ومغثها، وقد وعك الرجل يوعك وهو موعوك.

[492])- لفظ الحديث في البخاري "حدثنا المكي بن ابراهيم أخبرنا الجعيد عن عائشة بنت سعد أن أباها قال: تشكيت بمكة شكواً شديداً فجاءني النبي صلى الله عليه وسلم يعودني، فقلت: يا نبي الله، إني أترك مالاً ولم أترك إلا ابنة واحدة فأوصي بثلثي مالي وأترك الثلث؟ فقال: لا. فقلت: فأوصي بالنصف وأترك النصف؟ قال: لا. قلت: فأوصي بالثلث واترك لها الثلثين؟ قال:الثلث والثلث كثير ، ثم وضع يده على جبهته، ثم مسح يده على وجهي وبطني ثم قال: اللهم اشف سعداً وأتمم له هجرته، فما زلت أجد برده على كبدي فيما يخال إلي حتى الساعة.

قال أبو حاتم: ثم الوعك الحمى، وقال غيره: هو ألم التعب. قال يعقوب: وعكه الشيء دفعته وشدته، وقال غيره: هو إرعاد الحمى وتحريكه إياه، وقال الأصمعي: الوعك شدة الحر يعني حر الحمّى وشدتها، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "**إلاَّ حَطَّ اللهُ**" أي : أسقط وأزال؛ لأنه كان حاملاً للسيئات فحط الله جل وعلا حملها عنه كما يحط حمل الدابة.

(أ) رواته: ثقات

(ب) درجته: إسناده صحيح.

(ج) تخريجه:

(١) البخاري كتاب المرض باب وضع اليد على المريض ج٧ ص٦ (ب) الدارمي كتاب الوصايا باب الوصية بالثلث ج١ ص ٨٠٣ فيه زيادة ونقصان أما الزيادة فهي "إنك إن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم فقراء يتكففون الناس بأيديهم، وإنك لا تنفق نفقة إلا آجرك الله فيها حتى ما تجعل في امرتك "وأما النقصان فلم يذكر" ثم وضع يده على جبهته ... الى ما ذكره البخاري.

مسند الإمام أحمد ج١ ص ١٦٨ نحوه.

النسائي كتاب الوصايا باب الوصية بالثلث ج٦ ص ٢٤١ وقد ذكره بروايات مختلفة.

المفردات: قال الثلث : بالنصب على الاغراء أو بتقدير أعط الثلث أو بالرفع: على تقدير يكفيك الثلث. والثلث كثير أي كاف في المطلوب أو هو كثير.

يتكففون الناس : أي يسألونهم بأكفهم.

مَا أَوْجَبَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ زِيَادَةً فِي كَرَامَتِهِ

"ومن خصائصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مما أوجبه الله تعالى عليه زيادة في كرامته، وخففه عن أمته منها: أنّه كان إذا لبس لامته لم يكن له أن ينزعها حتى يلقى العدو بها .وأخرج البخاري في صحيحه في كتاب المغازي في باب "مرجع النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأحزاب "عن أبي بكر عبد الله بن أبي شيبة [٤٩٣]، قال : حدثنا ابن

---

[٤٩٣]- الحافظ عديم النظير الثبت النحرير عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ابراهيم بن عثمان بن فوستى العبسي مولاهم الكوفي صاحب المسند، والمصنف وغير ذلك،سمع من شريك القاضي وابي الأحوص وابن المبارك وابن عيينة وجرير بن عبد الحميد وطبقتهم.

وعنه أبو زرعة والبخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجة وأبو بكر بن أبي عاصم وسواهم.

قال أحمد أبو بكر صدوق وهو أحب الي من أخيه عثمان،وقال العجلي: ثقة حافظ.

وقال الفلاسي: ما رأيت احفظ من أبي بكر بن ابي شيبة، وكذا قال أبو زرعة الرازي. وقال صالح بن محمد: أعلم من أدركت بالحديث وعلله علي بن المديني، وأحفظهم له عند المذاكرة أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو عبيد قال: أحسنهم وضعاً لكتاب أبو بكر بن أبي شيبة، وقال الخطيب كان أبو بكر متقناً حافظاً صنف المسند والاحكام والتفسير. قال البخاري: مات في المحرم سنة خمس وثلاثين ومائتين رحمه الله تعالى.

نمير ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت :" **لَمَّا رَجِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلاَحَ ،وَاغْتَسَلَ ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، فَقَالَ : وَضَعْتَ السِّلاَحَ ، واللهِ مَا وَضَعْنَاهُ ، اُخْرُجْ إِلَيْهِمْ . قَالَ : فَإلى أَيْنَ ؟ قَالَ: هَا هُنَا فَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهَا** " .

وكذلك لما لبس درعه يوم أُحد وحزم وسطه بمنطقة واعتمر وتقلد السيف، وكان أراد أن لا يخرج من المدينة، فأكره على الخروج، فندبهم أهل الرأي الذين كانوا يشيرون بالمقام، فقال الذين استكرهوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك. فقال: دعوتكم الى هذا الحديث فأبيتم، ولا ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله[٤٩٤] بينه وبين عدوه.

تذكرة الحفاظ ٢/٤٣٢ - ٤٣٣.

٤٩٤)- لفظ الحديث في البخاري "باب قول الله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ ﴿وشاوروهم في الأمر﴾، وأن المشاورة قبل العزم التبين لقوله تعالى: ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله﴾، فإذا عزم الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن لبشر التقدم على الله ورسوله، وشاور النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أحد في المقام والخروج، فرأوا له الخروج. فلما لبس لامته وعزم قالوا:أقم . فلم يمل إليهم بعد العزم، وقال: لا ينبغي لنبي يلبس لامته فيضعها حتى يحكم الله، وشاور علياً وأسامة فيما رمى به أهل الإفك عائشة فسمع منهما حتى نزل القرآن فجلد الرامين، ولم يلتفت الى تنازعهم، ولكن حكم بما أمر الله، وكانت الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأمناء من

اللامة الدرع وجمعها لوم على مثال فعل، وهذا على غير قياس يقال: قد استلام الرجل إذا لبسها، فهو مستليم.

وَمِنْهَا: أنّه حرم عليه أن يتزوج كتابية، لأن زوجاته أمهات المؤمنين. قال الله تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾(٤٩٥) وقال جلّ من قائل: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ**

أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب والسنة لم يتعدوه الى غيره اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم.

ورأى أبو بكر قتال من منع الزكاة فقال عمر: كيف تقاتل؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله الا الله؛ فإذا قالوا: لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها". فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تابعه بعد عمر، فلم يلتفت أبو بكر الى مشورة إذ كان عنده حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة، وأرادوا تبديل الدين وأحكامه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: من بدل دينه فاقتلوه. وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهولاً كانوا أم شباباً، وكان وقافاً عند كتاب الله عز وجل.

(أ) رواته ثقات.

(ب) درجته: إسناده صحيح.

(ج) تخريجه: البخاري كتاب الاعتصام بالسنة باب قول الله تعالى: ﴿وأمرهم بينهم﴾ ج٨ ص١٦٢.

الدارمي كتاب الرؤيا باب الرؤيا لا تقع مالم تعبر ج١ ص ٥٢٦ نحوه.

مسند أحمد ج٣ ص ٣٥١ نحوه.

(٤٩٥)- الأحزاب الآية ٦.

أَزْوَاجَكَ اللاَتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني مهورهنّ، وهنّ الذين[٤٩٦] كانوا معه ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ﴾ يعني: من الفيء والغنيمة بحكم الشرع. ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ﴾ أن يتزوجهنّ

قال البخاري: حدثنا أبي عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم" ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾. فأيما مؤمن ترك مالاً فلورثته وعصبته من كانوا، وان ترك ديناً أو ضيعاً فليأتني فأنا مولاه" ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ أي في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم الى بناتهن وأخواتهن بالإجماع. وقد روى : عن أبي بن كعب وابن عباس رضي الله عنهم انهما قرآ: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أبٌ لهم﴾ وهذه قراءة شاذة. (تفسير ابن كثير ٣/٤٦٩).
الله سبحانه وتعالى يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه قد أحل له من النساء أزواجه اللاتي أعطاهن مهورهن وهي الأجور. كما قاله مجاهد وغير واحد ﴿وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾ أي وأباح لك التسري مما أخذت من المغنم، وقد ملك صفية وجويرية فاعتقهما وتزوجهما، وملك ريحانة بنت شمعون المضرية ومارية القبطية أم ابنه ابراهيم عليهما السلام. (نفس المرجع السابق ٣/٤٩٩ - ٥٠٠).
ولاية النبي صلى الله عليه وسلم في كل شيء من أمور الدين والدنيا فيجب عليهم أن يكون أحب اليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقته عليهم اقدم من شفقتهم عليها وان لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم ويتبعوا كلما دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. (تفسير الكشاف ٣/٢٥١).

[٤٩٦])- الأحزاب الآية ٦ "وهن الذين كانوا معه" هكذا في كل النسخ والصواب "وهن اللائي كن معه".

يعني نساء عبد المطلب ﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ﴾ يعني بني زهرة ﴿اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ (الأحزاب الآية ٥٠) فمن لم يهاجر منهنّ لم يحل له نكاحها.

ومن السنة ما ثبت في صحيح البخاري عن عمار[٤٩٧] بن ياسر، أنّه خطب بالكوفة لما بعثه علي رضي الله عنه يستنفرهم لقتال

---

٤٩٧)- عمار بن ياسر بن عمار بن مالك وأمه سمية ؛أسلم قديماً وكان من المستضعفين الذين يعذبون بمكة ليرجعوا عن دينهم ، حرقه المشركون بالنار، وشهد بدراً ولم يشهدها ابن مؤمنين غيره وشهد أحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه الطيب المطيب، عن عمرو بن ميمون قال أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر به ويمر يده على رأسه ويقول: يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام. (أخرجه الترمذي رقم ٣٧٩٩).

وعن عثمان بن عفان قال: أقبلت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بيدي نتماشى في البطحاء حتى أتينا الى أبي عمار وأمه - وهم يعذبون - قال ياسر الدهر هكذا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: اصبر، اللهم اغفر لآل ياسر: قال: وقد فعلت. (اخرجه الطبراني).

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير، فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما وراءك؟ قال: شر يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فكيف تجد قلبك؟ قال أجد قلبي مطمئناً بالإيمان. قال: فإن عادوا فعد. (أخرجه ابن أبي حاتم والطبري في تفسيره في كلامه عن الآية ١٠٦ من سورة النحل "إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان).

أصحاب الجمل فقال: "إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّهَا زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَكِنَّ اللّٰهَ ابْتَلاَكُمْ لِتَتَّبِعُوهُ أَوْ إِيَّاهَا[498]" يعني عائشة رضي الله عنها.

وَمِنْهَا: أنّه كان عليه قضاء دين من مات من المسلمين:

ثبت في الصحيحين عن ابي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:[499]" **أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوُفِّيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دَيْناً فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ وَمَنْ تَرَكَ مَالاً فَلِوَرَثَتِهِ**".

وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه الى قدمه. (أخرجه البزار عن عائشة).

وعن علي قال جاء عمار يستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له: مرحبا بالطيب المطيب. (أخرجه الترمذي في مناقب عمار).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ان الجنة تشتاق الى ثلاثة. (أخرجه الترمذي برقم ٣٧٩٨) علي وعمار وسلمان(صفوة الصفوة ٤٤٢/١ - ٤٤٤).

[498])- لفظ الحديث في البخاري "حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن الحكم سمعت أبا وائل قال: لما بعث علي عماراً الى الكوفة يستنفرهم خطب عمار فقال: إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها".

(أ) رواته ثقات.

(ب) درجته: إسناده صحيح.

(ج) تخريجه: (١) البخاري كتاب فضائل الأصحاب باب فضل عائشة رضي الله عنها ٢٢٠/٤.

[499])- الحديث:

وله طرق في الصحيحين، منها: حديث أبي هريرة عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " **مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إلاّ وَأَنا أَوْلَى بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ اِقْرَأُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ تَرَكَ مَالاً فَلْيَرِثْهُ عصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا، فَإِنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْ ضَيَاعاً فَلْيَأْتِنِي، فَأَنا مَوْلاَهُ**".

وَمِنْهَا: أنّ الله تعالى نهاه أن يمدّ عينيه إلى زينة الدنيا فقال جلّ من قائل: **﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾**[٥٠٠] (طه ١٣١) يقول الله عزّ وجلّ لنبيه

أ- رواته: ثقات

ب- درجته: اسناده صحيح.

جـ تخريجه: ١- البخاري كتاب تفسير القرآن باب النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ٢٢/٦ نحوه. وخرجه في كتاب الفرائض ٨/٨.

مسلم كتاب الفرائض باب من ترك مالاً فلورثته ١٢٣٨/٢ حديث ١٥ (١٦١٩) نحوه.

مسند أحمد ٣٥٦/٢ وخرجه في ٧٤/٦ مثله.

د- المفردات:

فليرثه عصبته: العصبة - واحدة العصب قوم الرجل الذين يتعصبون له.

أو ضياعاً: أي أولاداً ذوي ضياع - يعنى لا شيء لهم.

فأنا مولاه: أي وليه وناصره.

٥٠٠)-لا تنظر إلى ما متعنا به أصنافاً من الكفار من نعيم الدنيا وبهرجها الخادع ولا إلى هؤلاء المترفين وأشباهم وما هم فيه من النعيم فإنما هي زائلة ونعمة حائلة لنختبرهم

محمّد صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا تنظر إلى ما جعلنا للمعرضين عن آيات ربهم متعة في حياتهم الدنيا لنختبرهم فيما متعناهم بـه فإنّ ذلك فـان يضمحلُّ، فعزاه بقوله سبحانه: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾، ثمّ عزّاه عن ذلك بما عوّضه بدل الفتنة من الخير الباقي الكامل، فلا فتنة، فقال تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أي ورزق ربّك الذي وعدك أن يرزقكه في الآخرة خير لك مما متعناهم به من زهرة الحياة الدنيا، وهو زينتها الذي يرزق عند الرؤية يعني خير وأبقى أي أدوم، لأنّه لا انقطاع له، فكان صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا رأى شيئاً يعجبه قال:" **لَبَّيْكَ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الآخِرَةِ**"[501]، ومعنى لبيك: أنا مقيم على طاعتك، ونصب

بذلك وقليل من عبادي الشكور، قال مجاهد: أزواجاً منهم يعني الاغنياء فقد آتاك خيراً مما آتاهم كما قال في الآية الأخرى ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم، لا تمدن عينيك﴾ الآية وكذلك ما ادخره الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أمر عظيم لا يحد ولا يوصف كما قال تعالى ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ ﴿ورزق ربك خير وأبقى ﴾ قال المفسرون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته لأنه عليه السلام كان أزهد الناس في الدنيا وأشد رغبة فيما عند الله تعالى. (ابن كثير ١٧١/٣).

[501]- الحديث:

أ- رواته: ثقات

ب- درجته: اسناده صحيح.

على المصدر كقولهم حمداً لله وشكراً وكان حقه أن يقال لبّا لك، وثّنى على معنى التأكيد أي: البابابك بعد الباب واقامة بعد اقامة قال الخليل: هو من قولك دار فلان تلب داري أي تحاذيها أي: أنا مواجهك بما تحب إجابة لك ، والياء للتثنية وفيها دليل النصب للمصدر قال أبو عبيد لبّ لغة ، ويقال ألبّ بالمكان اقام به ولزمه.

وَمِنْهَا: أنّه لم يكن له أن يقول شعراً ولا أن يتعلمه قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ**﴾ فنفى الله عزّ وجلّ عنه بهذا القول الصادق أنّه شاعر، وللعلماء بالتأويل أقوال: فقيل النفي عام في صنعته وحكايته، وهذا عندي فيه نظر لأنّه قد ثبت عنه في

جـ تخريجه: ١- البخاري كتاب مناقب الأنصار باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أصلح الأنصار والمهاجرة جـ ٤ ص ٢٢٥ إلا أنه لم يذكر كلمة "لبيك" وما جاء بلفظ "لا عيش إلا عيش الآخرة.

٢- مسلم كتاب الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب وهي الخندق جـ ٢ ص ١٤٣١ وأوردها بلفظ : اللهم ان العيش عيش الآخرة" كما ذكرها بلفظ ما جاء في البخاري في نفس الحديث.

٣- ابن ماجه كتاب المساجد والجماعات باب يجوز بناء المساجد جـ ١ ص ٢٤٥ وذكره بلفظ الا ان العيش عيش الآخرة. حديث ٧٤٢.

د- المفردات: "لا عيش إلا عيش الآخرة" أي لا عيش باق أو لا عيش مطلوب".

الصحيحين من رواية عبد الملك عن سفيان: "**أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ**"[502].

فهذه حكاية بعض شعر لبيد فيجوز أن يسمع الشعر فيحكيه لما ثبت في صحيح السنة، فالمنفي عنه صنعة الشعر، وقد أجمع أهل العقد والحل، وهذا الإجماع أيضاً جار على مقتضى العقل أنّ من حفظ مائة

---

[502]- لفظ الحديث في البخاري "حدثنا محمد بن بشار ابن مهدى حدثنا سفيان عن عبد الملك حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: "الاكل شيء ما خلا الله باطل . وكاد أمية بن الصلت أن يسلم".

الحديث:

أ- رواته: ثقات

ب- درجته: اسناده صحيح.

جـ تخريجه: البخاري كتاب الأدب باب ما يكره ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه وقوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهمُ الغاوون ألم ترَ أنهمَ في كلِّ وادٍ يهيمونَ وأنهم يقولونَ ما لا يفعلونَ... ﴾ الآيات جـ ٧ ص ١٠٧ وأخرجه في كتاب مناقب الأنصار باب أيام الجاهلية. جـ ٤ ص ٢٣٦. وفي كل من الروايتين عن سفيان عن عبد الملك وليس العكس/ ع (٢) مسلم.

الترمذي كتاب الأدب با ب ما جاء في إنشاد الشعر جـ ٥ ص ١٤٠ حديث ٢٨٤٩ نحوه.

ابن ماجه كتاب الأدب باب الشعر جـ ٢ ص ١٢٣٦ مثله.

مسند أحمد جـ ٢ ص ٢٤٨ نحوه.

ألف بيت فصاعداً لا يسمى شاعراً حتى يعمل الشعر وينظمه ويقفيه، لأنّ الشعر هو كلام نمَّقته العرب وحسَّنته باطراد القوافي، واعتدال الوزن، وإصابة المعاني، إلاّ أنّه قد يخلو من إصابة المعاني ويسمى شعراً، ويسمى القائل لذلك شاعراً لأنه يشعر لما لا يشعر به غيره.

وقولهم ليت شعري أي ليتنى أعلم، أو ليت علمي هل يكون كذا، والذي أنشد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صدر البيت وسكت عن عجزه، ففي الصحيحين عن أبي هريرة "أَصْدَقُ كَلِمَةٍ[٥٠٣] قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيْدٍ.

أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خلاَ اللهَ بَاطِلُ   وَكُلُّ نَعِيمٍ لاَ مَحَالَةَ زَائِلُ

---

٥٠٣)- كلمة: المراد بالكلمة هنا القطعة من الكلام. "لبيد" هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري من شعراء الجاهلية، ومن أصحاب المعلقات السبع باجماع الرواة. وقد جاء وفد من بني عامر إلى المدينة وكان فيهم لبيد فأسلم أعضاء الوفد كلهم وأسلم لبيد وسكن في المدينة.

وله شعر كثير في الاسلام، ولكنه لم يجر على المنهج المألوف بل جاء عرضاً في حياته لم يتكسب به و لم يفاخر ، ولا وقف شعره في سبيل الدعوة الاسلامية كحسان بن ثابت، وعبدالله ابن رواحة، وكعب بن مالك.المعلقات السبع شرح الزوزني بتصرف ص ١١٢. "هو القائل عندما أسلم:

الحمد لله الذي لم يأتني أجلي   حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

باطل: المراد بالباطل الفاني المضمحل.

وينشد أيضاً عجز البيت ويسكت عن صدره لما رويناه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كان النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتمثل:
وَيَأْتِيكَ بالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ – وصدر البيت:
سَتُبْدِي لَكَ الأَيَامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً

وأمّا البيت التام فإنه لم ينشده على وزنه، ولا يصح بوجه أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنشد أبياتاً تامة قط [٥٠٤]فإن قالوا قد ثبت في الصحيحين، عن جندب بن سفيان البجلي، أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في بعض المشاهد وقد دميت أصبعه فقال:

هَلْ أَنْتِ إِلاَّ أَصْبَعٌ دُمِيتِ وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ

---

[٥٠٤]- الحديث:

أ- رواته: ثقات

ب- درجته: اسناده صحيح.

جـ تخريجه: ١- البخاري كتاب الجهاد والسير باب من ينكب أو يطعن في سبيل الله جـ ٣ ص ٢٠٤ بلفظه (أخرجه في صحيحه في كتاب الأدب باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه – ج ٧ ص ١٠٧ بلفظه.

مسلم كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين. حديث ١١٢ (١٧٩٦) جـ ٢ ص ١٤٢١ لفظه.

مسند أحمد جـ ٤ ص ٣١٢ بلفظه.

د- المفردات:

دميت: "أي جرحت وخرج منها الدم.

"ما لقيت": لفظ (ما) هنا بمعنى الذي أي الذي لقيته محسوب في سبيل الله.

قلنا هذا مشطور الرجز والمشطور ما ذهب شطره، وقد اختلف فيه فقيل: عروضه ضربه، ومنهم من قال: عروضه موجودة، ولا ضرب له، ومنهم من قال ضربه موجود ولا عروض له، وقال بعضهم: عروضه الجزء الأول وضربه الجزء الثاني، والكلام عند العروضيين فيه يطول.

والرجز مأخوذ من رجز البعير إذا اضطرب فخذاه عند القيام، وسمي بذلك لأنّ العرب ترجز به عند اللقا والسقا وغير ذلك، وقيل: هو من رجزت الناقة إذا أصابتها رعدة عند قيامها، فالمرتجز كأنّه مرتعد عند إنشاده لقصر الأبيات، وقيل: هو من رجزت الجمل إذا عدلته بالرجازة، وهو كساء يجعل فيه أحجار ويعلق بأخرى جانبي الهودج إذا مال ليعتدل، وكذلك الرجز في النظم أشطاراً معتدلة، والرجاز أيضاً شعر أو "وصف"[٥٠٥] يعلق على[٥٠٦] الهودج يزين به وهو مبني على:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

ستة أجزاء وله عروضان وخمسة أضرب والكلام فيه يطول.

---

٥٠٥)-في (١) "صوف" وهو الصحيح.

٥٠٦)- هذه العبارة من قوله: "إذا مال ليعتدل. إلى قوله " يعلق على " ساقطة في "ب".

وهذا الرجز قديم تمثل به النبيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك جرى على لسانه المقدّس ما قاله يوم حنين على ما ثبت في الصحيحين.

أَنَاْ النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ   أَنَاْ ابْنُ[٥٠٧] عَبْدِ المُطَّلِبْ

وهو من منهوك الرجز، والمنهوك ما ذهب ثلثاه

فشاهده: يا ليتني فيها جدع

تفعيله: مستفعلن مستفعلن

مضارعه: طيف ألم بذي سلم.

والرجز[٥٠٨] لا يكون شعراً وإنما هو كالكلام المسجع[٥٠٩]، وانما يقال لصانعه: فلان الراجز ولا يقال الشاعر، ويقال: أنشد رجزاً، ولا يقال: أنشد شعراً، وأما الوزن الذي فيه: ففي القرآن العزيز المنزه عن الشعر بالكلام المعجز اللفظ[٥١٠] الوجيز الألفاظ موزونه، وليست

---

[٥٠٧]- في أ و ب سقطت (ابن).

[٥٠٨]- الرجز: رجز رجزاً. أنشد شعراً من بحر الرجز، فهو راجز ورجاز.

[٥٠٩]- الكلام المسجع: هو توافق فاصلتين أو أكثر.

[٥١٠]- اللفظ الوجيز: الكلام قل في بلاغه.

بشعر بالإصفاق[٥١١] والإجماع، ومن قال: إنّها شعر ولم يتب قتل في جميع الأصقاع[٥١٢] والبقاع[٥١٣].

ومنها" أنه كان يؤخذ[٥١٤] عن الدنيا عند تلقّي الوحي وهو مطالب بأحكامها عند الأخذ منها.

ثبت في الصحيحين عن صفوان بن يعلى بن أمية، عن أبيه، أنّه كان يقول لعمر:" ليتني أرى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين ينزل عليه الوحي فلما كان النبيّ بالجعرانة وعلى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثوب قد أظل عليه معه فيه ناس من أصحابه فيهم عمر ، إذ جاءه رجل عليه جبه متضمخ بطيب، فقال: يا ر سول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمرة في جبّة بعدما تضمّخ واطّيب، فنظر إليه النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساعة ثم سكت، فجاءه الوحي، فأشار عمر بيده إلى يعلى بن أمية تعال، فجاءه يعلى فأدخل رأسه فإذا النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمرّ الوجه يغطّ ساعة، ثم سري عنه فقال: أين الذي سألني عن العمرة آنفاً ؟ فالتمس الرجل فجيء به فقال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

٥١١)- الأصفاق: يقال: أصفقوا على قول واحد، أي أجمعوا عليه.

٥١٢)- الأصقاع: النواحي.

٥١٣)- البقاع: جمع بقعة - وهي القطعة من الأرض، يقال: "فلان حسن البقعة عند الأمير" أي المنزلة.

٥١٤)- يؤخذ عن الدنيا: أي يغيب عنها.

"أَمَّا الطِّيبُ الذِي بِكَ فَاغْسِلْهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَأَمَّا الجُبَّةُ فَانْزَعْهَا، ثُمَّ اصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ مَا تَصْنَعْ فِي حَجِّكَ[٥١٥] "وله طرق وزيادة ألفاظ في الصحيحين.

---

[٥١٥]- - الحديث :

أ- رواته: ثقات

ب- درجته: اسناده صحيح.

جـ تخريجه: البخاري كتاب فضائل القرآن باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب جـ ٦ ص ٩٧-٩٨. مثله.

مسلم كتاب الحج باب يباح للمحرم بحج أو عمرة، وما لا يباح، وبيان تحريم الطيب عليه جـ ١ ص ٨٣٦ حديث ٦ (١١٨٠) وحديث ٧، ص ٨٣٧ وحديث ٨، ص ٩، و١٠، ص ٨٣٨ من نفس المرجع نحوه، الا انه رواه بطرق وزيادة الفاظ.

د- المفردات:

الجعرانة: فيها لغتان مشهورتان - أحدهما - إسكان العين وتخفيف الراء ، والثانية إسكان العين وتشديد الراء. والأول أفصح، وهي ما بين الطائف ومكة وهي إلى مكة أقرب.

متضمخ بطيب: أي متلوث به مكثر منه.

يغط: قال في المصباح غط النائم يغط غطيطاً من باب ضرب تردد نفسه صاعداً إلى حلقه حتى يسمعه من حوله، وسبب ما طرأ عليه صلى الله عليه وسلم من احمرار الوجه والغطيط حالة الوحي ثقله : وشدته قال الله تعالى: ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾.

ثم سري عنه: أي أزيل ما به وكشف عنه.

في عمرة: العمرة - الزيارة لبيت الله الحرام بشروط مخصوصة، مذكورة في الفقه.

الجعرانة هي ما بين مكة والطائف وهي، إلى مكة أقرب، أصحاب الحديث يشدّدون، وأهل الأدب يخطّئونهم ويخفّفون، وكلاهما صواب . قال ابن المديني[516] فيما حكاه الإمام اسماعيل ابن اسحق: أهل المدينة يثقّلون (الحديبية) وأهل العراق يخففونها، ومذهب شيخنا العالم أبى اسحق التثقيل، وكان يقول لنا: أهل المدينة اعرف

---

[516]- ابن المديني: هو علي بن المديني - الشيخ الامام الحجة أمير المؤمنين في الحديث أبو الحسن علي بن عبدالله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد السعدي مولاهم البصري المعروف بابن المديني مولى عروة بن عطية السعدي كان أبوه محدثاً مشهوراً لين الحديث مات سنة ثمان وسبعين ومائة, يروي عن عبد الله بن دينار وطبقته من علماء المدينة وقد روى والده جعفر بن نجيح يسيراً عن عبد الرحمن بن القاسم التيمي. سمع علي: أباه وحماد بن زيد وجعفر بن سليمان، ويزيد بن زريع وعبد الوارث وهشيم بن بشير وعبد العزيز الدراوردي. وسفيان بن عيينة وغيرهم كثيرون.

وبرع في هذا الشأن وصنف وجمع ، وساء الحفاظ في معرفة العلل، ويقال: ان تصانيفه بلغت مائتي مصنف.

حدث عنه أحمد بن حنبل وأبو يحي صاعقة، والزعفراني وأبو بكر الصاغاني وأبو عبد الله البخاري وأبو حاتم، وحنبل بن اسحاق. قال أبو حاتم الرازي: كان ابن المديني علما في الناس في معرفة الحديث والعلل، وكان أحمد بن حنبل لا يسميه، انما يكتبه تبجيلاً له ما سمعت أحمد سماه قط. قال أبو قدامة السرخسي: سمعت علياً يقول: رأيت كأن الثريا تدلت حتى تناولتها. قال أبو قدامة: صدق الله رؤياه. بلغ في الحديث مبلغاً لم يبلغه أحد. سيرة اعلام النبلاء ١١/٤١-٤٦.

ببلادهم، ومذهب الأصمعي تخفيف الجعرانة ، وسمع من العرب من يثقلها.

وقوله:"متضمّخ بطيب" أي متلطّخ، وقوله:"يغطّ" الغطيط صوت يخرجه النائم مع نفسه، والبرمة تغط أي تغلي غلياناً له صوت، وقوله:"ثم سري عنه" بالتخفيف والتثقيل أي كشف عنه ما أصابه من غشية أو خوف أو غيره، وانّما هذا لما غمره من ثقل الوحي ومشاهدة الملأ الأعلى، وما رأى من آيات ربّه الكبرى، فإذا ارتفع الوحي رجع إلى حال البشرية صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً.

شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم وكرمه

وَمِنْهَا: أنّه لم يكن له أن ينهزم، ولا يليق به ذلك، لأنّه من كيد الشيطان، ومن تخييله أنّ الأجل يستأخر به، وليس استئخار الآجال بالاحتيال، والقدر نافذ على كل حال.

ومن نسب إلى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه انهزم(٥١٧) وهو جاهل بنقيصة الانهزام، فإنّه يزجر عن ذلك، ولو أدب عليه لكان أهلاً لذلك، لإقدامه على الكلام في مثل هذا بغير علم، هذا إذا كان حاكياً

---

٥١٧)- وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في مواقف كثيرة دلت على شجاعته وإقدامه فمن ذلك مبارزته في أحد لأبي بن خلف وقتله إياه، وثبوته صلى الله عليه وسلم يوم حنين حين انكشف عنه أصحابه وانصرفوا إلى الغنائم، وهذا غاية ما يكون من الشجاعة التامة، وأنه في هذا اليوم في حومة الوغى، وعلى بغلته وثبت أنها سريعة الجري ولا تصلح لفر ولا لكر ولا لهرب، ومع هذا يركضها إلى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، وما هذا كله إلا ثقة بالله وتوكلا عليه، وعلماً منه أنه سينصره، ويتم ما أرسله به ويظهر دينه على سائر الاديان [تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٤٦]، ومن ثم فإن من نسب الهزيمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقد اقترف اثماً كبيراً – قال الطبري : الانهزام المنهي عنه هو ما وقع على غير نية العود، وأما الاستطراد للكثرة فهو كالتحيز إلى فئة [فتح الباري على صحيح البخاري جـ ١٦ ص ١٤٢]. وقال جل من قائل "إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة ﴾ ومن هنا أن من نسب الهزيمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الفرار بغير نية العودة فقد استوجب الاستتابة.

أو ظانّاً أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يكون داخلا حكم الأمة من إباحة الفرار لمن ارتد من الضعف، أو في القوة والجلد على القولين المعلومين في هذا وهذا إذا كان مبرأ من التنقص البتة. وأما إذا كان عارفاً بعيب الانهزام، أو نقيصته فإنّه إن قصد بذلك تنقص النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحكمه القتل، وإن كان آثماً نسب ذلك إليه في أكثر من الضعف قياساً على حكم الأمة، وأراد أن يقيم له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عذراً في ذلك بحسب سوء تخيل هذا القائل وفساد تصوره، فهذا من قطعيات الدين التي لا يسوغ فيها الاجتهاد الذي يخالف بعضه بعضاً كما في الفروع، بل الحقّ هاهنا في واحد عن حق ديني يجب عليه اعتقاده فيستتاب، فإن تاب وإلاّ قتل إذا كان يأتيه كمتعمد الانتقاص من حيث سوى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا المعنى مع أمته، وفضله عليهم يوجب أن لا يدخل في هذا الحكم متعمّد، فكما أنّ المتعمّد للانتقاص من أول يقتل، فكذلك من لم يتب عندما يستتاب، إذ هو في هذه الحال كالمبتدئ بالتنقص فليفهم هذا.

وقال الإمام الفقيه القاضي أبو عبد الله بن خلف بن سعيد بن وهب، يعرف بابن المرابط: من قال: إنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هزم

يستتاب، فإن تاب وإلا قتل[٥١٨]، لأنه تنقص، إذ لا يجوز ذلك عليه في خاصة،[٥١٩] إذ هو على بصيرة من أمره، ويقين من عصمته، وانّما لم يكن هذا كالصيام وغيره من العبادات التي سُوّيَ فيها النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الأمّة، ثمّ تطوع هو بالزيادة كالوصال في الصوم[٥٢٠]، وما أشبه ذلك مما ألزمه نفسه من الزيادات في العبادات من أجل أنّ تلك العبادات برّ مختلف، وذلك المعنى الآخر نقص مجتنب، فافترقا من ها هنا.

والفرق أيضاً بين أن يخبر المخبر عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنّه جرح وأوذي[٥٢١]، وأن يخبرعنه بأنه انهزم، أنّ الإخبار من الأذى، نقصه على المؤذي لا على المؤذّى، فصار المخبر منتقصاً لمن آذى النبيّ

---

[٥١٨]- يقتل كفراً لا حداً ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، لأن وصف النبي صلى الله عله وسلم بالانهزام يخالف نصوص القرآن الذي وعده الله فيه بالنصر قال تعالى: ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا﴾ الآية.

[٥١٩]- في أو و ب "خاصته".

[٥٢٠]- وأما الصيام وسائر العبادات مما يشترك فيه مع أمته ويزيد النبي صلى الله عليه وسلم بأمور خاصة كالوصال في الصوم، وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصوم فقال له رجل من المسلمين انك تواصل يا رسول الله قال: وأيكم مثلي إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني .. الحديث.

[٥٢١]- وأما ما حصل له من الأذى يوم أحد فليس فيه انتقاص في قدرته وشجاعته وإقدامه صلى الله عليه وسلم. /ع.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا له، والمخبر عنه بالانهزام منتقص له من حيث أنّ الانهزام فعله كما أنّ[٥٢٢] الأذى فعل المؤذي، فاعلم هذا كلّه، وخذه بفهم وجودة تصور.

فإن قيل: أليس فيه تغيب النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الغار[٥٢٣] وظاهر بين درعين يوم أحد فأين هذا مما ذكرتم؟ قلنا: أمّا التغييب في الغار فإنه لم يكن له إذن في القتال[٥٢٤] بعد، وأمّا المظاهرة بين درعين فإنّما هو من باب الاستعداد للإقدام[٥٢٥]، وذلك أنّ المنهزم قد خرج من الإقدام جملة، والمبالغ في الاستعداد والاستظهار بالسلاح إنّما هو متوغل فيه ومحال له، وشتّان بين من يحتال للفرار وبين من يحتال للإقدام، وقد قال أهل الحرب: إن صدم الشرّ بالشرّ أحزم[٥٢٦]، فجعلوا

---

٥٢٢)- في أ و ب "أن" ساقطة.

٥٢٣)- اشارة إلى قوله تعالى: ﴿إذْ أخرجَه الذينَ كفروا ثانيَ اثنينِ إذْ هما في الغارِ إذ يقولُ لصاحبه لا تحزَنْ إنَّ اللهَ معنَا﴾ (سورة التوبة آية ٤٠).

٥٢٤)- وعدد المسلمين كان قليلاً وليس هناك استعداد لمواجهة الأعداء . /ع.

٥٢٥)- وفي القرآن لكريم ﴿وأعدُّوا لهم ما استعطتمْ مِنْ قوةٍ﴾ وان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن القوة فقال: ﴿ألا إنَّ القوةَ الرميُ﴾ وفي هذا تربية للأخذ بالاسباب من غير اعتماد على خوارق العادات/ع.

وقال الشاعر في هذا المعنى:

والشر ان تلقهُ بالخير ضقتَ بِهِ ذرعاً وإنّ تلقهُ بالشرّ ينحسم.

٥٢٦)-وهذا في مجال الحرب لا في غيره، لأن الاسلام يأمر بالعفو والصفح/ع.

ذلك حزماً، ولم يجعلوا الانهزام إلاّ ضعفاً ووهناً، فقد بان الفرق بينهما.

وأمّا ما ثبت في الصحيحين من قول أبي سفيان لهرقل ملك الروم حين سأله عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: الحرب بيننا وبينه سجال[527]، يعني: مرة على هؤلاء ومرة على هؤلاء، مأخوذة

---

527)- لفظ الحديث في البخاري: ﴿حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله ابن عباس أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهو بايلياء فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا ترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان قلت: أنا أقربهم نسباً. فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه قال: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذباً لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألني عنه أنه قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا . قال: فاشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت بل ضعفاؤهم قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت: لا . قال فهل يغدر؟ قلت لا. ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم . قال: فكيف كان قتالكم إياه قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه . قال ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله

وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول ، فذكرت أن لا . فقلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يتأسى بقول قيل قبله. وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا . قلت: فلو كان من آبائه من ملك ، قلت : رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال . فذكرت أن لا. فقد عرفت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشراف الناس ايتبعونه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم اتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الايمان حتى يتم، وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا ، وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك بم يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فان كان ما تقول حقاً، فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عيه وسلم الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلىهرقل فقرأه فاذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلىهرقل عظيم الروم سلام علي من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فان عليك إثم الأرسيين ﴿ويا أهل الكتابِ تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم أنْ لا نعبدَ إلا الله ولا نشركَ به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً منْ دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾.

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة أنه يخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الاسلام، وكان ابن الناطور صاحب إيلياء وهرقل أسقف على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح خبيث النفس فقال بعض بطارقته : قد استنكرنا هيئتك قال ابن الناطور وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الأمة قالوا ليس يختتن إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم واكتب إلى مدائن ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا مختتن هو أم لا فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن ، وسأله عن العرب فقال هم يختتنون فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم وسار هرقل إلى حمص فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم وأنه نبي فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي، فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الايمان قال ردوهم علي، وقال إني قلت مقالتي آنفاً اختبر بها شدتكم على دينكم فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل. رواه صالح بن كيسان ويونس ومعمر عن الزهري.

ابو سفيان: هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

هرقل: ملك الروم ولقبه قيصر كما يلقب ملك الفرس كسرى.

ركب: جمع راكب كصحب وصاحب.

في المدة: يعني مدة الصلح بالحديبية.

في مجلسه: أي مجلس ملكه وعليه التاج.

ترجمانه: الترجمان – المعبر عن لغة بلغة.

وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة: معناه يبتليهم الله بذلك ليعظم أجرهم بكثرة صبرهم وبذلهم وسعيهم في طاعة الله تعالى.

سجال: أي نوباً. نوبة لنا ونوبة له وأصله ان المستقين بالسجل وهي الدلو الملأى يكون لكل واحد منها سجل.

اشراف الناس: يعني باشرافهم كبارهم وأهل الأحساب فيهم.

بشاشة القلوب: يعنى انشراح الصدور، وأصلها اللطف بالانسان عند قدومه وإظهاره السرور برؤيته يقال: بش به وتبشبش.

العفاف: الكف عن المحارم وخوارم المروءة ، وقيل: العفة الكف عما لا يحل ولا يحمد، يقال: عف يعف عفة وعفافاً وعفافة، وعفف واستعفف والأنثى عفيفة وجمع العفيف أعفة وأعفاء.

بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: وفي هذا الكتاب جمل من القواعد وأنواع من الفوائد منها: دعاء الكفار إلى الاسلام قبل قتالهم، ومنها استحباب تصدير الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم وإن كان المبعوث إليه كافراً.

الأرسيين: وقد اختلف في ضبطها، والمراد بهم الفلاحون والزراعون، ومعناه أن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك، ونبه بهؤلاء لأنهم أسرع انقياداً فإذا أسلم أسلموا وإذا امتنع امتنعوا.

فلما قال ما قال: يحتمل أن يشير بذلك إلى الأسئلة والأجوبة، ويحتمل أن يشير بذلك إلى القصة التي ذكرها ابن الناطور بعد، والشمائر كلها تعود إلى هرقل.

الصخب: اختلاط الأصوات في المخاصمة.

لقد أمر: بفتح الهمزة وكسر الميم: أي عظم.

من مساجلة المستقين على البئر بالدلاء أي المتداولين . فقال له هرقل: وسألتك هل قاتلتموه وقاتلكم، فزعمتم أنّه قد فعل، وأنّ حربه وحربكم تكون دولاً يدال عليكم المرة وتدالون عليه الأخرى، وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة، فكلام هرقل هو مأخوذ ومنتزع مما وقع في كتبهم، مع أنّ العادة جارية به ومشاهدة فيه، وفي الكتاب العزيز ضمان العاقبة في الدنيا والدّين.

ابن أبي كبشة: أراد به النبي صلى الله عليه وسلم لأن أبا كبشة أحد أجداده وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض.

ملك بنى الأصفر: هم الروم.

فما زلت موقنا: من محمد حتى أسلمت.

ابن الناطور: الطاء المهملة، وهو بالعربية حارس البستان.

- الحديث:

أ- رواته: ثقات

ب- درجته: اسناده صحيح.

جـ تخريجه: البخاري كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي جـ ١ ص ٥-٦ مسلم كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الاسلام جـ ٢ ص ١٣٩٣-١٣٩٥ نحوه.

ابن ماجه كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها باب في: كم يستحب ختم القرآن حديث ٣٤٥ جـ ١ ص ٤٢٧. وللحديث شاهد في هذا الباب من حديث حذيفة في وفد ثقيف جاء فيه لفظ "كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا".

أمّا في الدنيا، ففي قوله تعالى مخبراً عن موسى على نبينا وعليه السلام: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف ١٢٨) هذا في الدنيا، وأمّا في الدّين فقوله جلّ من قائل: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٥٢٨] (القصص ٨٣) وإذا كانت العاقبة لمن ليس بنبي من

---

[٥٢٨]-تفسير الكشاف ٢/١٠٥.

ذلك حين قال فرعون: سنقتل ابناءهم فجزعوا منه، وتنجزوا وعد موسى فأخذ يسكنهم ويسليهم ويعدهم النصرة عليهم ويذكر لهم ما وعد الله بني اسرائيل من إهلاك القبط وتوريثهم أرضهم ودياهم. واصبروا على ما يفعل بكم وأطمعهم موسى أن يعطيهم الله أرض فرعون وقومه بعد هلاكهم. [زاد المسير في علم التفسر ٣/٢٤٥].

وما فرعون وقومه إلا نزلاء فيها، والله يورثها من يشاء من عباده وفق سنته وحكمته، ولا يخيل للناظرين أن الطاغوت مخلد في الأرض مكين فيها غير مزحزح عنها، فصاحب الأرض ومالكها هو الذي يقرر متى يطردهم منها. "والعاقبة للمتقين" طال الزمن أو قصر ولا يخايل لهم تقلب الذين كفروا في البلاد فيحسبونهم باقين. [في ظلال القرآن ٣/١٣٤٣].

وهذا محمول فيما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول على غيره، فان ذلك مذموم كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إنه أوحى إلي أن تواضعوا حتى لايفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد" وأما اذا أحب ذلك على سبيل التجمل فهذا لا بأس به، فقد ثبت أن رجلاً قال يا رسول الله إني أحب أن يكون

المتقين، فأحرى أن تكون للأنبياء والمرسلين. وأمّا الابتلاء للرسل من قبل ذلك، فلإجراء الله تعالى العادة في الدنيا بمقاسات البلوى، فلا يكون في المساعي نجح، إلاّ من بعد جهد وكدح، ولا يكون وفد بجمع إلا بشمل مبدّد، ولا نوم مسكن إلا بنوم مشرّد، ولا بد دون العسل من النحل اللواسع، وكم دون الأمل من العوائق والموانع، ومن بلغ إلى أدنى أمل أو أنال (أنذرا[٥٢٩] وطن) فاسأله كم تجرع قبله من صاب أو صبر، هذا في المحاولات المتداولات التي تختص بكل إنسان في نفسه.

وأمّا في تمهيد أمر دين أو دنيا يراد به الصّلاح العام للناس، هنالك اشتدت المحنة وعظمت المشقة، والأنبياء صلوات الله عليهم أشد الناس بلوى في هذا المعنى، ولو أراد الله تعالى إخراج الأمور على العادة لألجأ الناس كلهم إلى اتباعهم، ولقذف في قلوبهم الايمان بهم. قال الله العظيم: ﴿**ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ**﴾[٥٣٠] القتال حكمة منه بالغة لا إله إلا هو الحكيم الخبير

ردائي حسناً ونعلي حسنة أفمن الكبر ذلك؟ فقال: "لا" ان الله جميل يحب الجمال".
[ابن كثير ٣/٤٥٣].

[٥٢٩]- في (أ) أنزر وطن. وفي (ب) انزر وظن.

[٥٣٠]-هذا ولو شاء الله لانتقم من الكافرين بعقوبة ونكال من عنده ﴿ولكن ليبلو بعضكم ببعض﴾ أي ولكن شرع لكم الجهاد وقتال الاعداء ليختبركم، وليبلو أخباركم كما ذكر حكمته في شرعية الجهاد في سورتي - آل عمران وبراءة في قوله تعالى: ﴿أم

ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير، وأمّا ما كان في حرب النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك السّجال ففيه إشكال، أما مساجله الإصابة، فقد كانت بين النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين الكفار، كما كانت بين أصحابه وبينهم على ما ثبت في صحيح الآثار.

وَمِنْهَا: ما ثبت في صحيح مسلم، عن أنس(١١٣) أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ فَجَعَلَ يُسْلِتُ الدَمَ عَنْهُ وَيَقُولُ: "**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ وَكَسَرُوا رُبَاعِيَّتَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلى اللهِ** ؟. فَأَنْزَلَ اللهُ عزَّ و جلَّ: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾.

ولقد اتفقا في الصحيحين على إخراج حديث سهل بن سعد الساعدي، وهو ما رواه عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه أنّه سمع سهل بن سعد يسأل عن جرح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد، فقال: جرح وجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكسرت

حسبتم أن تدخلُوا الجنةَ ولما يعلم اللهُ الذينَ جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾. [ابن كثير ١٧٤/٤].

"لانتصر منهم" ببعض أسباب الهلاك من خسف أو رجعة أو صاحب أو غرق أو موت جارف، ولكن أمرهم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم ، والكافرين بالمؤمنين بأن يعالجهم على أيديهم ببعض كما وجب لهم من العذاب. [تفسير الكشاف ٥٣١/٣].

رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تغسل الدم، وكان علي بن أبي طالب يسكب عليها بالمجن، فلمّا رأت فاطمة أنّ الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً، ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم وله طرق في الصحيحين[٥٣١].

وما يشبه ذلك لأنّ العصمة إنما وجبت لهم في عقولهم وأديانهم، وأمّا أبدانهم فإنهم مبتلون فيها، ويخلص إليهم بالجراحة والضرب

---

[٥٣١]- الحديث:

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ تخريجه:

البخاري كتاب الجهاد والسير باب لبس البيضة ٢٢٩/٣ نحوه.

مسلم كتاب الجهاد والسير باب غزوة أحد ١٤١٦/٢ لفظه حديث ١٠١ (١٧٩٠).

ابن ماجه كتاب الجهاد باب القتال في سبيل الله سبحانه وتعالى ٩٣٤/٢ نحوه.

د- المفردات:

"رباعيته" هي بتخفيف الياء وهي السن التي تلي الثنية من كل جانب وللانسان أربع رباعيات.

"هشمت البيضة" أي كسر ما يلبس تحت المغفر في الرأس قال الفيومي: الهشم كسر الشيء اليابس والأجوف.

"يسكب عليها بالمجن" أي يصب عليها بالترس.

"فاستمسك الدم" أي انحبس وانقطع.

والسموم والقتل، وقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحرس حتى أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[٥٣٢] وكان نزولها بآخره، قبل موته بيسير، لأنها نزلت في سورة المائدة.

وأمّا المساجلة في الهزيمة فإنّما كانت بين أصحاب النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين الكفّار، وإنّما هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم ينهزم فقط.

دليل ذلك ما ثبت في الصحيحين وأجمعوا على صحته.

[٥٣٣] عن أبي اسحق السبيعي واسمه عمرو بن عبد الله بن أبي شعيرة بضم الشين قال: جاء رجل إلى البراء فقال: أكنتم وليتم يوم

---

[٥٣٢]- المائدة الآية ٢٧.

[٥٣٣]- الحديث:

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ تخريجه:

البخاري كتاب المغازي باب قول الله تعالى: ﴿ يوم حنين إذا اعجبتكم كثرتكم ... الآية ٥/٩٨-٩٩ نحوه وخرجه في غير هذا المكان بروايات مقاربة.

مسلم كتاب الجهاد والسير باب في غزوة حنين ٢/١٤٠١ لفظه. وله أكثر من رواية.

د- المفردات:

كأنها رجل في جراد: أي كأنها قطعة من جراد، قال في النهاية: الرجل بالكسر الجراد الكثير. فانكسفوا: أي انهزموا وفارقوا صفوفهم وكشفوها.

حنين يا أبا عمارة فقال: أشهد على نبيّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ولّى، ولكنه انطلق إخفاء من الناس وحسر إلى هذا الحي من هوازن، وهم قوم رماة، فرموهم برشق من نبل كأنها رجل من جراد، فانكشفوا فأقبل القوم إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو سفيان بن الحارث يقود بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول:

"أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ".

إذا احمر البأس: احمرار البأس كناية عن شدة الحرب واشتعالها، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة، أولاستعار الحرب واشتعالها كاحمرار الجمر. "أنا النبي لا كذب" أي أنا النبي حقاً فلا أفر ولا أزول.

يرشق: الرشق بالكسر – هو اسم للسهام التي ترميها الجماعة دفعة واحدة.

اخفاء من الناس: اي الذين ليس معهم سلاح يثقلهم.

حسرا: الحاسر الذي لا درع له ولا مغفر.

واستنصر: أي دعا الله بالنصر فنصره الله تعالى إذ رماهم بالتراب– أنا النبي لاكذب .

قال ابن التنى في قوله: "أنا النبي لا كذب"

كان بعض أهل العلم يقول بفتح الياء من قوله: لا كذب ليخرجه عن الوزن، وقد أجيب عن مقالته صلى الله عليه وسلم هذا الرجز بأجوبة:

أنه نظم غيره وأنه كان في – أنت النبي لا كذب أنت ابن عبد المطلب فذكره. بلفظ أنا في الموضعين.

أنه هذا رجز وليس من أقسام الشعر.

أنه لا يكون شعراً يتم قطعه وهذه كلمات يسيرة ولا تسمى شعراً.

أنه خرج موزونا و لم يقصد به الشعر وهذا أعدل الأقوال. [فتح الباري على صحيح البخاري جـ ١٦ ص ١٤٣].

"اللّهُمَّ نَصْرَكَ". زاد أبو خيثمة ثم وصفهم، قال البراء: كنّا والله إذا أحمر البأس: نتّقي به وإنّ الشجاع منّا الذي يحاذي به: يعني النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي رواية يحاذيه أي يدانيه، ويقرب منه، وأصل المحاذاة: (المقابلة).

قَالَ ذُو النَّسَبَيْنِ أَيَّدَهُ اللهُ: البراء[٥٣٤] هو ابن عازب صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بني الحارث بن الخزرج مات أيام مصعب بن الزبير بالكوفة، بعدما شهد مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين والنهروان، وكان فارساً شجاعاً حافظاً للحديث، عالماً بأخبار

---

[٥٣٤]- البراء بن عازب بن الحارث بن عدى بن جسم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن عمرو ابن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي يكنى أبا عمارة ويقال أبا عمرو، له ولابيه صحبة قال أحمد: حدثنا يزيد عن شريك عن أبي اسحاق عن البراء قال استصغرني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر أنا وابن عمر فردنا فلم نشهدها، وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا شعبة عن أبي اسحاق سمع البراء يقول استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر ورواه عبد الرحمن بن عوسجه عن البراء نحوه، وزاد وشهدت أحداً، أخرجه السراج، وروى عنه أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة غزوة وفي رواية خمس عشرة. اسناده صحيح وعنه قال سافرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سفراً، أخرجه أبو ذر الهروي وروى أحمد من طريق الثوري عن أبي إسحق عن البراء قال: ما كل ما نجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعنا منه ، حدثناه أصحابنا وكان يشغلنا رعية الأبل، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم جملة من الحاديث وعن أبيه وأبى بكر وعمر وغيرهما من أكابر الصحابة. [الاصابة ١/٢٧٨-٢٧٩].

غزوات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زاهداً عابداً، والبرآ، بالمد في اللغة: آخر ليلة في الشهر والبرى بالقصر التراب، والبرا هذا يمد ويقصر، وعازب فاعل من عزب أي بعد، والأخفاء المسرعون وكذلك الخفاف، وعند رواة البخاري أخفافهم وكله جمع خفيف، وقد قيل في أخفاف جمع خف، وفي غير الصحيحين من رواية أصحاب الأغربة كأبي إسحق الحربي، وأبي عبيد الهروي، في حديث البرا هذا انطلق جفاء من الناس، وحسر الجفاء هم سرعان النسا، شبههم بجفاء السيل وهو ما يرمي به من الغثاء والزبل، وأصله الهمز ثم لين ، يقال جفاته جفاه أي دفعته دفعة ، وأجفات القدرَ بزبدها إذا ألقته وقال الله جل ثناؤه: ﴿وَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ من جفا الوادي غثاؤه جفاه فرقه على شاطئيه، والحُسّر الذين لا درع[٥٣٥] عليهم جمع حاسر، والرشق: الوجه من السهم إذا رمى القوم بأجمعهم دفعة واحدة يقال رمينا رشقاً بكسر الرّاء وبالفتح، مصدر رشق بالسهم رشقاً، وقوله كأنّها رجل جراد، أي طائفة وجماعة من جراد، وهذا تشبيه حسن لأنه شبه كثرة النبال وتطايرها في الهواء بتطاير الجراد في كثرتها.

---

[٥٣٥]- في أ و ب "لا دروع".

وقوله إذا احمر البأس[٥٣٦] أي اشتد الحرب، والبأس أيضاً شدة المرض، والبأساء الشدة في الأنفس والحال، والعرب تعبر بلفظ الاحمرار والحمرة عن شدة الأمر، فيقولون: موت أحمر أي شديد، وسنة حمراء أي شديدة، وحمارة القيظ وهو شدة حره، وقوله: نتّقي به يعني البرّاءُ، أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتقدم لشجاعته وإقدامه، فيصيرون كأنهم متّقون به أو كشيء يُتّقى به ويُتحصّن، لا أنّهم كانوا يتعمدون ذلك، بل كانوا يقونه بأنفسهم جهدهم[٥٣٧]، وقوله الذي: يحادي به يقال: حاذيت الرجل أحاذيه إذا صرت بحذائه وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ   أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

رجز منهوك ولم يمر على لسان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ضروب الرجز إلاّ ضربان منهوك - ومشطور.[٥٣٨] قال الخليل بن

---

٥٣٦)- في أ و ب "الناس" وهو تصحيف.

٥٣٧)- وحديث البراء له شاهد آخر حيث خرج أحمد في مسنده في هذا المعنى حديث علي ابن أبي طالب - حدثنا زهير عن أبى اسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي رضي الله عنه قال: كنا إذا احمر البأس، ولقينا القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه.[مسند أحمد ١٥٦/١].

٥٣٨)- المشطور: هو الذي ذهب نصفه وبقي النصف الآخر. مثاله ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجا

ما هاج أح /زانن وشج/ ون قد شجا

أحمد، أمّا المنهوك منه والمشطور فليسا بشعر وما عدا هذين النوعين فهو شعر.

قَالَ ذُو النَّسَبَيْنِ أَيَّدَهُ اللهُ: وقد تكلمنا على ذلك كله في خصائص رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا الكتاب فأغنى ذلك عن إعادته.

ولما انهزم المسلمون يوم حنين(٥٣٩) في سمع الأرض وبصرها بقي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجاءه العدو، وهو يلقى الرماح بصدره، وينتظر ما وعده الله به من تأييده ونصره، كما **حدّثني** غير واحد منهم: الشيخ الصالح أبو الحسن عبد الرحيم بن عبد الرحمن الجرجاني الشعري،(٥٤٠) قراءة مني عليه بمسجد الطور بشادياخ نيسابور، وقال: حدّثنا فقيه الحرمين أبو عبد الله محمد بن الفضل الصاعدي، سماعاً عليه سنة أربع وعشرين قال: حدثنا العدل أبو الحسن(٥٤١) عبد الغافر بن محمد، سماعاً عليه قال: حدثنا الحاكم أبو

مستفعلن مستفعلن مستفعلن.

٥٣٩)- حنين: واد بين مكة والطائف وراء عرفات بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً.

٥٤٠)- في أ وب " الشعرائي".

٥٤١)- الحافظ المفيد اللغوي الامام أبو الحسن الفارسي، ثم النيسابورى مصنف تاريخ نيسابور كتاب: "مجمع الغرائب" المفهم لشرح مسلم. "كان من أعيان المحدثين بصيراً باللغات فصيحاً بليغاً عذب العبارة، ولد سنة إحدى وخمسين واربعمائة، ولحق إجازة أبي سعيد الكنجرودي وجماعة، وأجاز له من بغداد أبو محمد الجوهري وسمع من جده

أحمد، قراءة عليه قال: حدثنا الفقيه أبو إسحاق، سماعاً عليه قال: سمعت الإمام الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، سنة سبع وخمسين ومائتين يقول:

(٥٤٢) **وحدّثني** أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدثني يونس، عن ابن شهاب، قال: حدثني كثير بن

لأمه الاستاذ أبو القاسم القشيري، وأحمد بني منصور المغربي وأحمد بن عبد الرحيم الاسماعيلي وأبي حامد أحمد بن الحسن الأزهري، والفضل ابن المحب وأبي نصر عبد الرحيم بن علي التاجر، تفقه بامام الحرمين لزمه مدة أربع سنين، ورحل إلى خوارزم وإلى الهند، ثم ولي خطابة نيسابور وعاش ثمانياً وسبعين سنة "حدث عنه أبو سعد عبد الله بن عمر الصفار وطائفة، روى عنه أبو القاسم بن عساكر بالاجازة، مات سنة تسع وعشرون وخمسمائة. [تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/١٢٧٥-١٢٧٦].

(٥٤٢)– الحديث:

أ– درجته: صحيح بسنده.

ب– تخريجه:

مسلم كتاب الجهاد والسير باب في غزوة حنين ٢/١٣٩٨-١٣٩٩ لفظه. حديث ٧٦-٧٧ (١٧٧٥).

مسند أحمد ١/٢٠٧.

د– المفردات:

"يركض بغلته" أي يضربها برجله على كبدها لتسرع.

أصحاب السمرة: هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان ومعناها ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية. رجلاً صيتاً : أي قوي الصوت.

عباس بن عبد المطلب قال: قال عبّاس: شهدت مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم نفارقه، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفالة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يركض بغلته قِبَلَ الكفّار قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي عبّاس ناد أصحاب السمرة فقال عبّاس (وكان رجلا صيّتاً) فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة؟ قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو على بغلته

لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقرة على أولادها "أي عودهم لمكانتهم واقبالهم إليه صلى الله عليه وسلم عطفة البقر على أولادها - أي كان فيها انجذاب مثلما في الأمهات حين حنت على أولادها.

"الدعوة في الأنصار" يعني الاستغاثة والمناداة إليهم.

جدهم: أي قوتهم ضعيفة.

كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**هـذا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ**" قال: ثم أخـذ رسـول الله صَلَّـى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ حِصبان فرمى بهنّ وجوه الكفار، ثم قـال: "**اِنْهَزَمُـوا وَرَبِّ مُحَمَّـدٍ**". قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى. قال: فوالله مـا هـو إلاّ أن رماهم بحصياته فما زلت أرى جِدَّهم كليلاً وأمرهم مدبراً".

قال ذو النسبين: وله طرق في صحيح مسلم.

وكثير بن العباس هذا يكنّى أبا تمام ولد قبل وفاة النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأشهر في سنة عشر من الهجرة، وكان فقيهاً ذكياً فاضلاً.

وفـروة بـن نُباتـة بـالنون المضمومـة والتـاء المعجمـة المثلثـة هـو الصحيح، ومن رواه ابن نعامة بفتح النون وبـالعين المهملـة فقـد أخطـأ وهي رواية معمر عن الزهري، أخرجها مسـلم، وقولـه: وكـان رجـلاً صيّتاً: يعني جهير الصوت، وقوله: لكأن عطفتهم أي كرتهم وإقبـالهم، وقولـه: إرادة أن لا تسـرع، إرادة نصـب مفعـول بـه أي إرادة أن لا تسرع ، وقولهم يا لبّيك: المنادى محذوف أي يا فلان لبيك، وعلىهـذا قراءة من قرأ. ﴿**أَلاَّ يَسْجُدُوا**﴾ أي ألا يـا أيهـا القـوم اسـجدوا وقولـه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الآن حين حمي الوطيس"[٥٤٣] وهـي مـن الكلـم

---

[٥٤٣]- حين حمي الوطيس: قال الأكثرون: هو شبه التنور ليسجر فيه ويضرب مثلاً لشدة الحرب التي يشبه حرها حره.

التي لم يسبق إليها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقوله حين حمي الوطيس: أي أتى البلاء، وأصل الوطيس في اللغة: وطأ الخيل أخذ من الوطيس وهو الكسر، لأنه هرم في الأرض . قال عبيد: وطست كسرت، وقيل: الوطيس : شدّة البلاء، يقال: وطست الشيء وطساً أي إذا كددته وأثرت فيه، والوطيس التنور، فشبهت الحرب بالنار، وقيل: الوطيس نقرة في حجر توقد حوله النار فيطبخ به اللحم.

وأما رميه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للحصيات في هذا الحديث الصحيح ففيه معجزة عظيمة، وهي مروية من طرق صحيحة، وقد رمى أيضاً يوم بدر الكفار بقبضة قبضها من البطحاء، وكذلك في هذا اليوم فملأت عيون جميع العسكر، ونزل بذلك القرآن فقال جلّ من قائل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ أي عم جميعهم، ولم يكن في قبضتك يا محمّد إلا ما يبلغ بعضهم فالله هو الذي رمى سائرهم إذ رميت أنت القليل منهم، وقال أبو العباس[٥٤٤] ثعلب: معنى

وقد قال آخرون: الوطيس هو التنور نفسه، وقال الأصمعي: هي حجارة مدورة إذ أحميت لم يقدر أحد أن يطأ عليها، فيقال: الآن حمى الوطيس. وقيل الضرب في الحرب، وقيل: هو الحرب الذي يطيس الناس: أي يدفعهم. قالوا: وهذه اللفظة من فصيح الكلام وبديعه الذي لم يسمع من أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم.

[٥٤٤]- أبو العباس ثعلب: العلامة المحدث شيخ اللغة والعربية أبو العباس أحمد بن يحيى ابن يزيد الشيباني مولاهم البغدادي المقدم في الكوفيين، سمع ابراهيم بن المنذر الحزامي ومحمد بن سلامة الجمحى، وعبيد الله بن عمر القواريري، ومحمد بن الأعرابي، وطائفة

وما رميت قلوبهم بالرعب حين رميت بالحصباء، ولكن الله رمى، وقال هبة الله: الرمي أخذٌ وإرسال، وتبليغ وإصابة، فالذي أثبت الله لنبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الأخذ والإرسال، والذي نفى عنه هو التبليغ والإصابة وأثبتهما لنفسه سبحانه، وفي صحيح مسلم وإفراده عن إياس بن مسلمة[٥٤٥] بن الأكوع.

[٥٤٦]قال: حدّثني أبي، قال: "غزونا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حنيناً فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنيةً فاستقبلني رجل من

سواهم، حدث عنه نفطويه ومحمد بن العباس اليزيدي وعلي الخفش وأحمد بن كامل وأبو عمر الزاهد ومحمد بن مقسم وآخرون، مولده سنة مائتين وابتدأ بالطلب سنة ست عشرة حتى برع في علم الأدب، ولو سمع إذ ذاك لسمع من عفان، وإنما أخرجته في هذا الكتاب لأنه قال: سمعت من العواريري مائة ألف حديث، وقال الخطيب: كان ثعلب حجة ديناً وصالحاً مشهوراً بالحفظ قلت: له تصانيف كثيرة وقيل: إنه خلف ستة آلاف دينار.

توفي في جمادي الأولى سنة إحدى وتسعين ومائتين، وكان يلحن إذا تكلم وتردد إليه الطلبة من سنة خمس وعشرين ومائتين قال المبرد: أعلم الكوفيين ثعلب، فذكر له الفراء فقال: لا يعشره، ويحكى عن ثعلب تقتيراً على نفسه مع الجدة. [تذكرة الحفاظ للذهبي ٦٦٦-٦٦٧].

٥٤٥)- في أ و ب "مسلمة".

٥٤٦)- أ- درجته: صحيح بسنده.

ب- تخريجه: مسلم كتاب الجهاد والسير باب غزوة حنين ١٤٠٢/٢ حديث ٨١ (١٧٧٧) بلفظه.

العدو فأرميته بسهم فتوارى عني، فما دريت ما صنع فنظرت إلى القوم، فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى، والتقوا هم وأصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فولى صحابة النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرجعت منهزماً وعلي بردتان متّزراً بأحدهما مرتدياً بالأخرى فاستطلق إزاري فجمعتهما جميعاً، ومررت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهزماً وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**لَقَدْ رَأَى ابْنُ الأَكْوَعِ فَزَعاً**" ويروي لقد رجع ابن الكوع فزعاً، فلما غشوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم،

الدارمي كتاب السير باب قول النبي صلى الله عليه وسلم شاهت الوجوه ٦١٥/١ - ٦١٦ نحوه.

مسند أحمد ٣٦٨/١ نحوه.

د- المفردات:

"فاستطلق إزاري" : أي انحل لاستعجالي.

"منهزماً" قال العلماء: قوله منهزماً: حال من ابن الأكوع كما صرح أولا بانهزامه و لم يرد أن النبي صلى الله عليه وسلم انهزم، وقد قالت الصحابة كلهم رضي الله عنهم أنه صلى الله عليه وسلم ما انهزم، و لم ينقل أحد قط على أنه لا يجوز أن يعتقد انهزامه صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ذلك عليه.

فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي أتوه من كل جانب.

شاهت الوجوه: أي قبحت.

فقال: "**شَاهَتِ الوُجُوهُ**" فما خلق الله منهم إنساناً إلاّ مـلأ عينيـه ترابـاً بتلك القبضة فولّوا مدبرين هزمهم الله عزّ وجلّ وقسّم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غنائمهم بين المسلمين".

ما تقدّم من القريب المستقبل من شاهت الوجوه " شأه " (٥٤٧) لأن وزنه فَعَلُ ، ومعنى شاهت الوجوه: قبحت، يقال: رجل أشوه وامرأة شوهاء، والشوهاء أيضا في هذه الحسنة؛ فهو من الأضداد، والشوهاء أيضا التي تصيب بعينها، وأيضا الواسعة الفم، وأيضا الصغيرة الفم، وقال النضر (٥٤٨) ابن شميل الثقة العدل، وزاد في هذا الحديث أنّ البغلة حضجت به إلى الأرض حين أخذ الحفنة، ثم قامت به، وفسر

---

٥٤٧)- في أ" تشاه " بالتاء ت وفي ب" نشاه " بالنون وبغير همزة ولعل الأصح : تشاه

٥٤٨)- النضر بن شميل : أبو الحسن المازني البصري اللغوي عالم أهل مرو ، قال أحمد ابن سعيد الدارمي سمعته يقول: خرج بي أبي من مرو الروذ ، وأنا ابن خمس أو ست سنين إلى البصرة وقت الفتنة يعني : فتنة ظهور أبي مسلم سنة ثمان وعشرين ومائة ، وروي عن هشام بن عروة وحميد الطويل ، واسماعيل بن أبي خالد بن عون ، وهشام بن حسان ، وخلق من الكوفيين والبصريين ، وعنه اسحاق بن راهويه وإسحاق بن الكوسج ، ومحمد بن رافع وأبو محمد الدارمي وسعيد بن مسعود المروزي . قال أبو حاتم : ثقة صاحب سنة ، وعن ابن المبارك وسئل عنه فقال: ذاك أحد لاحدين لم يكن أحد من أصحاب الخليل يدانيه ، وقال العباس ابن مصعب : كان إماماً في العربية والحديث ، وهو أول من أظهر السنة بمرو وخراسان ، وكان أروى الناس عن شعبة ألف كتباً كثيرة لم يسبق إليها ، وولي قضاء مرو ، قال أحمد الدارمي سمعت النضر يقول : في كتاب الحيل كذا وكذا مسألة كفر .

قال داود بن مخراف سمعت بن شميل يقول : لايجد الرجل لذة العلم حتى يجوع وينسى جوعه : قال محمد بن عبد الله بن قهزاذ : مات النضر في آخر يوم في سنة ثلاث ومائتين ودفن في أول يوم من سنة أربع . رحمه الله (تذكرة الحفاظ ٣١٤- ٣١٥).

حضجت أي ضربت بنفسها إلى الأرض وألصقت بطنها بالتراب؛ ومنه الحضاج بكسر الحاء وهو زق مملوء قد أسند إلى شيء وأميل إليه، ومنه قيل للجرذون حضاجاً ؛ فجاء من هذا أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لايليق به الانهزام؛ لأنّه من كيد الشيطان ومن تخيله أنّ الأجل يستأخر به ، وليس استئخار الآجال بالاحتيال، والقدر نافذ على كل حال. وقد أثبت الله العظيم في كتابه الكريم شجاعة محمّد عليه أفضل الصلاة وأشرف التسليم فقال: جلّت آلاءه، وتقدّست أسماؤه: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ﴾[٥٤٩] أي لاتقطعون ولا

---

[٥٤٩]- قال أبو حاتم أصعدت إذا أمضيت حيال وجهك ، وصعدت إذا ارتقيت في جبل فالاصعاد السير في مستوي الارض وبطون الأودية ، والصعود الارتفاع علي الجبل والسفوح والسلالم والدرج ، فيحتمل أن صعودهم في الجبل بعد صعادهم في الوادي فيصبح المعنى على القرائتين (فتح القدير ١/٣٩٠).

إذ تصعدون في الجبل هاربين من أعدائكم وأنتم لاتلوون على أحد من الدهش والخوف والرعب : " والرسول يدعوكم في أخراكم " أي وقد خلفتموه وراء ظهوركم يدعوكم في أخراكم " أي وقد خلفتموه وراء ظهوركم يدعوكم إلى ترك الفرار من الأعداء ، وإلى الرجعة والعودة والكرة .

قال السدي: لما اشتد المشركون على المسلمين بأحد فهزموهم دخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم إلى الجبل فوق الصخرة فقاموا عليها فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس : " إلي عباد الله إلي عباد الله فذكرهم الله صعودهم إلى الجبل ، ثم ذكر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اياهم (ابن كثير ١/٤١٥).

تعرجون، ولا يلتفت بعضكم إلى بعض هرباً من عدوكم مصعدين في الوادي، والرسّول يدعوكم في أخراكم، وقوله: ﴿تُصْعِدُونَ﴾ أي تبعدون في الهزيمة؛ يقال: أصعد في الأرض، وصعد الجبل والسطح إذا أمعن في الذهاب، وسار في مستوى من الأرض، وصعد الجبل والسطح، إذا ارتقى فيها.

وقرأ الحسن: تصَعَّدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعّد في السلم، يريد أنهم لما انهزموا صعدوا الجبل، وقوله جلّ وعلا: ﴿فِي أُخْرَاكُمْ﴾ أي في ساقتكم وجماعتكم الأخرى وهي المتأخرة؛ يقال: جئت في آخر الناس وأخراهم كما تقول في أولهم وأولاهم، وكان صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يناديهم من خلفهم إليّ ع اد الله. و﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ نصب بصرفكم أوبقوله: ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ أو بإضمار ذكر،

فقال : ﴿ إذ تصعدونَ ولا تلوونَ على أحدٍ والرسولُ يدعوكمْ في أخراكُمْ فأصابكُمْ غماً بغمٍ لكيلا تَحْزنوا على ما فاتَكُمْ ولا ما أصَابكُمْ واللهُ خبيرٌ بما تعملونَ ﴾ آل عمران ١٥٣ .

فإن قيل أين متعلق بكم(حتى إذا فشلتم) . قيل : محذوف تقديره حتى إذا فشلتم منعكم نصره، ويجوز أن يكون المعنى: صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم، ومعنى : " فشلتم " جبنتم، وحسبك بشجاعة نطق بها القرآن ووجب التصديق بها والإيمان، وقد ثبت في الصحيحين[٥٥٠]، عن أنس بن مالك، أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أحسن النّاس وأشجع الناس وأجود الناس، ولقد فزع أهل

---

٥٥٠)- الحديث

(أ) رواته : ثقات

(ب) درجته : إسناده صحيح

(ج) تخريجه : * البخاري كتاب الجهاد والسير باب الحمائل وتعليق السيف بالعنق ٢٢٨/٣ لفظه .

* مسلم كتاب الفضائل باب في شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم وتقدمه للحرب ١٨٠٣/٢ لفظه .

* الترمذي كتاب الجهاد باب ماجاء في الخروج عند الفزع ١٩٩/٤ نحوه حديث ١٦٧٨

* مسند أحمد ١٤٧/٣ مثله .

(د) المفردات :

لم تراعوا :أي روعاً مستقراً أوروعاً يضركم .

وجدته بحراً : أي واسع الجري

بطيئاً : معناه - يعرف بالبطء والعجز وسوء السير

أجود : روي بالرفع والنصب والرفع أصح وأشهر .

المدينة ليلة سمعوا صوتاً؛ فانطلق الناس قبل الصوت ؛ فتلقاهم النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راجعاً قد سبقهم إلى الصوت،واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة، عري يقال له: "مندوب" ما عليه سرج، وقد تقلّد سيفه فقال: لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا ثُمَّ قال : وجدته بحراً يعني الفرس، وكان بطيئاً فما سبق بعد ذلك اليوم، وفي رواية من الصحيح فكان بعد ذلك لايجارى.

فقه ما تقدم: فيه من الفقه أنّ الرجل وإن كان رئيساً قد يشجع في بعض الأوقات إذا وجد من نفسه قوة، وإن كان ألزم له إذا كان رئيساً أن يحوط أمر المسلمين بحياطة نفسه؛ لكنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لّما استولى الفزع على النّاس إذ فزع أهل المدينة علم أنّه لن يكاد بما أخبره الله تعالى به، وأنه لابد أن يدخل مكة ويحكمها، ويمن على أهلها فذلك أمن فزعهم باستبراء الصحة.

وفيه أيضا دلالة علىأنّ إقدام الرجل على العدو وحده إذا كان واثقاً من نفسه بالقوة جائز، ولا يعد ذلك تغريراً بالروح ومخاطرة بالنفس، وفي معناه المبارزة، وقد بارز علي وحمزة وعبيدة بن الحارث يوم بدر عتبة بن ربيعة وشيبة والوليد بن عتبة، بأمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقتلهم الله عز وجل. وبارز علي عمرو بن ودّ فارس

لؤي فقتله علي [٥٥١] عليه السلام، وفيه دلالة على جواز ركوب الدابّة عرياً، وكان ركوب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفرس عرياً تواضعاً منه واستصغاراً منه لأمور الدنيا، وقد قال بعض أئمة الزهاد: إذا عظم الربّ في القلب صغر الكون في العين. وفيه من الفقه تسمية الدواب، وقد كان له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيل وبغال وحمير لها أسماء وأعلام [٥٥٢] فقد ذكرت ذلك في غزوة بدر من كتاب (التنوير في

---

[٥٥١]- وقصة المبارزة أنه خرج علي بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليه الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم ، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد؛ فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه ، فلما خرج هووخيله قال : من يبارز ؟ فبرز له علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: له ياعمرو إنك كنت عاهدت الله لايدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه . قال: أجل . فقال له علي إني أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الإسلام . قال: لاحاجة لي بذلك فقال فإني أدعوك الى النزال . قال له: لم يا ابن أخي فو الله ما أحب أن أقتلك قال له علي : لكني والله أحب أن أقتلك ، فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ، ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي رضي الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة .(البداية والنهاية ٤/١٠٥)

[٥٥٢]- فمن الخيل : السكب . قيل هوأول فرس ملكه وكان اسمه عند الاعرابي الذي اشتراه منه بعشرة أواق. الفرس وكان أغر محجلاً طلق اليمين كميتا، وقيل : كان أدهم . والمرتجز . وكان أشهب . واللحيف . واللزاز . والظرب . وسبحة . والورد .
وقد جمعها الامام أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن جماعة الشافعي في بيت

فالخيل سكب لحيف سبحة ظرب   لزاز مرتجز ورد لها أسرار

مولد السراج المنير) وفيه أيضا من الفقه استعمال المجاز بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وجدته بحراً، وفي رواية وجدناه بحراً شبهه بالبحر في سعة الجري، والبحر مشتق من السعة، يقال فلان متبحر في العلوم أي متوسع والبحر أيضاً الشق في الأذن لأنّ فيه التوسع يقال في اللغة: فرس بحر، إذا كان كثير العدو ودائم الجري، وكذلك فرس سكب وقيض، وحتّ وجمعه أحتات، وغمر، وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرس يقال له السكب، والسكب الواسع الجري كأنه يسكب الأرض أي يصبها، وفي أوصاف الفرس في كلام العرب على سبيل المجاز ما لايحصى كثرة منها، وهو أبلغها، لأنّه ضم

ومن البغال : دلدل . وكانت شهباء أهداها له المقوقس ، وبغلة أخرى يقال لها :" فضة " أهداها له فروة الجذامي . وبغلة شهباء أهداها له صاحب أيلة وأخرى أهداها له صاحب دومة الجندل ، وقد قيل : إن النجاشي أهدى له بغلة فكان يركبها.
ومن الحمير :عفير وكان أشهب وآخر أهداه له فروة الجذامي ، وذكر أن سعد بن عبادة أعطى النبي صلى الله عليه وسلم حماراً فركبه .
ومن الإبل القصواء ، وهي التي هاجر عليها ، والعضباء والجدعاء ولم يكن بهما جدع ولا عضب وإنما سميتا بذلك ، وقيل : كان بأذنها عضب فسميت به . (زاد المعاد في هدي خير العباد ١/١٣٣- ١٣٤).

وَقَــدْ أَغْتَــدِي[1] وَالطَّــيْرُ[2] فِــي وُكُنَاتِهَــا[3] بِمُنْجَــرِدٍ[4] قَيْدِالأَوَابِدِ[5] هَيْكَلِ[6](553)

فوصفه بانجراد الشعر وهو من أوصاف الجياد، ووصف شدة عدوه وإدراكه الوحش، وهي الأوابد بشدة جريه، فكأنه قيدها بادراكه إياها، وشبهه في حسنه وطوله وتمام صورته بهيكل مصور.

وفيه من الفقه تقليد السيف لاحترامه كما تفعل العجم؛ فتقلُّدُهُ هي السنّةُ الثابتةُ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد قال الله عز

---

(553)- البيت من قصيدة لامرئ القيس وهي معلقته التي أولها : قفانبك .. وامرؤ القيس هو ابن حجر الكندي الجاهلي الذي عاش في الجاهلية ومات فيها .

المفردات:

(1) اغتدي :من الغدوة توخي الخروج في الصباح المبكر .

(2) الطير : جمع طائر – مثل شرب في جمع شارب .

(3) الوكنات : مواقع الطير ، واحدتها وكنه ، وتقلب الواو همزة فيقال : أكنة.

(4) المنجرد : الماضي في السير ، وقيل : بل هو قليل الشعر .

(5) الأوابد : الوحوش وقد أبد الوحش يأبد أبوداً ، ومنه تأبد الموضع إذا توحش وخلا من القطان.

(6) الهيكل : قال ابن دريد :هو الفرس العظيم الجرم والجمع الهياكل .

المعنى : يقول وقد اغتدي والطير بعد مستقرة على مواقعها التي باتت عليها ، على فرس ماض في السير قليل الشعر يصيد الوحوش بسرعة لحاقه إياها(المعلقات السبع شرح الزوزني ص43) .

وجل ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، وفيه من اللغة: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم تراعوا، والروع في اللغة: هو الفزع يقال: ريع الرجل يراع إذا فزع، وراعه الشئ يروعه، إذا أفزعه، أي لافزع عليكم، والفزع، الذعر من حرب العدو، يقال:فزع إذا استغاث بكسر الزاي في الكل، وقيل :فزع أغاث بفتح الزاي،وقوله في الفرس وكان ثبطاً بالثاء المثلثة وهو البطيء ، ويروى ثبطاً معناه أنهم كانوا يستبطئون سيره فلما ركبه صار خفيفاً.

ومن معجزات النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبركته أنّها تنال من مسَّه من الآدميين والبهائم، وذلك أنّ هذا الفرس من بركة ركوبه عليه، تلك الساعة لم يسبقه فرس بعد ذلك، وصار خفيف الجري، واسع العدو[٥٥٤]، وفيه دلالة على شجاعة النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشدّة قلبه وثبات جنانه، وذلك بخلوص ثقته، وصدق اعتماده على ربّه واستسلامه للقدر المحدود والقضاء المحكوم.

قَالَ ذُو النَّسَبَيْنِ أَيَّدَهُ اللهُ:كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشدّ النّاس جرأة وأكملهم شجاعة، لا يملك الرعب له صدراً، ولا يستطير له قلباً، و لم نحفظ له قط أنّه كَعٍ عن عدوه ولا ولّى الدبر في موقف، ولو فعل ذلك لأنزل الله تعالى عذره فيما فعل، ولو كان أيضا

---

[٥٥٤]- في أ و ب " الحي " والصواب ما أثبتناه.

من ذلك شيء لورد به الأثر، واستفاض به الخبر، ولو ستره وليّه لأشاد به عدوه، ولم نسمع قط شجاعاً ولا علمناه إلاوقد حاص حيصة وفَرَّ فرةً وانحاز مرة بعد مرة، هذا عتبة بن الحارث بن شهاب، الذي كان يسمى صيّاد الفوارس، وسم الفرسان قد فرعن ابنه حرزة يوم تبره، وهذا عامر بن الطّفيل فرّ عن أخيه الحكم يوم الرقم بياجج،وهو واد ينصب من مطلع الشمس قريب من وادي القرى فخنق الحكم نفسه خوف المثلة، وهذا بسطام بن قيس، قد فرعن قومه يوم العظال، وإنّما اختصصنا هؤلاء الثلاثة بالذكر، لأنّ أبا عبيدة معمر ابن المثنى، وعمران، العكاظيين اتفقا على أنّهم أشجع العرب.

قال ذو النسبيين أيده الله: سمّي يوم العظال لأنّ الناس ركب فيه بعضهم بعضاً، وقال الأصمعي: ركب الاثنان والثلاثة الدابّة الواحدة، ذكره ابن قتيبة في غريب الحديث[٥٥٥] له: "وقد بارز رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد أبيّ بن خلف القرشي الجمحي وذلك أنّ أبيّاً وقف بين الصفين يوم أحد، وقال أين محمد - لا نجوتُ إن نجا- وشدّ على فرسه على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاعترضه رجال من المسلمين؛ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هكذا أي خلّوا طريقه

---

[٥٥٥]- انظر غريب الحديث لابن قتيبة ٢٧٢/١

[556] وتناول الحربة من الحارث بن الصمّة فانتفض بنا انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء [557] عن ظهر البعير إذا انتفض بها، ثم استقبله النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فطعنه بها في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه

---

[556]- السيرة النبوية لابن هشام ٣١/٣.

[557]- المفردات

تدأدأ : تغلب على فرسه فجعل يتدحرج

"الفرق : " مكيال يسع اثني عشر رطلا

"سرف: مكان على ستة أميال من مكة

" الشعراء: ذباب لدغ

والأبيات هي :

أتيت اليه تحمل رم عظم وتوعده وانت به جهول

وقدقتلت بني النجار منكم أمية إذا يغوث ياعقيل

وتب ابنا ربيعه إذ أطاعا أبا جهل لأمهما الهبول

وقال حسان أيضا في هذا المعنى :

ألا من مبلغ عني أبياً لقد ألقيت في سحق السعير

تمنى بالضلالة من بعيد وتقسم أن قدرت مع النذور

تمنيك الأماني من بعيد وقول الكفر يرجع في غرور

لاقتك طعنةذي حفاظ كريم البيت ليس بذي فجور

له فضل على الاحياء طرا اذا نابت ملحات الأمور

المفردات : (١) الهبول :الهلك

(٢) الحفاظ : الغضب أتيت اليه تحمل رم عظم وتوعده وأنت به جهول

مراراً، وقيل بل كسر ضلعاً من أضلاعه فرجع إلى قريش يقول: قتلني محمّد، وهم يقولون: لابأس بك؛ فقال: لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال: (أناْ أقتلك) والله لو بصق علي لقتلني "، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت شاعر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لَقَدْ وَرِثَ الضَّلاَلَةَ عَنْ أَبِيهِ أُبَيٌّ حِينَ بَارَزَهُ الرَّسُولُ

ذكره في أبيات ذكرها أصحاب السير النبوية.

قال ذو النسبيين أيده الله تعالى: وإنّما قال ذلك أبيّ - لعنه الله - لأنه حين افتدى يوم بدر، قال للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنّ عندي العَوْد فرساً أعلقها كل يوم فرقاًمن ذرة فأقتلك عليها. فقال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **"بَلْ أناْ أَقْتُلُكَ إنْ شَاءَ اللهُ"**؛ فكان ذلك كذلك، ومات من تلك الضربة بسرف في قفولهم إلى مكة، والعجب أنهم يعرفون صدقه وينكرون حقه، وفي ذلك يقول حسان:

لَقَدْ وَرِثَ الضَّلاَلَةَ عَنْ أَبِيهِ أُبَيٌّ حِينَ بَارَزَهُ الرَّسُولُ

في أبيات ذكرها أصحاب السير

شرح ما تقدم من النحو والغريب:

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"هكذا" كلمة معناها الأمر بالتنحي، فليس يعمل فيها ما قبلها كما يعمل إذا قلت جلس هكذا، أي على هذه الحال، وإن كان لابد من عامل فيها إذا جعلناك للأمر؛ لأنها كاف التشبيه دخلت على ذا، وها التنبيه ، فنقدر العامل إذاً مضمرا

كأنك قلت: ارجعوا هكذا،وتأخّروا هكذا، واستغنى بقولك هكذا عن الفعل كما استغنى عنه بروبداً عن أرفق؛ سمعته من شيخنا الأستاذ المفتي أبو القاسم السهيلي، في مسجده بمالقه[٥٥٨] سنة أربع وسبعين وخمسمائة، والحربة: العريضة النصل، وقيل الحربة: غير عريضة النصل، وقيل: طعنه بعنزة كانت في يده كانت للزبير بن العوام[٥٥٩] وكان يقاتل بها مع النجاشي، وشهد بها بدراً مع النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقتل بها يومئذ عبيدة بن سعيد بن العاص، وشهد بها أُحداً فأخذها منه النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقتل بها أبيّ بن خلف، وهي التي مع المؤذّنين يمشون بها أمام الإمام في العيد يعني بالمدينة، ثم ينصبونها في

---

٥٥٨)- مالقة : مدينة بالأندلس .

٥٥٩)- الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، وكان يكني أبا عبد الله وكان له من الولد أحد عشر ذكرا وتسع نسوة ، أسلم وهو ابن ست عشرة سنة ، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هاجر الزبير إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم حين آخى بين أصحابه آخى بين الزبير وطلحة ، وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم :" إن الملائكة نزلت على سيماء الزبير ، وشهد الزبير بن العوام بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثبت معه يوم أحد ، وبايعه على الموت وكان مع الزبير إحدى رايات المهاجرين الثلاث في غزرة الفتح؛ فعن هشام بن عروة عن أبيه قال قالت عائشة : أبوك والله من الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرح (الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/١٠٠،١٠٤)

المصلّى؛ فيصلي إليها الإمام؛ يزعم المؤذّنون أنها لم تكن في بيت أحد إلاأخصب. كذا قيدته مع خطّ شيخنا الحافظ أبي موسى محمّد بن أبي بكر المدني الأصفهاني، والذي أحفظه أنا في صحيح البخاري أنّ العنزة التي طعن بها الزبير في عين أبيّ ذات الكرش عبيدة بن سعيد بن العاص فمات. قال عروة: فسأله إيّاهارسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعطاه إيّاها؛ فلمّا قبض أخذها ثم طلبها أبو بكر فأعطاه، فلمّا قبض أبو بكر سألها عمر فأعطاه إياها، فلمّا قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها، فلمّا قتل دفعت إلى آل علي وطلبها عبد الله بن الزبير، وكانت عنده حتى قتل هذا نصّ صحيح البخاري وتفرد به.[560]"

[560]-لفظ الحديث في صحيح البخاري حدّثني عبيد بن إسماعيل أبو أسامة، عن أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: قال الزبير: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص، وهو مدجّج لايرى منه إلاّ عيناه، وهو يكنّى أبو ذات الكرش فقال: أناْ أبو ذات الكرش، فحملت عليه بالعنزة فطعنته في عينه فمات . قال هشام: فأُخبرت أنّ الزبير قال: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها، قال عروة : فسأله إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه إياها، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها، فلما قبض أبو بكر سألها اياه عمر، فأعطاه إياها، فلما قبض عمر ، أخذها ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل".

قال أبو عبيدة: العنزة ما دور نصله ، وقيل: العنزة عصا في طرفها زجّ، والفرق بفتح الراء وسكونها والفتح أشهر ثلاثة آصع، والصاع أربعة أمداد، والمد رطل وثلث رطل .

قَالَ ذُو النَّسَبَيْنِ أَيَّدَهُ اللهُ: والشَّعْر ذباب[٥٦١] صغير له لذع، ورواه ابن قتيبة في غريب الحديث له؛ الذي حدثني به قاضي الجماعة بقرطبة الفقيه أبو محمد عبد الله بن مغيث بن يونس سنة ثلاث وسبعين قال: حدثني جدي الفقيه القاضي أبو عمر أحمد بن محمد التميمي، قال: حدثني المحدث الصالح أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان،

الحديث

(أ) رواته : ثقات

(ب) درجته :إسناده صحيح

(ج) أخرجه :

* البخاري كتاب المغازي باب حدثني خليفة حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال مات أبو زيد ولم يترك عقبا وكان بدريا .

جـ ٥ ص١٤ – ١٥ ولم يروه غيره ربما تفرد به .

(د) المفردات :

قال الزبير :هو ابن العوام

مدجج: بالسلاح لا يظهر منه شيء

ثم تمطأت :قيل الصواب تمطيت .

فكان مني الجهد : بفتح الجيم وبضمها .

[٥٦١]- في أ و ب " الشعرا " بالقصر

قال:حدثنا الإمام الحافظ المصنّف أبو محمد قاسم بن أصبغ[٥٦٢] قال: حدثني أبومحمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري في منزله ببغداد سنة ست وسبعين ومائتين، وحضرت دفنه في النصف من رجب وهو ابن ثلاث وستين سنة قال : تطايرنا تطاير الشعر، وقيل :هي جمع شعرا،وهو ذباب حمر كبار تقع على الإبل والحمير فتؤذيها أذى شديداً ؛ فأما الزرق فيقال لها : القمعة . وقوله تدأدأ منها عن فرسه مرارا: أي نزل وانحط من علو إلى أسفل، ويروى تردى أي ألقى بنفسه، والشجاعة في الرجال والكرم من أكرم الأخلاق والأفعال، والكذب

---

٥٦٢)- الامام الحافظ محدث الأندلس أبو محمد الاموي مولاهم القرطبي ، ولسمه قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناضح أو واضح . سمع بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح واصبغ بن خليل ومحمد بن عبد السلام ، وبمكة محمد بن اسماعيل الصائغ وببغداد محمد بن الجهم السمري وجعفر بن محمد بن شاكر وأبا محمد بن قتيبة والحارث ابن أبي أسامة وابن أبي الدنيا وأبي اسماعيل السلمي واسماعيل القاضي وأكثر عنه و أبي خيثمة وكتب عنه التاريخ ، وبالكوفة ابراهيم بن عبد الله العيسى صاحب وكيع وفاته أبو داود وصنف سنناً على منوال سننه مسند مالك وكتاب برالوالدين وكتاب الصحيح على هيئة صحيح مسلم وله مصنف في الأنساب بديع الحسن وله كتاب المنتقى في الآثار وغير ذلك وذكروا أنه كان بصيراً بالحديث ورجاله رأسا في العربية فقيهاً مشاوراً وفي آخر عمره كبر وكثر نسيانه وما اختلط فحس بذلك فقطع الرواية صوناً لعلمه . روى عنه حفيده ، قاسم بن محمد وعبد الله بن محمد الباحي الحافظ وغيرهم وانتهى إليه بتلك الديار علو الاسناد والحفظ والجلالة أثنى عليه غير واحد ومات بقرطبة في جمادي الاولى سنة اربعين وثلاثمائة .تذكرة الحفاظ ٣/٨٣٥-٨٥٤

والجبن من أقبح الأحوال، ولا يصدران إلا عن قليل الهمة خسيس الأعمال .

أخبرني غير واحد من شيوخي، منهم الحافظ أبو موسى المديني، ومختص الدين أبو المكارم أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله اللبان إذناً قالا: حدثنا أبو علي الحسن بن أحمد المقري سماعاً قال :حدثنا الحافظ أبو نعيم الجعفري قال:حدثنا الحافظ أبو محمد عبد الله بن جعفر قال:حدثنا الإمام أبو مسعود قال: حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني عمر بن محمد بن جبير بن مطعم أنّ محمد بن جبير قال: أخبرني جبير بن مطعم، **"أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيُر مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ النَّاسُ مُقْفِلَةً مِنْ حُنَيْن، فَطَفِقَتِ الأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلى سَمْرَةٍ فَخُطِفَتْ رِدَاؤُهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هذِهِ العُضَاةِ نُعماً لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لاَ تَجِدُونَنِي بَخِيلاً وَلاَ كَذُوباً وَلاَ جَبَاناً"**[٥٦٣] التعريف : هذاحديث صحيح أخرجه البخاري

---

٥٦٣)- الحديث

(أ) رواته :ثقات

(ب) درجته :إسناده صحيح

(ج) تخريجه: البخاري كتاب الجهاد والسير باب الشجاعة في الحرب والجبن ٣/٢٠٩ لفظه .

عن أبي اليمان، وهي لي موافقة عالية في أبي اليمان، واسمه الحكم بن نافع الحمصي[٥٦٤] أخرجه في الجهاد في باب الشجاعة في الحرب والجبن.

النسائي كتاب الهبة باب هبة المشاع ٦/٢٦٣-٢٦٤ نحوه وزاد فيه "ثم أتى بعيرا فأخذ من سنامه وبرة بين أصابعه ثم يقول : هاأنه ليس لي من الفيء شيء ولا هذه الاخمس ، والخمس مردود فيكم فقام اليه رجل بكبة من شعر فقال يا رسول الله أخذت هذه لأصلح بها بردعه بعير لي فقال أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لك فقال : أو بلغت هذه فلا أرب لي فيها فنبذها فقال يأيها الناس أدوا الخياط والمخيط فان الغلول يكون على أهله عاراً وشناراً يوم القيامة "

مسند أحمد ٢/١٨٤ نحوه .

(د) المفردات :

اضطروه :ألجأوه

فخطفت : من خطف كسمع وروى إلى أسلب ، والضمير للشجرة

وبرة : بفتحتين أي شعرة

بكبة : بضم الكاف وتشديد الباء شعر ملفوف بعضه على بعض

بردعة : بفتح الباء الموحدة وسكون مهملة وهي بالكسر كساء يلقى تحت الرحل على ظهر البعير

بلغت : أي الكبة هذه المرتبة والعزة .

فلا أرب : فلا حاجة

الخياط والمخيط : هما بالكسر – الابرة

[٥٦٤]- الحكم بن نافع مولاهم أبو اليمان الحمصي ، روى عن شعيب بن أبي حمزة وحريز بن عثمان وعطاف بن خالد وسعيد بن عبد العزيز وصفوان بن عمرو وغيرهم ، وعنه

شرح غريبه:

قوله: "**فَطَفِقَتِ الأَعْـرَابُ**" أي جعلت الأعراب تسأله ، يقال بكسر الفاء وفتحها، ولا يكاد يقولونها بالنفي ماطفق يفعل، انما يقولونها في الإيجاب وقوله : "**إِلى سَمْرَةٍ فَخُطِفَتْ رِدَاؤُهُ**" يقال خطف يخطف بكسر الطاء في المضي وفتحها في المضارع، وفي الفصحى ويقال خطف بفتح الطاء في الماضي وكسرها في المضارع خطفاً، واختطف يختطف اختطافاً، وتخطف تخطفا وهو الأخذ بسرعة،

البخاري وروى له الباقون بواسطة ابراهيم بن سعيد الجوهري ، وعبد الله الدارمي وعمرو ابن منصور ، ورجاء بن مرجا وعمران ابن بكار وأبي علي محمد بن علي بن حمزة المروزي ومحمد بن عوف الطائي وأبو مسعود الرازي واحمد بن عبد الوهاب بن نجده ، واحمد بنت حنبل وأبو حاتم ويحي بن معين ، وابراهيم بن يزيل واسماعيل سمويه وعبد الكريم الديير عاقولي وعلي بن محمد بن عيسى الجكاني وهو آخر من روى عنه في آخرين . قال الأثرم سئل أبو عبد الله عن أبي اليمان فقال : أما حديثه عن صفوان وجرير فصحيح قال : وهو يقول اخبرنا شعيب واستحل ذلك بشيء عجيب قال أبو عبد الله كان أمر شعيب في الحديث عسراً جداً ، وكان علي بن عياش سمع منه وذكر قصة لأهل حمص أراها أنهم سألوه أن يأذن لهم أن يرووا عنه فقال لهم :لا. ثم كلموه وحضر ذلك أبو اليمان فقال لهم ارووا عني تلك الأحاديث ؛ فقلت لأبي عبد الله مناوله قال :لوكان مناولة كان لم يعطهم كتباً ولا شيئاً انما سمع هذا فقط وقال أبو نبيل ثقة صدوق وقال ابن عمار ثقة وقال العجلي لابأس به . قال محمد بن مصعي وغيره مات سنة(٢١١) هـ وقال البخاري وغيره : مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين زاد محمد بن سعد في ذي الحجة بحمص . (تهذيب التهذيب ٢/٤٤١-٤٤٣).

والسمرة: واحدة السمر، وهو من شجر العضاة وهي أم غيلان وشوكها كأنه الخرصان،ويخرج منها الدمدم وهو كالدم يحمّر الفم، فيقال:حاضت السمرة؛ كذا قيّده أبو حنيفة الدينوري، والدارم: نبات أسود يستاك به فيحمّر الفم، وقوله: **"عَدَدُ هذِهِ العُضَاةِ"** هوكل شجر ذي شوك؛ فمن ذلك الطّلْح والسُلّم والسِيال والعَرْفَط والسمر والشبهان والكنهيل والغرقد والسدر، والخمط كل شجرة لا شوك فيها هذا قول العسكري وغيره من اللغويين، وقال أبو حنيفة اللغوي: وفي العضاة أقوال: قيل هي الشجر العظام وإن لم يكن فيها شوك، وقيل العظام التي فيها الشوك، وإن لم تكن عظاماً، واحدة عظمة بها خالصة، يقال عضة أيضاً، والأول أصح، حذفت منها الهاء كشفه ثم ردت في الجمع ثمّ قالوا: عضاة كما قالوا شفاة، ويقال: عضاهة أيضاً وهو أقبحها، وعضهة، وقيل: هو من شجر الشوك ماله أروم [٥٦٥] تبقى على الشتاء، وقوله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: **"نُعماً"** هو خبر كان، و**"عَدَدُ"** اسمها ، والنعم في اللغة الإبل خالصة وهو يذكر ويؤنث، ويقال: هذه نعم كثيرة وهذا نعم كثير وجمع النعم أنعام فإذا قيل: الأنعام دخلت معها البقر والغنم، وقيل: هما لفظان بمعنى واحد على الجميع، وقوله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ: **"ثُمّ لاَ تَجِدُونَنِي بَخِيلاً"**، وقد

---

[٥٦٥]- مفردات : أروم : أصول .

بخل الرجل بكسر الخاء يبخل بخلاً وهو باخل وبخيل، وجمع باخل بخال وبخل، وجمع بخيل بخلاء كطريف وطرفاء، ويقال البُخْل والبَخَل بفتح الباء والخاء، والبخل إمساك المال والطعام وجميع مايملكه[٥٦٦] الإنسان ويمنعه الأقارب والخلاّن؛ لأنّ المال إنّما يراد، لانتفاع الإنسان به نفقة على نفسه ومواساة لإخوانه، وتفضلاً على أصدقائه وجيرانه، وصدقة يقدمها عند ربه ليحطّ بها من عظيم ذنبه [٥٦٧]، ومن آمن بالجزاء يوم القيامة وصدّق بما جاء به محمّد نبيّ الهدى والكرامة، بذل في يومه ما يجده في غده[٥٦٨] وكان بما في يد الله أوثق منه بما في يده. والجبن يقال جبن يجبن جبناً بضم الجيم والباء فهو جبان ، وجمع الجبان جبناء .

وأنشدوا:

جَهْلاً عَلَيْنَا وَجُبْناً مِنْ عَدُوِّكُمَا

لَبِئْسَتِ الخِلّتَانِ الجَهْلُ وَالجُبْنُ

فجاء باللّغتين، حفظته من الكتاب الكبير للقزاز، فالجبان في اللّغة: الخائف على نفسه من الموت أو ما يعتريه، ولهذاسمّي في اللغة

---

[٥٦٦]- في او ب " مايملكه " وهو الاصح

[٥٦٧]- إشارة الى قوله تعالى :" وما تقدمُوا لأنفسِكم من خيرٍ تجدوهُ عندَ الله هوَ خيراً وأعظمَ أجرا" .

[٥٦٨]- وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى :" إن الحسناتِ يذهبنَ السيئات " ، وقوله تعالى ﴿من جاءَ بالحسنةِ فلهُ عشرُ أمثالِها﴾ .

بالبراعة، والبراعة القصبة الجوفاء، شبّه الجبان لها كأنّه لاقلب له كما أنّ القصبة لاشيء فيها، وفي الموطأ عن يحيى بن سعيد، أنّ عائشة زوج النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: وكان عامر بن فهيرة يقول:

قَدْ رَأَيْتُ المَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ   إِنَّ الجَبَانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ

قَالَ ذُو النَّسَبَيْنِ أَيَّدَهُ اللهُ: وقد أسنده ابن عيينة وابن اسحق وسعيد بن عبد الرحمن عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها[٥٦٩]، وهكذا الرواية قد رأيت، ويسمي العروضيون مثل هذا

---

[٥٦٩]- لفظ الحديث في البخاري " حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة(٢) وعك أبو بكر وبلال قالت : فدخلت عليهما فقلت: يأبت كيف تجدك (٢) ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت: فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح في أهله   والموت أدنى (٥) من شراك نعله (٦)

وكان بلال اذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليتَ شعري هل أبيتن ليلةً   بوادٍ وحولي إذخرٌ وجليلٌ

وهل أردن يوماً مياه مجنة   وهل يبدون لي شامة وطفيل

(أ) المفردات : (١) في (ب) عجز البيت : الخلقان الجميل والجبز وهو خطأ، وفي أ لبئست بالهمزة وهو الصحيح .

وعك : أي حم . (٣) تجدك : أي تجد نفسك أو جسمك .

مصبح : أي مصابا بالموت صباحا أو يسقى الصبوح، وهو شرب الإلاة وقيل المراد يقال صبحك الله بخير

المخروم، وهو أن ينقص من صدر البيت شيء لايتم الوزن إلاّ بـه فإن وزنه إنّما يتم بقوله: (لقد) باللام.[٥٧٠]

ادنى: أقرب إليه من شراك نعله: سير نعله الذي على ظهر القدم . والمعنى : أن الموت أقرب إليه من شراك نعله لرجله

أقلع: أي كف وزال . (٨) عقيرته :فعيلة بمعنى مفعوله : أي صوته ببكاء أوغناء قال الأصمعي : أصله أن رجلاً انعقـرت رجلـه فرفعهـا على الأخرى وجعـل يصيح فصار كل من رفع صوته يقال : رفع عقيرت وإن لم يرفع رجله . قـال ثعلـب: وهـذا من الاسماء التي استعملت على غير أصلها . قالت عائشة فجئـت رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرته فقال " اللّهم حبب إلينـا المدينـة كحبنـا مكـة أو أشـد وصححهـا وبارك لنا في صاعها ومدها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة ".

٥٧٠)- الحديث

(أ) رواته : ثقات

(ب) درجته : إسناده صحيح

(ج) تخريجه : البخاري كتاب مناقب الانصار باب مقدم النبي صلى الله عليـه وسـلم وأصحابه المدينة جـ ٤ ص ٢٦٤ .

مسلم كتـاب الحـج بـاب الـترغيب في سـكنى المدينـة والصبر على لأوائهـا جـ ١ ص١٠٠٣حديث ٤٨٠ (١٣٧٦) نحوه .

موطـأ مالك كتاب الجامع باب ماجاء في وباء المدينـة حديـث ١٤ جـ ٢ ص٨٩٠ – ٨٩١ بلفظه .

مسند أحمد جـ ٦ ص٦٥ وأخرجه في صفحة ٢٢٢ من نفس الجزء مثله .

(د) المفردات :

ليت شعري : أي شعوري – أي ليتني علمت بجواب ما تضمنه قولي .

بواد: حشيش مكة ذو الرائحة الطيبة .

وأما المخزوم بالزاي فهو زيادة حرف في أوله لايصح الوزن إلاّ بإسقاطه، وقدذكره العروضيون، وأمّا قول الصاحب الكريم: إنّ الجبان حتفه من فوقه، أي من السماء مكتوب في اللوح لامن الأرض، ومن الله لامن الخلق فماباله يجبن ويفر من المخلوقين حيث لايجوز له الفرار بضرّه ونفعه وخيره وشرّه وحياته وموته من عند الله تعالى بقدره الذي لايردّ، وحكمه الذي لايعقب، وعلى ماسبق في علمه الذي لايتغير؛ وقال علي رضي الله عنه: من أكثر النظر في العواقب لم يشجع فانتهزوا الفرصة فإنها تمرّ مرّ السحاب، ولا تطلبوا أثراً بعد عين، وقال أبو بكر الصدّيق لخالد[٥٧١] بن الوليد حين بعثه لقتال أهل الردة:

جليل : نبت ضعيف يحش به البيوت وغيرها .

مجنة : موضع على أميال من مكة، كان به سوق في الجاهلية.

يبدون : يظهرن .

شامة وطفيل : جبلان بقرب مكة على نحو ثلاثين ميلا منها . قال الخطابي كنت أحسبها جبلين حتى مررت بهما ووقفت عليهما فاذا هما عينان من ماء .

وصححها :من الوباء .

صاعها :كيل يسع أربع أمداد .

ومدها : وهو رطل وثلث .

بالجحفة : قرية جامعة على اثنتين وثمانين ميلا من مكة وكانت تسمى مهيعة.

[٥٧١]- خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي أبو سليمان سيف الله أسلم بعد الحديبية وشهد مؤتة، ويومئذ سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله وشهد الفتح وحنينا واختلف في شهوده خيبر . روى عن النبي صلى الله عليه

"احرص على الموت ، توهب لك الحياة"، وهـذا الكلام من الصّديق رضي الله عنه، مثل قول العرب: الشجاع موقى (والجبان[٥٧٢] ملقى)
أي: إنّ الشجاع إذا عرف بالشجاعة تحامته الأقران وقل الإقدام عليه ، فكان ذلك وقاية له ، والجبان إذا عرف بالجبن وضعف القلب طمع فيه كل أحد.

قال ذو النسبيين أيده الله: واعتبروا هذا فإنّ من يقتل مدبراً أكبر ممّن يقتل مقبلاً وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **"وَلاَ كَذُوباً"** هو من أبنية المبالغة جاء على فعول، والكذب في اللغة هوالاخبارعن النبيّ بخلاف ما

وسلم وآله وسلم وعنه ابن عباس وهوابن خالته وجابر بن عبد الله، والمقدام بن معد يكرب وقيس بن أبي حازم والاشتر النخعي، وعلقمة بن قيس وجبير بن نفير وأبو العالية وأبو وائل وغيرهم استعمله أبو بكر على قتال أهل الردة، ومسيلمة، ثم وجهه إلى العراق ثم إلى الشام وهو أحد امراء الأجناد الذين ولوا فتح دمشق قال محمد بن سعد وابن نمير وغير واحد مات بحمص سنة (٢١) وقال رحيم وغيره مات بالمدينة وقيل مات سنة (٢٢) ويروى أنه لما حضرته الوفاة بكى وقال لقيت كذاوكذا زحفاً وما في جسدي شبر الا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح وها أنا أموت على فراشي فلا نامت أعين الجبناء .

وفي الاستيعاب ثم ها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء (تهذيب التهذيب ٣/١٢٤).

[٥٧٢])- في (ب) " الجبان" ساقطة وفي "أ" ملقى ساقطة والصحيح ما أثبتناه .

هو به وهـو الكـذب، والكـذب والرجـل كـاذب وكـذوب وكيذبـان وكذبذب بالتثقيل.

وأنشد القزاز شاهداً عليه

وَإِذَا سَمِعْتَ بَأَنَّنِي قَدْ بِعْتُهُ   بِوِصَالِ غَانِيَةٍ فَقَدْ كَذَبْذَبَ

وكذبذب بالتخفيف قال: الخليل بن أحمد الكَذْب بسكون الذال مصدر كذب، والكِذّاب بكسر الكاف مصـدر كـذب بتثقيـل الـذال، والكذب بكسر الذال الاسم، والكذّابة ثوب موشى.

قَالَ ذُوالنَّسَبَيْنِ أَيَّـدَهُ اللهُ تَعَـالَى: ومن غرائـب اللّغـة أنّ كـذب بالتخفيف يتعدى إلى مفعولـين، وكـذّب بالتشـديد يتعـدى إلىمفعـول واحد، وكذلك صدق وصدّق، والصدق في اللّغة الثبات.

الجزء الثالث والأخير

من كتاب نهاية السؤل في خصائص الرسول محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وسَلّم

قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم الليل

وَمِنْ خَصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: المشدّدة عليه، أنّه فرض عليه القيام بالليل، واختلف في نسخ ذلك فقال قوم : نسخ الفرض وجعل نفلاً، وقال آخرون لم يزل مفروضاً عليه، وذلك في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٥٧٣] و"يا" حرف نداء و"أي" منادى مفرد،و"ها" للتنتبيه، و"المزمل" نعت لأي، والأصل المتزمل ادغمت التاء في الزاي "قم الليل"، قم: فعل أمر وكسرت الميم

---

٥٧٣)- أصله المتزمل فأدغمت التاء في الزاي والمتزمل المتلفلف في الثوب، قرأ الجمهور " المزمل " بالادغام وقرأ أبي : المتزمل على الأصل وقرأ عكرمة بتخفيف الزاي ومثل هذه القراءة قول امرئ القيس :

كأن ثبيراً في أفانين وبله   كبير أناس في لحاذ مزمل

والخطاب في الآية- للنبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في معناه، فقال جماعة أنه كان يتزمل صلى الله عليه وسلم بثيابه في أول ما جاءه جبريل بالوحي فرقا منه حتى أنس به. وقيل المعنى: يا أيها المزمل بالنبوة والملتزم بالرسالة، وبهذا قال عكرمة، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت الملك ونظر اليه أخذته الرعدة فأتى أهله وقال : زملوني دثروني، وكان خطابه صلى الله عليه وسلم بهذا الخطاب في أول نزول الوحي ، ثم خوطب بالنبوة والرسالة . " قم الليل إلا قليلاً " أي قم للصلاة في الليل .(فتح القديرجـ ٥ ص٣١٥).

لالتقاء الساكنين . "إلا قليلا":نصب على الاستثناء . نصفه: بدل من الليل، كأنّه قال: قم نصف الليل أو انقص من النصف أو زد على النصف، خيّره الله حين فرض عليه قيام الليل بين هذه المنازل أي ذلك شاء فعل، فكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه يقومون الليل نحو قيامهم في شهر رمضان حتى خفف الله ذلك عنهم . قاله ابن عباس وعائشة وكان بين أولها وآخرها سنة . كما حدثني جماعة من شيوخي بالمغرب والمشرق قراءة مني عليهم فمن قرائة بخراسان عليه الشيخ الصالح الثقة المسند أبو الحسن عبد الرحمن بن أبي الحسن ابن أحمد الجرجاني قال : سمعته على الشيخ الامام فقيه الحرمين أبي عبد الله الصاعدي قال سمعته على العدل أبي الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي قال: قرأته علىالحاكم أبي أحمد الجلودي قال: سمعته على الفقيه أبي اسحق ابراهيم بن محمد بن سفيان قال : سمعت الامام أبا الحسين مسلم بن الحداد يقول : سنة سبع وخمسين ومائتين -

"حدثنا محمد بن المثنى العنزي قال حدثنا محمد بن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن زرارة أن سعيد بن هشام بن عامر أراد أن يغزو في سبيل الله فقدم المدينة فأراد أن يبيع عقاراً بها فيجعله في السلاح والكراع[٥٧٤] ويجاهد الروم حتى يموت ؛فلما قدم المدينة لقي أناساً من

---

[٥٧٤]- الكراع : اسم للخيل

أهل المدينة فنهوه عن ذلك واخبروه أن رهطاً ستة أراد ذلك في حياة نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال " أليس لكم فيّ أسوة " ؟ فلماحدثوه بذلك راجع امرأته ـ وقد كان طلقها ـ وأشهد على رجعتها، فأتى ابن عباس فسأله عن وتر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال ابن عباس : ألا أدلكم على أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من؟ قال عائشة فأتها فاسألها ثم ائتني فاخبرني بردها عليك .

فانطلقت إليها فأتيت على حكيم بن أفلح فاستلحقته[575] إليها فقال : ما أنا بقاربها، لأني نهيتهاأن تقول في هاتين الشيعتين شيئاً

الرهط: قوم الرجل وقبيلته عدد يجمع من الثلاثة الى العشرة وليس فيهم امرأة

الاسوة : القدوة – وفي القرآن الكريم " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة "

رجعتها : بفتح الراء وكسرها والفتح أفصح عند الاكثرين، وقال الأزهري : الكسر أفصح .

بردها عليك: أي بجوابها لك .

٥٧٥)- * فاستلحقته إليها: أي طلبت منه مرافقته إياي في الذهاب إليها.

* ما أنا بقاربها:يعني لا أريد قربها .

* الشيعتين : الشيعتان الفرقتان، والمراد تلك الحروب التي جرت يريد شيعة علي وأصحاب الجمل .

* فأبت فيهما إلا مضياً : فامتنعت من غير المضي، وهو الذهاب . مصدر مضى يمضي قال تعالى :" فما استطاعوا مضياً ".

فان خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم القرآن كان القرآن و معناه العمل به والوقوف عندحدوده ، والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته .

فأبت فيهما إلا مضيا قال: فأقسمت عليه، فجاء فانطلقنا إلى عائشة رضي الله عنها فاستأذنا عليها، فأذنت لنا فدخلنا عليها فقالت: أحكيم ؟ " فعرفته " فقال : نعم . فقالت : من معك ؟ قال: سعد بن معاذ، قالت: ابن هشام ؟ قال ابن عامر: فترحَّمتْ عليه وقالت خيراً "قال قتادة : وكان أصيب يوم أحد" فقلت: يأم المؤمنين : انبئيني عن خلق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت : ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى: قالت :فان خلق نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان القرآن، قال : فهممت أن أقوم، ولا أسأل أحداً عن شيء حتىأموت، ثم بدا لي فقلت: انبئيني عن قيام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: ألست تقرأ " يا أيها المزمل ؟ قلت :بلى . قالت : فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء، حتى أنزل الله عز وجل في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة . قال: فقلت: يأم المؤمنين انبئيني عن وتر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله

وأمسك الله خاتمتها: تعني أنها متأخرة النزول عما قبلها وهي قوله تعالى " إن ربك يعلم أنك تقوم أدني من ثلثي الليل . الآية .

فيبعثه الله :أي يوقظه لأن النوم أخو الموت .(ملخص شرح النووي١/٥١٣)

متى شاء أن يبعثه من الليل ؛ فيتسوك ويتوضأ ويصلي تسع ركعات لا يجلس فيها إلا في الثامنة .

فيذكر الله ويحمده ويدعوه، ثم ينهض ويسلم، ثم يقوم فيصلي التاسعة، ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم يسلم تسليماً يسمعنا، ثم يصلي ركعتين بعدما يسلم وهو قاعد. فتلك إحدى عشرة ركعة يابني .

فلما سن[٥٧٦] نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخذه اللحم أوتر بسبع وصنع في الركعتين مثل صنيعه الأول فتلك تسع يا بني ، وكان

---

[٥٧٦]- الحديث

(أ) درجته صحيح بسنده : مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب جامع صلاة الليل ومن نام عنها أومرض ٥١٢/١- ٥١٣-٥١٤ لفظه حديث ١٣٩ (٧٦٤)

النسائي كتاب قيام الليل باب كيف الوتر بتسع /٢٤١ نحوه

الدارمي كتاب الصلاة باب صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٤٤/١-٣٤٥-٣٤٦.

(د) المفردات:

فلما سن : في أ و ب "أسن " هكذا هو في معظم الأصول سن . وفي بعضها أسن وهذا هو المشهور في اللغة .

وأخذه اللحم : وفي بعض النسخ: وأخذ اللحم، وهما متقاربان والظاهر أن معناه كثر لحمه.

لوعلمت أنك لا تدخل عليها : قال القاضي عياض: هو على طريق العتب له في ترك الدخول عليها ومكافأته على ذلك بأن يحرمه الفائدة حتى يضطر الى الدخول عليها .

نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة، ولا أعلم نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ القرآن كله في ليلة، ولا صلى ليلة إلى الصبح، ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان .

قال: فانطلقت إلى ابن عباس فحدثته بحديثها . فقال : صدقت، لو كنت أقربها أو أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهني به . قال قلت : لو علمت أنك لاتدخل عليها ماحدثتك حديثها"

هذاحديث صحيح بنقل العدل عن العدل أخرجه مسلم في صحيحه، وكانت عائشة رضي الله عنها أعلم الناس بوتر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبخلواته وجهره وسره ، وبهذا الحديث وغيره أخذ الثوري واسحاق وأبو حنيفة(٥٧٧) فقال : (صلى) (٥٧٨) بالليل

---

٥٧٧)- ابو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي أبو حنيفة الكوفي مولى بني تيم الله ابن ثعلبة وقيل انه من ابناء فارس . رأى أنساً وروى عن عطاء بن أبي رباح، وعاصم بي أبي النجود وعلقمة بن مرثد، وحماد بن أبي سليمان، والحكم بي عتبة وسلمة بن كهيل وابي جعفر محمد بن علي وعلي بن الأقمر ، وزياد بن علاقة، وسعيد بن مسروق الثوري ، وعدي بن ثابت الانصاري وعطية بن سعيد العوفي، وأبي سفيان السعدي ،وعبد الكريم بن اميةويحيى بن سعيد الانصاري وهشام بن عروة في الآخرين .

وعنه ابنه حماد وابراهيم بن طهمان، وحمزة بن حبيب الزيات وزفر بن الهذيل وأبو يوسف القاضي وأبو يحيى الحماني ، وعيسى بن يونس ، ووكيع ، ويزيد بن رزيع وأسد بن عمرو البجلي ، وحكام بن يعلى بن سلم الرازي ، وخارجه بن مصعب

والنهار إن شئت ركعتين وان شئت (اربعة)[٥٧٩] أوستاً أوثمانياً واحتجوا بما روي عن عائشة رضي الله عنها في صلاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالليل وقد روى جماعة من العلماء أحاديث عن عائشة رضي الله عنها في صلاةرسول الله صَلَّىاللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالليل .

منها حديث ابن شهاب عن عروة عن عائشة[٥٨٠]، وحديث هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وعبد المجيد بن أبي رواد ، وعلي بن مسهر ومحمد بن بشر العبدي ، وعبد الرازق ومحمد بن الحسن الشيباني ومصعب بن المقدام ويحيى بن يمان وأبو عصمة بن أبي مريم وأبو عبد الرحمن المقري وأبو نعيم وأبو عاصم وآخرون .قال العجلي : أبو حنيفة كوفي تيمي من رهط حمزة الزيات كان خزازاً يبيع الخز، ويروىعن اسماعيل بن حماد ابن أبي حنيفة قال : نحن من ابناء فارس الأحرار ولد جدي النعمان سنة ثمانين، وذهب جدي ثابت إلى علي وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته ،وقال محمد بن مسعد العوفي سمعت ابن معين يقول : كان أبوحنيفة ثقة لا يحدث بالحديث إلا بما يحفظه ولا يحدث بما لا يحفظه ، وقال صالح بن محمد الاسدي عن ابن معين كان أبو حنيفة ثقة في الحديث ، وقال محمد بن مراحم سمعت ابن المبارك يقول : أفقه الناس أبو حنيفة ما رأيت في الفقة مثله ، تهذيب التهذيب ١٠/٤٤٩)/٤٥٠ .

[٥٧٨])- في كل النسخ بالياء والصواب بحذفها .

[٥٧٩])- في أ و ب "أربعا" وهو الصواب .

[٥٨٠])- الحديث

(أ) رواته:ثقات

(ب) درجته: إسناده صحيح

كان يصلي بالليل إحدى عشرة ركعة لايسلم إلا في آخرهـن، وألفـاظ الأحاديث عن عائشة رضي الله عنها مضطربة(٢) وان كانت كلها في الصحيح ، وذكر أبو داود قال حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم دحتم ونصر بن عاصم الأنطاكي قالا حدثنا الوليد قال حدثنا الأوزاعي وابن أبي زينب عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلىالله عليه وسلم يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى أن يصدع الفجر إحدى عشرة ركعة يسلم بين كل اثنتين ويوتر بواحدة الحديث بطوله، وذكر ابن وهب في موطئه عن عمر بن الحارث ويونس بن يزيد وابن أبي ذئيب عن ابن شهاب عن عروة عن

(ج) تخريجه : البخاري كتاب التهجد باب طول السجود في قيام الليل جـ ٢ ص٤٢- ٤٣ نحوه .

مسلم .

ابن ماجه كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها باب ماجاء في حكم من يصلي بالليل حديث ١٣٥٨- جـ١ ص ٤٣٢ نحوه . وفي الزوائد اسناده صحيح ورجاله ثقات .

النسائي كتاب الأذان باب إيذان المؤمنين الأئمة بالصلاة جـ ٦ ص ١٤٣ مثله.

المفردات :

يسلم بين كل اثنتين " هذا صريح في جواز الوتر بواحدة.

(٢) في أ و ب "فلهذا الاضطراب والاختلاف عن عائشة"

(٣) في أو ب وأبى ليلل " والصواب ما أثبتناه .

(٤) في ب " صلاة الليل " وهو الصواب. ت

عائشة مثله، فلهذا الاضطراب (والاختلاف) لم يأخذ بها مـالك، وان كان روى أكثرها في موطئه وكذلك الليث بن سعد والشافعي، وأحمد بن حنبل وابن "أبي ليلى "(٣) وأبو يوسف القاضي ومحمد بن الحسـن وأبو ثور وداود وقالوا: (صلاة)(٤) مثنـى مثنـى، وحجتهـم مـا ثبـت باجماع عن نافع وعبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر أن رجلاً سأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن صلاة الليل، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صلاة الليل مثنـى مثنى فـإذا خشـي أحدكـم الصبـح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى لم تختلف الـرواة عـن مـالك في هذا الحديث ، وقد نقلاه في الصحيحين وله طرق فيهما .

وكان مالك إماماً حافظاً متقناً من صغره إلى كبر سنه، وهو مـع ذلك في نهاية من وفور عقله وحضور ذهنه، ونافع[٥٨١] شـيخه ، بعثـه

---

[٥٨١]- نافع الامام العلم – هو ابو عبد الله العدوي المدني حدث عن مولاه ابن عمر وعـن عائشة وأبى هريرة وام سلمة ورافع بن خديج وأبي لبابه وطائفة وعنه أيوب وعبيد الله بن عمر وابن عدن وابن جريج والأوزاعي ومالك وعقيل بـن خـالد والليـث وخلـف. قال البخاري وغيره أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر قال عبيد الله ابن عمـر بعث عمر بن عبد العزيـز نافعـاً إلى أهـل مصـر يعلمهـم السـنن. روى الأصمعـي عـن العمري عن نافع قال: أعطـى عبـد الله بـن جعفـر ابـن عمـر فيَّ اثـني عشـر ألفـاً فـأبى واعتقنى قال أحمد بن حنبل إذا اختلف نافع وسالم ما أقدم عليهما.

ابن وهب حدثني مالك قال: كنت آتي نافعا وأنا غلام حديث السن معي غلام فيـنزل ويحدثني، وكان يجلس بعد الصبح في المسجد لا يكاد يأتيه أحـد فـاذا طلعـت الشـمس

أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى أهل مصر ليعلمهم السنن، وكان عمر بن عبد العزيز من كبار أهل العلم، وأما عبد الله بن عمر صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وابن أمير المؤمنين الفاروق، وكان أفقه أهل زمانه بالمناسك وآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم أفتى الناس ستين سنة وهذا محال أن يأمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشيء ويفعل خلافه، فقامت الحجة بالحديث الذي لم يختلف في نقله ولأميته[٥٨٢]، كلهم بمعنى واحد أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: صلاة الليل مثنى مثنى فإن قيل: إن حديثنا عن سعيد عن قتادة عن زرارة أن سعد بن هشام بن عامر أراد أن يغزو في سبيل الله الحديث بطوله صحيح ورجاله عدول لا مطعن فيهم، قلنا: صدقت إلا أن سعيداً هو ابن أبي عروبة بهران ، وكان سعيد حافظاً وهو أثبت أصحاب قتادة إلا أن علي ابن المديني قال سمعت يحيى يقول: لم يسمع سعيد بن أبي عروبة التفسير من قتادة، وقال ابو حاتم هو قبل أن يختلط

قام، وكان في حياة سالم لا يفتي ، وكان يلتف بكساء أسود يضعه على فيه، ولا يكلم أحداً. قال حماد بن زيد ومحمد بن سعد وجماعة: مات نافع سنة سبع عشر ومائة، وقال يحيى بن معين : نافع ديلي فيه لكنه مات سنة سبع عشرة، وعن نافع: قال خدمت ابن عمر ثلاثين سنة فأعطاه ابن عامر فيّ ثلاثين ألفاً فقال: أخاف أن تفتني دراهم ابن عامر، اذهب فأنت حر. [تذكرة الحفاظ للذهبي ١/٩٧-٩٨].

٥٨٢)- في أ و ب "ولا متنه" وهو الصواب.

ثقة، قال ابن حنبل من سمع من سعيد بن أبي عروبة قبل العزيمة فسماعه جيد، وقد كان أضعفهم قال عبد الله قلت له : كأن سعيداً اختلط . قال : نعم. فان قيل: إن هذا الحديث رواه معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن زرارة بن أوفى بالسند المذكور[٥٨٣] ورواه أبو عوانة عن قتادة أخرجه مسلم.

عن محمد بن مثنى قال حدثنا معاذ بن هشام، ورواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن زرارة بالسند المذكور أيضاً ورواه أبو عوانة عن قتادة عن زرارة، وكذلك رواه عيسى بن يونس عن شعبة عن قتادة منهم من اختصره ومنهم من طوله. قلنا: فحمله على الجواز فيجوز للرجل أن يصلي أربعاً أو ستاً أو ثمانياً لا يجلس فيها إلا في الثامنة فيذكر الله ويحمده ويدعوه ،ثم ينهض ولايسلم ثم يقوم فيصلي التاسعة ، ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم يسلم ، والأفضل أن يسلم من كل ركعتين. وقد اختلف العلماء في صلاة النهار هل هي بخلاف صلاة الليل أم لا؟ فمن الدليل على أنها وصلاة الليل مثنى مثنى فعل ابن عمر وفتياه ؛ ففي الموطأ ما هذا نصه:

---

٥٨٣)- في أ و ب "واسلم أبى عروة به"

(٥٨٤)روى مالك أنه بلغه أن عبد الله بن عمر كان يقول :صلاة الليل والنهار مثنى مثنى يسلم من كل ركعتين "وان كان بلاغاً فإن مالك يقبله وعليه بنى موطأه. ومن روى الحديث وعلم بتخريجه يؤخذ بقوله ويعتمد على فتياه وفعله، وما رواه عنه علي بن عبد الله الأزدي

---

٥٨٤)-لفظ الحديث في البخاري "حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال قال أخبرني سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أن رجلاً قال يا رسول الله كيف صلاة الليل؟ قال: مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة "وللحديث أكثر من رواية.

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه: ١- البخاري كتاب التهجد باب كيف كان صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ٢/٤٥ وخرجه في كتاب الوتر باب ما جاء في الوتر ٢/١٢.

مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة في آخر الليل ١/٥١٦ لفظ ما في البخاري.

موطأ مالك كتاب صلاة الليل باب ما جاء في صلاة الليل ١/١١٩ لفظ ما في الكتاب حديث ٧.

النسائي كتاب قيام الليل باب كيف صلاة الليل ٣/٢٢٧.

د- المفردات:

مثنى مثنى: أي صلى مثنى مثنى فإنه المناسب لقوله :"فإذا خشيت" والخطاب مع ذلك للرجل أو مع كل من يصلح له. وفيه أنه ينبغي تأخير الوتر مهما أمكن فيصليه إذا خشي بالتأخير طلوع الفجر وهذا هو المراد بالخشية. والحديث مع أحاديث أخرى يفيد جواز الوتر بركعة واحدة كما هو مذهب الجمهور.

البارقي أنه كان يتطوع بالنهار أربعاً لا يفصل بينهن ، فهو حديث منكر انكره شعبة ونفى هذا الحديث ، وقد اختلف الفقهاء في قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "صلاة الليل مثنى مثنى" هل تقتضي مع الجلوس تسليماً أم لا؟ فقال منهم قائلون: لا يقتضى قوله هذا إلا الجلوس دون التسليم فمن شاء أوتر بثلاث ومن شاء أوتر بخمس ومن شاء أوتر بسبع ومن شاء أوتر بتسع، ومن شاء أوتر باحدى عشرة لا يسلم إلا في آخرهن ، روي ذلك عن جماعة من العلماء منهم سفيان الثورى[٥٨٥] وأبو حنيفة واسحاق بن راهوية وجماعة يطول ذكرهم،

---

٥٨٥)- سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي عبد الله ابن منقذ بن نصر بن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن ملكاف بن ثور بن عبد مناف بن أد ابن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وكذا نسبه ابن أبي الدنيا عن محمد بن خلف التيمي عير أنه اسقط منه منقذاً والحارث وزاد بعد مسروق حمزة والباقي سواء.

وكذلك ذكر نسبه الهيثم بن عدي وابن سعد وأنه من ثور طابخة، وبعضهم قال هو من ثور همدان ولبيس بشيء وهو شيخ الاسلام إمام الحفاظ سيد العلماء العاملين في زمانه أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد مصنف كتاب "الجامع"

ولد سنة سبع وتسعين اتفاقاً وطلب العلم وهو حدث باعتناء والده المحدث الصادق سعيد بن مسروق الثوري، وكان والده من أصحاب الشعبي وخيثمة بن عبد الرحمن ومن ثقات الكوفيين، وعداه في صغار التابعين روى له الجماعة الستة في دواوينهم وحدث عنه أولاده، مات سنة ست وعشرين ومائة. [سيرة أعلام النبلاء ٧/٢٢٩-٢٣٠].

وحجتهم أحاديث عائشة رضي الله عنها في هذا الباب وحجة مالك والشافعي واحمد بن حنبل وابي يوسف ومحمد صاحبي أبي حنيفة حديث ابن عمر بأن صلاة الليل مثنى مثنى . فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الليل مثنى مثنى يقتضي التسليم والجلوس في كل ركعتين منها، وهذا هو الصواب الذي لا يدل لفظ شيء[٥٨٦] إلا عليه ، ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال: صلاة الظهر مثنى وإن كان يجلس في الركعتين منها، ومن الدليل أيضاً على أن صلاة النهار ركعتان صلاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه ثبت عنه باجماع: "انه كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين " فوجب رد ما اختلفوا فيه إلى ما اتفقوا عليه قياساً مسنداً.

وفي الباب حديث الصلاة مثنى مثنى تشهد في كل ركعتين، وفيه تخليط في الأسانيد واضطراب في الأسماء فسقط. وبعد هذا فحديث عائشة يجوز الأخذ به لمن صلاه ، وحديث ابن عمر أفضل لمن أخذ به ووفقه الله.

---

٥٨٦)- في أ و ب "لفظ مثنى" وهو الصواب.

وأما المزمل فاسم مشتق (من)[٥٨٧] حالة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان عليها حين الخطاب كما رواه البخاري في صحيحه بسنده الذي لا مطعن فيه:

قال حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث عن عقيل قال: ابن شهاب: سمعت أبا سلمة قال أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي: فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجئثت[٥٨٨] منه حتى هويت إلى الأرض فجئت[٥٨٩] أهلي فقلت: زملوني زملوني فزملوني فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر ... إلى قوله: فاهجر﴾ قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان، ثم حمي الوحي وتتابع[٥٩٠].

---

٥٨٧)- في أ و ب "من حالة التي".

٥٨٨)- في أ و ب "جننت"

٥٨٩)- وفي أ و ب "فجيث" وهو تصحيف.

٥٩٠)- الحديث:

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه: البخاري كتاب تفسير القرآن ٧٤ سورة المدثر باب والرجز فاهجر يقال الرجز والرجس العذاب ٦/٧٥-٧٦ لفظه وقد أورده في الباب الرابع والثالث قبله نحوه.

وفي رواية عبد الله بن محمد المسندي في الباب الذي قبله بعد قوله: ﴿والرجز فاهجر﴾ قبل أن تفرض الصلاة.

وفي رواية اسحاق بن منصور قال حدثنا عبد الصمد قال حدثنا حرب قال: حدثنا يحيى قال سمعت أبا سلمة بسنده المذكور، وزاد: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبّوا علي ماء بارداً فأنزل علي: ﴿ يا أيها المدثر قمْ فأنذرْ وربَّك فكبِّرْ﴾ وهذه الأحاديث مجمع على صحتها واتفاق رواتها وعدالتهم بما أسندوه منها قوله : فإذا الملك الذي جاءني بحراء هو الروح الأمين جبريل عليه السلام ، وحراء يمدّ ويقصر ويؤنث ويذكر (ويعرف ولا

مسلم كتاب الايمان باب بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٤٣/١ نحوه حديث ٢٥٥ (١٦١) ثم ذكر مثله في حديث ٢٥٦.

الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة المدثر ٤٢٨/٥ نحوه حديث رقم ٣٣٢٥.

مسند أحمد ٣٠٦/٣ نحوه.

د- المفردات:

"فجئثت" أي فزعت ورعبت وكذا جئت. قال الخليل والكسائي : وجث فهو مجئوث ومجثوث - أي مذعور فزع.

"هويت " هوى إلى الأرض وأهوى اليها "لغتان " أي سقط.

"ثم حمى الوحي وتتابع" هما بمعنى فأكد أحدهما الآخر، ومعنى - حمي كثر نزوله وازداد من قولهم حميت النار والشمس أي قويت حرارتها.

يعرف)[٥٩١] وللناس فيه ثلاث لحنات يفتحون حاءه وهي مكسورة، ويقصرون ألفه وهي ممدودة، ويميلونها ولا تسوغ الإمالة لأن الراء سبقت الألف مفتوحة، وهي حرف مكرر فقام مقام الحرف المستعلى ، ومثل راشد ورافع لا يمال، وهذا الجبل على ثلاثة أميال من مكة زادها الله شرفاً - كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يتعبد)[٥٩٢] فيه قبل أن يوحى إليه على ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتحنث في غار حراء.

ولفظ الحديث في البخاري "حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق[٥٩٣] الصبح، ثم حبب إليه الخلاء[٥٩٤] وكان يخلو بغار حراء فيتحنث[٥٩٥] فيه، وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود

---

٥٩١)- في أ و ب "يصرف ولا يصرف".

٥٩٢)- وفي أ و ب "يتعيد" وهو تصحيف.

٥٩٣)- مثل فلق الصبح أي : ضياؤه.

٥٩٤)- الخلاء - بالمد: الخلوة وفيها فراغ القلب لما يتوجه له.

٥٩٥)-فيتحنث: بمعنى يتحنف أي يتبع الحنيفية وهي دين ابراهيم.

لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق[٥٩٦] وهـو في غار حراء، فجاء الملك فقال: اقرأ فقال: ما أنا بقـارئ . قـال فـأخذني فغطني[٥٩٧] حتى بلغ مني الجهد[٥٩٨] ثم أرسلني. فقال: اقرأ. قلـت: مـا أنا بقارئ ، قـال: فـأخذني فغطـني الثانيـة حتـى بلـغ مـني الجهـد ثـم أرسلني. فقال: اقـرأ فقلـت مـا أنـا بقـارئ فـأخذني فغطـني الثالثـة ثـم أرسلني . فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلـقَ الانسـان مـن علـقٍ اقـرأْ وربُّـك الأكـرمُ﴾. فرجـع بهـا رسـول الله صَلَّـى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ يرجف[٥٩٩] فـؤاده فدخـل علـى خديجـة بنـت خويلـد فقـال: زملونـي زملوني فزملـوه[٦٠٠] حتـى ذهـب عنـه الـروع [٦٠١] ، فقـال لخديجـة ، وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي. فقـالت خديجـة: كـلا والله مـا يخزيك الله أبداً إنك لتصـل الرحـم وتحمـل الكـلّ، وتكسـب المعـدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحـق، فـانطلقت بـه خديجـة حتـى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجـة ، وكـان

---

[٥٩٦]- حتى جاءه الحق: أي الأمر الحق.

[٥٩٧]- فغطني: ضغطني وعصرني.

[٥٩٨]- حتى بلغ مني الجهد: أي بلغ الغيظ مني غايته.

[٥٩٩]- يرجف فؤاجه: على انفعال حصل له من مجيء الملك، ومن ثم قال: زملوني.

[٦٠٠]- فزملوه: أي لفوه.

[٦٠١]- الروع: الفزع.

امرأ قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى. فقال له ورقة : هذا الناموس[٦٠٢]، الذي أنزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو مخرجي هم ؟ قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزرًا ثم لم

---

[٦٠٢]- الناموس: صاحب السر أو هو صاحب سر الخير.

لقد خشيت على نفسي" وقد اختلف العلماء في المراد بها على اثني عشر قولاً أولها: الجنون وأن يكون ما رآه من جنس الكهانة، وأبطله أبو بكر بن العزلي وحق له أن يبطل، لكن حمله الاسماعيلي على أن ذلك حصل له قبل حصول العلم الضروري له: أن الذي جاءه ملك وأنه من عند الله تعالى. ثانيها: الهاجس وهو باطل أيضاً لأنه لا يستقر وهذا استقر وحصلت بينهما المراجعة. ثالثها: الموت من شدة الرعب. رابعها: المرض وقد جزم به ابن أبي حمزة. خامسها: دوام المرض. سادسها: العجز عن حمل أعباء النبوة. سابعها: العجز عن النظر إلى الملك من الرعب. ثامنها: عدم الصبر على أذى قومه. تاسعها: أن يقتلوه. عاشرها: مفارقة الوطن., حادي عشرها: تكذيبهم إياه. ثاني عشرها: تعييرهم إياه. وأولى هذه الأقوال بالصواب وأسلمها من الارتياب: الثالث واللذان بعده وما عداها فهو معترض والله أعلم. [فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ ١ ص ٥٦ – شركة الطباعة الفنية المتحدة. الناشر مكتبة كليات الأزهر].

ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي قال ابن شهاب : وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: وهو يحدث عن فترة الوحي قال في حديثه بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه ، فرجعت فقلتُ : زملوني زملوني فأنزل الله تعالى: ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر﴾ إلى قوله ﴿والرجز فاهجر﴾ فحمي الوحي وتتابع، تابعه عبد الله بن يوسف وأبو صالح وتابعه هلال بن رداد عن الزهري ، وقال يونس ومعمر: "بوادره"[٦٠٣].

---

٦٠٣)- أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه: ١- البخاري باب كيف كان بدء الوحي جـ ١ ص ٣، ٤.

الترمذي كتاب المناقب باب ما جاء في بدء نبوة النبي صلى الله عليه وسلم جـ ٥ ص ٥٢٠ نحوه.

د- المفردات:

أو مخرجي هم؟ "واستبعد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرجوه لأنه لم يكن فيه سبب يقتضي الإخراج لما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق التي تقدم من خديجة وصفها.

لم ينشب "بفتح الشين المعجمة - أي لم يلبث، وأصل النشوب التعلق أي لم يتعلق بشيء حتى مات.

وفتر الوحي: وفتور الوحي عبارة عن تأخره مدة من الزمان.

"بوادره" يعني أن يونس ومعمر رويا هذا الحديث عن الزهري فوافقا عقيلاً عليه إلا أنهما قالا بدل قوله "يرجف فؤاده " ترجف بوادره" والبوادر جمع بادرة وهي اللحمة

قَالَ ذُو النَّسَبَيْنِ أَيَّدَهُ اللهُ: معنى يتحنث أي يتعبد، ويتحنث الاثم، لأن الحنث الاثم، وهذا اللفظ غريب قل من يعرفه، ومثله في الغرابة يتحرج[٦٠٤] أي يفعل شيئاً يخرج به من الحرج[٦٠٥]، ويتحوب أي يترك الحواب (والحواب)[٦٠٦]، (المأثم) وفيه ثلاث لغات: حوب بفتح الحاء وحاب وحوب، ويتأثم: أي يتجنب الاثم، وتخون فلان فلاناً إذا تعهده وحفظه فكأنه اجتنب فيه الخيانة التي هي إخلال بالحفظ والتعهد، وكل هذا من الأضداد.

ومن ذلك قول العرب: بخّس لي هذا الصبي أي طهّره، ومنه قولهم: مرّضته إذا أزلت مرضه بالقيام عليه، وقذيته : أخرجت عنه القذى، وشذبت الشجرة إذا نقيت عنها (شظها)[٦٠٧] والشذب الغصن المقطوع، وفزعت عن قلبه أي أجليته[٦٠٨] عن الفزع قال الله العظيم ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾[٦٠٩] ومنه قولهم: احتفيت الشيء إذا

التي بين المنكب والعنق تضطرب عند فزع الانسان. فالروايتان مستويتان في أصل المعنى.

٦٠٤)- في ب "يتخرج" وهو تصحيف.

٦٠٥)- في ب "الخرج" وهو تصحيف.

٦٠٦)- في أ و ب "الحوب المأثم".

٦٠٧)- في أ و ب "شيظها" ولعل الصحيح شذبها.

٦٠٨)- في أ و ب "من" الفزع.

٦٠٩)- سورة سبأ من الآية ٢٣.

أظهرته، وأزلت عنه (الحفي)[610] ومنه المحتفي للناس، وأعجمت الكتاب إذا نقيت عنه العجمة، وهي ألفاظ كثيرة قد جمعتها في كتابي المسمى (برايد) الدخلة)[611].

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فجئثت منه، وقيدناه في الصحيحين بألفاظ منها جئثت بتقديم الهمزة قبل الثاء، وقيده أبو محمد الأصيلي في صحيح البخاري والسمر قندي في صحيح مسلم جثثت. قال الكسائي هما معاً من الرعب يقال: رجل مجئوث ومجثوث.قال الخليل بن أحمد :

﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ قرأ الأكثرون: "فزع" بضم الفاء وكسر الزاي. قال ابن قتيبة: خفف عنها الفزع، وقال الزجاج: معناه: كشف الفزع عن قلوبهم.

وفي المشار إليهم قولان: أحدهما أنهم الملائكة، وقد دل الكلام أنهم يفزعون لأمر طرأ عليهم من أمر الله ولم يذكره في الآية، لأن إخراج الفزع يدل على حصوله، وفي سبب فزعهم قولان: أنهم يفزعون لسماع كلام الله تعالى: - روى عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فإذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم فيقولون: يا جبريل: ماذا قال ربك؟ قال فيقول: الحق، فينادون الحق الحق" رواه أبو داود في سننه رقم (٤٧٣٨).

والثاني أنهم يفزعون من قيام الساعة.

والقول الثاني: أن الذين أشير إليهم المشركون. [زاد المسير ٤٥٢/٦].

[610])-ف أ و ب "أزلت عن الخفاء" وفي ب أزلت منه.

[611])- في أ و ب "برايد الرحلة" ولعله الصواب.

جيث الرجل، وجث أي: فزع، ووقع لأبي الحسن القنابسي في كتاب :(التفسير من صحيح البخاري) فجثثت.

وكذا لأبي عبد الله محمد بن الحذافي في صحيح مسلم أي أسرعت جرياً، وهذا ليس بشيء لقوله في آخر الحديث: حتى هويت إلى الأرض أي سقطت، ومن سقط من الذعر كيف يسرع في الهرب فثبت بذلك أن سورة: ﴿يأيها المدثر﴾ نزلت بعقب قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : زملوني زملوني ؛ لأجل أن هذا التزمل أريد به الدثار من البرد الذي يعتري المروع، لنه كالمحموم فخاطبه الله تعالى بالتلطف[٦١٢]،

---

٦١٢)- قال القرطبي: وفي هذا النداء ملاطفة في الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذا ناداه بوصفه ولم يقل: " يا محمد" ليستشعر اللين والملاطفة من ربه ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة بن اليمان يوم الخندق "قم يا نومان". [تفسير القرطبي ١٩/٦٠].

قال الواحدي: قال المفسرون: لما بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي أتاه جبريل فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرير بين السماء والأرض كالنور المتلألئ ففزع ووقع مغشياً عليه. فلما أفاق دخل على خديجة و دعا بماء فصب عليه وقال: دثروني دثروني فدثروه بقطيفة فقال: "يا أيها المدثر قم فأنذر" ومعنى يأيها المدثر: يا أيها الذي قد تدثر بثيابه: أي تغشى بها. وأصلها المتدثر فأدغمت التاء في الدال لتجانسها، وقد قرأ الجمهور بالإدغام وقرأ أبي المتدثر على الأصل، والدثار: هو ما يلبس فوق الشعار: هو الذي يلي الجلد، وقال عكرمة: المعنى يا أيها المدثر بالنبوة وأثقالها. قال ابن العزلي: وهذا مجاز بعيد لأنه لم يكن نبيا إذ ذاك "قم فانذر" انهض فخوف أهل مكة وحذرهم العذاب إن لم يسلموا أو قم من مضجعك أو قم قيام عزم

والمعنى المطلوب من تزمله أي: يا أيها المتزمل ليدثر، دع هذا الدثار، وخذ في الانذار تأنيسا له من ذلك الروع وتنشيطاً على فعل ما أمر به، وهذا كما تقول لمن أرسلته في وجه ما، فتخوف من التفردفيه، وجلس في بيته: يا أيها المتخوف انفذ في وجهتك، ولو قلت له يا أيها الجالس في بيته لاستقام الكلام إلا أن نداءه بالمعنى الذي من أجله جلس في بيته آنس له، وآمن من تخوفه، وأبلغ في التنشيط له على النفوذ، فكذلك قوله تعالى في أول هذه السورة معناه: ﴿يا أيها المدَّثْر قم فأنذرْ﴾ أي لا تُرع ولا يمنعك الرعب من الإنذار فأنت منه آمن، وخاطبه بالاسم المشتق من الفعل ليستشعر اللين،والملاطفة كقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي حين غاضب فاطمة رضى الله عنها فأتاه وهو نائم في المسجد وقد ترب جنبه فقال له: "قم يا أبا تراب"[613].

وتصميم. وقيل الانذار هنا هو إعلامهم بنبوته وقيل: إعلامهم بالتوحيد. [فتح القدير ٥/٣٢٤].

[613]- لفظ الحديث في صحيح البخاري "حدثنا عبد الله بن سلمة حدثنا عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه أن رجلاً جاء إلى سهل بن سعد فقال هذا فلان لأمير المدينة يدعو علياً عند المنبر قال: فيقول ماذا؟ قال: يقول له أبو تراب فضحك . قال والله ما سماه إلا النبي صلى الله عليه وسلم، وما كان له اسم أحب إليه منه فاستطعمت الحديث سهلاً وقلت يا أبا عباس كيف ؟ قال :دخل علي على فاطمة، ثم خرج فاضطجع في المسجد: فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أين ابن عمك؟ قالت: في المسجد، فخرج

ملاطفة له وإشعاراً أنه غير عاتب عليه، وهو حديث مخرج في الصحيحين.

وكذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحذيفة ليلة الأحزاب، وقدرجع من حاجة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أخذه البرد فغطاه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفضل شملته فنام فقال: " قم يا نومان " وحديثه مخرج في صحيح مسلم، وقد انفرد بإخراجه دون البخاري. (٦١٤)

إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهر وخلص التراب إلى ظهره فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول: اجلس أبا تراب، مرتين".

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه: البخاري كتاب فضائل الأصحاب باب مناقب علي بن أبى طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضى الله عنه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي أنت مني وأنا منك، وقال عمر توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض. جـ ٤ ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبى طالب رضي الله عنه نحوه إلا أنه جاء بزيادة في أوله جـ ٢ ص ١٨٧٤ - ١٨٧٥ حديث ٣٨- (٢٤٠٩).

[٦١٤])-وأبليت: أي بالغت في نصرته، كأنما أراد الزيادة على نصرة الصحابة.

لفظ الحديث في صحيح مسلم "حدثنا زهير بن حرب واسحق بن ابراهيم جميعاً عن جرير قال زهير: حدثنا جرير عن الأعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال: كنا عند حذيفة فقال رجل: لو أدركت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتلت معه وأبليت،

فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك لقد رأيتنا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقرّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة" فسكتنا. فلم يجبه منا أحد. ثم قال: ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيام،؟ "فسكتنا فلم يجبه منا أحد. ثم قال: "ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة "فسكتنا فلم يجبه منا أحد. فقال: قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم فلم أجد بداً إذا دعاني باسمي أن أقوم. قال: اذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم علي، فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهماً في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "ولا تذعرهم علي" ولو رميته لأصبته، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفزعت قررت فألبسني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أزل نائماً حتى أصبحت فلما أصبحت قال: "قم يا نومان".

١)-ولا تذعرهم علي: أي لا تفزعهم علي ولا تحركهم علي وقيل: معناه لا تنفرهم وهو قريب من المعنى الأول، والمراد لا تحركهم عليك، فانهم إن أخذوك كان ذلك ضرراً علي لأنك رسولي وصاحبي.

٢)-كأنما أمشي في حمام: يعني أنه لم يجد البردالذي يجده الناس ولا من تلك الريح الشديدة شيئاً، بل عافاه الله منه ببركة إجابته للنبي صلى الله عليه وسلم وذهابه فيما وجهه له ودعائه له صلى الله عليه وسلم، واستمر ذلك اللطف به ومعافته من البرد الذي يجده الناس، ولفظ الحمام عربية، وهو مذكر مشتق من الحميم وهو الماء الحار.

٣)-أ- درجته: إسناده صحيح.

بـ- تخريجه: مسلم كتاب الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب. حديث ٩٩ (١٧٨٨) جـ ٢ ص ١٤١٤- ١٤١٥.

جـ - المفردات:

وأما قوله تبارك وتعالى: ﴿ يا أيها المزملْ قمْ الليـل﴾[٦١٥] أي: لا تتزمل وترقد، ودع هذه الحال لما هو أفضل منها وهو الصلاة في جنـح

يصلي ظهره: يدفئه ويدنيه منها، وهو الصان بفتح الصـاد والقصـر والصـلاء بكسـرها والمد.

كبد القوس: هو مقبضها، وكبد كل شيء وسطه.

قررت: أي بردت. وهو جواب فلما أتيته.

عباءة: العباءة والعباية، بزيادة ياء لغتان مشهورتان معروفتان. قـال في المنجـد: العبـاءة كساء مفتوح من قدام يلبس فوق الثياب.

أصبحت: أي طلع علي الفجر.

يا نومان: هو كثير النوم وأكثر ما يستعمل في النداء. كما استعمله هنا.

٦١٥)- المزمل المتلفلف بثيابه، يقال: تزمل بثوبه أي التف به وتغطى، وزمل غيره إذا غطاه. قال امرؤ القيس : كبير أناس في بجاد مزمل. [عجز بيت لامرئ القيس وخطابه صلى الله عليه وسلم بهذا الوصف "يا أيها المزمل" فيه تأنيس وملاطفة له عليه السلام ، قـال السهيلي : أن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك معاتبته سموه باسم مشتق مـن حالته التي هو عليها. وسبب هذا التزمل ما روي في الصحيح أن رسـول الله صلـى الله عليه وسلم لما جاءه جبريل وهو في غار حراء - في ابتداء الوحـي - رجـع إلى خديجـة يرجف فؤاده فقال: زملوني زملوني، لقد خشيت على نفسي بمـا جرى فـنزلت "يـا أيها المزمل".[صفوة التفاسير ٣/٤٦٤].

يا أيها المزمل قم الليل" قم للأمر العظيم الذي ينتظـرك والعبـء الثقيـل المهيـأ لـك قـم للجهد والنصب والكد والتعب قم قد مضى وقت النوم والراحة . قم فتهيأ لهـذا الأمـر واستعد إن الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحاً ولكنه يعيـش صغـيراً ويمـوت صغـيراً، فأما الكبير الذي يحمل هذا العبء الكبـير فمـا لـه والنـوم؟ ومـا لـه والراحـة؟ ومـا لـه والفراش الدافئ والعيش الهادئ؟ والمتاع المريح؟[في ظلال القرآن ٦/٣٧٤٤].

الليل، وفيه من الفقه : التنبيه لكل متزمل راقد ليله لينتبه إلى قيام الليل وذكر الله تعالى، لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل بذلك العمل واتصف بتلك الصفة.

وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقوم من الليل حتى تفطرت قدماه، وترجم البخاري في صحيحه في باب قيام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الليل، وقالت عائشة رضى الله عنها: قام حتى تفطرت قدماه ولم يسنده البخاري في هذه الترجمة ، وأسنده مسلم بن الحجاج في صحيحه بسند لا مطعن فيه.

[٦١٦]قال حدثنا هارون بن معروف وهارون بن سعيد الأيلي قالا: حدثنا ابن وهب قال اخبرني أبو صخر عن أبي قسيط عن عروة

---

[٦١٦]- الحديث:

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه: البخاري كتاب التهجد باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم حتى ترم قدماه. وقالت عائشة رضى الله عنها حتى تفطر قدماه ٢/٤٤ نحوه وأخرجه في كتاب التفسير سورة الفتح باب قوله: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً " ٦/٤٤ لفظه.

مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ٣/٢١٧٢ لفظه حديث ٨١ (٢٨٢٠) وأخرجه في الحديث رقم ٧٩ قبله.

النسائي كتاب قيام الليل باب الاختلاف على عائشة في إحياء الليل ٣/٢١٩ نحوه .

بن الزبير عن عائشة قالت: كان رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه قالت عائشـة: يـا رسـول الله أتصنـع هـذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك ومـا تـأخر فقـال: يـا عائشـة أفـلا أكون عبداً شكوراً"

أخرجه في كتاب صفة القيامة والجنـة والنـار، والفطـور في اللغـة الشقوق، وأخرجا معا حديث المغيرة بن شعبة أنه كان صَلَّـى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ ليقوم، أو ليصلي حتى ترم قدمـاه أو سـاقاه فيقـال لـه صَلَّـى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ فيقـول: أفـلا أكـون عبـداً شـكوراً.. هـذا نـص صحيـح البخاري.

ونص صحيح مسلم عن زيادة بن علاقة عن المغيرة بن شعبة: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى حتى انتفخت قدماه فقيـل لـه اتكلـف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قـال: أفـلا أكـون عبـداً شكوراً"

مسند أحمد ٢٥١/٤ وأخره في ١١٥/٦ نحوه.

د- المفردات:

تفطر: أصلها تتفطر فحذفت إحدى التائين أي تتشقق.

شكورا: قال القاضي : الشكر معرفة احسان المحسن والتحدث به، وسميت المجازاة على فعل الجميل شكراً لأنها تتضمن الثناء عليـه، وشـكر العبـدلله سبحانه وتعـالى اعترافـه بنعمه سبحانه وتعالى وثناؤه عليه وتمام مواظبته على طاعته.

وفي[617] صحيح البخاري عن يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث[618] بن يونس عن ابن شهاب قال حدثني الهيثم بن أبي سنان[619] أنه سمع أبا هريرة وهو يقص في قصصه وهو يذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أخاً لكم لا يقول الرفث[620] يعني بذلك عبد الله بن رواحه:

وفينا رسول الله يتلو كتابه[621] | إذا انشق معروف من الفجر ساطع

أرانا الهدى[622] بعد العمى[623] فقلوبنا | به موقنات أن ما قال واقع

---

[617])- الحديث:

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه: ١- البخاري كتاب الأدب باب هجاء المشركين ١٠٨/٧-١٠٩ لفظه تابعه عقيل عن الزهرى عن سعيد والأعرج عن أبي هريرة.

مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب اكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ٢١٧١/٣ لفظه حديث ٧٩ (٢٨١٩).

[618])- في أ (عن يونس).

[619])- وفي ب عن "ابن شهاب".

[620])- الرفث: الفحش من القول.

[621])- يتلو كتابه: القرآن الكريم.

[622])- الهدى: الإسلام.

[623])- العمى: الكفر والضلال.

يبيت يجافي[٦٢٤] جنبه عن فراشه

اذا استثقلت بالمشركين[٦٢٥] المضاجع

قال ذو النسبين أيده الله: عبد الله بن رواحه بن ثعلبة بن أمرئ القيس الخزرجي يكنى أبا محمد أحد الثقات الفضلاء، شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق والحديبية وعمرة القضاء، وهو أحد الأمراء في غزوة مؤتة من أرض البلقاء من الشام، وفيها استشهد رضي الله عنه، وأعلم جبريل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتلهم يوم استشهدوا فنعاهم للناس على المنبر، وكان أيضاً رضي الله عنه أحد الشعراء المحسنين الذين يردون الأذى عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيه وفي صاحبيه - حسان وكعب نزلت الآية: ﴿إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾ [الشعراء ٢٢٧] روى عنه جماعة من الصحابة رضى الله عنهم وله عقب.

قَالَ ذُو النَّسَبَيْنِ أَيَّدَهُ اللهُ: ومن ولده عندنا بالأندلس الفقيه المقرئ المحدث الأديب الثقة الصدوق القاضي بمدينة "ليلة"[٦٢٦] والخطيب بجامعها صاحب التصانيف أبو محمد قاسم بن إبراهيم بن قاسم بن يوسف بن يزيد بن معاوية بن ابراهيم بن أغلب بن عبادة بن

---

[٦٢٤]- يجافي جنبه: أي يرفعه.

[٦٢٥]- وروى بدل بالمشركين بالكافرين.

[٦٢٦]- في (أ) لبلة "بالباء الموحدة.

حارثة بن عبد الله بن رواحة يعرف بابن الصابوني، ذكره غير واحد من علمائنا منهم الفقيه أبو محمد عبد الله الخولاني، وابن خزرج وقد ذكر ذلك كله شيخنا الفقيه المحدث المسند الثقة أبو القاسم بن بشكوال في كتابه(الصلة في تاريخ علماء الأندلس،) وهي عندي في مجلدين بحق سماعي منه رحمه الله، وقوله :يجافي جنبه أي يباعده، وأصله من الجفاء وهو التباعد وقيل من الارتفاع، فقيام آخر الليل قربه إلى رب العالمين، ويستجيب الله فيه دعاء الداعين، ويعطي فيه للسائلين ويغفر فيه للمستغفرين، وقد مدح جماعة من المؤمنين فقال أصدق القائلين: "كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون"[(٦٢٧)] "أي ينامون"

---

[٦٢٧])- الهجوع: النوم بالليل دون النهار. وفي "ما" قولان: أحدهما النفي. ثم في المعنى قولان: أحدهما – كانوا يسهرون قليلاً من الليل قال أنس بن مالك وأبو العالية: هو ما بين المغرب والعشاء.

والثاني: كانوا ما ينامون قليلاً من الليل. واختار قوم الوقف على قوله: "قليلاً" على معنى: كانوا من الناس قليلاً، ثم ابتدأ فقال: "من الليل ما يهجعون" على معنى: نفي النوم عنهم البتة وهذا مذهب الضحاك ومقاتل.

والقوم الثاني أن "ما" بمعنى الذي فالمعنى: كانوا قليلاً من الليل يهجعون، وهذا مذهب الحسن وغيره. [زاد المسير في علم التفسير ٨/٣١-٣٢].

وبالاسحار هم يستغفرون"[٦٢٨] "الذاريات ١٧-١٨ ثبت بأجماع أهل النقل ورواية العدل عن العدل عن رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(قال)[٦٢٩] ينزل[٦٣٠] ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث[٦٣١] الليل الأخير فيقول: من يدعوني فاستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له".

---

٦٢٨)- قال مجاهد وغير واحد يصلون وقال آخرون قاموا الليل وأخروا الاستغفار إلى الأسحار كما قال تبارك وتعالى "والمستغفرين بالأسحار".

وقد ثبت في الصحيح عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له هل من سائل فيعطى سؤله حتى يطلع الفجر". [تفسير ابن كثير ٤/٢٣٤].

٦٢٩)- في أ و ب "أنه قال".

٦٣٠)-ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا" قال الامام النووي : هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء: أحدهما هو مذهب الجمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يومن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد. والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف أنها تتأول على ما يليق بها مواطنها وعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين: أحدهما تأويل مالك بن أنس رضي الله عنه وغيره ؛ معناه تنزل رحمته وأمره أو ملائكته. كما يقال: فعل السلطان كذا إذا فعله اتباعه بأمره. والثاني: أنه على الاستعارة - ومعناه الاقبال على الداعين بالاجابة واللطف.

(٦٣٢) وقد أخرجناه في الصحيحين، وترجم عليه البخاري باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل ، وفي روايته يقول: دون ياء، من يدعوني فاستجب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له؟ وفي صحيح مسلم كما قدمناه على نص الموّطآت وله طرق في صحيح مسلم.

---

٦٣١)- "حين يبقى ثلث الليل الأخير" وفي رواية ثانية للحديث"حين يمضى ثلث الليل الأول، وفي رواية أخرى، إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه "قال القاضي عياض: الصحيح رواية" حين يبقى ثلث الليل الآخر.

وهذه الروايات في حديث رقم ١٦٩ و ١٧٠ من صحيح مسلم.

٦٣٢)- الحديث:

أ- رواته: ثقات.

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ- تخريجه: البخاري كتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل جـ ٧ ص ١٤٩ لفظه.

مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والاجابة فيه جـ ١ ص ٥٢١.

الدارمي جـ ١ ص ٣٤٧ كتاب الصلاة باب ينزل الله إلى السماء الدنيا نحوه.

مسند أحمد جـ ٤ ص ٨١ نحوه.

ابن ماجه كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في أي ساعات الليل أفضل جـ ١ ص ٤٣٥ نحوه.

فأمـا تأويلـه: فهـو بيـن الامكـان مـن الـنزول، فإنـا نـروي هـذه الأحاديث ونقرُّ بها كمـا جـاءت بـلا كيـف ولا تشـبيه ، ونكـل أمـر تأويلها إلى الله عـز وجـل، وهـو قـول أئمــة الاسـلام منهـم مـالك والأوزاعي وسفيان الثوري والليث(٦٣٣) بن سـعد وغيرهم وهـو أحـد قولي الأشعري وسأنص ذلك وأوضحـه في شـرح حديـث الإسـراء إن شاء الله، وان كان حبيب كاتب مـالك روى عـن مـالك يـنزل أمـره،

---

٦٣٣)- شيخ الديار المصرية وعالمها ورئيسها أبو الحارث الفهمي مولاهم الأصبهاني الأصل المصري. حديث عن عطاء بن رباح ونافع العمري ابن مليك وسعيد المعتبري والزهري وأبي الزبير المكي، ومشرح بن هاعان وأبي قبيل المعافري ويزيد بن أبي حبيب وجعفر بن ربيعة، وخلق كثير . حج سنة ثلاث عشرة ومائة وله تسعة عشر عاما "فلحق بالكبار" وكان كبير الديار المصرية وعالمها الأنبل، كان الشافعي يتأسف على فواته وكان يقول هو أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به، وقال أيضاً: كان اتبع للأثر من مالك، وقال يحيى بن بكير: هو أفقه من مالك لكن الحظوظ لمالك، وقال ابن ذهب لولا الليث ومالك لضللنا . قال محمد بن رمح: كان دخل الليث في السنة ثمانين ألف دينار وما أوجب الله عليه زكاة قط . قلت: كان أحد الأجواد بعث إلى مالك بألف دينار وأهدى إلى مالك مرة أحمال عصفر، وأعطى ابن لهيفة ـ لما احترق منزله ـ ألف دينار. روى عبد الملك بن يحيى بن بكير عن أبيه قال: ما رأيت أحداً أكمل من الليث كان فقيه الدين عربي اللسان يحسن القرآن والنحو ويحفظ الشعر والحديث، حسن المذاكرة ، وما زال يذكر جميله حتى عد عشرا لم أر مثله. مات ليلةالجمعة النصف من شعبان سنة خمس وسبعين ومائة. وله إحدى وثمانون سنة. [تذكرة الحفاظ ١/٢٢٤-٢٢٦].

واعترض على هذا بأن أمره نازل أبداً،والفصل عنه بأنه في هذا الحديث مخصوص بما اقترن به من هذا القول: هل من سائل هل من داع على اختلاف طرق هذا الحديث،وأمره يتنزل أبداً لكن من غير هذه القرينة.

وقيل: معنى ينزل ربنا عبارة عن بسط رحمته وسرعة إجابته. وحبيب رحمة الله مجرّح عند العلماء، وقد فسر الله النزول بالقول في كتابه العزيز فقال جل وعز : ﴿ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾[٦٣٤] "الأنعام ٩٣" أي سأقول، وقد قيل: إن النزول بمعنى الخلق. كقوله جلّ من قائل: ﴿أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ[٦٣٥]﴾(الزمر٦) أي خلق لكم من الأنعام، وقال جلّ من قائل:

---

٦٣٤)- والمقصود بالنزول هنا نزول القرآن ومما يؤيد ذلك سبب نزول هذه الآية قيل أنها نزلت في عبد الله بن سعد بن أبى سرح وقيل نزلت في النضر بن الحارث. [انظر تفسير الكشاف ٣٥/٢].

٦٣٥)- خلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج وهي المذكورة في سورة الأنعام "ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين". (ابن كثير ٤٦/٤).

وقضى لكم وقسم لأن قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح المحفوظ : كل كائن يكون ، وقيل لا تعيش الأنعام الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها، وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها ﴿ثمانية أزواج﴾ ذكرا وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز ، والزوج اسم لواحد معه آخر فإذا انفرد فهو فرد ووتر. (تفسير الكشاف ٣٨٨/٣).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾(يونس ٥) أي ما خلق لكم من رزق، وهو أن يخلق الله كل ليلة في سماء الدنيا قائلاً مصوتاً حتى يبقى ثلث الليل الآخر ينادي ويصوت ما يأمره الله تعالى به حين ينفجر الفجر فيكون الكلام للمنادى به صفة لذات الله تعالى، ويكون النزول الذي هو التحول صفة للملك فإن الله تعالى لا يزول ولا يحول.

فنزوله تعالى من أفعاله ، سمّى ذلك الفعل نزولاً كما فعل إتياناً ومجياً ورمياً وقتلاً وموتاً وحشراً ، وكأنه قال الله العظيم: ﴿أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها[٦٣٦]﴾(الرعد ٤١) وقال الله تعالى:

وفي الحديث: "ينزل ربنا ... " إثبات النزول لله دون تأويل ولا تشبيه أخذاً بظاهر الحديث وهذا منهج السلف ولا أرى داعياً لمثل هذا التكلف في التأويل الذي جرى عليه البعض من العلماء. (٠/ع).

٦٣٦)- يعني أهل مكة، والاستفهام للإنكار، أي أو لم ينظروا أنا نأتي أرض الكفر كمكة ننقصها من أطرافها بالفتوح على المسلمين منها شيئا فشيئاً. قال الزجاج: أعلم الله أن بيان ما وعد المشركين من قهرهم قد ظهر، يقول: أو لم يروا أنا فتحنا على المسلمين من الأرض ما قد يتبين لهم فكيف لا يعتبرون ، وقيل إن معنى الآية: أو لم يروا أنا فتحنا على المسلمين من الأرض ما قد تبين لهم فكيف لا يعتبرون ، وقيل إن معنى الآية: موت العلماء والصلحاء. قال القشيري: وعلى هذا فالأطراف الأشراف. وقيل: المراد من الآية خراب الأرض المعمورة حتى يكون العمران في ناحية منها. (فتح القدير ٣/٩٠).

"ننقصها من أطرافها" بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الإسلام، وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه، والمعنى: عليك بالبلاغ الذي

﴿فـأتى الله بنيـانهم مـن القواعـد[٦٣٧]﴾(النحـل ٢٦) وغـير ذلـك في القرآن كثير إذ يتعالى الله عن الحاجـة الى مكـان وقـوام وجهـة وزمـان ونزول من علو إلى أسفل بالنقلة والزوال ، وافراغ الأمكنـة والإشـغال على هذا جميع علماء أهـل السـنة والجماعـة ، ونـزول خلقـه التحـول والانتقال ؛هم أجساد محتاجون الى أمكنة وقوام وزمان، والله تعالى هو مبدع الأمكنة ومنشىء الأزمنة وأنه لا مثل لذاتـه ولا لأفعالـه، إذ كـل فـاعل يفعـل لشـيء وبشـيء ، والله تعـالى فطـر السـموات والأرض لا بشيء ولا من شيء، بل أحدث عينها مخترعاً منفرداً بلا آلة ولا عـدة، وخلق خلقـه فأمـاتهم وهـو سيعيدهم، فـلا خلقـه إياهم لحاجـة، ولا

حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك مـن الظفـر ولا يضجـرك تأخيره فإن ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها. (الكشاف ٢/٣٦٣).

قال ان عباس: أولم يروا أنا نفتـح لمحمـد صلـى الله عليـه وسـلم الأرض بعـد الأرض ، وقال عكرمة ومجاهد : ننقصها من أطرافها. قال: خرابها. وقال الحسن والضحاك: هو ظهور المسلمين على المشـركين. وقـال ابـن عبـاس في روايـة: خرابهـا بمـوت علمائهـا وفقهائها وأهل الخير فيها. (ابن كثير ٢/٥٢١).

٦٣٧)- القواعد: أساطين البناء التي تعمده، وقيل : الأساس ، وهذا تمثيل يعـني انهـم سـووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسوله ، فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبـات كحـال قوم بنو بنياناً وعمدوه بالأساطين فأتى البنيان من الأسـاطين بـأن ضعضعـت فسـقطت عليهم السقف وهلكوا. (الكشاف ٢/٤٠٦ - ٤٠٧).

إعادته لهم لضرورة، وأفعاله مباينة لأفعال خلقه غير مقيسة عليها، كذلك نزوله غير مقيس على نزولهم فاعلم ذلك.

وأما إعرابه: فإنه جعل (من) استفهاماً، فرفع الأفعال الأولى ونصب الأفعال الثانية على جواب الاستفهام.

واعلموا رحمكم الله أن الله جلت قدرته قدم الاستغفار على التوبة، فقال جل من قائل: حكاية عن نبيه هود عليه السلام: ﴿ويا قومِ استغفروا ربكم ثم توبوا إليه[٦٣٨]﴾ لأن الغرض طلب المغفرة فقدم طلب الغرض على السبب وهو التوبة، ولما قدم الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام على معاوية ، تبعه بعض حجاب معاوية فقال: يا ابن بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئاً لعل الله يرزقني ولداً، فقال عليك بالاستغفار، فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد مائة مرة فولد له عشرة

---

[٦٣٨]- استغفروا ربكم: آمنوا به. ثم توبوا إليه من عبادة غيره لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان، وإنما قصد استمالتهم الى الإيمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة ، لأن القوم كانوا أصحاب زرع وبساتين وعمارات حراصاً عليها أشد الحرص فكانوا أحوج شيء الى الماء. (الكشاف ٢/٢٧٥).

وقد أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة وبالتوبة عما يستقبلون ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه وسهل عليه أمره وحفظ شأنه ولهذا قال: ﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ وفي الحديث: "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لايحتسب ". (ابن كثير ٢/٤٥٠).

بنين، فبلغ ذلك معاوية، فقال: هلا سألته بم نال ذلك؛ فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل. فقال: ألم تسمع قول نبي الله هود: ﴿ويزدكم قوة الى قوتكم﴾(الآية ٥٢) وقول نبي الله نوح: ﴿ويمددكم بأموال وبنين﴾ ذكره الزمخشري في التفسير بهذا الاختصار، وقد حدثني غير واحد عنه، وقد رويناه من طريق السمعاني أطول من هذا.

وأفضل الاستغفار ما سماه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيداً، وهو ما حدثني به الشيخ الصالح الثقة أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر :سماعا مني عليه بمنزله بمدينة أصبهان ،بقراءة المحدث تقي الدين محمد بن أبي بكر بن ابي الرجا الحنبلي ،وقرأته أيضا عليه بلفظي.

قال أخبرنا أبو منصور محمد بن علي المدعو بالصيرفي في[639] قراءة عليه وأنا أسمع في صفر سنة اثنتي[640] عشرة وخمس مائة ، وميلاده آخر يوم من شهر ربيع الثاني سنة إحدى وعشرين و أربعمائة يوم الخميس ، ووفاته يوم السبت الثامن من شهر ذي القعدة لسنة أربع عشرة و خمسمائة ، وأجاز لي تحت يدي عبد الرحيم بن زينة[641] في ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة و خمسمائة قال : أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن الحسين بن فادشاه قال : حدثنا الإمام أبو

---

٦٣٩)- في أ وب الصيرفي قراءة عليه

٦٤٠)- في أ اثني وهوخطأ

٦٤١)- في ب زينة

القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب في الأدعية ـ قال : حدثنا معاذ بن المثنى قال حدثنا مسدد قال حدثنا يزيد بن زريع عن حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة عن بشير بن كعب عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه و سلّم قال : سيد الاستغفار أن يقول العبد " اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ماستطعت ، أعوذ بك من شر ماصنعت ، أبوء بنعمتك علي وأبوء لك بذنب فاغفر لي فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت ." فإذا قالها موقنا بها حين يمسي فمات دخل الجنة ، وإن قالها حين يصبح موقنا بها فمات دخل الجنة . هذا حديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات في ترجمة نصها "أفضل الاستغفار" حدثنا أبو معمر قال :حدثنا عبد الوارث قال حدثنا الحسين . قال ذو النسبين أيده الله : وهو المعلم المتقدم ، وفي رواية : أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت . قال : ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة [٦٤٢] وأخرجه أيضا في ترجمة نصها (باب ما يقول إذا أصبح) حدثنا

---

[٦٤])- الحديث رواته : ثقات .

درجته : إسناده صحيح .

مسدد قال حدثنا يزيد بن زريع بسندنا المذكور آنفا ،وشداد هـذا هـو ابن أخى حسان بن ثابت يكنى أبا يعلى نزل بالشام بناحية فلسـطين ، وروى عنه أهل الشام ، وهو شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر ، وقال أبو الدرداء صاحب رسول الله صلـى الله عليـه وسـلم ، وحكيـم هـذه الأمة : إن الله يؤتي الرجل العلـم ولا يؤتيـه الحلـم ، ويؤتيـه الحلـم ولا

تخريجه : البخاري في كتاب الدعوات باب فضـل الاستغفار وقولـه تعـالى " اسـتغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكـم جنات ويجعل لكم أنهارا " "وقوله " " والذيـن إذا فعلـوا فاحشـة أو ظلمـوا أنفسـهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفـر الذنـوب إلا الله ولم يصروا على مـا فعلـوا وهم يعلمون " . ١٤٥/٧ لفظه .

أبو داود كتاب الأدب باب ما يقول اذا أصبح ٣١٢/٥ نحوه حديث رقم ٥٠٧٠ .

ابن ماجه كتاب الدعاء بـاب مـا يدعـو بـه الرجـل إذا أصبـح وإذا أمسـى ١٢٧٤/٢ نحوه.

مسند أحمد ١٢٢/٤ مثله .

المفردات :

وأنا على عهدك : أي مقيم على ميثاقك الذى أخذت بقولـك " ألسـت بربكـم " أو على ماعاهدتني وأمرتني به في كتابك من الإيمان بك وبنبيك وبكتابك .

ووعدك : أي مديم على وعدك الـذي لايخلـف الـذي وعـدت بـه أهـل الإيمـان بـك وبنبيك و كتابك .

ما استطعت : أي قدر استطاعتى .

أبوء بنعمتك : معناه الاعتراف بالنعمة والإقرار بها .

وأبوء بذنبى : معترفاً به كذلك .

يؤتيه العلم ، وأن أبا يعلى شداد بن أوس ممن أتاه الله العلـم و الحلـم ، حكاه ابن عبد البر [٦٤٣] في الاستيعاب عن مالك قال أبو الدرداء : وروى ابن عبد البر في كتابه المذكور قال عباده بن الصامت : كان شداد بن أوس ممن آتاه الله العلم والحلم ، وبُشَير هذا بضم الباء وفتح الشين يشتبه ببشير العدوى الذي يكنى أبا أيوب .

الإعراب : وأما إعرابه فقولك : اللهم نداء منفرد ، والميم في آخره عوض عن ياء في أوله ، فلهذا لم يضم إذ صار آخره بمنزلة الصوت فبني لهذا ، لأن (يا) لاأصل له في الإعراب إنما هو صوت ، وكذلك (أي و أيا) هذا قول البصريين ، وأما قول الكوفيين :

---

٦٤٣)- الإمام شيخ الإسلام حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبى ، ولد سنة ثمان وستين وثلاثمائة في ربيع الآخر وطلب الحديث قبل الخطيب بأعوام ، حدث عن خلف بن القاسم وعبد الوارث بن سفيان وعبد الله بن محمد بن عبد المؤمن و محمد بن عبد الملك بن صيفون وغيرهم ، قال أبو الوليد الباجى : لم يكن في الأندلس مثل أبـى عمر في الحديث ، وقال ابن حزم : التمهيد لصاحبنا أبي عمر لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلاً فكيف أحسن منه ! وله تواليف لا مثل لها في جمع معانيها منها الكافي على مذهب مالك ، ومنها كتاب الاستيعاب في الصحابة ليس لأحد مثله ، ومنها كتاب جامع العلم وفضله وغيرها ، وكان مع تقدمه في علم الأثر وبصره في الفقه والمعاني له بسطة كبيرة في علم النسب . قال أبو داود المقرئ : مات أبو عمر ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة . تذكرة الحفاظ ١١٢٨/٣ - ١١٣٠ .

فهذيان بيقين . وأما لغته أبوء لك بذنبى معنـاه : أعـترف طوعـاً ، أي رجعت إلى الإقرار بعد الإنكار والسكوت . قال الخطابى : بـاء فـلان بذنبه إذا احتمله كرها و لم يستطع دفعـه ، وأصلـه مـن الرجـوع ومنـه قوله عز وجل حكاية عن ابن آدم : " إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك (المائدة ٢٩)، وقيل : ترجع به لازماً لك ، وقيل : تحمله كرها وتلزمـه ، وقوله : فاغفر لي معناه : اللهم غط على ذنبى وهو مأخوذ من قـول العرب : قد غفرت المتاع في الوعاء اغفر غفرا إذا غطيته ، فقولـه جـل وعـلا : يغفـر لكـم مـن ذنوبكـم (الصـف ١٢) أي يغطي عليكـم ذنوبكم ، وإذا غطاها عليه لم يؤاخذه بها إذ لو عاقبه بها كـان كشـفاً لاتغطية ، والعقوبة لاتخفى فهي ضد التغطية والستر ، وكـان صلـى الله عليه وسلم يحرض على قيام الليل والنوافل ، وطرق فاطمـة وعليـاً ليلـة للصـلاة فقـال " ألا تصليـان ؟ " علـى مـاثبت في الصحيحـين .[٦٤٤]

---

[٦٤])– لفظ الحديث في البخاري " حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قـال أخبرني علي بن حسين أن حسين بن علي أخبره أن علـي بـن أبي طـالب أخـبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم فقـال : ألا تصليان ؟ فقلت يارسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شـاء أن يبعثنـا ، فـانصرف حـين قلنا ذلك وهو يقول : وكان الإنسان أكثر شيئ جدلاً .

رواته : ثقات .

درجته : إسناده صحيح .

وقال : " من يوقظ صواحب الحجرات " يريد أزواجه صلى الله عليه وسلم لكي يصلين معه ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : " يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة " ، كاسية من ألوان الأثواب عارية من أنواع الثواب .(٦٤٥) وذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل

تخريجه : البخاري كتاب التهجد باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل و النوافل من غير إيجاب . وطرق النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وعلياً عليهما السلام ليلة للصلاة ٤٣/٢ .

مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ٥٣٨/١ حديث ٢٠٦ (٧٧٥) نحوه .

المفردات :

طرقه وفاطمة : أي أتاهما في الليل .

ثم سمعته وهو مول : المختار في معناه ـ أنه تعجب من سرعة جوابه وعدم موافقته على الاعتذار ، وقيل : قاله تسليما لعذرهما وأنه لاعتب عليهما .

٦٤٥)- الحديث رواته ثقات .

درجته : إسناده صحيح .

تخريجه : البخاري كتاب العلم باب العلم و اليقظة في الليل ٣٧/١ لفظه ، ورواه في كتاب التهجد باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب .

الترمذي كتاب الفتن باب ماجاء ستكون الفتن كالليل المظلم٤/٤٨٧ لفظه قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

موطأ مالك كتاب اللباس باب مايكره للنساء لبسه من الثياب ٩١٣/٢ لفظه حديث ٨ .

فقيل : ما زال نائما حتى أصبح ، ما قام الى الصلاة فقال : بال الشيطان في أذنه ، وهو حديث مجمع على صحته [٦٤٦]، وهذا نص صحيح البخارى عن عبد الله بن مسعود ، ونص صحيح مسلم قال : ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل نام ليلة حتى أصبح ، قال : ذلك رجل بال الشيطان في أذنيه ، أو قال في أذنه " وذلك أن الشياطين باعدهم الله عن استماع المواعظ المنبهة من الرحمن [٦٤٧]،

المفردات :

الحجرات : جمع حجرة وهي منازل أزواجه صلى الله عليه وسلم .

٦٤٦)- الحديث رواته : ثقات .

درجته :إسناده صحيح .

تخريجه : البخاري كتاب التهجد باب إذا نام و لم يصل بال الشيطان في أذنه ٤٧/٢ لفظه .

مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ٥٣٧/١ حديث ٢٠٥ (٧٧٤) لفظه .

المفردات :

" بال الشيطان في أذنه " اختلفوا في معناه ـ فقال ابن قتيبة : معناه أفسده ، وقال المهلب والطحاوي وآخرون : هو استعارة وإشارة الى انقياده للشيطان و تحكمه فيه وعقده على قافية رأسه : عليك ليل طويل ، وإذلاله له ، وقيل : معناه استخف به واحتقره واستعلى عليه .

٦٤٧)- الكفار كانوا يقولون أن محمداً كاهن ، وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة ، فكُذِّبوا بأن ذلك مما لايتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه

ودليل ذلك في القرآن العظيم قال الله العظيم : " إنهم عن السمع لمعزولون "،(٦٤٨) فجعلهم الله من كل خير مبعدين ، فلما لم يقم من الليل لذكر الله ، وأطاع الشيطان بترك الصلاة الذي هو دأب سيد المرسلين مكنه الله منه ، ولم يمنعه مانع من البول في أذنه حتى استغرق في نومه ، وبلغ منه تمام مراده ، لأن الشيطان خبيث مخبث ، وبوله أخبثه فإذا هذا الرجل مطرح أخبث الشيطان فما أبعده عن تلاوة القرآن ! وقال الحزبي (بال) ها هنا بمعنى : ظهر عليه وسخر منه ، وقال غيره : يقال لمن استخف بإنسان وخدعه :بال في أذنه ، ومنه قول الله عز وجل : " استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ". (٦٤٩) وبال في أذنه كناية عن ضرب النوم عليه ، واستعار ذلك له لأن

لأنهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام أهل السماء .الكشاف ١٣٠/٣ - ١٣١ .

وقد قال سبحانه وتعالى مخبراً عن الجن "إنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً ، وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ... " الآيات الى قوله تعالى " أم أراد بهم ربهم رشداً " الجن ٨–١٠ . ابن كثير ٣٤٩/٣ .

إنهم عن سماع القرآن أو كلام الملائكة محجوبون مرجومون بالشهب . فتح القدير ١١٩/٤ .

٦٤٨)– الشعراء :الآية ٢١٢ .

٦٤٩)– المجادلة : الآية ١٩ .

الأذن خاصة الانتباه وسماع مايكون من أصوات الدعاة الى الخير ،كما قال جل من قائل :" فضربنا على آذانهم " [٦٥٠]، أى أنمناهم ، وأقل الأحوال أن يذكر الله تعالى إذا استيقظ على فراشه ، لما حدثني موفق الدين أبو جعفر محمد بن أحمد قراءة مني عليه بأصبهان أخبرنا أبو علي أخبرنا أبو نعيم أخبرنا أبو محمد بن جعفر أخبرنا أبو مسعود الحافظ أخبرنا يحيى بن عبد الله الحراني قال : حدثنا الأوزاعي [٦٥١] حدثنا

غلب عليهم واستولى واستعلى . قال المبرد : استحوذ على الشيئ حواه وأحاط به وقيل : قوي عليهم ، وقيل :جمعهم ، يقال : أحوذ الشيئ :أي جمعه وضم بعضه الى بعض ، والمعانى متقاربة لأنه إذا جمعهم فقد قوي عليهم وغلبهم واستعلى عليهم واستولى وأحاط بهم " فأنساهم ذكر الله " أي أوامره والعمل بطاعته فلم يذكروا شيئاً من ذلك ، وقيل زواجره في النهي عن معاصيه ، وقيل :لم يذكروه بقلوبهم ولا بألسنتهم . تفسير الكشاف ٤٧٣/٣ .

٦٥٠)- الكهف : الآية ١١ .
ضربنا عليها حجاباً من أن تسمع : يعنى أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات كما ترى في المستثقل في نومه يصاح عليه فلا يسمع ، ولا يستنبه فحذف المفعول الذى هو الحجاب ، كما يقال : بنى على امرأته ، يريدون بنى عليها القبة .فتح القدير ١٩٣/٥ .

٦٥١)- الأوزاعي شيخ الإسلام أبو عمرو :عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الدمشقي الحافظ ، وُلد سنة ثمان وثمانين وحدث عن عطاء بن أبي رباح والقاسم بن مخيمر وشداد أبي عمار وربيعة بن يزيد والزهري ومحمد بن إبراهيم التيمي ويحيى بن أبي كثير وخلق ،ورأى محمد بن سيرين مريضاً ويقال انه سمع منه ،حدث عنه شعبة وابن المبارك والوليد بن مسلم ويحيى القطان وخلائق . وقال الوليد بن مزيد : وُلد ببعلبك

عمير بن هانئ حدثنا جناده بن أبى أمية قال : حدثنى عباده هو بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من تعارَّ من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير . الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله ، ثم قال : اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له ، فإن توضأ قبلت صلاته " .

هذا حديث صحيح أخرجه البخارى في صحيحه منفردا به دون مسلم في آخر كتاب الصلاة في باب (فضل من تعارّ من الليل فصلى) حدثنا صدقه قال أخبرنا الوليد هو بن مسلم قال حدثنا " ....الأوزاعي قال : علونا فيه غاية العلو والحمد لله [٦٥٢] .

يتيماً فقيراً في حجر أمه ، تعجز الملوك أن تؤدب أولادها أدبه في نفسه ، ما سمعت منه كلمة فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه ، ولا رأيته ضاحكاً يقهقه ، ولقد كان إذا أخذ في ذكر الميعاد أقول : ترى في المجلس قلب لم يلك .

قال عامر بن سياف : سمعت الأوزاعى يقول: إذا بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث فإياك أن تقول بغيره ، فإنه كان مبلغاً عن الله . قال أبو اسحق الغزاوى عن الأوزاعى : كان يقول : خمسة كان عليها الصحابة والتابعون : لزوم الجماعة ، واتباع السنة ،وعمارة المسجد ، والتلاوة والجهاد . تذكرة الحفاظ ١/١٧٨ - ١٨٠ .

[٦٥٢])- الحديث رواته : ثقات .

درجته : إسناده صحيح .

لغته : تعارّ : استيقظ وهو تفاعل من العرار وهو صوت الظليم [٦٥٣]، والنائم لاصوت له ، وإنما المستيقظ هو المصوت فلهذا عبر بالتعار عن الاستيقاظ ، وقيل : تعار من الليل : سهر وتقلب في فراشه ، وقيل : لايكون إلا مع كلام يرفع به صوته عند انتباهه وتمطيه ، وقيل : الأنين عند التمطى بأثر الانتباه وهو المعتاد من النائم ، وقد ضمن رسول الله صلّى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن من قال الكلمات التى ذكرنا ثم دعا استجيب له ، فسبحان المتفضل على هذه الأمة بمثل هذه النعمة ، ومن أصح الأحاديث وأجلها قدراً وأفضلها أجراً وذخراً قول رسول الله صلّى الله عليه وسلم : من قال

تخريجه : البخاري كتاب التهجد باب فضل من تعار من الليل فصلّى ٤٩/٢ ولفظ البخاري جاء ذكر ''ولا إله إلا الله '' .

الترمذي كتاب الدعوات باب ما جاء في الدّعاء إذا انتبه من الليل ٤٨٠/٥ نحوه .

ابن ماجه كتاب الدعاء باب ما يدعو به إذا انتبه من الليل ١٢٧٦/٢ مثله غير أنه زاد فيه '' العليّ العظيم '' ثم دعا : رب اغفر لي غفر له '' حديث ٣٨٧٩ .

الدارميّ كتاب الاستئذان باب ما يقول اذا انتبه من نومه ٦٦٧/١ زاد فيه ''رب اغفر لي أو قال ثم دعا استجيب له فإن عزم فتوضأ ثم صلّى تقبل صلاته '' .

مسند أحمد ٣١٣/٥ نحو مافي الدارميّ.

المفردات :

من تعارّ بالتشديد : أى استيقظ .

[٦٥٣])- الظليم : الذكر من النعام .

سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر .[(٦٥٤)]

أجمع العلماء على صحة هذا الحديث ، وأخرجوه في جميع مصنفاتهم ، وهذا الحديث أبين من الشمس ، ومن أن اليوم تابع للأمس ، وفيه من الفقه ، جواز العد والإحصاء،ورد على من أنكره من الجهال الأغبياء .

---

[٦٥٤])- الحديث

(أ) رواته : ثقات

(ب) درجته: إسناده صحيح

(جـ) البخاري كتاب الدعوات باب فضل التسبيح لفظه١٦٨/٧

مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ٢٠٧١/٣ نحوه حديث٢٨(٢٦٩١)

موطأ مالك كتاب القرآن ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى ٢٠٩/١-٢١٠ لفظه .

الترمذي كتاب الدعوات باب ماجاء في فضل التسبيح والتكبير والتحميد ٥٠٩/٥ نحوه .

(د) المفردات :(١) الظلم : الذكر من النعام

(٢) سبحان الله,, معنى التسبيح التنزيه عما لايليق به سبحانه وتعالى من الشرك والوالد والصحابة والنقائض مطلقاً

,, سبحان الله ,, اسم منصوب على أنه واقع موقع المصدر لفعل محذوف تقديره سبحت الله سبحاناً ولايستعمل غالباً إلا مضافاً الى المفعول أي سبحت الله .

(٣) ,, مثل زبد البحر كناية عن المبالغة في الكثرة والزبد مايعلو البحر عند هيجانه .

وأما مافيه من النحو فقول : سبحان الله (سبحان) مصدر سبح سبحاناً ورجح رجحاناً وكفر كفراناً وشكر شكراناً، وأصل سبح أي تباعد وارتفع . قال الأزهري : سبحت بي الأرض تباعدت فكان قولنا : سبحان الله أي تنزيهاً لله وإبعاداً لصفاته الشريفة عن الأفعال الجائزة والأحكام الظالمة ، وقال الحسن بن نصر الجرجاني :(سبحان) لايتحمل إلا ان يكون مصدراً (لأنه) [٦٥٥] اسم وليس نعتاً ، وأضافته اليه تعالى تدل على أنه مصدر، والمصدر لا يكون إلا من فعل ، ودخلت الياء في قوله (وبحمده) دلالة على التعريف ، والمعنى : سبحان الله والحمد لله وقال الحسن بن خلاد : سألت الزجاج عن قوله صلى الله عليه وسلم : سبحانك اللهم وبحمدك ما العلة في ظهور الواو ؟ فقال: سألت عنه أبا العباس محمد بن يزيد قال سألت عنه المازني فقال : المعنى سبحتك اللهم بجميع آلائك ، وبحمدك سبحتك . ذكر ذلك الخطابي ، وقال ابو العباس أحمد بن يحيى تغلب معناه: سبحتك بحمدك جعل الواو صلة . قال ذو النسبين أيده الله : وهذه الواو تسمى الواو المنفردة علم على التسبيح كعثمان للرجل ، وإنما منع الصرف لأنه معرفة، وفي آخره ألف ونون زائدتان ، وأما لغته فقوله صلى الله عليه وسلم : حطت خطاياه أي، أسقطت وأزيلت ، لأنه

---

[٦٥٥])- في أ وب ,,فانه,,

كان حاملاً لها فحط حملها كما يحط حمل الدابة ، وقوله صلى الله عليه وسلم وإن كانت مثل زبد البحر؛رغوة مائه عند تموجه واضطرابه تغمدنا الله برحمته [٦٥٦]

---

[٦٥٦]- وجاء في صحيح مسلم ,, الحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن مابين السموات والأرض..,, الحديث . والمعنى ثواب الحمد أو ثواب الصيغة لو قدر جسماً يملأ الميزان الذي توزن به أعمال العباد . ,, والحمد لله ,, وهذه الجملة أفضل صيغ الحمد

ولذا بدأ بها الكتاب العزيز وهي من الثناء على الله تعالى بصفات الكمال . دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ١٦٧/١

وسبحان الله ,,علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر تقديره اسبح الله سبحان ، ثم نزل منزلة سبحان منزلة الفعل فسدَّ مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح الذي يصيغها إليه أعداء الله تفسير الكشاف ٤٣٦/٢

(١٣٨) الحديث

(أ) رواته : ثقات

(ب) درجته : إسناده صحيح

(جـ) تخريجه البخارى كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده ٩٥/٤ لفظه مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ٢٠٧١/٣ وزاد فيه ,, ومن قال : سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر,, لفظه من غير الزيادة . حديث ٢٨ (٢٦٩١).

موطأ مالك كتاب القرآن باب ماجاء في ذكر الله تبارك وتعالى ٢٠٩/١ لفظه .

(د) المفردات :

عدل : بالفتح وسكون الدال : أي مثل

١٣٨ وكذلك ثبت باجماع اهل النقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :((من قال لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشرة رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك))

الكلام على لغته وإعرابه ومعناه : لغته ــ عدل الشيء بفتح العين قسيمته ، يقول : عندى عدل ثوبك أى قيمته ، وعدل الشيء بكسره نظيره من جنسه ؛ تقول : عندي عدل ثوبك أي ثوب مثله وبفتح العين قيدناه في الموطأ وفي الصحيحين.

إعرابه : اعلم أن أفضل الذي معناه المفاضلة لا ينصرف قال الله العظيم ,, إذا حُيِّيتم بتحية فحيوا بأحسن منها ,, وقال النابغة :

يوماً بأجود منه سيب نافلة ولايحول ُ عطاءُ اليومِ دون غدِ

المعنى في هذا الحديث المجمع على صحته دليل على أن الذكر أفضل الأعمال ألا ترى إلى هذا الكلام إذا قاله الإنسان مائة مرة يعدل

حرز : بكسر الحاء وسكون الراء : أي حصن

يومه : منصوب على الظرفية .

عشرة رقاب ، إلى ماذكر فيه من الحسنات ومحـو السيئات وهـذا أمـر كبير وأجر خطير .[٦٥٧]

وقرأت في خر اسان على الفقيه العـدل تـاج الدين أبـي القاسـم الفرّاوي قال حدثني جدي فقيه الحرمين أبو عبد الله محمد بـن الفضـل سماعاً عليه سنة تسع وعشرين وخمس مائة قال: أخبرنـا الشـيوخ الجلـة العلماء أبو سعد محمد بن علي الخشاب ، وأبو حامد أحمد بـن الحسـن الأ زهري ، والشيخ سعيد بن أبي سسعيد العيار الصُّـوفي قـالوا أخبرنـا أبو محمد الحسن بن أحمـد المخلدي قـال أخبرنـا أبـو العبـاس محمـد بـن إسحاق بن إبراهيم الثقفي السراج قال : حدثنـا قتيبـة بـن سـعيد قـال

---

[٦٥٧]- وقد استشكل بعض أهل العلم تفضيل الذكر على الجهاد مع أن الجهـاد مـع مافيه من دفع لأعداء الإسلام ومـد لأنـواره وورود الأدلـة الصحيحـة على تفضيله وإعـلاء مكانه في الصالحات .

وفي الحديث ,, ألا أخبـركم بخير أعمـالكم وأزكاهـا عنـد مليككـم وأرفعهـا في درجاتكم وخير لكـم مـن إنفـاق الذهـب والفضـة وخـير لكـم مـن أن تلقـوا العـدو فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ، قالوا بلى يارسـول الله قـال ذكـر الله . مشـكاة المصابيح ٧٠٢/٢ .

ونجد الشوكاني رحمه الله يرد على هـذا الاستشـكال :بـأن ذلـك باعتبـار الأشـخاص والأحوال فمن كان مطيقاً للجهاد قوي الاثر فأفضل أعماله الجهاد ، ومن كان كثـير المال فأفضل أعماله الصدقة ، ومن كـان غـير متصـف بـاحدى الصفتـين المذكورتـين فأفضل أعماله الذكر . تحفة الذاكرين ص ١١

حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن لله ملائكة يطوفون في الطرقات يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا إلى حاجتكم قال: فيحفونهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا. قال فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك قال فيقول: هل رأوني؟ قال فيقولون: لا والله ما رأوك. قال فيقول: كيف لو رأوني؟ قال يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وتحميداً، وأكثر لك تسبيحاً. قال فيقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة. قال يقول: وهل رأوها؟ قال يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال فيقول: فكيف لو أنهم رأوها. قال يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة. قال فمم يتعوذون؟ قال يقولون: من النار. قال يقول: وهل رأوها؟ قال يقولون لا والله يا رب ما رأوها. قال يقول: فكيف لو رأوها[٦٥٨]. قال يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة. قال فيقول: أشهدكم أني غفرت

---

[٦٥٨]- هذه العبارة في (أ) مكررة.

لهم. قال يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم[٦٥٩].

هذا حديث صحيح باجماع أهل النقل، ورواية العدل عن العدل أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الدعوات في باب فضل ذكر الله) عن قتيبة بن سعيد[٦٦٠] على النص الذي أوردناه، وقد علونا فيه العلو الذي أوردناه، وفي قتيبة بن سعيد وافقناه.

---

[٦٥٩]- (أ) رواته: ثقات.

(ب) درجته: إسناده صحيح.

(ج)تخريجه: البخاري كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل ١٦٨/٧ - ١٦٩ مثله.

(د) المفردات:

هلموا: أقبلوا.

فيحفونهم: حف حوله: أي التف حوله وهي في كثير من النسخ وفي بعضها.

حض: أي حث على الحضور. والمراد يحفونهم بأجنحتهم ويحدقون بهم ويستديرون حولهم.

[٦٦٠]- قتيبة بن سعيد هو شيخ الإسلام المحدث الإمام الثقة الجوال راوية الإسلام أبو رجاء قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف مولاهم البلخي البغلاني من أهل قرية "بغلان" من موالي الحجاج بن يوسف الأمير الظالم هو ابن أخي وشيم بن جميل الثقفي مولده في سنة تسع وأربعين ومائة.

قال الحافظ أبو أحمد بن عدي: اسمه يحيى بن سعيد وقتيبة لقب، وقال الحافظ بن مندة: اسمه علي بن سعيد، وكان له أخ اسمه قديد بن سعيد قال الأصمعي: قتيبة مشتق من القتب وهو المعي يقال طعنته فاندلقت اقتاب بطنه، أي خرجت، وارتحل قتيبة في

وقال في آخر هذا الحديث. ورواه سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال ذو النسبين أيده الله وصدق رحمه الله: حدثني الشيخ الزاهد الثقة العدل أبو الحسن عبد الرحيم بن عبد الرحمن الجرجاني قراءة مني عليه بمسجد المطر بشادياخ نيسابور قال: حدثنا الإمام فقيه الحرمين أبو عبد الله محمد بن الفضل سماعاً عليه سنة أربع وعشرين قال حدثنا العدل أبو الحسن الفارسي سماعاً عليه. قال: حدثنا الحكم أبو أحمد قراءة عليه قال: حدثنا الفقيه أبو اسحاق سماعاً عليه قال: فرغ لنا أبو الحسين من قراءة هذا الكتاب سماعاً من لفظه لعشر خلون من شهر رمضان سنة سبع وخمسين ومائتين قال: حدثنا

طلب العلم، وكتب ما لا يوصف كثرة، وذلك في سنة ثنتين وسبعين ومائة فحمل الكثير عن مالك والليث وشريك وحماد بن زيد ، وأبي عوانة وابن لهيعة وبكر بن مضر، وكثير بن سليم صاحب أنس بن مالك وغيرهم.

وروى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي في كتبهم وأكثروا، وروى ابن ماجة عن محمد بن يحيى الذهلي عنه وعن ابن أبي شيبة عنه، وروى الترمذي أيضاً عن رجل عنه وروى النسائي عن زكريا الخياط عنه، وروى عنه يعقوب ابن شيبة وأبو زرعة وأبو حاتم وأحمد بن يسار وكثيرون.

قيل: انه وعظ مرة فمات في المجلس من تذكيره أربعة أنفس.

قال أبو بكر الأثرم: سمعت أحمد بن حنبل ذكر قتيبة فأثنى عليه. وقال يحيى بن معين: من طريق أحمد بن زهير قتيبة ثقة، وكذا قال النسائي وزاد صدوق ، وقال أبو حاتم الرازي: ثقة، وقال ابن خراش صدوق. (سير أعلام النبلاء ١١/١٣ - ١٥).

محمد بن جابر ميمون . قال: حدثنا بهز قال: حدثنا رهيب قال :حدثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة.

عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال[٦٦١]: إن لله تعالى ملائكة سيارة فضلاء يبتغون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضاً ومدوا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال:

---

[٦٦١]- (أ) درجته: صحيح بسنده.

(ب) تخريجه: مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل مجالس الذكر ٢٠٦٩/٣ حديث ٢٥ (٢٦٨٩) لفظه.

(ج) المفردات:

سيارة: معناه سياحون في الأرض.

فضلاً: ضبطوه على أوجه. أرجحها وأشهرها فَضْلاً، والثانية فُضُلاً ورجحها بعضهم وادعى انها أكثر صواباً، والثالثة فضلاً قال القاضي: هكذا الرواية عند جمهور شيوخنا في البخاري ومسلم ،والرابعة فضل على أنه خبر مبتدأ محذوف ، والخامسة فضلاء جمع فاضل. قال العلماء: معناه على جميع الروايات، انهم ملائكة زائدون على الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق، فهؤلاء السيارة لا وظيفة لهم، وإنما مقصودهم حلق الذكر.

يبتغون: أي يتتبعون، من التتبع وهو البحث عن الشيء والتفتيش. والوجه الثاني يبتغون، من الابتغاء وهو الطلب وكلاهما صحيح.

وحف: هكذا في كثير من النسخ، وفي بعضها حض، أي حث على الحضور والاستماع.

خطاء: أي كثير الخطايا. (ملخص شرح الإمام النووي ٢٠٦٩/٣ - ٢٠٧٠).

فيسألهم الله تعالى وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك. قال: وماذا يسألوني[٦٦٢]؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا أي رب. قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك. قال: ومم يستجيروني؟ قالوا: من نارك يا رب. قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا ويستغفرونك. قال: فيقول: قد غفرت لهم، وأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا. قال فيقولون: أي رب فيهم فلان عبد "خطاء" إنما مرّ بهم فجلس معهم. قال فيقول: وله غفرت؛ هم القوم لا يشقى جليسهم.

أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر. فانظروا ما أعد الله لذاكريه من الأجر[٦٦٣]، ووضع بذكره عن كواهل مساعيهم من أعباء

---

٦٦٢)- في (أ) و(ب) "يسألوني".

٦٦٣)- ذكر ابن القيم فوائد للذكر منها أنه يرضي الرحمن ويطرد الشيطان ويزيل الهم ويجلب السرور، ويقوي القلب والبدن وينور القلب والوجه ويجلب الرزق ويكسب المهابة والحلاوة. (الوابل الطيب ٣٦ لابن القيم).

روى البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت". (البخاري كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله تعالى ١٦٨/٧).

الوزر، ورفع لهم به في مراتب الاختصاص من عظيم القدر، جعلنا الله ممن لا تزال مجالسهم بذكره معمورة وقلوبهم في بحار التفكير في آلائه مغمورة، وأعمالهم عند مليكهم مشكورة، ومواقفهم في صحف الحمد مسطورة. وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إن لله ملائكة سيارة فضلاً على نص ما أورده مسلم في صحيحه "فمعنى سيار: أي يسيرون ويسيحون في الأرض، واختلف رواة مسلم في تقييد قوله فضلاً أكثرهم فضلاً فقيده أكثرهم بفتح الفاء وسكون الضاد وهو الصواب عند حذاق شوخنا، وقيد أبو العباس أحمد بن عمر العذري رواية كتاب مسلم بالأندلس فُضُلاً بضمتين، وذكر أنه قيده بمكة زادها الله شرفاً على أبي العباس أحمد بن الحسين بن بندار الرازي؛ لأنه (سمعه بها)[٦٦٤] سنة تسع واربعمائة، ومعنى ذلك كله أنهم زيادة على كتاب الناس وكذلك جاء مفسراً في صحيح البخاري، والفضل في غير هذا الذي عليه ثوب واحد بغير إزار.

وان الإنسان إذا داوم على ذكر الله فلا يكاد يعمل عملا إلا جاء مقرونا بذكر الله تعالى، وفي هذا من الخير والبركة ما يجعل عمله مقبولاً وثوابه عظيماً ومدلول الذكر يتسع ليشمل كل عامل لله بطاعة.

قال عطاء: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام كيف تشتري وتبيع وتصلي وتصوم وتنكح وتطلق.

[٦٦٤])- في (أ) و(ب) "اسمعه عليه بها"

وقوله صلى لله عليه وسلم: وحط بعضهم بعضاً كذا قيدناه بحاء مهملة عن أكثرهم، أي أشار بعضهم الى بعض بأجنحتهم الى النزول، ويعضده قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صحيح البخاري: هلموا إلى حاجتكم، أي تعالوا وأقبلوا، ورواه بعض الأندلسيين عن أبي عبد الله بن الحذاء خص بخاء معجمة وهو وهم وتصحيف.

وإنما رواه ابن الحذاء عن ابن هامان، وقيده بمصر: حضّ بضاد معجمة مرسلة أي حث، وفي بعضها: حف ، ويعضد ذلك قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صحيح البخاري: فيحفونهم بأجنحتهم أي يكتنفونهم من جميع جانبهم، ويطوفون بهم، وحفاف الشيء جانبه، وفي القرآن العظيم: ﴿وترى الملائكة حافّين من حول العرش يسبحون﴾.

وقوله على نص صحيح مسلم عرجوا وصعدوا التفسير في الحديث؛ لأن العروج هو الصعود، والتمجيد: النسبة الى المجد، والمجد بلوغ النهاية في العظمة، والمجيد: العظيم وقيل الكريم، وقيل المقتدر على الإنعام والفضل، وفي قوله جل وعلا: هل رأوني؟ وما بعده دليل على جواز الرؤيا التي لا مخالف فيها من أهل السنة، وفي هذا الحديث المتفق على صحته الحث على صحبة الصالحين من العلماء قد غفر الله لجليسهم و لم يعمل مثل عملهم.

وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم أصحابه الدعاء، ويحضهم عليه، ويأمرهم به، ويتلو عليهم قول ربه: ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾[٦٦٥] الآية والدعاء مخ العبادة؛ لأن فيه الإخلاص والضراعة والإيمان والخضوع، والله تعالى يحب أن يسأل ولذلك أمر عباده أن يسألوه. قال الشاعر:

فلا تسأل الناس من مالهم   ولكن سلِ الله من فضله

---

[٦٦٥] غافر الآية ٦٠.

فيه قولان: أحدهما: وحدوني واعبدوني أثبكم. قاله ابن عباس.

والثاني: سلوني أعطكم. قاله السدي. (زاد المسير في علم التفسير ٧/٢٣٤).

قال ابن كثير: هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه وتكفل لهم بالإجابة كما كان سفيان الثوري يقول: يا من أحب عباده إليه من سأله فأكثر سؤاله ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله وليس أحد كذلك يا رب. رواه ابن أبي حاتم قال وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

الله يغضب إن تركت سؤاله   وبني آدم حين يسسأل يغضب

(تفسير ابن كثير ٤/٨٥).

وروى الإمام أحمد في مسنده عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم "ان الدعاء هو العبادة" ثم قرأ ﴿ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾. (مسند أحمد ٤/٢٧١).

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

وسأل قتادة أنساً: أي دعوة كان يدعو بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر؟ قال: كان أكثر دعوة (يدعو)[٦٦٦] بها يقول: "اللهم ربّنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار". قال: وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها ؛ (فإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها)[٦٦٧] فيه. أخرجه مسلم في صحيحه.

---

٦٦٦) (يدعو) في – أ- ساقطة.

٦٦٧)- هذه العبارة ساقطة في (ب).

(أ) رواته ثقات.

(ب) درجته: إسناده صحيح.

(ج) تخريجه: البخاري كتاب الدعوات باب قول النبي صلى الله عليه وسلم ربنا آتنا في الدنيا حسنة ١٦٣/٧ لفظه.

مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ٢٠٧٠/٣ لفظه. حديث ٢٦ – ٢٧ (٢٦٦٠).

(د) في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة" أظهر الأقوال في تفسير الحسنة في الدنيا أنها العبادة والعاقبة، وفي الآخرة الجنة والمغفرة.

وفي صحيح مسلم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلاً من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ. (مثل الفرخ: أي ضعف). فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل كنت تدعو بشيء أو تسسأله إياه؟ قال: نعم. كنت أقول: اللهم، ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبحان الله لا تطيقه – أو لا تستطيعه – أفلا قلت: اللهم: آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؟ قال: فدعا الله له. فشفاه. (مسلم ٢٠٦٩/٣).

قال: حدثني زهير بن حرب قال حدثنا اسماعيل (يعني ابن علية) عن عبد العزيز وهو ابن مهيب قال: سأل قتادة أنساً: أي دعوة كان يدعوبها النبي صلى الله عليه وسسلم أكثر؟ الحديث.

وأخرجه البخاري في صحيحه(قال: حدثنا مسدد قال: حدثنا عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس قال: كان أكثر دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار".

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أخذ مضجعه من الليل، ووضع يده تحت خده ثم يقول: "اللهم باسمك أموت وأحيا" وإذا استيقظ قال: "الحمدلله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور"(٦٦٨)

---

٦٦٨)- (أ) رواته: ثقات.

(ب) درجته: إسناده صحيح.

(ج) تخريجه: البخاري كتاب الدعوات باب ما يقول إذا أصبح ٧/١٥٠ لفظه.

مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ٢٠٨٣/٣ مثله حديث ٥٩ (٢٧١١).

ابن ماجه كتاب الدعاء باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى ١٢٧٢/٢ نحوه.

الدارمي كتاب الاستئذان باب ما يقول إذا انتبه من نومه ٦٨٧/١ لفظه.

مسند أحمد ٣٠٢/٤ و٢٩٤ مثله.

(د) المفردات:

هذا حديث مجمع على صحته أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (الدعوات) وترجم عليه باب (وضع اليد تحت الخد اليمنى) وأسنده فقال: حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك عن ربعي عن حذيفة قال: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الحديث بنصه.

وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب (الذكر) حدثنا عبد الله بن معاذ قال: حدثنا أبي قال حدثنا شعبة عن عبد الله بن ابي السفر عن ابي بكر بن أبي موسى عن البراء: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أخذ مضجعه قال: "اللهم باسمك[٦٦٩] أحيا وباسمك أموت، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور.

وقد أخرج البخاري هذا المتن في صحيحه في باب (ما تقول إذا أصبح) حدثنا عبدان عن أبي حمزة عن منصور عن ربعي بن (حراش)[٦٧٠] عن خرشة بن الحر عن أبي ذر قال: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أخذ مضجعه من الليل قال: "اللهم باسمك أموت

---

[٦٦٩] باسمك أحيا وباسمك أموت قيل معناه، بذكر اسمك أحيا ما حييت وعليه أموت وقيل معناه: بك أحيا أي أنت تحييني وأنت تميتني.

[٦٧٠]- حراش: في (أ) و(ب) "حرش" بالشين المثلثة.

وأحيا. فإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا[٦٧١] وإليه النشور".

ننشرها: نخرجها. وأبو حمزة بالحاء المهملة، وهو محمد بن ميمون السكري مروزي ثقة، وأبو السّفر بفتح الفاء قيده الأمير وعبد الغني، وقيده غيرهما: بإسكان الفاء وفتحها، والصواب عندي ما قيداه. وكان يقول عند الكرب: "لا إله الا الله الحليم، لا اله الا الله رب العرش العظيم، لا اله الا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم"[٦٧٢]

---

[٦٧١]- بعد ما أماتنا وإليه النشور" المراد أماتنا النوم، وأما النشور فهو الإحياء للبعث يوم القيامة.

[٦٧٢]- (أ) رواته: ثقات.

(ب) درجته: إسناده صحيح.

(ج) تخريجه: البخاري كتاب الدعوات باب الدعاء عند الكرب ٧/ ١٥٤ لفظه.

مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب دعاء الكرب ٢٠٩٢/٣ - ٢٠٩٣ حديث ٨٣ (٢٧٣٠) مثله.

ابن ماجة كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاءفي صلاة الحاجة ٤٤٤/١ لفظه.

(د) المفردات:

"دعاء الكرب" هذا حديث جليل ينبغي الاعتناء به والإكثار منه عند الكرب والأمور العظيمة قال الطبري: كان السلف يدعون به ويسمونه دعاء الكرب.

وله طرق في الصحيحين عن ابن عباس عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد ذكرنا من الأدعية أخفها على الإنسان وهي ثقيلة في الميزان ليقلّ لفظها حتى يسهل حفظها.

وقد أعلمنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه يستجاب للعبد ما لم يعجل. فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصحيحين: "يستجاب لأحدكم ما لم يعجل. يقول: دعوت فلم يستجب لي"[(٦٧٣)].

والسنة للداعي أن يتوضأ إذا أراد الدعاء لأن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعل ذلك. رواه أبو موسى الأشعري، وأن يخفض صوته إذا

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء. (صحيح البخاري ٧/١٥٥).

[٦٧٣])- (أ) رواته ثقات.

(ب) درجته: البخاري كتاب الدعوات باب يستجاب للعبد ما لم يعجل ٧/١٥٣ لفظه.

مسلم كتاب الذكر والدعاء باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي ٣/ ٩٠- ٩١ (٢٧٣٥) مثله.

الترمذي كتاب الدعاء باب ما جاء فيمن يستعجل في دعائه ٥/٤٦٤ لفظه.

موطأ مالك كتاب القرآن باب ما جاء في الدعاء ١/٢١٣ حديث ٢٩ لفظه .

ابن ماجه كتاب الدعاء باب يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ٢/ ١٢٦٦ لفظه.

مسند أحمد ٢/٤٨٧ لفظه.

دعا أو ذكر الله، لقوله جل من قائل: ﴿قُلْ مَنْ يُنجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ تَدعُونَهُ تَضَرُّعاً وخُفيةً﴾.

وقوله تبارك اسمه: ﴿ادعُوا ربَّكم تَضَرُّعاً وخُفيةً﴾.

ولما رواه أبو موسى في الصحيحين: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، وكنا إذا علونا كبرنا فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً، ولكن تدعون سميعاً بصيراً.

اختصره البخاري، وجاء به مسلم بكماله عن أبي موسى أيضاً:

قال كنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر فجعل الناس يجهرون التكبير فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيها الناس اربعوا على أنفسكم إنكم ليس تدعون أصماً ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم. قال: وأنا خلفه، وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله فقال: يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ فقلت: بلى يا رسول الله. فقال: قل لا حول ولا قوة إلا بالله[٦٧٤]. وله طرق في الصحيحين .

---

[٦٧٤]- (أ) رواته: ثقات.

(ب) درجته: إسناده صحيح.

(ج) تخريجه: البخاري كتاب الجهاد والسير باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير ١٦/٤ نحوه وأخرجه في كتاب المغازي باب غزوة خيبر ٧٥/٥ ورواه في كتاب

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اربعوا على أنفسكم :أي كفوا عن الشدة وارفقوا ولا تعجلوا ، يقال : ربع الرجل يربع إذا وقف وتحبس ومنه قولهم : اربع على نفسك واربع على طلعك :أي أرفق بنفسك وكفّ . ونبه الله جل جلاله على حقيقة الأدب في الدعاء أن يكون خفية بإخفاء السر وصدق القلب وغاية التذلل؛ لأن ذلك أحصر

التوحيد باب: وكان سميعاً بصيراً ١٦٨/٨ قريب منه. وأورده في كتاب الدعوات باب إذا علا عقبه ١٦٢/٧ وفي كتاب القدر باب لا حول ولا قوة الا بالله ٢١٣/٧.

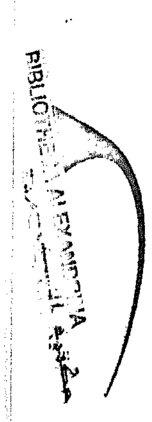
مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب خفض الصوت بالذكر ٢٠٧٧٦/٣ حديث ٤٤ (٢٧٠٤) وحديث ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ ص ٢٠٧٧ وص٢٠٧٨ بروايات مختلفة وألفاظ متقاربة.

مسند أحمد ٣٩٤/٤ مثله وفي ص ٤٠٢ بلفظه وزاد فيه "ان الذي تدعون أقرب الى أحدكم من عنق راحلتكم يا عبد الله بن قيس الا أعلمك كلمة من كنوز الجنة "لا حول ولا قوة إلا بالله".

(د) المفردات:

اربعوا: ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه وأنتم تدعون الله تعالى وليس هو بأصم ولا غائب بل هو سميع قريب.

"لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة" قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض الى الله واعتراف بالإذعان له وأنه لا صانع غيره ولا راد لأمره ومعنى الكنز هنا: أنه ثواب مدخر في الجنة وهو ثواب نفيس. قال أهل اللغة: الحول هو الحركة والحيلة أي لا حركة ولا استطاعة ولا حيلة إلا بمشيئة الله تعالى، وقيل في معناه: ولا حول في دفع الشر ولا قوة في تحصيل خير إلا بإذن الله تعالى.



للداعي في حين دعائه، وأظهر لرهبته، وأبين لتمسكه وذلته، إذ صوت الخائف منخفض متذلل، ولسان صاحبه منكسر وهذا وصف حقيقة العبودية واستحقاق الربوبية؛ فإذاكان العبد يفعل ذلك بنظيره وهو عبد مثله؛ فالمولى بذلك أحق وأولى .

ويجب على الداعي أن يتجنب السجع في الدعاء فإن ابن عباس قال في صحيح البخاري : " فاني عهدت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك "

تفرد البخاري بإخراجه فيقال: في باب مايكره من السجع والدعاء: حدثنا يحيى بن محمد بن السكن قال: حدثنا حيان بن هلال أبو حبيب قال : حدثنا هارون المقرئ قال :حدثنا الزبير بن الخرّيتْ عن عكرمة عن ابن عباس [٦٧٥] .

---

[٦٧٥]- الحديث

(أ) رواته :ثقات

(ب) درجته :إسناده صحيح

(ج) تخريجه :البخاري كتاب الدعوات باب مايكره من السجع في الدعاء ٧/ ١٥٣ .

(د) المفردات :

ولا ألفينك :أي لاأجدك

السجع : هواتفاق فاصلتين فأكثر

الفرق بينه وبين الشعر في ان الشعر موزون مقفى

قال ذو النسبين أيده الله : هارون[٦٧٦] بن موسى النحوي المقرئ الأعور بصري ثقة يقال له : العتْكي له كنيتان : أبوعبد الله (وأبو

لفظ الحديث في البخارى " حدثنا يحيى بن محمد بن السكن حدثنا حيان بن هلال حدثنا هارون المقرئ حدثنا الزبير بن الخريت عن عكرمة عن ابن عباس قال : حدث الناس كل جمعة مرة فان أبيت فمرتين فان اكثرت فثلاث مرار، ولا تمل هذا القرآن، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم؛ فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم، ولكن انصت فاذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فاني عهدت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك . يعني الاجتناب .

[٦٧٦])- هارون بن موسى الأزدي العتكى مولاهم أبوعبد الله ويقال أبو اسحاق النحوي البصري الأعور صاحب القراءات . روى عن أبي عمرو بن العلاء وبديل بن ميسرة وثابت البناني وأبي عمران الجوني والزبير بن الخريت وابن اسحاق ومحمد بن عمرو بن علقمة وعبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي وعوف الأعرابي وشعيب بن الحجاب وطاووس بن كيسان والخليل بن أحمد النحوي وعدة . وعنه شعبة، وروى أيضا عنه وأبو عبيدة الحداد وحماد بن زيد ووكيع وحبان بن هلال، وبهز بن أسد وجعفر بن سليمان الضبعي وزيد بن الحباب وعبيد ابن عقيل الهلالي ، ووهيب بن عمر النميري ، وموسى بن اسماعيل، ومسلم بن إبراهيم وهدبة بن خالد وعلي بن الجعد وشيان بن فروخ وطالوت بن عباد وآخرون .

قال الدوري عن ابن معين ثقة وقال أبو حاتم السجستاني عن الأصمعي كان ثقة مأمونا،وقال أبو زرعة وأبو داود ثقة،وقال شبابة عن شعبة هارون الأعور من خيار المسلمين وقال سعيد الجرمي عن أبي عبيدة الحداد ثنا هارون الاعور وكان صدوقاً حافظا وقال سليمان ابن حرب ثنا هارون الأعور وكان شديد القول في القدر وذكره ابن حبان في الثقات قلت:وقال البزار ليس به بأس .(تهذيب التهذيب١١/١٤-١٥)

موسى) [٦٧٧] ومعنى (إلا ذلـك) بكسر الهمـزة وهـو حـرف استثناء يخرج بعض ما تضمنتها الجملة المذكورة قبلـه منهـا يعنـى : الاجتنـاب من السجع كله، وهو لغة قرشية فصيحة، فالسجع إذا قصدفي الدعـاء مكروه وإنما يلقيه رؤساء الجان على ألسـنة الكهان، وحـرف السجع ملتزم كمافي حروف الروي من الشعر،وأما الخطب فهو مستحسـن لايقدر عليه إلا من له لسن، هذه خطب أمير المؤمنين أبي الحسن علـى بن أبي طالب عليه السلام ومواعظه مسجعة، لايقـدر علـى أمثالهـا إلا بعد إجالة فكرة وروية واقتداح فطنة ذكية جليلة، ومنهــا فيمـا رويناه عنه عليه السلام : إنما الدنيا دار ممر ، والآخرة دار مستقر، فخذوا مـن دار ممركـم لمقركـم ، ولا تهتكـوا استاركم عنـد مـن يعلـم أسـراركم .وهذا فيه سجع ورجع، لأنه استعمل الرجع في الممر والمقر .

اللهم انا صرفنا تأميلنا الى كرمك ،ووجهنا إلى فضلك، ورجاءنا بالثقة بك والاعتماد عليـك، لأنـك ضمنـت إجابـة الدعـاء، وتكفلـت بقضاء حوائج الداعين، فقلت وأنت أصدق القائلين :

﴿وقال ربكم ادعُوني أسـتجبْ لكـم إن الذيـنَ يسـتكبرونَ عـن عبادتي سيدخلونَ جهنمَ داخرينَ﴾ وقلـت تبـاركـت وتعـاليت :﴿واذا سـألك عبـادي عـني فـإني قريـبٌ أجيـب دعـوةَ الداعــي إذا دعـانِ

---

[٦٧٧]-في أ و ب " وأبي موسى " وهو خطأ

فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهمْ يَرْشــدونَ ﴾[٦٧٨] وأخبرتنـا في محكـم كتابك المبين انك تجيب دعوة المضطرين، فنسألك ياأرحم الراحمـين أن

---

[٦٧٨]- البقرة الآية ١٨٩

في سبب نزول هذه الآية خمسة أقوال -

أحدها :أن أعرابياً جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أقريب ربنـا فنناجيـه أم بعيـد فنناديه ؟ فنزلت هذه الآية . رواه الـصلت بن حكيم عن أبيه عن جـده . والثـاني : أن يهود المدينة قالوا يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبـين الـسماء مسيرة خمسمائة عام ؟! فنزلت هذه الآيـة . رواه أبوصـالح عـن ابـن عبـاس . والثـالث :انهم قالوا يا رسول الله لو نعلم أي ساعة أحب إلى الله أن ندعو فيها دعونـا فـنزلت هذه الآية : قاله عطاء . والرابع أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له أين الله ؟ فنزلت هذه الآية : قاله الحسن . والخامس: لما حرم في الصـوم الاول علـى المسـلمين بعد النوم الاكل والشرب والجماع أكل رجل منهم بعد أن نام ووطـئ رجـل بعـد أن نام فسألوا كيف التوبة مما عملوا؛ فنزلت هذه الآية .قاله مقـاتل : ومعنـى الكـلام :إذا سألوك عني، فاني قريب منهم (زاد المسير في علم التفسير ١٨٩/١)

قال الامام مالك عن ابن شهاب عن أبي عبيد مولى بن أزهر عن أبي هريرة رضـي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يستجاب لأحدكـم مـا لم يعجـل يقـول دعوت فلم يستجب لي " أخرجناه في الصحيحين مـن حديـث مـالك بـه وهـذا لفـظ البخاري رحمه الله . وقال مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنـه عـن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " لايزال يسـتجاب للعبـد مـا لم يـدع بـاثم أوقطيعـة رحم ما لم يستعجل .قيل يا رسول الله ما الاستعجال ؟ قال : يقول : قد دعوت وقـد دعوت فلـم أر يستجاب لي فيتحسر عنـد ذلـك ويـدع الدعـاء " (تفسـير ابـن كثـير ٢١٨/١-٢١٩).

تصلي على علم أصفيائك ومبلغ أنبائك وخاتم أنبيائك محمد الصادق الأمين .

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وارحمنا إذاانقطع من سلك الحياة نظامها وتعدمت لياليها وأيامها، وانفعنا بالعلم، واجعلنا ممن يريد به وجهك الكريم، وخيرك الراهن المقيم، واسألك الصلاة أولا وآخراً على محمد رسولك الكريم وعلى آله الجدراء بالتعظيم والتقديم .

أنشدني الشيخ الثقة الحسيب أبو محمد عبد الحق بن القاضي أبي مروان عبد الملك ابن بونة القرشي العبدري قال: أنشدني أبي قال: أنشدني الامام العالم المتقن أبو بكر عبد الباقي بن محمد بن بُرال قال: أنشدني الفقيه الزاهد العالم أبو محمد القاسم بن الفتح الحجاري ينسب إلى وادي الحجارة لنفسه شعراً

ركابي يا رجاء الراجي مناخةٌ ... ورائدها علمي بأنك لي ربُّ
وأنك علامٌ بما أنا قائلُ ... كما أنت علامٌ بما يُضمر القلبُ
لئن أدّها ثقل توانت بعبئهِ ... لقد قرعت باباً به يُغفرُ الذنبُ

وإذا كان الله جل جلاله وعد الاجابة بالدعاء، ووعدهُ مقرون بالصدق والوفاء ؛ فلا أحد أعجز ممن عجز استنجاز الموعود[٦٧٩]، ولم يبذل في موقف الدعاء أقصى غاية المجهود، وقد كنا ذكرنا أننا أفردنا كتاباً ذكرنا فيه ما خص الله به أعضاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سميناها عضواً عضواً مجلدين هما خير وأفضل من الدنيا بحذافيرها، وأحسن من الجنة بأزاهيرها وأشرف من الأمة بجماهيرها.

واعلموا رحمكم الله أنه لا يجوز على خصائص رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفضائله النسخ والاستثناء، ولا التخصيص ولا النقص، فإنها لم تزل فضائله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تتزايد حتى مات، ألا ترى

---

٦٧٩)- ان أعجز الناس من عجز عن الدعاء وهو موعود فيه بالاجابة "قال تعالى: ﴿ادعوني استجبْ لكمْ﴾ وقال تعالى: ﴿إني قريبٌ أجيبُ دعوةَ الداعي إذا دعاني فليستجيبُوا لي وليؤمنوا بي لعلَّهم يَرْشدونَ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: "الدعاء مخ العبادة وقال الشاعر:

لا تسألنْ بني آدم حاجةً ... وسلْ الذي أبوابهُ لا تُغلقُ

اللهُ يغضبُ إنْ تركتَ سؤالهُ ... وبني آدم حينَ يُسألُ يغضبُ

وفي صحيح البخاري عن عبد العزيز عن أنس قال: أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم :ربنا آتنا الدنيا حسنة و الآخرة حسنة وقنا عذاب النار".

وفيه أيضاً عن أبي موسى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو بهذا الدعاء رب اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرا أمري كله وما أنت أعلم به مني:اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير " [بخارى ١٦٦/٧].

أنه كان نبياً ثم أرسله فصار رسولاً نبياً، ثم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ووعده أن يبعثه المقام المحمود[680] الذي يبين فيه فضله على سائر الأنبياء قبله على ما نطق به القرآن العظيم، والآثار الثابتة عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخلاف ما كان يقول في أول أمره وبدء شأنه" "ما أدري ما يفعل بي ولا بكم".

---

(680)- لفظ الحديث في البخاري "حدثنا علي بن عياش حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيام "رواه حمزة ابن عبد الله عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم.

أ- رواته: ثقات

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ -تخريجه:

البخاري كتاب تفسير القرآن سورة الاسراء باب قوله تعالى "عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً" [٥/٢٢٨].

سنن الدارمي كتاب الرقاق باب في شأن الساعة ونزول الرب تعالى (٧٢١/١) نحوه.

ابن ماجه كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٢٩٣/١ نحوه حديث ٩٠٦).

أبو داود كتاب الصلاة باب ما جاء في الدعاء عند الأذان (٣٦٢/٢ لفظه حديث ٥٢٩).

مسند أحمد (٤٥٦/٣ نحوه).

قال ابن عباس هي منسوخة بقوله جل من قائل: ﴿ليغفرَ لكَ اللهُ ما تقدَم من ذنبكَ وما تأخرَ﴾[681] (الفتح ٢) وكان بين نزول الآيتين سبعة عشر عاماً وقال: "لا تفضلوني على يونس بن متى "فلما غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وذلك بآخره، وأن يبعثه المقام المحمود قال: "أنا سيد الناس يوم القيامة" وهو مجمع على صحته.

---

[681]- ليغفر لك ربك يا محمد جميع ما فرط منك من ترك الأولى، قال أبو السعود: وتسميته ذنباً بالنسبة إلى منصبه الجليل [تفسير أبو السعود ٥/٨٠] وقال ابن كثير: هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها غيره، وفيه تشريف عظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ هو أكمل البشر على الإطلاق، وهو صلى الله عليه وسلم في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه لا من الأولين ولا من الآخرين وهوسيدهم في الدنياوالآخرة [تفسيرابن كثير٤/١٨٣-١٨٤]. لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه السورة فرح قلبه الكبير بهذا الفيض الرباني عليه، وعلى المؤمنين معه ، فرح بالفتح المبين، وفرح بالمغفرة الشاملة، وفرح بالهداية إلى صراط الله المستقيم، وفرح بالنصر العزيز، وفرح برضى الله على المؤمنين. [في ظلال القرآن ٦/٣٣١٧].

وقال في رواية: "نزلت علي البارحة سورة هي أحب إليّ من الدنيا وما فيها " وفي رواية: "لقد أنزل عليّ الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس :" وفاضت نفسه الطيبة بالشكر لربه على ما أولاه في نعمته حتى إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه فقالت له عائشة رضي الله عنها يا رسول الله أتصنع هذا، وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً" [أخرجه مسلم في الصحيح من رواية عبد الله بن وهب].

والسيد أفضل من المسود، وأن الخلق ترغب إليه يوم القيامة حتى إبراهيم، ثبت ذلك في صحيح مسلم في آخر أبواب أنزل القرآن على سبعة أحرف من حديث أبى بن كعب - ونصه:

فقال لي[٦٨٢]: "يا أبيّ أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن يهون على أمتي فرد إليَّ الثانية اقرأه على حرف فرددت إليه أن يهون علي أمتي؛ فرد إلي الثالثة اقرأه على سبعة أحرف. ولك بكل ردّه رددتكها مسألة تسألنيها. فقلت: اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب فيه إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

---

٦٨٢)- الحديث:

أ- رواته: ثقات

ب- درجته: إسناده صحيح.

جـ -تخريجه:

البخاري كتاب الخصومات باب كلام الخصوم بعضهم في بعض ٩٠/٣ نحوه.

مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه ٥٦١/١-٥٦٢ لفظه حديث ٢٧٣ (٨٢٠).

موطأ مالك كتاب القرآن باب ما جاء في القرآن ٢٠١/١ نحوه.

د- المفردات:

أحرف: جمع حرف قال السيوطي: اختلف العلماء في المراد بسبعة أحرف على نحو أربعين قولاً، وأرجحها عندي قول من قال: ان هذا من المتشابه الذي لا يدرى معناه.

مسألة تسألنيها: معناه مسألة مجابة قطعاً.

كمل كتاب نهاية السئول في خصائص الرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه وصفيه وحبيبه ونجيّه وأمينه على وحيه ،ومختاره من خلقه سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى أله وصحبه أجمعين كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وآ ل كل، وسائر الصالحين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كتبه بخطه الفقيه إلى الله تعالى حسين فهمي خطاب، وتم نسخه في يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر شعبان من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بعد الألف. وهو يوافق اليوم الحادي عشر من شهر اكتوبر سنة تسع وثلاثين وتسعمائة بعد الألف ميلادية ونسخ على نفقة دار الكتب المصرية نقلاً عن النسخة الخطية المحفوظة بها تحت رقم ٦١٢ حديث والحمد لله رب العالمين.

وجد في آخر ورقة من أصل هذا الكتاب ما نصه:

من مصنفات ابن دحية رحمه الله

التنوير في مولد السراج المنير، وهذا المصنف المعروف بالخصائص، وعصمة الأنبياء، العلم المشهور في فضل الأيام والشهور، التبيين في التفاضل بين أهل صفين، الابتهاج في المعراج، أنوار المشرقين في تنقيح الصحيحين المشرقين، مرج البحرين، تنبيه البصائر في أسماء أم الكبائر، المستوفى في أسماء المصطفى، الآيات البينات في شرف أعضاء

النبي صاحب المعجزات، استيفاء المطلوب في تدبير الحروب، تاريخ الأمم في أنساب العرب والعجم، المعرب في أشعار أهل العرب، وخطب بليغة، وغير ذلك.

الجزء الثاني والأخير من نهاية السئول

في خصائص محمد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشرف وكرم .

تأليف :

الشيخ الامام العلامة فريد دهره، ووحيد عصره ملك الحفاظ سلطان المحدثين ناصر السنة المحمدية.

شيخ شيوخ الإسلام علاّمة الأنام أقضى القضاة، عالم الخافقين مفتي الفريقين ذو النسبين الطاهرين ابن الشيخ السبط ابن الشيخ حسين، الشيخ محمد مجد الدين بن الشيخ أبو الخطاب ابن دحية قدس الله روحه.

التحقيق

هذا وقد تم بعون الله وحوله وقوته دراسة هذا الكتاب وتحقيقه في اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة خمس وأربعمائة بعد الألف الموافق الخامس عشر من شهر يونيه سنة خمس وثمانين وتسعمائة بعد الألف. في دولة قطر الدوحة.

وبالله التوفيق وهو من وراء القصد وحسبنا الله ونعم الوكيل.

عبد الله عبد القادر الشيخ الفادني.

خاتمة البحث

١- هذا الكتاب في جزأين - لم يقتصر على الخصائص وانما تعداها إلى بعض المسائل الفقهية واللغوية والنحوية والعروضية والصرفية مما يدل على تمكن الشيخ وتبحره في هذه العلوم.

٢- قمت بتخريج كل الأحاديث الواردة في الجزأين مع شرح بعض المفردات التي تحتاج إلى شرح ثم بينت فقه الحديث عندما تكون الحاجة إليه. وان المتعة الروحية التي يجدها الباحث في التخريج لا تعادلها متعة؛ذلك لأنه يبحث عن شيء لا يدري أين مكانه؟ ثم يجده فتغمر نفسه راحة واطمئنان.

٣- خرجت الآيات الواردة ووضحت سورها ورقم آياتها ثم عرضت بعض الآيات التي تحتاج إلى توضيح على كتب التفسير في عدم تطويل وايجاز لا يخل بالمعنى.

٤- يذكر المؤلف قصة تحتوي على معنى حديث نبوي فأورد لفظ الحديث وأخرجه من كتب السنة. وأحيانا يذكر الحديث ناقصاً، فأقوم باستظهاره كاملاً وأخرجه.

٥- ويذكر بعض أشياء مجملة فأقوم بالتفصيل بعد الرجوع والتأكد من أمهات الكتب.

٦- ما كان يخطر ببالي أن مثل هذا الكتاب القيم تمر عليه قرون وهو حبيس المكتبات فلا تمتد إليه يد باحث ولا يد محسن طابع حتى يرى النور.

٧- وما كان يجول بخاطري أن المكتبات تزدحم بمثل هذه المخطوطات التي بذل فيها الأولون عصارة فكرهم وهي رهينة الخزانات.

٨- حبذا لو وجهت الجامعات الاسلامية والعربية طلابها إلى هذه الكنوز الزاخرة وإلا فمن لها؟

٩- ترجمت لعدد من شيوخه ولغيرهم ممن لهم شأن من رجال الحديث.

١٠- ما نسب إلى المؤلف من مجازفات وغيرها لم يكن لها أثر في هذا الكتاب وقد رددت عنها في مكانها وبأقوال العلماء الثقات أنفسهم.

فهرس الأحاديث

رقم الحديث	أول الحديث	رقم الصفحة
١	"ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد	٣٥
٢	فاذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه	٥٥
٣	عن عائشة رضي الله عنها قالت "تلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية..............	٥٥
٤	ان بني اسرائيل كان اذا اصاب جلد أحدهم بول قرضه بالمقاريض	٦٦
٥	لايقولن أحدكم ما شاء الله وشاء فلان............	٧٣
٦	من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد.........	٧٨
٧	ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها...	٧٩
٨	أخنى الاسماء يوم القيامة عند الله رجل تسمى ملك الأملاك....................................	٨٢
٩	قام أعرابي فبال في المسجد	٨٥
١٠	كنا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهوآخذ بيدعمر.	٩٢
١١	لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه............	٩٢
١٢	يصلى على كل مولود متوفى	٩٩

رقم الحديث	أول الحديث	رقم الصفحة

١٣- ليتني أرى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين ينزل عليه.. ١٠٠

١٤- فقالت كلا أبشر فوالله لايخزيك الله أبدا............ ١٠٢

١٥- كان رجل نصرانيا فأسلم.......................... ١١٢

١٦- قال كان فينا رجل من بني النّجار................ ١١٣

١٧- عن أنس أنّ رجلا كان يكتب للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. ١١٤

١٨- إنّا أمّة أميّة لا نكتب ولا نحسب.................. ١١٥

١٩- إشتكى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يقم ليلتين أو ثلاث.. ١٢١

٢٠- أبطأ جبريل على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ........ ١٢٣

٢١- لايدخل الجنّة منّان............................. ١٢٩

٢٢- لايدخل الجنّة نمّام............................. ١٣٠

٢٣- أجود النّاس بالخير............................. ١٣٢

٢٤- ألا أخبركم بأهل النار........................... ١٣٣

٢٥- ألا أخبركم بأهل الجنة........................... ١٣٥

٢٦- وفي باب قوله جلّ وعلا: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾....... ١٣٨

رقم الحديث	أول الحديث	رقم الصفحة
٢٧-	عن أنس بينا رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ذات يوم بين أظهرنا	١٤٥
٢٨-	بينما أنا أسير في الجنّة اذا أنا بنهر	١٤٧
٢٩-	من آمن بالله ورسوله	١٤٨
٣٠-	قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء	١٥٢
٣١-	إنّ حوضي أبعد من أيلة	١٥٣
٣٢-	سمعت خباب قال جئت العاص بن وائل	١٥٨
٣٣-	من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا	١٦٣
٣٤-	لايقولن أحدكم إنّي خير من يونس	١٦٧
٣٥-	دعا عليهم بسنين كسنيّ يوسف	١٧٢
٣٦-	كيف يفلح قوم شجّوا نبيّهم	١٧٤
٣٧-	كنّا نعدّ الآيات بركة وأنتم تعدّونها تخويفا	١٧٧
٣٨-	عن عائشة رضي الله عنها قالت لما رجع النبيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ من الخندق	١٨٠
٣٩-	إنشق القمر على عهد رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ	١٨١
٤٠-	رأيت رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وحانت صلاة العصر	١٨٣

رقم الحديث	أول الحديث	رقم الصفحة
٤١-	كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة	١٨٥
٤٢-	سرنا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى نزلنا وادياً أفيح	١٨٦
٤٣-	إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي	١٨٨
٤٤-	إنما مثلي ومثل الناس	١٩٠
٤٥-	أُعطيت خمساً لم يعطهنّ أحد من قبلي	١٩٠
٤٦-	أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان	١٩٢
٤٧-	وخاطبه بخبير الذراع المسموم	١٩٣
٤٨-	كاد الخيران يهلكان	١٩٩
٤٩-	قدم ركب من بني تميم على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٢٠١
٥٠-	من صلّى عليَّ واحدة صلّى الله عليه عشراً	٢٠٧
٥١-	لكل نبيّ دعوة يدعو بها	٢١٢
٥٢-	فضّلت على الأنبياء بست	٢١٢
٥٣-	أعطيت خمساً لم يعطهنّ أحد قبلي	٢١٣
٥٤-	فضّلنا على النّاس بثلاث	٢١٤
٥٥-	أنا سيّد القوم يوم القيامة	٢١٩

رقم الحديث	أول الحديث	رقم الصفحة
٥٦	أن أناساً في زمن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم............	٢٢٢
٥٧	أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربّنا..............	٢٢٣
٥٨	أنّ زينب بنت أبي سلمة أخبرته أنّ أمّ حبيبة قالت قلت..	٢٣٠
٥٩	ما أغنيت عن عمك فوالله كان يحوطك ويغضب لك....	٢٣٢
٦٠	ذكر عنده عمه أبوطالب فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة....................................	٢٣٤
٦١	عن ابن عباس قال بينما جبريل عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع نقيضاً................................	٢٣٨
٦٢	أنا سيد ولد آدم..............................	٢٤٠
٦٣	أنّ زيد بن حارثة مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .	٢٥٠
٦٤	كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشرب عسلاً......	٢٦٢
٦٥	جاء زيد بن حارثة يشكو............................	٢٦٣
٦٦	أسرعكنّ لحوقا بي أطولكنّ يداً.......................	٢٦٥
٦٧	سألتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعطاني.........	٢٦٧
٦٨	عن عائشة أنّ بعض أزواج النبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ....................................	٢٦٨
٦٩	قالت عائشة جويرية عليها حلاوة وملاحة............	٢٧٥

رقم الحديث	أول الحديث	رقم الصفحة

٧٠- أنّ رسـول الله صَلَّـى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ نكـح ميمونـة وهو حـلال.................................... ٢٧٦
٧١- أقام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين خيبر والمدينـة......... ٢٧٨
٧٢- إنّكم سـتفتحون مصـر........................... ٢٨١
٧٣- فاطمة سيدة نساء أهـل الجنـة........................ ٢٨٢
٧٤- عن عائشة رضي الله عنها قالت كنـت أغـار عـن اللاتـي وهـبن أنفسـهن... ٢٨٨
٧٥- فـاتّقوا الله في النسـاء............................. ٢٩٥
٧٦- لاينكح المحـرم ولا ينكـح............................ ٢٩٨
٧٧- نكح ميمونة وهو محرم............................. ٢٩٨
٧٨- حدثتنـى ميمونـة بنـت الحـارث أن رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ تزوجها وهو حلال.............................. ٢٩٩
٧٩- أنا أولى الناس بابن مريـم............................ ٣٠٣
٨٠- لايقتسم ورثتي دنانير ما تركت بعدي نفقة نسائي....... ٣٠٦
٨١- دخل مكة عام الفتح وعليه المغفـر...................... ٣٠٩
٨٢- إن الله حـرم مكـة فلـم تحـل لأحـد قبلـي ولا تحـل لأحد بعدي ٣٠٩

رقم الحديث	أول الحديث	رقم الصفحة
٨٣	دخل مكة وعلى رأسه المغفر	٣٠٩
٨٤	أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال من لكعب بن الأشرف	٣١٥
٨٥	لم أسمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث	٣٢١
٨٦	ليس الكذّاب الذي يصلح بين الناس	٣٢١
٨٧	عن ابن عباس رضي الله عنه قال بتّ في بيت خالتي ميمونة	٣٢٢
٨٨	أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قفل من غزوة خيبر	٣٢٣
٨٩	كان النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رمضان	٣٢٨
٩٠	كيف كانت صلاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رمضان	٣٢٨
٩١	أخبرني كريب عن ابن عباس	٣٣٠
٩٢	نهى عن الوصال في الصوم	٣٣١
٩٣	صلاة الرجل قاعد	٣٣٢

رقم الحديث	أول الحديث	رقم الصفحة

٩٤- سألت الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن صلاة الرجل وهو قاعد.. ٣٣٤
٩٥- كنت أصلّي فمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدعاني فلم آته.. ٣٣٥
٩٦- حدّثني زهير بن حرب.............................. ٣٣٧
٩٧- عن أنس أنّ رجلاً كان يتهم بأم ولد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. ٣٤٢
٩٨- من رآني في المنام فقد رآني.......................... ٣٤٣
٩٩- إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس.............. ٣٤٦
١٠٠- وما تصدق أحد بصدقة من طيب.................. ٣٤٧
١٠١- أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة............ ٣٤٩
١٠٢- دخلت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يوعك.. ٣٥٠
١٠٣- عن عائشة بنت سعد أن أباها قال تشكيت بمكة...... ٣٥١
١٠٤- باب مرجع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأحزاب.... ٣٥٤
١٠٥- باب قول الله تعالى وأمرهم شورى بينهم............ ٣٥٥
١٠٦- حدثنا محمد بن بشار.............................. ٣٥٨

رقم الحديث	أول الحديث	رقم الصفحة
١٠٧	أنا أولى المؤمنين من أنفسهم	٣٥٨
١٠٨	لبيك إن العيش عيش الآخرة	٣٦٠
١٠٩	أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد	٣٦٢
١١٠	هل أنتِ إلاّ إصبع دُميت	٣٦٤
١١١	عن صفوان بن يعلى بن أمية	٣٦٧
١١٢	حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع "في حديث هرقل"	٣٧٥
١١٣	"كسرت رباعيته يوم أحد	٣٨٢
١١٤	جرح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد	٣٨٢
١١٥	أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة	٣٨٤
١١٦	وحدثني أبوطاهر أحمد بن عمرو	٣٩٠
١١٧	حدثني أبي قال غزونا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٣٩٤
١١٨	أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أحسن النّاس وأشجع	٣٩٩
١١٩	لقيت يوم بدر عبيدة بن سعد بن العاص	٤١٠

رقم الحديث	أول الحديث	رقم الصفحة
١٢٠-	أخبرني جبير بن مطعم	٤١٣
١٢١-	وعك أبو بكر وبلال	٤١٨
١٢٢-	حدثنا محمد بن المثنى العنزي	٤٢٥
١٢٣-	عن عائشة كان يصلّي بالليل إحدى عشرة ركعة	٤٣٠
١٢٤-	كيف صلاة الليل	٤٣٥
١٢٥-	فترة الوحي	٤٣٨
١٢٦-	أول ما بدئ به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوحي	٤٤٠
١٢٧-	يا أبا تراب	٤٤٧
١٢٨-	ألا رجل يأتيني بخبر القوم	٤٤٨
١٢٩-	كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صلى قام حتى تفطرت قدماه	٤٥١
١٣٠-	إن أخاً لكم لا يقول الرفث	٤٥٣
١٣١-	باب الدعاء في صلاة من آخر الليل	٤٥٦
١٣٢-	افضل الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربي	٤٦٤

رقم الحديث	أول الحديث	رقم الصفحة

١٣٣- أن حسين بن علي أخبره أنّ علي بن أبي طالب أخبره أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طرقه وفاطمة ليلة فقال ألا تصليان.. ٤٦٧

١٣٤- من يوقظ صواحب الحجرات........................ ٤٦٨

١٣٥- وذكر عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل فقيل ما زال نائماً.. ٤٦٨

١٣٦- فضل من تعار من الليل........................ ٤٧٢

١٣٧- من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة......... ٤٧٦

١٣٨- من قال لا إله الاّ الله وحده لاشريك له.............. ٤٧٧

١٣٩- إن لله ملائكه يطوفون في الطرقات................ ٤٧٩

١٤٠- إن لله ملائكة سيارة فضلاء........................ ٤٨٢

١٤١- كان أكثر دعائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربنا آتنا في الدنيا حسنة.. ٤٨٨

١٤٢- اللهم باسمك أموت وأحيا........................ ٤٨٨

١٤٣- لا إله إلا الله العظيم الحليم........................ ٤٩٠

١٤٤- يستجاب لأحدكم........................ ٤٩١

١٤٥- أيها الناس اربعوا على أنفسكم........................ ٤٩٢

رقم الحديث	أول الحديث	رقم الصفحة
١٤٦-	قال حدّث الناس كل جمعة مـرة......................	٤٩٥
١٤٧-	مـن قـال حـين يسـمع النداءاللهـم رب هـذه الدعوة التامة...	٥٠٠
١٤٨-	يا أُبيّ أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حـرف..........	٥٠٢

أهم مراجع البحث (١)

١_ القرآن الكريم

٢_ صحيح البخاري:محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخارى (ط) التركية .

٣_ صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري . (ط) التركية

٤_سنن أبي داود _ سليمان بن الأشعث السجستاني. ‘‘ ‘‘

٥_ سنن الترمذي _أبي عيسى محمدبن عيسىالترمذي. ‘‘ ‘‘

٦_ سنن النسائي : جلال الدين السيوطي . ‘‘

‘‘

٧_ سنن ابن ماجة :محمد بن يزيد القزويني . ‘‘

‘‘

٨_ موطأ مالك: مالك بن أنس. ‘‘ ‘‘

٩_ سنن الدارمي:أبومحمدعبدالله بن عبدالرحمن الدارمي. ‘‘ ‘‘

١٠_ مسند أحمد : أحمد بن حنبل . ‘‘

‘‘

١١_ فتح الباري على صحيح البخاري : ابن حجر العسقلاني (ط) الكليات الأزهرية .

١٢_ شرح النووي على صحيح مسلم : للإمام محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ط) احياء الترث العربي بيروت.

١٣_ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان :محمد فؤاد عبد الباقي (ط) العصرية بالكويت.

١٤_ دليل الفالحين في طرق رياض الصالحين :محمد بن عدلان الصديقي (ط) الكتاب العربي بيروت .

١٥_ غريب الحديث :أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ط) الكتاب العربي بيروت .

١٦_ تقريب التهذيب : ابن حجر العسقلاني (ط) المكتبة العلمية المدينة المنورة .

١٧_ كتاب المراسيل :محمد بن عبد الرحمن بن أبي حاتم (ط) مؤسسة الرسالة .

١٨_ شمائل الرسول : اسماعيل بن كثير (ط) دار المعرفة بيروت

١٩_ الفتح الرباني لترتيب مسند الامام أحمد : أحمد عبد الرحمن البنا (ط) دار احياء التراث العربي بيروت .

٢٠_ نيل الأوطار من أحاديث سيد الاخيار :محمد بن علي الشوكاني (ط) دار الجيل بيروت .

٢١_ السيرة النبوية:عبد الملك بن هشام (ط) دار الجيل بيروت .

٢٢_ السيرة النبوية : أبو الفداء اسماعيل بن كثير (ط) البابي الحلبي بمصر .

٢٣_ حدائق الانوار ومطالع الاسرار : ابن الربيع الشيباني (ط) قطر .

٢٤_ الاصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني (ط) نهضة مصر- القاهرة .
٢٥_ روضة الناظر وجنة المناظر : موفق الدين عبد الله بن قدامى المقدسي (ط) الجزيرة - الرياض .
٢٦_ جامع البيان في تفسير القرآن : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ط) دار الجزيرة - الرياض .
٢٧_ تفسير القرطبي: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي (ط) دار الكتاب العربي - بيروت .
٢٨_ تفسير ابن كثير :لإسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ط) دار المعرفة - بيروت .
٢٩_ تفسير زاد المسير في علم التفسير : جمال الدين عبد الرحمن الجندي (ط) المكتب الاسلامي - بيروت .
٣٠_ تفسير روح البيان : اسماعيل حقي البروسوي (ط) دار الفكر .
٣١_ فتح القدير : محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ط) مصطفى الحلبي بمصر .
٣٢_ الكشاف : لأبي القاسم جار الله محمود الزمخشري (ط) طهران.
٣٣_ في ظلال القرآن :سيد قطب (ط) دار الشروق .
٣٤_ تفسير أبي السعود .
٣٥_ صفوة التفاسير .

٣٦_ تفسير الجلالين :جلال الدين أحمد بن محمد/جلال الدين ابن عبد الرحمن (ط) دار الشعب .
٣٧_ تفسير الخازن :علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي .
٣٨_ تفسير الرازي :محمد بن عمر بن حسين القرشي (ط) دار الكتب العلمية طهران .
٣٩_ تفسير الكاشف :محمد جواد مغنية (ط) دار العلم للملايين بيروت .
٤٠_ تقريب التهذيب :ابن حجر العسقلاني (ط) دار نشر الكتب الاسلامية باكستان .
٤١_ المعجم المفهرس لالفاظ الحديث :أ.ى ونسنك (ط) بريل مدينة ليدن .
٤٢_ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم :محمد فؤاد عبد الباقي (ط) دار احياء التراث العربي بيروت .
٤٣_ تفسير الالوسي .
٤٤_ أسباب النزول للواحدي .
٤٥_ صفوة الصفوة:لجمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي (ط) دار المعرفة بيروت .
٤٦_ روضة الطالبين :النووي (ط) الكتب الاسلامي للطباعة والنشر .
٤٧_ فتح المغيث : شرح ألفية العراقي (ط) العاصمة القاهرة .

٤٨_ سير أعلام النبلاء :الذهبي (ط) مؤسسة الرسالة .

٤٩_ المغني :الشرح الكبير :لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامى (ط) دار الكتاب العربي بيروت .

٥٠_ الامام الشافعي : محمد بن ادريس الشافعي (ط) دار المعرفة – بيروت .

٥١_ المحلى:ابن حزم(ط)منشورات دار الآفاق الجديدة –بيروت.

٥٢ المدونة الكبرى : مالك بن أنس (ط) السعادة – مصر .

٥٣_ المجموع شرح المهذب :النووي (ط) دار الفكر .

٥٤– زاد المعاد في هدى خير العباد : ابن القيم الجوزي (ط) مؤسسة الرسالة .

٥٥_ شرح العقيدة الطحاوية :علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي (ط) دار البيان – دمشق .

٥٦_ البداية والنهاية : الحافظ ابن كثير (ط) المعارف – بيروت.

٥٧_ لوامع الانوار الالهية :محمد بن أحمد السفاريني (ط) المكتب الاسلامي – بيروت .

٥٨_ المنتقى في أخبار المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :عبد السلام بن تيمية الحراني (ط) المكتبة الاسلامية – بيروت .

٥٩_ كتاب الانصاف فيما تضمنه الكشاف في الاعتزال :احمد بن محمد بن المغير (ط) طهران .

٦٠_ التمهيد في تخريج الفروع على الأصول :لجمال الدين أبي محمد الأسنوي (ط) مؤسسة الرسالة .

٦١_ تذكرة الحفاظ : شمس الدين الذهبي :(ط) حيدر آباد الهند.

٦٢_ القاموس المحيط :الفيروزآبادي (ط) دار المأمون - القاهرة.

٦٣_ أسد الغابة :ابن الاثير (ط) دار الشعب .

٦٤_ لسان العرب :لابن منظور (ط) دار المعارف .

٦٥_ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن :محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي .

٦٦_ نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب .

٦٧_ وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان لابن خلكان (ط) دار صادر - بيروت .

٦٨_ العبر في خبر من غبر :الحافظ الذهبي (ط) التراث العربي .

٦٩_ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : لجمال الدين أبي المحاسن (ط) المؤسسة العامة .

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
إهداء	٣
تقديم إدارة الشؤون الإسلامية	٤
مقدمة المحقق	١٢
ملاحظاتي على نسخ المخطوطة	١٤
المؤلف	١٧
الجزء الأول من كتاب نهاية السول في خصائص الرسول	٣١
مقدمة المؤلف	٣٣
من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن نساءه من بعده يحرمن على غيره	٣٧
أقسم الله بحياته	٣٩
ناداه الله بالنبوة والرسالة ولم يناده بالاسم	٤٣
النهي عن مخاطبته باسمه	٥٨
أقامه الله تعالى مقام ذاته في البيعة	٥٩
بدأه الله تعالى بالعفو قبل التأنيب	٥٩
وضع به الأغلال التي كانت في أعناق العباد	٦٣

بت القضاء بالقصاص عمداً أو خطأ........................ ٦٥
إبطال قرض الجلد إذا أصابته النجاسة...................... ٦٦
ذكره الله تعالى معه في الصنائع إلى عباده.................. ٧٢
وجوب تقديمه عليه الصلاة والسلام على النفس............. ٨٩
تولّى الله تعالى الجدال عنه فيما اتهم به.................... ٩٣
النبي صاحب الكوثر...................................... ١٤٤
معجزات محمد صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله عليهم
الصلاة والسلام... ١٦٩
خفض الصوت وغض البصر في حضرته....................... ١٩٧
كفر من كان في صدره حرج مما قضى........................ ٢٠٤
الصلاة على النبي.. ٢٠٥
الخصائص التي انفرد بها على الأنبياء عليه وعليهم الصلاة
والسلام ٢١٠
صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة......................... ٢١٦
من فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم.................. ٢٣٧
ما أباحه الله له من النساء . عددهن وأسماؤهن وصفاتهن..... ٢٤٢
من تسرّى بهن... ٢٧٩
نهاية الجزء الأول.. ٢٨٣

الجـــزء الثـــاني ٢٨٦

تتمة زوجات الرسول صلى الله عليه وسـلم................ ٢٨٧

أحكام خاصة به عليه السلام دون أمته........................٢٩٠

من خصائصه: أن الصدقة عليه حرام وخصائص أخرى....... ٣٤٥

ما أوجبه الله تعالى عليه زيادة في كرامته.................... ٣٥٣

شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم وكرمه................. ٣٧١

الجـــزء الثـــالث ٤٢١

قيام رسول الله صلى الله عليه وسـلم الليـل ٤٢٣

التحقيـق.. ٥٠٥

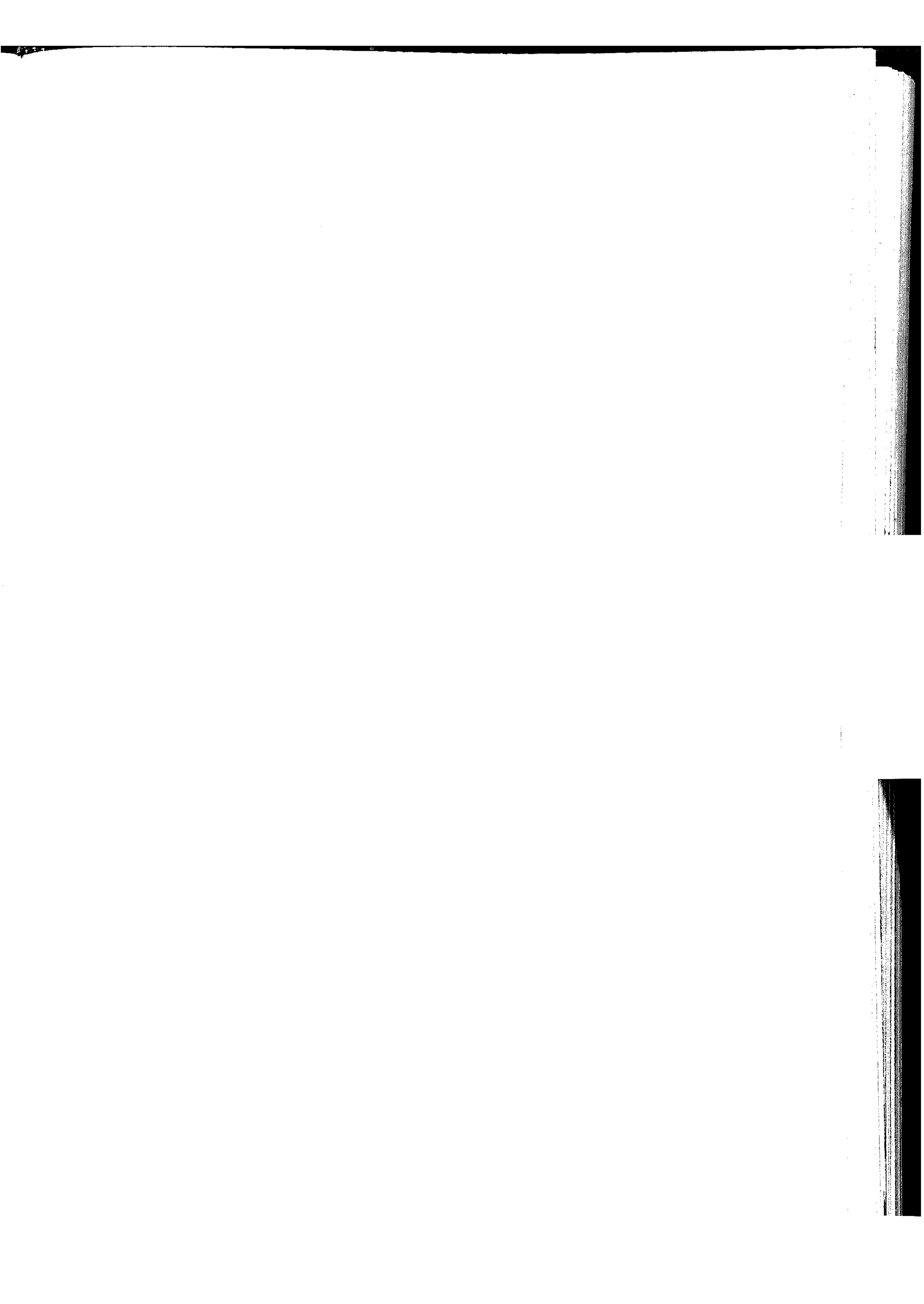
خاتمـة البحـث ٥٠٦

فهـرس الأحـاديث.. ٥٠٨

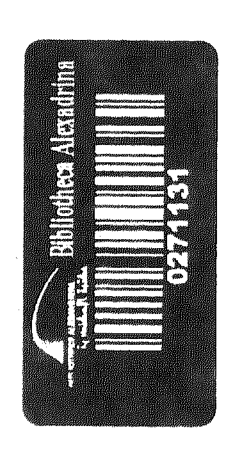
أهم مراجـع البحـث.. ٥٢٠

فهـرس الموضوعـات..٥٢٦








Bibliotheca Alexandrina
0271131